أبو فهر
محمود محمد شاكر
الموقع الرسمي للأستاذ
abufehr.com

الوَسيلَةُ الأدَبيّةُ

إلَى العُلُومِ العَرَبيَّة

تأليف :

حسين المرصفي

طبعة مخففة الحجم، تم تحميلها في موقع:
abufehr.com

تم تحميل هذا الكتاب من موقع الأستاذ:

أبو فهر
محمود محمد شاكر
الموقع الرسمي للأستاذ
abufehr.com

ينشر فريق الموقع بعض الكتب العربية التي زالت عنها حقوق النشر، وهي كتب ذكرها الأستاذ شاكر في مقالاته وكتبه، أو كتب لها قيمة علمية كبيرة في المكتبة العربية...

مركز تحقيق التراث

مصادر النقد العربي الحديث

الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية

تأليف

حسين المرصفي

الجزء الأول

حققه وقدم له

الدكتور عبد العزيز الدسوقي

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٢

مصادر النقد العربى الحديث

تمهيد وتعريف

مصادر النقد العربى الحديث

تمهيد وتعريف

بقلم: الدكتور عبد العزيز الدسوقي

هذه سلسلة جديدة متخصصة تقدم مصادر نقدنا العربى الحديث لأساتذة الجامعات والمهتمين بالبحوث والدراسات النقدية .

وتتمثل مصادر النقد العربى الحديث ، فى بعض الكتب الهامة ، والدراسات المبكرة التى شكلت الذوق العربى الحديث ، وطورت المفهومات النقدية ، وشقت الطريق للأجيال .

ثم هى تتمثل فى بعض المجلات والدوريات الرائدة التى حملت لواء التجديد فى مجال النقد والدراسات الأدبية .

وبعض تلك الكتب لم يطبع إلا مرة واحدة أو مرتين ، ثم أصبح الحصول عليه عسيرا ، إن لم يكن متعذرا . كالوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفى ، وقد طبعت منذ نحو مائة عام .

وبعض هذه الكتب لم يطبع مطلقا ، وظل مخطوطا حتى الآن ، مثل كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ، لرائد من أهم رواد التجديد فى النقد والدراسة الأدبية هو «حسن توفيق العدل» .

أما أهم المجلات والدوريات ، التى تعد بحق مصدرا من أهم مصادر نقدنا العربى الحديث ، فقد أصبحت مهددة بالتلف والانقراض .

من أجل هذا مست الحاجة إلى صدور سلسلة جديدة متخصصة لتقدم للقارىء العربى ، أهم تلك الكتب والدوريات .

وفى نيتنا أن نقدم فى البداية من الكتب :

١ – كتاب « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » من تأليف حسين أحمد المرصفى . وقد طبع الجزء الأول منه فى عام ١٨٧٥ م . و تم طبع الجزء الثانى فى عام ١٨٧٩ م .

٢ – تاريخ آداب اللغة العربية من تأليف محمد دياب . وقد تم تأليفه فى عام ١٨٩٧ م وتم طبعه فى عام ١٩٠١ م.

٣ – تاريخ آداب اللغة العربية من تأليف حسن توفيق العدل . وقد أنجزه فى مطلع القرن العشرين ، ولا يزال مخطوطا . وقد اطلعت على نسخة منه كتبها بخط الرقعة « محمد فخر الدين » وعليها تاريخ (١٣٢٢ هـ – ١٩٠٤ م) .

٤ — كتاب « المواهب الفتحية » من تأليف حمزة فتح الله .

وسنقدم من المجلات والدوريات ما تمس الحاجة إليه دون نظر إلى الترتيب التاريخى . وقد أعددنا للنشر :

١ — مجلة روضة المدارس باعتبارها أول مجلة أدبية فى تاريخنا العربى الحديث .

٢ — مجلة أبولو .

٣ — مجلة « البيان » لليازجى .

٤ — مجلة الضياء لليازجى .

٥ — مجلة الزهور لأنطون الجميل .

٦ — مجلة البيان للبرقوقى .

٧ — مجلة الفجر لأحمد خيرى سعيد .

٨ — مجلة مصباح الشرق للمويلحى .

* * *

وسنقدم بين يدى كل كتاب من هذه الكتب التى ننشرها ، أو كل مجلة من المجلات التى نصدرها ، دراسة وافية ، نعرف فيها بالكتاب أو المجلة ، ونبين أثرهما فى نقدنا العربى الحديث ، وقيمتهما العلمية .

ويسعدنا أن نقدم فى الحلقة الأولى من هذه السلسلة كتاب « الوسيلة الأدبية » . نسأل الله العون والمدد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الدكتور عبد العزيز الدسوقى

القاهرة فى ٨ من يوليه ١٩٨٠

المرصفي والوسيلة الأدبية

دراسة وتقديم

المرصفى والوسيلة الأدبية

دراسة وتقديم

— ١ —

نقدم فى الحلقة الأولى من سلسلة «مصادر النقد العربى الحديث» كتابا من أهم الكتب فى مجال النقد والدراسة الأدبية، هو كتاب «الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية» لمؤلفه الباحث الرائد «حسين أحمد المرصفى».

والمؤلف ظاهرة باهرة من الظواهر العلمية والأدبية فى مصر، فى القرن التاسع عشر. والكتاب نقطة تحول فى مجال النقد والدراسة الأدبية فى هذا القرن أيضا، أثر تأثيرا عميقا فى الحياة الأدبية والفكرية، وشكل ذوق رواد النهضة الأدبية والفكرية فى مصر.

وعلينا — قبل أن نلقى الضوء على كتاب الوسيلة — أن نتوقف عند شخصية هذا العلامة الرائد الشيخ حسين بن أحمد المرصفى. ذلك النابغة المكفوف البصر الذى استطاع أن يتقن العربية، ويتبحر فى علومها، وأن يتعلم الفرنسية ويترجم عنها، وأن يرود مجالات متعددة فى البحث والدرس.

— ٢ —

حياته ومصادر ثقافته:

ويبدو أن العاهة كان لها تأثير على مزاج ذلك المفكر المرهف الحس، المتواضع النفس، فانطوى على نفسه وعزف عن الشهرة، وارتياد المجتمعات، وعكف على عمله وتأليف الكتب.

ولهذا لفّ الظلام تفاصيل حياته وسيرته.

فلا نعرف على وجه التحديد متى ولد، ولا نعرف كثيرا من الظروف التى أحاطت به.

ولولا بضعة سطور كتبها عنه على مبارك فى الخطط التوفيقية؛ لما اهتم به أحد من معاصريه.

ولم يكتب عنه أحد بعد ذلك، حتى التفت إليه صديقنا الباحث الشاعر الأديب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن، فكتب عنه فصلا ممتازا فى كتابه «أعلام من الشرق والغرب» الذى صدر

فى أواخر الأربعينات . ثم كتب عنه الأستاذ محمد عبد الجواد كتاباً أصدرته دار المعارف فى طبعة متواضعة عام ١٩٥٢ . وكتب عنه المرحوم الدكتور مندور فصلا من الفصول التى كان ينشرها فى أواخر الخمسينات عن « النقد والنقاد المعاصرين » ثم جمعها فى كتاب بعد ذلك .

وقد عجب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن من إغفال مؤرخى الأدب ، تقديم ترجمة كاملة للشيخ . وقال : « ويظهر أن الترجمة للشيخ حسين المرصفى كانت شاقة لمن جاءوا بعد على مبارك باشا ، فأغفله المرحوم جرجى زيدان بك وهو يترجم لقرابة تسعين علما من أعلام النهضة فى كتابه المشهور (تراجم مشاهير الشرق) . كما تركه الأستاذ حسن السندوبى فى كتابه (أعيان البيان) الذى ترجم فيه لطائفة من أعلام الأدب والشعر ، منذ عصر محمد على . وأعجب من ذلك كله أن يتركه المغفور له أحمد تيمور باشا ، وهو يترجم لأربعة وعشرين عينا من أعيان العلم والأدب فى كتابه (تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر) . الذى طبع بعد وفاته ... ومازال حظ الشيخ المرصفى يضؤل من الأسطر التسعة ، التى تفرد بها على مبارك باشا فى (خططه) حتى بلغ نصيبه ثلاثة أسطر من الترجمة فى كتاب (الآداب العربية فى القرن التاسع عشر) للأب لويس شيخو اليسوعى . وهو نصيب لا يقوم كفاء ما أسداه الشيخ إلى دراسة تاريخ الأدب من خدمات . على أن مؤرخنا المنصف عبد الرحمن الرافعى بك ، لم يفته وهو يترجم لأعلام الأدب فى عصر اسماعيل أن يردد بضعة الأسطر ، التى جاءت فى كتاب على مبارك باشا . وهى المصدر الوحيد فى ترجمة الشيخ الجليل »[1] .

وقد عجب الأستاذ محمد عبد الجواد فى كتابه عن المرصفى لهذا الإغفال أيضا وراح يعالل ذلك بعدة تعليلات رآها سببا لهذا الإغفال .

وهى ظاهرة تسترعى النظر حقا ، ولكنى لا أعتقد مع الأستاذين الجليلين ، أنها كانت سببا فى إخفاء شئ من علم المرصفى أو فضله . فلاتزال كتبه المخطوطة والمطبوعة ، رغم عدم إعادة طبعها تحمل للأجيال ذلك الرصيد الحضارى الذى أضافه المرصفى لحياتنا وفكرنا .

وأرى أن السطور التى كتبها المرحوم على مبارك عن هذا الرائد الكبير تكفى لتحديد ملامح حياته ومعالم ثقافته ، ونباهة شأن أسرته ، فقد تحدث عن والده الشيخ أحمد أبو حلاوة ، وكان من كبار علماء الأزهر . وكان هذا المعهد العريق فى هذا الوقت هو الجامعة التى تزود مصر والعالم الإسلامى برجال الفكر والثقافة . ومعنى أن يتحدث على باشا مبارك فى خططه عن الشيخ أحمد أبى حلاوة والد المرصفى ، أنه كان من أعيان الفكر والثقافة ، وكان مرموقا بارزا فى الحياة الاجتماعية . ثم استطرد بعد الحديث عن والد المرصفى إلى الحديث عنه قائلا : « وقد ترك ابنه العلامه الشيخ

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : أعلام من الشرق والغرب ٦٨ ، ٦٩

حسينا من أجلاء العلماء وأفضلهم ، له اليد الطولى فى كل فن ، وقل أن يسمع شيئا إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج وحدة الذهن ، وشدة الحذق . اجتهد فى التحصيل وحفظ المتون ، حتى متن جمع الجوامع وتلخيص المفتاح . وتصدر للتدريس ، وقرأ بالأزهر كبار الكتب ، كمغنى اللبيب فى النحو لابن هشام . وله تآليف مفيدة أجاد فيها وأفاد : منها كتاب « الوسيلة الأدبية فى علوم العربية » ، جمع فيها نحو اثنى عشر فنا .. وتكلم باللسان الفرنساوى وقرأ الخط العربى والفرنساوى فى أقرب زمن مع انكفاف بصره ، وهو حروف اصطلح عليها اصطلاحا جديدا تدرك بالحس باليد . وقد أنشأ الخديو اسماعيل من ضمن ما أنشأ من المدارس مدرسة للعميان ، يتعلمون فيها هذا الخط مع فنون أخر .

وكان الشيخ حسين معلم العربية فى دار العلوم ، وبالمدارس الكبرى وبمدرسة العميان » (١)

ولا شك أن هذه المعلومات التى ذكرها على مبارك تمثل أهم الحقائق ، التى يحتاج الباحث إليها من سيرته ومصادر ثقافته ودراساته ، ويمكن أن نضيف إليها بعض التفصيلات الأخرى نستقيها من الرسالة الجيدة التى ألفها عنه المرحوم محمد عبد الجواد ، وبعض المصادر الأخرى التى تناولته .

وسيبقى تاريخ مولده غامضا مجهولا . وقد ولد كما نرجح فى مطلع العقد الأول من القرن التاسع عشر . نحو عام ١٨١٥م ، وانتقل إلى رحاب الله يوم الأحد ٥ من جمادى الثانية عام (١٣٠٧هـ — ٢٦ يناير ١٨٩٠ م) .

أما ثقافته فكانت كما ذكر على مبارك هى الثقافة الأزهرية . حفظ القرآن والمتون والتحق بالأزهر . وكان والده من كبار العلماء ، فكان من الطبيعى أن يلقى من العناية والرعاية ما يدفعه دفعا إلى التفوق والنبوغ . وكانت قدراته الذاتية ومواهبه الشخصية ، إلى جانب الظروف المواتية سببا فى تحصيله لكثير من المعارف وتطلعه الى تجاوز البيئة الأزهرية : وتعلم لغات أخرى غير العربية ، فتعلم اللغة الفرنسية بطريقة الحروف البارزة المعروفة بطريقة (برايل Brille) .

ويروون عن سبب تعلمه الفرنسية قصصا لا نميل إلى ترجيح شئ منها ، فهذا الشيخ الطلعة المتفتح للعلم كان لا ينقصه الطموح ولا الموهبة ، وكانت البيئة المحيطة به تدفعه دفعاً إلى ذلك ، فقد كان زوج شقيقته « زين المرصفى » يعرف اللغة الإنجليزية والفرنسية والتركية ، فلا عجب أن يتعلم الفرنسية فى أقرب وقت ، وقد ترجم عن الفرنسية بعض حكايات لافونتين .

وقد نقل الأستاذ محمد عبد الجواد فى كتابه عن المرصفى بعض النصوص الفرنسية وترجمة المرصفى لها ، وهى تؤكد قدرته على الترجمة وممارسته لها .

---

(١) على مبارك — الخطط التوفيقية جـ ١٥ ص ٤٠

وقد مارس التدريس بالأزهر ومدرسة العميان .

وعندما أنشأ على باشا مبارك مدرسة دار العلوم فى أغسطس ١٨٧٢ ألحق بالمدرسة ٣٢ طالبا من طلاب الأزهر ، وكانت هيئة التدريس مكونة من خمسة مدرسين ؛ منهم ثلاثة من علماء الأزهر ، هم : الشيخ حسين المرصفى (مدرس عام) الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى (مدرس تفسير) والشيخ عبد الرحمن الجيزاوى (مدرس فقه) . وقد استمر يدرس فى دار العلوم ثمانية عشر عاما حتى انتقل إلى جوار الله .

ويحدثنا الأستاذ محمد عبد الجواد أن المراد بالعلوم الأدبية التى كان يدرسها الشيخ حسين المرصفى من كتابه الوسيلة الأدبية ، ومن كتاب آخر فى الإنشاء هى : النحو والصرف والإملاء وحروف المعانى والعروض والقوافى والإنشاء وعلوم البلاغة ، وأدبيات اللغة والمنطق .

هذه هى أهم معالم سيرة حياته وشخصيته ، والتى لا أعتقد أن الباحث يحتاج إلى غيرها ، ليقف على أفكاره ومؤلفاته .

— ٣ —

مؤلفاته ومنهجه فى التأليف :

من أهم المؤلفات المعروفة للمرصفى ثلاثة كتب هى :

١ — الوسيلة الأدبية فى مجلدين .

٢ — دليل المسترشد فى فن الإنشاء فى ثلاثة مجلدات (ولا يزال مخطوطا)

٣ — رسالة الكلم الثمان ، وهو كتيب صغير فى نحو ٦٦ صفحة .

ودليل المسترشد مجلدات ثلاثة تتناول مجموعة من المعارف والعلوم ، فإلى جانب حديثه عن الفكر وتقوية العقل واللغة ، يتكلم عن الإنسان وجسمه وتركيبه ووظائفه ، ويستطرد إلى الحديث عن فن الخطابة .

وفى المجلد الثانى يتحدث عن « الأغراض التى يحاول المنشئ حسن الصنعة فى صياغة العبارة عنها ، وإتقان الكتابة فيها باختيار العبارات الموافقة لأنواعها واللائقة بجزئياتها » .

وأفرد المجلد الثالث من دليل المسترشد للحديث عن طبقات الكُتّاب .

وقد لاحظ الأستاذ محمد عبد الجواد أن المرصفى تناول فى كتاب « دليل المسترشد » بعض موضوعات الوسيلة الأدبية بشئ من التفصيل أو الاختصار ، كما فى موضوع العقل ، وأصناف المعقول ، فقد ورد ذكره فى المقصد الأول من الوسيلة (ص ١١ — ١٩ — ج ١) وجاء فى المجلد

الأول من الدليل فى ص (٢٨ – ٣٤) : و كما فى طبقات الشعراء والكتاب ونماذج من شعرهم وكتابتهم ، ولعل هذا هو السبب فى عدم الاهتمام بطبع الكتاب.

وكتاب « رسالة الكلم الثمان » كتاب يشبه الكتابة فى العلوم السياسية. وقد وجهها للجيل الجديد، وتم طبعها فى أكتوبر ١٨٨١ ؛ وكانت البلاد تغلى بالثورة وتموج بتيارات الإصلاح ، وما لبثت أن اندلعت بعد ذلك الثورة العرابية.

هذا هو الإطار العام الذى يمكن أن نفهم على ضوئه هذه الرسالة ، التى يتحدث فيها عن : « الأمة » و « الوطن » و « الحكومة » و « العدل » و « الظلم » و « السياسة » و « الحرية » و « التربية ».

وأتمنى أن يدرس طالب من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية هذه الرسالة، ليقف على هذا الجانب الرائد من مجالات الشيخ حسين المرصفى.

أما كتاب الوسيلة الأدبية فهو أهم كتب الرائد العظيم وأشهرها ؛ وسنحاول أن نفرده بدراسة متأنية بعض الشئ ، حتى نقف على جوانبه المتعددة ، ونتعرف على عناصره الأساسية، والموضوعات التى تناولها.

* * *

والوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية ، هى أهم كتب العلامة حسين المرصفى .

وقد أخذت شهرتها والاهتمام بها ، من التأثير البالغ العمق الذى أحدثته فى الحياة الأدبية .

وقد صدرت فى مجلدين اثنين :

المجلد الأول : وهو صغير الحجم فى مائتين وخمس عشرة صفحة ، أى نحو ربع المجلد الثانى . وصدر عن مطبعة المدارس الملكية (١٢٨٩ هـ – ١٨٧٢ م) كما هو مكتوب على الصفحة الأولى بعد الغلاف ، أى صفحة الغلاف الداخلى . ولكننا نلاحظ أن المشرف على طبعه قرر فى نهاية الكتاب فى صفحة (٢١٥) أن الكتاب قد تم طبعه فى مطبعة المعارف الملكية فى سنة (١٢٩٢ هـ – ١٨٧٥ م) . أى أن طبع هذا الجزء الصغير قد استغرق نحو ثلاث سنوات .

أما المجلد الثانى ، فهو الأهم والأكبر حجما والأعظم قيمة ، ويبلغ حجمه ٧٠٣ صفحات :

وقد استغرق طبعه هو الآخر نحو أربعة أعوام ، فقد كتب على غلافه الأول أنه طبع بمطبعة المدارس الملكية سنة (١٢٩٢ هـ – ١٨٧٥ م) وفى ختام صفحة ٧٠٣ وهى آخر صفحة فى الكتاب كتب المشرف على الطبع ، وأنه قد تم طبعه بمطبعة وادى النيل بباب الشعرية فى عام (١٢٩٦هـ –١٨٧٩ م) .

وهذه ظاهرة تسترعى التأمل . إذ كيف يستمر طبع مجلد صغير فى مائتين وخمس عشرة صفحة ، هذه الأعوام الثلاثة ؟

وإذا ساغ أن يبقى المجلد الثانى – وهو أكثر من سبعمائة صفحة – طوال هذه المدة ، فإن اللافت للنظر أنه طبع فى مطبعتين مختلفتين ، كما يظهر من الاختلاف بين اسم المطبعة على صفحة الغلاف والصفحة الأخيرة ، فقد كتب على الصفحة الأولى أنه طبع بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز . بينما كتب على الصفحة الأخيرة من هذا المجلد أنه طبع بمطبعة وادى النيل بباب الشعرية كما قلنا .

على أية حال هذه مسألة شكلية لا تتصل بموضوع الكتاب ولا بقيمته العلمية .

أما الموضوع نفسه فيجب أن نتوقف عنده فى ريث وأناة ؛ لنعرف كيف تمكن هذا الشيخ الأزهرى المكفوف فى القرن التاسع عشر، أن يقدم هذا الإنجاز الكبير، فى مجال النقد والدراسة الأدبية ، وأن يقود من خلاله ، حركة البعث الأدبى ، كما بينت ذلك فى كتابى « تطور النقد العربى الحديث فى مصر » (١)

ولا أريد أن أعود إلى ما جاء فى هذا الكتاب حول الوسيلة الأدبية والمرصفى . فالكتاب والرجل لا يزالان فى حاجة إلى درس وفحص ، وارتياد جوانب جديدة تتصل بهما .

على أية حال نبدأ مع المجلد الأول من الوسيلة .

* * *

(١) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

ولا بد من الإشارة إلى أن الأصل في كتاب الوسيلة الأدبية . هي المحاضرات التي كان يلقيها المرصفي على طلبته في دار العلوم ، وهي نفسها الفصول التي نشرت في روضة المدارس . وتلك الطبيعة الخاصة للكتاب ، هي التي أملت على المرصفي أن يجعل المجلد الأول بمثابة تمهيد للأفكار التي يريد أن يتحدث عنها ، أو كالمدخل للفنون الأدبية التي تناولها بعد ذلك في المجلد الثاني . ولذلك اهتم بالقواعد وتعريفات العلوم ، واهتم بالحديث عن بعض المسائل النظرية التي تتصل بالأدب ، ولا تدخل في مباحثه ، واهتم أيضا بالتأصيل النظري للمعارف الإنسانية .

في بداية المجلد الأول يحدثنا حديثا نظريا عن العلم ، وكيف أنه «صفة واحدة لها تعلقات كثيرة ، كل جملة منها متناسبة بوحدة موضوع وغاية ورسم . ومن هنا تعددت العلوم المدونة ، ومُيِّزتْ بالأسماء ، وهي قسمان : عقلية ، براهينها من جهة العقل . ونقلية : دلائلها من جهة النقل . والقسم الأول نشوءه وبعض تربيته قبل الإسلام . وقسمه أصحابه إلى ثلاثة أقسام : الطبيعي والرياضي والإلهي . وجعلوا المنطق له مقدمة ، إذ كان قانونا تورد عليه البراهين مادة وصورة . والثاني نشوءه وتربيته في الإسلام ، كتفسير الكتاب والسنة ، والأحكام الشرعية ، والعلوم الملقبة بعلوم العربية وفنون الأدب » (١)

ثم يواصل المرصفي بعد هذا التأصيل النظري (تحديد العلوم التي سيتحدث عنها ووضع تعريفات لها :

فاللغـــة عنده : « علم يبين صور الألفاظ وتعيينها للأشياء التي يفهمها العالم بوضعها لهـــــا . (٢)

والصرف : علم يبين صيغ الألفاظ وكونها أصولا وزوائد متبادلة الحروف ، وكيفية النطق بهـــا .

والاشتقـــاق : علم يبين جعل الألفاظ أصولا ، وتفريع بعض آخر عنها .

(١) الوسيلة الأدبية جـ ١ ص ٢٠ (الطبعة الأولى – مطبعة المدارس الملكية ١٢٩٢ هـ)

(٢) المصدر والصفحة ٥ .

والنحــو : علم يبين أحوال أواخر الكلمات عند تركيبها ، وتقديم بعض الكلمات عنده على بعض ، جوازا ووجوبا . وحذف بعض وذكر بعض وجوبا وجوازا .

والمعــانى : علم يبين الأغراض المترتبة على إيراد التراكيب فى صور مختلفة ، وأن لكل صورة غرضا(١) .

والبيــان : علم يبين المجاز والكناية(٢) .

والبــديع : علم يبين أحوالا تعرض للفظ فتكسوه حسنا ورونقة (٣) .

والعــروض : علم يبين الأوزان التى وزنت بها العرب شعرها كيفية وكمية .

والقــوافى : علم يبين أحوالا تعرض لأواخر الأبيات . منها ما يكون لازما ، ومنها ما يكون زينة ومنها ما يكون عيبا .

والإنشــاء : علم يبين كيفية تأليف الخطب ورسائل المخاطبات ، وما أشبه ذلك ، ويسمى فن الكتابة والنثر . وصاحبه الكاتب والناثر .

والنــظم : ويقال له القريض ، وقرض الشعر : هو علم يبين كيفية النظم فى الأغراض المختلفة من حكم ووعظ ونسيب ومدح وعتب وتعطف وتأديب وغير ذلك .

والكتابة : ويقال لها فن الرسم والخط . وهو علم يبين رسم الحروف على هيئات مخصوصة حسب ما عليه الاصطلاح .

والتاريخ : علم يبين أسماء مشاهير الناس وأزمنتهم وأمكنتهم وأعمارهم وأعمالهم .

ولعل للتاريخ الإسلامى خصوصية أوجبت عده من العلوم العربية . ولذلك أبدله بعضهم بالمحاضرات ، وهى النوادر فى الفنون المختلفة التى يحاضر بها بعض الناس بعضا فى مسامراتهم . (٤)

وقد نقلت هذه التعريفات وتلك المصطلحات بنص عبارة المرصفى ، لنتعرف على منهجه فى تحديد العلوم ووضع تعريفاتها وضوابطها بهذا الوضوح ، بعيدا عن التعقيدات والاستطرادات ، التى كانت شائعة فى التأليف ، فى تلك الحقبة من الزمان .

وقد اهتم أيضا فى بداية المجلد الأول بتحديد معنى كلمة الأدب . فهى تعنى عنده : أدب القول

(١) المصدر والصفحة ٥
(٢) المصدر ص ٥
(٣) المصدر والصفحة ٥
(٤) المصدر السابق

وأدب النفس . فكتب تمهيدا أكد فيه « أن الأدب معرفة الأحوال التى يكون الإنسان المتخلق بها محبوبا عند أولى الألباب ، الذين هم أمناء الله على أهل أرضه ، من القول فى موضعه المناسب له ، فإن لكل قول موضعا يخصه بحيث يكون وضع غيره فيه خروجا عن الأدب »[1] .

وواضح أن المرصفى يقصد بظاهر هذا القول تعريف الأخلاق ، وأدب النفس ، وإن كان من الممكن أن ينطبق هذا القول أيضا على التجربة الأدبية بمعناها الاصطلاحى الخاص ، فهذا المعيار الذى وضعه للأخلاق يمكن أن يشمل الأدب .

على أن المرصفى لم يترك هذا الأمر للاجتهاد الخاص ، فذكر بعض التفصيلات حول هذا المعيار ، وذكر من بين هذه التفصيلات الشعر وبين أثره فى النفوس ، وقدرته على التأثير البالغ إذا وضع الكلام فى موضعه المناسب . وروى أنه « صناعة من الصناعات يجود بدقة معناه ، وملاحة لفظه ، وإحكام بنائه ، ويتردّاً بخلاف ذلك ، لكنه متغير الأمر والحال بتغيير العوائد تغييرا عظيما »[2]

على أن أهم ما بدأ به المرصفى المجلد الأول فى مجال المعارف النظرية العامة حديثه عن العقل فأفرد له « المقصد الأول » بعنوان « فى العقل وبيان أصناف المعقول » وفى هذا القسم تناول جوانب هامة من المنطق والفلسفة .

والمقصد الثانى : جعله لتعريف اللغة وبيان الداعى لوضع علوم العربية . وفى هذا المقصد حديث رائد عن فقه اللغة ، وفلسفة الوضع اللغوى . وتحدث فى هذا المقصد عن حروف المعانى والاختصاص والاشتراك ، والحقيقة والمجاز ، والترادف والتباين ، والمطلق والمقيد .

يبقى أن نشير إلى أن المرصفى تناول فى المجلد الأول من الوسيلة ، علوماً محددة تتصل اتصالا مباشرا باللغة ونظرية الأدب .

فتحدث بالتفصيل عن علم الصرف بتقسيماته وتفريعاته واشتقاقاته وأبوابه .

وتحدث عن علم النحو .

وأنهى المجلد الأول بخاتمة تحدث فيها عن أحسن الطرق لتحصيل علوم العربية ، واختلافه بحسب العصور . وفى هذه الخاتمة تتجلى ثقافة المرصفى الغزيرة ، ومواهبه ، وتفتحه على الجديد ، وإحساسه بأن الحياة دائمة التجدد فى كل شئ .

ويحدثنا أن الناس إذا اقتصروا « على معرفة القواعد دون استعمال ، ونظروا إلى الآلات نظر المقاصد ، واقفين عند ذلك الحد ، فصارت علومهم بمنزلة حبوب تخزن فى أماكن صالحة

---

(١) المصدر والصفحة

(٢) المصدر ١٠

الملك ، أو غير صالحة حتى تصير ترابا ، وينقلب بعضها حشرات ، وهوام بشعة (١). هؤلاء الناس يستحقون عند المرصفى « اللوم والتعنيف والمقت من الله » (٢)

وهو من أجل ذلك يرى أننا بحاجة إلى تطوير علومنا ومناهجنا وتجديدها ، لنواكب تطور العصور وتغير الأحوال . ويقدر أن الطريقة المثلى فى مجال الأدب واللغة « أن يبتدئ الطالب بتحصيل الفنون الأصلية ، صافية نقية من الشبهات والاعتراضات ، وإيراد العبارات المنقوضة تحفظا لها ، وعملا بها ، فيما يرد عليه أثناء ذلك من الكتب التى يتعلم بها ، والأشعار المضمنة فيها . فإذا أتقن ذلك ، واعتاد لسانه أن ينطق بالكلم« العربية » كما كانت العرب تنطق بها ، انتقل إلى معرفة الفنون البلاغية ، التى يستفيد بها دقائق المعانى الإشارية الملحوظة وراء المعانى الأصلية ، ليبلغ بذلك درجة إتقان الإنشاء ، حسب اقتضاء الأحوال ، فارقا بين كل مقام وغيره ، فخطبة المنبر غير خطبة عقد الصلح ، وهما غير خطبة رفع المهادنة ، ونبذ العهد . وهى غير خطبة الاملاك . والعبارات عن صيغ العقود والشهادات والمشارطات ، غير عبارات التعزيات . والتهنئات والبشارات وهكذا . وطريق الوصول إلى ذلك ، معرفة الفنون البلاغية ، وكثرة القراءة فى منشآت المتقدمين على اختلاف أنواعها بتعقل لسياقاتها ومسالكها ومباديها وأوساطها وغاياتها ، مع الصبر على ذلك والتأنى فى تعقله ، كما قيل » . (٣)

ونحن نلاحظ أن المرصفى قد طبق هذه الفكرة على نفسه خير تطبيق .

فلا شك أنه قد قرأ كل ما يتصل بموضوعه الذى ألف فيه « الوسيلة الأدبية » . ثم قدم فى المجلد الأول هذه الوجبة الواضحة ، التى اعتبرها بمثابة المدخل النظرى والعلمى إلى موضوعه الأساسى ، وهو الدرس الأدبى .

وبهذا الاعتبار يمكن أن نعلل صغر حجم هذا المجلد ، فقد اقتصر على نشر المقدمات العلمية الواضحة ، التى رآها لازمة لقارئه الذى وجه إليه المجلد الثانى من الوسيلة الأدبية .

* * *

(١) المصدر السابق ٢١٤

(٢) المصدر والصفحة

(٣) المصدر ٢١٤

فإذا انتقلنا إلى المجلد الثانى وجدنا صورة مشرقة للجهد العلمى المتأنى الصابر ، والتذوق الجمالى النافذ ، وانتهاج منهج يتلاءم مع التأليف فى علوم البلاغة والأدب والنقد الأدبى .

ومع أن المرصفى قد تحدث فى هذا المجلد الكبير — الذى تجاوز السبعمائة صفحة — عن علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع ، ونثر بين صفحاته المتعددة نظرات ذكية عميقة فى النقد الأدبى ، بنوعية النظرى والتطبيقى ، فإنه حول هذا المجلد إلى سياحة عميقة هدفها مواجهة النص الأدبى وتذوقه . وبذلك أسهم فى تغيير الذوق والحساسية الفنية وكون مدرسة أدبية كان لها الفضل فى بعث النقد العربى الحديث . بل لقد ألهم الرواد فى مجال الإبداع الفنى ، فلاشك أنه من مفجرى طاقة البارودى الشعرية ، ومن الذين سددوا طريقه ، والبارودى كما نعرف رائد البعث الشعرى »[1]

ومواجهة النص الأدبى وقراءته وتذوقه وبيان ما فيه ، مشكلة من أعقد المشكلات التى تواجه الآن نقدنا العربى الحديث. وبذلك يكون المرصفى من رواد النقد الجمالى .

ولهذا يجب أن نتريث ونحن نعيد قراءة هذا المجلد الثانى من الوسيلة الأدبية ، لنحدد بصورة دقيقة ، جهود المرصفى العلمية والأدبية ، فلاشك أن هذا الكتاب ثمرة من ثمار تحصيله العلمى الموصول ، وحصيلة ممتازة لتذوقه الأدبى والجمالى .

بدأ هذا المجلد بما سماه « المقصد الثالث فى فنون البلاغة » .

تحدث فيه أولا عن « فن البيان » : وفى هذا الفن تناول المجاز والاستعارة والكناية. أما حديثه عن « علم المعانى » فقد تناول الجملة وأجزاءها : الجملة الشرطية — الذكر — الحذف التقديم — التعريف — التنكير — التقييد — القصر ، الجمل الإنشائية ، كما تناول مواضع فصل الجمل . وتحدث عن الإيجاز والإطناب والمساواة .

ثم تحدث بعد ذلك عن « فن البديع » وقد أفرد لهذا الباب صفحات كثيرة (٥١ — ١٦٨) تناول فيها ألوانا طائلة من البديع مثل حسن الابتداء والجناس بأنواعه المختلفة. والاستطراد والمقابلة

---

(١) محمد عبد الغنى حسن . و . د : عبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس . نشأتها واتجاهاتها العلمية والأدبية ١٩٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥) .

والاستخدام ،والافتنان واللف والنشر ، والاستدراك والتوشيح ، والتذييل والتورية والإيغال والتطريز والإبداع والتجريد والترصيع ، والتمكين والتوسيع والاحتراس ،وغيرها من أصناف البديع الكثيرة .

ثم تحدث بعد ذلك عن « فن العروض والقافية »ففصل الكلام عن موسيقى الشعر العربي وبحوره ، والقافية والتجديد في هذ الفن .

بعد هذا الباب تناول بالحديث ما سماه « المقصد الرابع في الكتابة » وهو حديث مستفيض عن الإملاء .

ثم بدأ من صفحة (٢٠١) يتحدث عما سماه « كتابة الإنشاء ، أو صناعة الترسل » وقسم هذا الباب إلى أنواع ، سمى كل نوع منها « جهة » .

الجهة الأولى: « فيما يجب تحصيله على من يريد أن يكون كاتبا »

وتحدث في هذه الجهة عن صناعة الشعر ، وأفاض في نقل قصائد لمشاهير الشعراء . ونقل كثيرا من الأمثال العربية وتناولها بالدرس والتحليل. وفي هذه الجهة تحدث عن الشعراء وقسمهم إلى ثلاث طبقات .

وفي الجهة الثانية : جعل لها هذا العنوان « في أمور كلية » تحدث فيها عن حسن الافتتاح ومواقع الألفاظ الدائرة في الكتب إلى غير ذلك من الحديث النظرى العام .

وفي الجهة الثالثة : التي سماها « في أمثلة تعين على تربية الذهن » . حشد مجموعة كبيرة من النصوص النثرية وتناولها بالتحليل والعرض .

وفي هذه الفصول التي سماه المرصفي «جهات» برزت موهبته الفنية وقدرته على تذوق النصوص الأدبية وتفسيرها ، وإلقاء الأضواء عليها ، وتحليل قيمها الفنية والجمالية .

كما تجلت مقدرته الذهنية واستيعابه ، وطريقته البارعة في التناول والعرض .

وقد استرعى انتباهي وأنا أقرأ كتاب « الوسيلة الأدبية » ذلك الأسلوب العلمي ، الذي كان يستخدمه المرصفي في كل أجزاء الكتاب ،وقدرته على الفحص والتحقيق والتدقيق والتأمل العميق ، والوصول بعد ذلك إلى نتائج محددة واضحة ، لا تضيع في خضم الاستطرادات والنقول . وبذلك سهل علينا أن نميز بين آرائه وبين آراء من يستشهد بأشعارهم وأقوالهم .

ثم كان حريصا على نسبة النقول التي ينقلها في كتابه إلى أصحابها ، وهذه مسألة علمية لم تكن معروفة في دنيا التأليف حينذاك .

---

(١) الوسيلة الأدبية المجلد الثاني ص ٢

وفى مطلع كل باب من الأبواب التى يتحدث عنها ، كان يستحضر فى ذهنه تاريخ العلم الذى يتناوله : وتطوره وأهم أعلامه .

كما كان يبدأ ببضعة سطور تكون بمثابة التأريخ للفن الذى يدور حوله الحديث.

فنى بداية حديثه عن المقصد الثالث « فى فنون البلاغة » تناول فى إيجاز وقصد نشأة البلاغة وتطورها فقال : وأول من تنبه لاستخراج هذه الفنون ، واتخاذها معيارا لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه ، الشاعران الشهيران : مسلم بن الوليد ، وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى ، ولكن لم يدوناها ، وإنما كان يتحدثان بها ويسميانها « البديع » . ثم أخذ يتابع تطور هذا العلم حتى وصل إلى عبد القاهر .

وقد تنبه فى تلك المقدمة التاريخية إلى دور المتكلمين وفلاسفة الإسلام فى تغيير الحساسية الجمالية ، وتطوير البيان العربى والبلاغة العربية فقال : « ولما اتسعت دائرة القول فى العلوم الفلسفية بين المسلمين ، حتى أفضى بهم التكلم فى تخليص العقائد الإسلامية ، وإزاحة الشبه عنها ، إلى كشف حقيقة النبوة ، وبيان جهة إعجاز القرآن ، رأى الناس نفع هذه الفنون فى معرفة إعجاز القرآن الذى هو برهان الدين الحق ، فصار من العلوم الدينية وأكثروا فيها من التأليف ، وأولهم الشيخ عبد القاهر . » (١)

وبذلك تنبه إلى الفكرة التى ندعو إليها الآن ونتابع الكتابة فيها ، وهى أن القرآن هو الذى غير الحساسية الجمالية والذوق العربى ، وطور أسلوب التناول الفنى والعلمى .

تنبه إلى ذلك ولكن بطريقة أخرى . وعلى أية حال ففى الوسيلة الأدبية مجموعة من الآراء والأفكار الرائدة التى كان لها أعمق الآثار ، وبها قضايا ربما كانت تثار لأول مرة فى العصر الحديث.

ومن أمثال هذه القضايا :

- **الحديث عن اللهجات العامية بطريقة موضوعية .**
- **ودراسة علوم جديدة مثل فقه اللغة .**
- **ومناقشة نصوص لشعراء وكتاب معاصرين ، بطريقة تحليل النصوص وتذوقها .**
- **وتحليل الأدب بصورة تقرب من التحليل النفسى .**
- **ولاشك أنه أول من أرسى قواعد المنهج التاريخى فى الدرس الأدبى ، ومن خلال هذا المنهج قسم الشعراء إلى ثلاث طبقات :**

١ — طبقة الجاهليين والإسلاميين من المهلهل إلى بشار بن برد . (٢)

---

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) الوسيلة الأدبية جـ ٢

٢ – طبقة المحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ، ويجتهدون فى سلوك طرائقهم ، من أبى نواس ، إلى قبيل القاضى الفاضل .

٣ – طبقة الشعراء الذين غلب عليهم استعمال النكات والإفراط فى مراعاة البديع ، وهم من القاضى الفاضل إلى اليوم(١) .

وتتبع المرصفى خصائص كل طبقة من هذه الطبقات. وبذلك فتح المجال واسعا أمام الذين جاءوا من بعده من تلاميذه وغيرهم ، فى دراسة الأدب من خلال المنهج التاريخى ، فساروا على نهجه أو استلهموا نظراته وأفكاره فى الدرس الأدبى وتجاوزوها . وبذلك جاشت الحياة الأدبية بحركة البحث النقدى منذ أواخر القرن التاسع عشر . (٢)

بهذه المزايا وغيرها استطاع المرصفى أن يؤثر تأثيرا عميقا فى الحياة الفكرية والأدبية ، وأن يقدم التلاميذ الذين حملوا رسالته وطوروها وقدموها للناس .

* * *

---

(١) السابق ٥٠٣

(٢) راجع تفصيل هذه القضية فى كتابنا : تطور النقد العربى الحديث فى مصر .

خاتمة

المرصفى وتلاميذه

ولا بد أن نتساءل فى خاتمة هذه الدراسة عن المرصفى والوسيلة الأدبية : كيف تسنى لهذا الشيخ المكفوف البصر أن يكون على هذا المستوى العلمى والحضارى، وكيف واصل تثقيف نفسه من خلال القراءة بالحروف البارزة ،وكيف هضم كل هذه المعارف العربية ، ووقف على بعض الاتجاهات الأوربية من خلال ما كان يترجم،أو يعرفه من أصحاب البصر بتلك الاتجاهات ، الذين كان يزاملهم فى المعاهد التى كان يعمل بها ؟

الحق أنها ظاهرة من أهم الظواهر الثقافية، التى أثرت فى حياتنا منذ أواخر القرن التاسع عشر.

ولا أدرى لماذا تجاهلنا هذه الظاهرة طوال هذه الأعوام الطوال. وكان يمكن أن نحولها إلى معجزة حضارية ، يتحدث عنها الناس فى كل مكان ، كما فعلنا مع الدكتور طه حسين يرحمه الله.

ولا أدرى كيف تجاهله تلاميذه الذين تخرجوا على يديه بالفعل، وألهمهم ولم يعيدوا طبع كتبه المطبوعة ، أو يطبعوا كتبه التى لا تزال حتى اليوم مخطوطة .

مع أن بعض هؤلاء التلاميذ تولى مناصب قيادية فى مجالات الثقافة والتعليم، وكان يمكنه بسهولة نشر هذه الأعمال كاملة فى طبعات محققة جميلة .

والذين قرءوا « الوسيلة الأدبية » ثم أتيح لهم أن يطلعوا على الكتب التى ألفت فى النحو والصرف والبلاغة والأدب ، وقررت على تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، طوال خمسين عاما أو أكثر ، يدركون بسهولة أثر « الوسيلة الأدبية » فى هذه الكتب منهجاً ومادة .

ويمكن أن نتوقف على وجه التحديد عند أسماء بعينها، تأثرت بالمرصفى وحذت حذوه فى التأليف ، واستلهمت الوسيلة الأدبية من أمثال :

(محمد دياب) و (محمد صالح) و (حفنى ناصف) و (مصطفى طموم) و (محمود عمر) و (سلطان محمد) و (أحمد الحملاوى) وغيرهم .

ولهذا نعتقد أننا نقوم بواجب تأخر القيام به، عندما نقدم هذه الطبعة الجديدة من الوسيلة الأدبية .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الدكتور عبد العزيز الدسوقى

الوسيلة الأدبية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة (١)

باسمكَ اللّهم نستفتحُ باب الرشاد ، سائِليكَ أنْ تصل بنا إلى غاية السداد ، راغبين إليك في أقرب هداية ، آملين تمام العصمة من مهاوى الغواية ، رافعين لفضلك أكُفَّ الضراعة ، خافضين لجلال عِزّك أرْؤُسَ الطاعة ، ناصبين لأمرك قوائم الامتثال ، جازمين بحسن الحال وأحسنية المآل .

وندعوك ربّنا مبتهلين ، ونحن من الإجابة على يقين أنْ تُديم لنا روحَ أرواحنا ، وحافظ أشباحنا ، ومحكم أسباب ارتياحنا ، مَنْ صَرَّفته فينا فحسُنتْ سيرتهُ ، وطابت بشهادة الحال سريرته :

عزيز مصـر أدام الله دولتـه ويكرم الله عبـدًا قـال آمينا

فغيرُ خَاف على ذوى الأسماع والأبصار ، ما قد اخترع لطيف فكره ؛ وأبدى سديد رأيه من جلائل ثوابت الآثار ، وإذا أطنب لسان الحال ، فأحسن بأن يوجز لسان المقال .

أدِمْهُ يارب مُتممًا مقاصده ، واصلاً علىَّ همته بأكمل مساعدة ، مفرحًا قلبه الرحيم في كل حال ، بترقية أنجاله الكرام ، ورعيته إلى أوج الكمال ، ناظرًا بعين العناية لمن أحسن خدمته ، وأعمل في تحصيل أغراضه همته ، بجاه سيد المرسلين ، صلوات الله عليهم وعلى أهاليهم أجمعين .

* * *

(١) هذا العنوان من عندنا (المحقق) .

التمهيد النظري..

- تعريف الأدب
- العقل وبيان أصناف المعقول
- تعريف اللغة
- بيان الداعي لوضع علوم العربية

أما بعد ؛ فإن الله جل ذكره ، هو المخصوص بكمال الذات والصفات ، وبمحض فضله شرف النوع الإنسانى بملابس من صفاته ، وأباحه طرفًا من سماته ، فكان سبحانه بذاته حيًا عالمًا ، مريدًا قادرًا فاعلا ، وجعل هذا النوع ذا حياة وعلم وإرادةٍ وقدرةٍ وفعلٍ .

وهذا معنى ماورد من خلق آدم على صورته ؛ والعلم رئيسٌ ، أريكتُهُ الحياة ، ورسولُهُ الإرادة ، ومنفذ أمره القدرة ، ووظيفته تمييز الحسن والأحسن من غيرهما ، فالله يقول : (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)[1] . فهذا بعثَ على استعمال مابه منَّ عليهم من قوة التمييز . وبين أنموذج ذلك بما يقولون فى خطاب المشركين : (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ)[2] .

ومنْ ثَمَّ كان العلمُ أشرفَ الصفات ، وما أكثر ما امتن به سبحانه ، ومن ذلك : (واللهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والْأَبْصارَ والْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[3] .

وضرب له المثل بالحياة ، ومثَّل الجهل بالموت فقال : (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) . فيستعمل الإنسان سمعه وبصره ، فيعقل قلبه ، وتربيته بالعمل بالقدر الذى حصل منه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم أورثه الله علمَ مالمْ يعلم » .

---

(١) سورة الإسراء : ٥٣ .
(٢) سورة الإسراء : ٥٤ .
(٣) سورة النحل : ٧٨ .
(٤) سورة الأنعام : ١٢٢ .

وذلك بظهور مايكون إتقان العمل وراءه ، كما أرشد إليه أيضا بقوله : « إن الله يحب من عبده إذا عمل عملا أن يتقنه » .

ثم العلم صفة واحدة لها تعلقات كثيرة ، كل جملة منها متناسبة بوحدة موضوع وغاية ورسم ، ومن هنا تعددت العلوم المدّونه ، ومُيِّزت بالأسماء ، وهى قسمان : عقلية براهينها من جهـة العقل . ونقلية دلائلهـا من جهـة النقـل .

والقسم الأول : نُشُوءُهُ وبعض تربيته قبل الإسلام ، وقسّمه أصحابه إلى ثـلاثة أقسـام :

الطبيعى والرياضى والإلهى ، وجعلوا المنطق له مقدمة ، إذْ كان قانونًا تُورد عليه البراهين مادة وصورة . والثانى : نُشُوءُهُ وتربيته فى الإسلام كتفسير الكتاب والسنة ، والأحكام الشرعية ، والعلوم الملقبة بعلوم العربية ، وفنون الأدب ، وهى التى نظمها محمد النواجى بقـولة :

خُذْ نظمَ آداب تضوّعَ نشرُهـا ... يَحكِى شـذا المنثور حينَ يضوعُ

لغـة وصرف واشتقـاق نحوُهـا ... عـلمُ المعـانى والبيَانُ بـديعُ

وعـروض قافيـة وإنشـا نظمهـا ... بـكتابة التـاريخ ليس يضيعُ

فاللغة : علم يبين صور الألفاظ وتعيينها للأشياء ، التى يفهمها العالم بوضعها لهـا .

والصرف : علم يبين صيغ الألفاظ وكونها أصولا وزوائد ومتبادلة الحروف وكيفية النطق بها .

والاشتقـاق : علم يبين جعل بعض الألفاظ أصولا وتفريعَ بعضٍ آخر عنهـا .

والنحو : علم يبين أحوال أواخر الكلمات عند تركيبها ، وتقديم بعض الكلمات عنده على بعض ، جوازًا ووجوبًا ، وحذف بعضٍ ، وذكر بعضٍ وجوبًا وجوازًا ،

والمعانى : علم يبين الأغراض المترتبة على إيراد التراكيب في صور مختلفة ، وأنَّ لكل صورة غرضًا .

والبيـان : علم يُبيِّنُ المجـاز والكناية .

والبديـع : علم يُبيِّن أحوالا تَعْرِضُ للَّفْظِ فتكسوه حُسْنًا ورَوْنَقةً .

والعروض : علم يبين الأوزان التى وَزَنتْ بها العرب شعرها ، كيفية وكمية .

والقـوافى : علم يبين أحوالا تعرض لأواخر الأبيات. منها ما يكون لازمًا ، ومنها ما يكون زينةً ، ومنها مايكون عيبًا .

والإنشاء : علم يبين كيفية تأليف الخطب ورسائل المُخاطبات ، وما أشبه ذلك . ويسمى « فن الكتابة والنثر » وصاحبه الكاتبَ والناثرَ .

والنظـم : ويقال له القريض ، وقرض الشعر . وهو علم يبين كيفية النظم في الأغراض المختلفة ، من حِكَم ووعظٍ ونسيبٍ ومدحٍ وعَتْبٍ وتعطفٍ وتأديبٍ وغير ذلك .

والكتابة : ويقال لها « فن الرسم والخط » وهو علم يبين رسم الحروف على هيئات مخصوصة حسب ما عليه الاصطلاح .

والتاريخ : علم يبين أسماء مشاهير الناس ، وأزمنتهم ، وأمكنتهم ، وأعمارهم ، وأعمالهم ، ولعل للتاريخ الإسلامى خصوصية أوجبت عده من العلوم العربية . ولذلك أبدله بعضهم بالمحاضرات ، وهى النوادر فى الفنون المختلفة التى يحاضر بها بعض الناس بعضًا في مسامراتهمْ ، وموضوع ماقبل علم الخط اللفظ .

وباختلاف الجهة تنوعت العلوم . وقد اختار بعض الناس فى ترتيب تحصيل العلوم العربية ، ما قال بعض شعراء المغاربة :

العـلم شىء حسـنٌ فـكن لـه ذا طَـلَبِ
فابدأْهُ بالنحـو وخـذ من بعـده فى الأدبِ
وإن أردتَ بعـدَ ذَا جـاها وفضـلَ مَكْسَبِ

فاحفظ أصول مالكٍ واعرفْ فروعَ المذهبِ
فإنَّ قولَ مالكٍ سلسلةٌ من ذَهَبِ

ولكون المغاربة أتباع مالك بن أنس – رضى الله عنه – قال : ذلك شاعرهم . واختار بعضُ الابتداء باللغة ، واختار بعضُ الابتداء بتعريف أنواع الأشياء التى عينت الألفاظ بإزائها .

ولكلٍّ وجهٌ ، والأخير أحكم . وإن كان لا بُدّ من تحصيل مقدارٍ من اللغة ، يكون به التمكن من المخاطبات الأولية .

* * *

تعريف الأدب(*)

اعلم أن الأدب معرفة الأحوال التى يكون الإنسان المتخلق بها محبوبًا عند أولى الألباب ، الذين هم أمناء الله على أهل أرضه ، من القول فى موضعه المناسب له ، فإن لكل قول موضعًا يَخُصُّه ، بحيث يكون وضع غيره فيه خروجًا عن الأدب . كما قال جَرْوَل الشاعر المشهور بالحطيئة : فإن لكل مقام مقالاً ، ومن الصمت وهو السكوت المقصود فى موضعه ، فإن للصمت موضعًا ، يكون القول فيه خلاف الأدب . يرشد إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءًا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم » .

وفى لامية الطغرائى :

ويا خبيرًا على الأسرار مُطَّلعًا ... اصْمِتْ ففِى الصَّمْتِ منجاةٌ من الزَّلل

ولبعضهم :

عجبتُ لإزراء الغبىّ بنفسه ... وصمتُ الذى قَدْ كَانَ بالعِلم أَحْزَمَا

ولَلصّمتُ خير للغَبىّ وإنّما ... صحيفةُ لُبِّ المرء أنْ يَتكَلَّمَا

والكلام المنبه على مواضع الأقوال ، وعلى مواضع الصمت كثير .

ومن الأحوال : التى يكون التخلق بها أدبًا ، وضع الأفعال فى مواضعها كما قال الله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ) (١) . فنبه سبحانه على أن المطلوب العفو المصلح دون المفسد .

(١) سورة الشورى : ٤٠

(*) هذا العنوان من عندنا (المحقق) .

وقال النابغة الجعدى بين يدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

وَلا خيرَ فى حِلْم إذا لم تكُنْ لهُ بوادرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرَا
ولا خيرَ فى جَهْل إذَا لم يكُنْ لَهُ لَبيبٌ إذَا ما أَوْرَدَ الأَمر أَصْدَرَا

فقال له النبى [ص] « لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ » . وقال أبو الطيب :

إذَا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكته وإنْ أنْتَ أكرمتَ اللئيم تَمرَّدا
فَوَضْعُ النَّدَى فِى مَوْضِعِ السَّيفِ بِالْعُلَى مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِى مَوْضِعِ النَّدَا

والناس فى الأدب متفاوتون تفاوتًا عظيمًا . فمن قرأ العلوم وطاف فى البلاد ، وعاشر طوائف الناس بعقلٍ حاضرٍ ، وتَنَبُّهٍ قائمٍ ، وضبطٍ جيِّدٍ ، حتى عرف العوائد المختلفة ، والأهواء المتشعبة ، وميز الحسن منها وتخلق به ، يكون بالضرورة أكثرَ أدبًا ممَّن قرأ وخالط ولم يَطُفْ ، وممن قرأ وطاف ولم يعاشر . وموافقةُ جميع الناس أمرٌ غيرُ ممكن . فإن الدين والعقل يمنعان من ارتكاب أمور لايسر بعض ذوى الأهواء غيرُها ، وأولئك هم السفهاء ، الذين لا ألباب لهم ، فهم بمنزلة قشور الأشياء التى لولا لُبُّها لم تصلح إلا للنار ، أو ما أشبه ؛ فيجب على الإنسان لأجل أن يكون محبوبًا عند الناس حاصلاً على أغراضه منهم ، أن يطلب الأخلاق المحمودة عند أولى النُّهَى ؛ ليتحلى بها ، ويتخلى عن أضدادها ، وأن يعرف أنه لا سبب لفساد الأقوال والأفعال ، حتى تكون مشنوءةً مبغوضة ، إلا وضع الشىء فى غير موضعه ، فلا بدَّ له من اجتهاد عظيم فى طلب مواضع الأشياء ليأمن كثيرًا من الغوائل ، ومكدّرات النفوس ، ومن العيب الفاحش ، وهو نقص القادر على التمام كما قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المشهور بالمتنبى :

ولم أر فى عيوب النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَام

أمثـــلة

هذه أمثلة ترشدك إلى كيفية تَعَرُّفِ محاسن الأشياء ومواضعها .

المثال الأول : في التخلق ببعض الأخلاق . غير خافٍ أن التخلق بالكبر والخُيَلاء والاعجاب والتعاظُم على الناس بما أَفْضَلَ اللهُ به على الإنسان من علم وجاه ومال أمرٌ غيرُ حَسَن ، لما جُبِلت عليه النفوس من الإباء والنُّفرة عن من يتعاظم عليها ، فما أكثر ما بدل حسن الودّ والتآلف بأشنع العداوة والتنافر ، لكن لذلك موضع يكون فيه حسنًا . وبيانه أن من المشاهد كون النوع الإنساني محتاجًا في حسن تعيشه ، وتحصيل أغراضه إلى اجتماعِ أُلفة ومودّة ، وإنصاف . بأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ، وكلما كانت الفرقة المجتمعة منه أكثر وأحفظ للحقوق ؛ كانت أحسن حالا في العلم والجاه والثروة ؛ فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسعى في الأرض بالفساد ، وجب على النَّاس تأْديبه بما يعيده إلى الصلاح ، وربما كان التكبر والزَّهو عليه أنكى له ، وأرجى لمثاب فكره ؛ وانحيازه إلى حيز الاستقامة . كما ورد أن رسول الله — صلى الله عليه وسلَّم — : رأى فارسًا من أصحابه يمشي بين الصفين مختالاً يميل يمينًا وشمالا . فقال : « هذه مشية يكرهها الله تعالى إلاَّ في هذا الموضع » ؛ فقد علمنا أن للتكبر موضعًا يكون فيه حسنًا .

المثال الثاني : التكلم بصحيح اللغة ، أمر حسن ، واللحن غير حسن . كما يحكى أن هند ابنة أسماء بن خارجة زوج الحجاج ، لحنت بين يديه يومًا ، فعاب ذلك منها ، وازدراه عليها فقالت : ألم تسمع قول أخي مالك .

وحَـــديثٌ أَلَــــذُّه هُــو مِمَّـا يَنْعتُ النَّاعتُون يُـوزَنُ وَزْنًـا
مَنْطِـقٌ صائِبٌ وتَلْحَـنُ أَحْيَـانًا وأَحْلَى الحديثِ مَا كَانَ لحْنًا

فقال الحجاج : وهذا خطأ ثان ، فإن التحريف والخطأ عيب لا يحسِّنه أحدٌ .

فهو لم يرد باللحن ما فهمتِ ، وإنما أراد به معنى له آخرَ ، وهو الرمز والإشارة إلى أمر لم يكن الكلام المنطوق به موضوعًا له ، ألم تسمعى إلى قوله تعالى : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ)(1) ومن ذلك قول الشاعر :

وَلَقَدْ لَحنْتُ لَهُمْ لكى مايَفْهَمُوا والَّلحنُ يَفْهَمُهُ أُولو الأَلبَابِ

لكن لما اعتاد الناس الميلَ بالكلام عن وجهه العربى ، وصار فهمهم مربوطًا بالمنطق الملحون ، وجب التكلم معهم بما جرت به عادتهم ، يدخل ذلك فى عموم قوله عليه الصلاة والسلام: « خاطبوا الناس بما يفهمون » . وقوله: « خاطبوا الناس على قدر عقولهم ».

وقد قيل : خطأٌ مشهور ، ولا صواب مهجور . فعلمنا أن للتكلم بالعربية ، موضعًا يكون فيه حسَنًا ، كقراءة الكتب ، ومحاورة الفُطَنَاء . حيث تكون فى « المباحثات العلمية » ، « ومراجعات التعليم والتعلم » . وموضعًا يكون فيه غير حسن . وهى « المخاطبات السائرة بين عموم الناس » .

المثال الثالث : الشعر كان زائد الحُسن بدليل شهرته وكثرته ، وارتياح عقلاء السلف إليه ، حتى أن النبى – صلى الله عليه وسلَّم – كان يَسْتَنْشِدُ الشعراء رجالًا ونساءً ، فكان يستنشد الخنساء ، فإذا رأى منها بعض الفتور قال : هِيه يا خُنَاس . طلبا للمزيد يبعث من نشاطها ، وأثاب على الشعر مِرَارًا ، وسَنَّ الإجازة . وقال : إن من الشعر لحكمةً . وقال : أُنزلتْ الحكمة على ثلاثة أعضاء من بنى آدم . على قلوب اليونان ، وعلى أيدى أهل الصين ، وعلى ألسنة العرب . وكان الملوك ونبهاء الناس ، جاهلية وإسلامًا ، مقبلين عليه غاية الإقبال ، حتى قيل : إن الشعر يرفع ومًا ، ويضع آخرين . من ذلك ما ورد أن الحطيئة سافر مرة فى طلب كريم يأوى إليه ، فلقيه الزِّبْرِقَان بنُ بدر فى الطريق ، وهو متوجه بصَدَقَةِ قومِه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فعرفه وهو لم يعرفه ، فقال : إلى أين يا أبا مُلَيْكَةَ ؟ وهى كنية الحطيئة . فقال : أطلُبُ كريمًا . فقال : قد وجدتَ وَعَرَّفَهُ بنفسه ، واعتذر له عن الرجوع معه ، وأرسله إلى دياره ، وأوصى به . فلما وصل أكرمهُ أهل الزبرقان ،

---

(1) سورة محمد : ٣٠

وبَنُوا عليه بيتًا ، واهتموا بأمره . وكان فى ذلك الموضع قوم قد أسقطهم جدهم . يقال لهم : (بَنُو أنف الناقة) فعملوا حيلةً لصرف الحطيئة إليهم ، ونزوله عليهم فجاءوا زوجة الزبرقان سرًا ، وقالوا لها : إن زوجك أراد أن يتزوج ابنة هذا الشاعر . فَتَحَيَّلى فى إقصائه عنك . فأخذت فى ذلك فجاءت الحطيئة يومًا ، وأخبرته أنها تريد الانتجاع إلى مكان بعيد ، وأن جمال الحمل التى عندها لاتكفى لحَمْل متاعها أو متاعه . فقالت : تَحَمَّلْ أنتَ ، ثم أرسِل الظهر لِيَلْحَقَك ، فقال : أنتم أحقُّ بالسبْق وانتظرُكم . فَتَحَمَّلَتْ وتركته بين الأرض والسماء ، وانتظرها ، وفات الموعد ولم يجئه منها خبر ؛ فاجتمع إليه أُولئك القوم ، وأخذوه وأكرموه وجمعوا له مالًا عظيماً ، وطلبوا منه أن يَهْجُوَ (الزبرقان) . فقال : كيف أهجو رجلا لم يجن على ؟ ولعله إذا اطلع على ماصنعت زوجته لم يرضه ، ثم انه حضر وعرف ما حصل فتغير ، وطلب الحطيئة فامتنع ومنعه أُولئك القوم ، فطال الكلام ، وفرط من الزبرقان فوارط فهجاه الحطيئة بقصيدة منها :

مَنْ يَفْعل الخير لم يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لَا يذْهبُ العرفُ بَيْن الله والنَّاسِ

دَعِ المكارمَ لَا ترحلْ لبُغيتهـا ... واقْعـد فإنك أنت الطَّاعمُ الكاسِى

فوضع من قدره ، وخفض من ذكره حتى رفع أمره إلى أمير المؤمنين ، فاستحضره . وقال : بماذا هجاك ؟ فأنشده ذلك . فقال أمير المؤمنين : لا أرى بأْسًا دعاك إلى الراحة ، وذكر كثرة نعم الله عليك. فقال : سل الشعراء يا أمير المؤمنين ليشهدوا لى عليه ؟ فقال حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى – صلى الله عليه وسلم – : هو ما هجاه ، وإنما سلح عليه . وكان من أمره بعد ذلك مع أمير المؤمنين ماكان .

وأصل وضاعة بنى أنف الناقة ، وخمول ذكرهم ونبزهم بهذا اللقب ؛ أن والد أنف الناقة كان له جملة أولاد من عدة أزواج ، وكان أنف الناقة واحدَ أُمِّه ، فنحر يومًا ناقة . وقال لأولاده : اذهبوا فاقتسموها ، فتباطأ أنف الناقة ، حتى لم يبق منها إلا رأسها ، فذهب ليأْخذه وأدخل ذراعه فى أنفها واحتمله ، فقيل له : أنف الناقة . وعُيِّر بذلك ، فلما قال : فى مدحهم الحطيئة :

قومٌ همُ الأنفُ والأَذنابُ غَيْرُهم وَمَنْ يُسَوِّى بأَنفِ الناقةِ الذَّنبا

علا قدرهم وارتفع ذكرهم ، وصاروا يفتخرون بهذا اللقب ، بعد أن كان الواحد منهم إذا سئل أن ينتسب ، انتسب إلى بعض أجداده ، ولم ينطق بهذا اللقب .

ومن ذلك أن قبيلة نمُير كانت من أعز قبائل العرب ، وكانت تسمى « جمرة العرب » إذ كانت أنسابهم مقصورة عليهم ليس فيهم دخيل ، لايخرجون من نسائهم ، ولا يدخلون من رجال غيرهم . وإذا قيل لأحدهم من الرجل ؟ قال : نُمَيرى وفخمها وملأ بها فاه . فلما قال جرير يهجو الراعى :

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُمَير فلا كعْبًا بلغْت ولا كِلابَا

ذل هذا الاسم واتضع ، وانتسبوا بعد ذلك لجدٍ أعلى منه ، فكان الرجل يقول إذا سُئِلَ الانتساب : عامرىٌّ ، إلى غير ذلك .

وبالجملة فقد كان الشعر هو الحاكم الأكبر ، والمطاع الذى يتصرف الناس تحت أمره ونهيه ، وبقى على ذلك حتى مضى شطر من أيام بنى العباس . وان يكن حصل له تنازل درجات فى اثناء ذلك ، فلقد كان بعض الشعراء يهجو الملك ، يرى أنه يُؤدبه حتى قال بشار بن بُرد .

بَنِى أميةَ هُبُّوا طَال نومكُمُ إنَّ الخَليفةَ يعقوبُ بنُ دَاودِ

ضَاعتْ خلافتكُمْ ياقومُ فالتمسوا خليفةَ الله بين النَّاى والعودِ

يريد : محمد المهدى ثالث ملوك بنى العباس ، فقتله ضربًا ، ثم صار الشعر ليس بتلك المنزلة ، بل صار كثيرٌ ما يتجدد منه لا يخف على الأسماع ، ولا ترتاح إليه القلوب ، ولا تميل إليه النفوس ، ولا سبب لذلك ، إلا وضع الشىء فى غير موضعه . وبيانه أن الشعر كما سبقت الإشارة إليه ، كثرت أنواعه بحسب كثرة أغراضه . وموضع تفصيل ذلك عند التكلم على قرض الشعر إن شاء الله تعالى . ولابد هنا من نَبْذَة يسيرة لأجل تحقيق الغرض الذى نحن بصدده . فنقول : الشعر ينقسم إلى : نسيب ، ومدح ، وتأديب ، وغير ذلك .

أما النسيب : فهو ذكر محاسن النساء خُلُقا وخَلْقًا . يقال : نَسَب بفلانة يَنْسِبُ نسيبًا أى : تغنى بذكر محاسنها .

والمدح : الإخبار عن الأشياء بالأوصاف الجميلة .

والتأديب : الإخبار عن الإنسان بأشياء لا يستحسنها الناس . ولكلٍّ جودةٌ ورداءةٌ ؛ فيَحْسُنَ النسيب إذا كان جيدًا ، مُنَزَّهًا عن الإفحاش حتى يكونَ كما قيل : يدخل على العَذراء فى خِدْرها ، فلا تستحى من إنشاده .

وكان إنشاده بحضرة فطناء الناس وظرفائهم ، الذين تمت فحولتهم ، وطابت طباعهم ، واعتدلت أمزجتهم ؛ فلقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – : يستمع إليه وهو يُنْشَدُ بين يديه ، والصحابة يتناشدونه فى المسجد ، ويَشْغَلُون به كثيرًا من أوقاتهم تَرَوُّحًا واستنشاطا واستجمامًا للأفكار والعقول . وكلما كان الرجل تام الفحولة : كان أميل إلى التقول . وهو أمر مقصود . ينبه على ذلك ما ورد أن عائشة – رضى الله عنها – كان عندها كفيلة لها ، فزوجتها لبعض الأنصار ، وزفتها بنفسها ، وصواحب لها . فلما رجعت قال لها النبى – صلى الله عليه وسلَّم – : ياعائشة : اما كان معكم لهو ؟ فإن الأنصار قوم فيهم غَزَل ، يُعجبهم اللهو . قالت : لا . فقال: هلا بعثتم جارية تضرب بالدُّفّ وتُغنى ؟ فقلت : يا رسول الله : ماكانت تقول ؟ فقال : كانت تقول :

أتيناكُم أتيناكم فحيانا وحياكم
فلولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمنتْ عَذاريكم

ويحكى أن بعض أتقياء أهل الحجاز وعبادهم رأى بمنًى امرأةً ذات حسن فائق ، وجمال رائق ، وهى ملقية على وجهها بُرْدًا مهلهل النسج ، مُظْهرًا لمحاسنها . فقال : يا هذه اختبئى ! فقالت له : أنا من اللواتى ، قال فيهنَّ عمر بن أبى ربيعة :

أماطتْ رداء الخز عن حُرِّ وجهها ... وألقتْ على الخدّين بُردًا مُهَلْهَلا
من اللاءِ لم يَحْجُجنَ يبغين جَنَّةً ... وَلٰكِن لِيَقْتُلْنَ التَقِىَّ المغفَّلا

فقال : اللهم لاتعذب هذا الوجه . ومضى ، فبلغ ذلك بعض الأئمة أصحاب المذاهب فى وقته . فقال : تلك ظرافة أهل الحجاز ، أمَا لَوْ سمعها بعض متنطعة أهل العراق لشتمها وصخب عليها ؛ فعلمنا من ذلك موضع حسن النسيب من غيره ، وحسن المدح إذا كان مَدْحًا بالأوصاف القائمةِ ، باعثًا على الازدياد وعلوّ الهمة من ممدوحه وممن يسمعه ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى تفضيل زهير على الشعراء : كان لا يعاظل فى الكلام ، ولا يمدح الرجل بغير ماهو فيه ؛ فعلمنا أنَّ مدح الرجل بغير ماهو فيه ، وضعٌ للشىء فى غير موضعه ، مُوجبٌ لسقوط صاحبه وتفضيلُ غيره ، كما قيل :

وإنمــا الشعر عقل المرء يعرضه ... على البرية إن كَيْسًا وإن حمقا
وإنَّ أحسنَ بيت أنتَ قــائلُه ... بيتٌ يقالُ إذَا ماقلتَه صدقَا

والمعاظلة فى الكلام أن يُدخلَ الشاعرُ أجزاء جملة فى أجزاءِ جملةٍ ، حتى يصير مُعقَّدًا خارجًا عن الفصاحةِ والملاحة ، لايبين معناه إلا بعد لأْى وشِدَّة . كقول الفرزدق : يمدح إبراهيم المخزومى خال هشام بن عبد الملك أحد ملوك بنى أمية :

وَمَا مِثْلُه فى النــاسِ إلا مُمَلَّـكًا ... أبو أُمِّه حَىٌّ أَبُوه يُقَارِبُهُ

ووجهُ الكلام : وما مثلُه حىٌّ يقاربُه ، إلا مُملكا أبو أُمِه أبُوه .

ومتى كان المدح شكرًا واعترافًا بالنعمة . كان داخلا فى عموم قوله تعالى : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(١) .

وهو المراد بقول النبي : « لا أحد أحب إليه المدح من الله » . ومتى كان آلة كسب مُدخلا لصاحبه فى المُلحِقين المُلِحِّينَ فى السؤال ، سيما إذا كان قادرًا ذا

---

(١) سورة الضحى : ١١

قُوًى يصرفها فى منافع الناس . حتى يحصل على مطالبه باستحقاق ، لم يكن أمرًا حميدًا ، وهو المعنِىُّ بقوله — صلى الله عليه وسلّم : « احثُوا التراب فى وجوه المدّاحين » .

ويقول بعضهم :

الكلبُ والشاعرُ فى منزلٍ ياليت أنّى لم أكُنْ شاعِرًا
أمـا تـراهُ باسِطًا كفَّهُ يستوهب الواردَ والصادِرًا
والله لولا حرقسات الهَوَى ما كنتُ إلا رجُلًا تاجرًا

وأما التأديب : وهو الهجو ، فإنما يحسن ، إذا علم تأثيره وردعه المفسد ، فهو من الغيبة التى لم ينه عنها . وإلا فهو أمر متناه فى القبح ، لأنه الغيبة المفظع أمرها فى القرآن المجيد .

والقول العام فى الشعر أنه وإن كان صناعة من الصناعات ، يَجُودُ بدقة معناه ، وملاحة لفظه ، وإحكام بنائه ، كما سيأتى بيانه ، ويردأ بخلاف ذلك ، لكنه متغير الأمر والحال بتغيير العوائد تغييرًا عظيمًا . إذ لم يكن من حوائج الناس الأصلية ، إذ كان بمنزلة الفاكهة التى لاتطيب إلا بعد الغذاء . وأوّل مغير له الإسلام . وقول اللهعز وجل : (والشُّعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ) [1] معناه : أنّ الشعراء كانوا مترسلين مع الأهواء ، لا يمنعهم مانع ، ولا يردعهم رادع ، حسبما تقتضيه وساوس الشهوات . ولهم قوّة على تحسين القبيح ، وتقبيح الحسن ، وسفهاء الناس لهم تبع ، فكان يتولد من ذلك ما يتولد من الفتن والفساد بين الناس . وقد استثنى سبحانه الشعراء الذين عَقَلُوا الدين ، فوقفوا عند حدوده ، واجتنبوا الفحشاء والمنكر ، حيث كانت أوقاتهم معمورة بذكر محاسن ما أرشد الله إليه . فهم لايضعون الأشياء إلا فى مواضعها .

(١) سورة الشعراء : ٢٢٤ — ٢٢٦ .

وهذا معنى كثرة ذكر الله فى قوله : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)[1]

فمعنى ذكروا الله كثيرا مفسر بقوله : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) [2] . وقوله : (وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُوا) – تنبيه على موضع الهجو ، ثم تغير أمر الشعر بعد ذلك تغييرًا عظيمًا ، باشتغال الناس بالعلوم الكثيرة المتـزايدة ، التى ارتبط بها مصالح الناس . حتى قال الشافعى – رضى الله عنه – :

ولولَّا الشِّعـرُ بالعُلمـاء يُزرى لكنتُ اليومَ أشعر من لبيـدِ

وقال : لو لا مجون أبى نواس لأخذتُ عنه العلم ، وحرم قبل ذلك لبيد الشعر على نفسه ، وقال : لا أقوله بعد أن حفظت البقرة وآل عمران .

وخلاصة القول فى ذلك : أنَّ مُدَارسةَ الأشعار العربية ، لما فيها من الفوائد العلمية المتعلقة بأوضاع اللغة العربية ، أمرٌ لازم ، لكونه مُعَرِّفًا لمقاصد القرآن ، وأقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو من الدين كما قيل :

حِفْظُ اللُّغَـاتِ عَلَيْنـــا فرضٌ كفرض الصـلاةِ
فليس يُحفـظ دينٌ إلَّا بحفـظِ اللُّغَـاتِ

وأما إنشاؤه فمع الإتقان بوضعه فى مواضعه ، وصرفه بحسب اللزوم ، فهو حِلْيةُ العلماء ، وزينة الأُدباء ، والأعمال بالنيات ، والله الهادى إلى أحسن المقاصد .

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

القصد الأول فى العقل وبيان أصناف المعقول

كلمة العقل لها معنيان :

المعنى الأوّل : جمع ساق البعير وفخذه بحبل يربط عليهما . ويسمى عقالاً ، ليثبت مكانه فلا يشرد. المعنى الثانى : رؤية النفس الشىء واطلاعها عليه وضبطها له . والمراد بالنفس : الأمر الساكن فى أبداننا الذى نجده يتحدّث بالأشياء ، ويكون تحدّث اللسان تابعًا لتحدثه . تقول : عقلت الشىء عَقْلاً فأنت عاقلٌ ، والشىء معقول . ويستعمل الإدراك والعلم والمعرفة فى هذا المعنى . وأصل الإدراك الوصول إلى غاية ، ومنه : طلبت فلانا الهارب فأدركته فى مكان كذا . ومنه : أدرك الغلامُ . أى بلغ الحلُمْ . تقول : أدركت الشىء فأنت مُدرِك . والشىء مُدرَك . والحفظ : إثبات النفس صور الأشياء . والفهم : أن تدرك ما أُريد منها . تقول : حفظت القرآن . أى عقلت ألفاظه وأثبتها إثبات النقوش على الأحجار . وفهمته : أى عقلت ما أُريد بألفاظه ، فالحفظ والفهم نوعان خاصان من التعقل .

وللعقـــل أربع مـراتب

المرتبة الأولى : عقل الطفل قبل أوان التكلم ، ويسمى العقل بالطبع وبالفطرة وبالقوة والهيُولىَ .

المرتبة الثانية : عقله بعد أوان التكلم ، ويسمى العقل بالفعل ، وبالحال والتلقين . وفى هذه المرتبة يدرك الإنسان من صور الأشياء ، ومن تأثيراتها إدراكًا به يطلب المحبوب ، ويهرب من المكروه .

المرتبة الثالثة : عقل الغلام الذى حصل عنده كثير من المعقولات ، وتمكن

من استحضارها إذا أراد ، وأخذ يستعمل شيئًا من القياس ، حتى يستحصل مالم يكن حاصلا عنده ، ويسمى العقل في هذه المرتبة العقل بالملكتين ، وهما :

ملكة الاستحضار ، وتسمى المذكِّرة ، وهى : قوّةٌ للنفس ، تتمكن بها من استحضار ماعقلت . وملكة الاستحصال : وتسمى « المفكِّرة » وهى قوة للنفس ، تتمكن بها من استحصال ماليس معقولا لها بالقياس على ماهو معقول .

المرتبة الرابعة : عقله إذا مَهَر في الاستحصال ، ودرب عليه ، بالفكر والنظر الذى هو ملاحظة المعقولات الحاضرة عند المدرك ، لتحصيل المجهولات الغائبة عنه ، ويسمى العقل فى هذه المرتبة العقل المستفاد .

وقد يراد من العقل قوة النفس التى تدرك بها الأشياء ، ولذلك تسمعهم يقولون : العقل الغريزى ، والعقل المطبوع ، والعقل الكسْبى ، والعقل المسموع .

ثم الأشياء التى يتعلق بها العقل فتكون معقولة ؛ أحد عشر صنفًا :

الصنف الأول : ذات ثابت ثبوتا أزليًا ، لم يسبقه عدم أبديًا ، لايلحقه عدم موصوف بصفات كذلك ، يُسنِد العقل إليه جميع الكائنات بالسببية والمُسَبَّبِيَّة ، فهو السبب وغيره مُسَبَّب له ، وهو الله جل ذكره .

الصنف الثاني : أعيان الكائنات وتسمى ذوات الكائنات وجواهرها ، ويقابلون العين بالحال ، والذات بالصفة ، والجوهر بالعَرَض . ومعنى الحال والصفة والعرض واحد . ومعنى العين والذات والجوهر واحد . وهو : الأمر الثابت الذى تتعاقب عليه الأحوال . وينقسم الجوهر : إلى جوهر غير ممتدّ متحيز ، أى شاغل فراغًا ، والحيِّز : الفراغ المشغول به ، ويسمى : جوهرًا فردًا وجزءاً لا يتجزأ ، وإلى جوهر متحيز ممتدّ ، ويسمى جسمًا . وينقسم الجسم إلى :

نَامٍ : أى متزايد فى الحجم . وإلى جامد ، أى غير متزايد فيه . وينقسم النامى إلى : حساس متحرك بالإرادة . وإلى غيره ، ويسمى : الحسّاس حيوانًا ، ويسمى غيره :نباتًا . وينقسم الحساس إلى: ناطق . أى : مطبوع على أن يتفكر فيا عقل ليعقل شيئًا بشىء ، ويعبر عما حصل عنده من ذلك ، وهو النوع

المسمى : إنسانا وبشرًا ، ويسمى الإنسان : النوع ، الآخر وهو مركب من أمرين : أمر مشترك بينه وبين الأنواع التي في رتبته ، ويسمى هذا الأمر : جنسه القريب ، ويعبر عنه بالحيوان ، وأمر مختص به يميز له عن غيره ، ويسمى : فصلا ؛ فتقول الإنسان حيوانٌ ناطقٌ ، والجمل حيوان راغٍ ، والبقر حيوان خائرٌ ؛ فالحيوان جنس لكونه مشتركًا ، والناطق والراغي والخائر فصول لكونها مختصة .

والشيء العام : الذى لاخصوص فيه وهو : الجوهر يسمى : جنسًا عاليًا ، وجنس الأجناس ، والأشياء التي بينه وبين الإنسان تسمى : الأجناس المتوسطة ، إذا نسبتها لما تحتها ، باعتبار شمولها له ، وتسمى : الأنواع المتوسطة ، إذا نسبتها لما فوقها باعتبار كونها مشمولة له ، وتسمى : فصولا ، باعتبار ما فيها من الخصوص والتمييز . فالجوهر : جنس لاغير . والجسم والنامي والحساس ، أجناس وأنواع وفصول بالاعتبارات الثلاثة . والإنسان وما في رتبته من الحيوان أنواع لاغير . وكيفية تَعَقُّل هذه المعاني ، أنهم نظروا إلى الأشياء المحسوسة المتمايزة غاية التمايز وسَمَّوْهَا أشخاصًا . ووجدوا أمُورًا مشتركة بين جُمَل الأشخاص اشتراكًا متفاوتًا على الترتيب الذى سبق شرحه . فسموها بتلك الأسماء حسب ، اختلاف الاعتبارات . ويُخْبَرُ بالنوع وسائر الأجناس عن الشخص ، والشخص لا يخبر به .

والجنس العالى : لايخبر عنه . والحكماء يسمون الإخبار بالشيء عن الشيء حملًا وقولا ، ويسمون المخبر به محمولا ومقولا ، ويُسمُّون المخبر عنه موضوعًا ومقُولا عليه ؛ فتقول زيد : إنسان ، وحيوان ، ونام ، وجسم ، وجوهر . والإنسان : حيوان ، ونام ، وجسم ، وجوهر . والحيوان : نام ، وجسم ، وجوهر . والنامى : جسم ، وجوهر . والجسم : جوهر . وليس قبل الجوهر شي يكون خبرًا عن الجوهر . وليس بعد الشخص شيء يكون الشخص مخبرًا به . فالشخص موضوع لا غير . والجنس العالى : محمول لاغير . وما بينهما موضوع لما قبله ، محمول على مابعده . والأمر الشامل : يسمى : عامًا ، والمشمول يسمى : خاصًا . والارتباط بين الشامل و المشمول يسمى : عمومًا : وخصوصًا . وتفصيل العام الشامل : إلى خاصية

المشمولين له : بضمّ الأمور المميزة التى سبق تسميتها بالفصول ، يسمى : تقسيما ؛ وحينئذ يسمى الشامل : مقسما ويسمى كل من المشمولين بالنسبة له : قسمًا منه ، ويسمى كل منهما بالنسبة لصاحبه : قسيمًا له . والأنواعُ مقسّمة للأجناس ، والأجناس مقوِّمة للأنواع ومحَصِّلة لها ، بضم الفصول إليهما ؛ والجميع مقوّم للشخص ؛ فكل عالٍ مقوِّم للسافل . وكل سافل مقسِّم للعالى .

الصنف الثالث : أحوال تسمى : كمًّا . والكم قسمان : متصل ، وهو الأبعاد العارضة للجسم من الخط ، وهو ما ينقسم . طولًا فقط . والسطح ، وهو : ماينقسم طولاً وعرضًا . والجسم التعليمى : وهو ماينقسم : طولا وعرضًا وعمقًا . ومعروض الجسم التعليمى : هو الجسم الطبيعى . والمراد بالطول : الامتداد المفروض أوّلا . والمراد بالعرض : الامتداد المفروض ثانيًا . والمراد بالعمق : الامتداد الآخذ من السطح الأعلى ذاهبًا إلى السطح الأسفل ؛ فإن اعتبر آخذًا من الأسفل إلى الأعلى سمى : سُمْكًا . وإن اعتُبر قائمًا واصلا بين السطحين من غير اعتبار أَخْذٍ من جهة إلى جهة يسمى : ثخنا . وهذا القسم يسمى : المقدار . ومنفصل وهو : العدد ، ويسمى المقدار متصلا ؛ لأن كل جزأين منه يشتركان فى نقطة نهاية لأحدهما وبداية للآخر ، وتسمى هذه النقطة : حدًا مشتركًا ؛ وليس للمنفصل حد مشترك .

الصنف الرابع أحوال تسمى : كَيْفًا . والكيْف : هو المبصرات من الألوان والأضواء والأشكال والمسموعات من الأصوات ، والمشمومات من الروائح . والمذوقات من الطعوم . والملموسات من الحرارة والبرودة والنعومة والخشونة . وجميع ماذكر يسمى بالمحسوسات .

والوجدانيّات : وهى الأحوال الباطنة . مارسخ منها وثبت يسمى : ملكة ؛ وغيره يسمى : حالا . والصلابة واللين لكونهما يدركان ، ولو بالغمز بعود فى اليد لم يَعُدُّوهُما من المحسوسات وهما من الكيفيات .

الصنف الخامس : حال يسمى : أَيْنًا . وهو الحصول فى المكان .

الصنف السادس : حال يسمى : مَتىَ . وهو الحصول فى الزمان . والزمان أطول امتداد وجودى يتوهم تجزئته إلى الامتدادات المتفاوتة . واسم الزمان يطلق عليه . وعلى

جميع الامتدادات كيفما كانت .والجزء الذى لاينقسم من أجزاء الامتداد يسمى :آنًا . واسم الدهر واسم السرمد مختصان ؛ فالدهر : الامتداد الطويل ، والسرمد : الأطول .

الصنف السابع : حالٌ يُسَمَّى : إضافة ، وهو : حال لايعقل إلا بتعقُّل حال آخر ، كما أن الحال الآخر لايعقل إلا به ، كالأبُوة لا تعقل إلا بتعقل البُنُوَّة . كما أن البُنُوَّة . لاتعقل إلا بتعقل الأُبوّة .

الصنف الثامن : حَالٌ يسمى : وضعًا ، وهو : حال الشيء المأْخوذ من نسبة أجزائه بعضها إلى بعض ، وإلى الخارج عنها : كحال : القائم والقاعد والمقابل والمجانب والفَوْق والتحت وغير ذلك .

الصنف التاسع : حَالٌ يسمى : ملكًا وجدة ووجدًا ؛ وهو : هيئة إحاطة طبيعية ، أو غير طبيعية توجب انتقال المحيط بانتقال المحاط ، كالجلود والملابس .

الصنف العاشر : حال يسمى : فِعْلا ، وهو التـأْثير أى : إيجاد الأَثر ، ويُعبر عنه بـأَن فَعَل ، وأَنْ يَفْعَل .

الصنف الحادى عشر : حال يسمى : انفعالا ؛ وهو : التـأَثر أى : قبول أثر المؤثر ، ويعبر عنه بأَن انفعل ، وأَن ينفعل .

وهذه الفصول التى شرحت الأَصناف العشرة ، الواقعة بعد الصنف الأوّل ، الذى هو وحده فى مقابلة مجموع هذه الأَصناف تسمى : بالمقولات العشر .

ومجموع هذه الأَصناف هو المسمى : بالعالَم وبالممكن فى مقابلة ذات الصانع الواجب الثبوت .

ثم للمعقول : حال تعقله تَنَوَّعُ إلى أنواعٍ ؟ يَسْتَحقُّ كلُّ نوع منها لقبًا يخصه . وَلْنُـوردْ ذلك فى مسائل :

المسألة الأولى : المعقول تارة يكون عينًا من الأَعيان ، وتارة يكون حالاً من الأَحوال . وتارة يكون ارتباط أَمر بأَمر ، ويسمى ذلك الارتباط نسبة . ونفسلك محبة للاطلاع على الأَشياء الواقعة . ونسبة أَمر إلى أَمر مُتَرَدِّدَةٌ عندك بين أن

تكون واقعة ، وأن لاتكون ، وإن كانت فى نفسها على حال منهما ، وحينئذ يكون تعقلك لها على ثمانية أوجه :

الوجه الأول : أن تتخيلها ضاربًا صفحًا عن كونها واقعة أو غير واقعة .

الوجه الثانى : أن تتعقلها منكرًا ، لوقوعها مكذبًا به .

الوجه الثالث : أن تتعقلها مترددًا بين الوقوع وعدمه . لايتميز أحد طرفيها عندك على الآخر .

الوجه الرابع : أن تتعقلها مرجحًا لطرف من طرفيها بسبب أمارة قامت عندك لاتصل بك إلى حد الجزم ، وحينئذ يكون الطرف الآخر مرجوحًا ، مع كونه يحتمل أن يكون هو الحق . فله تعقُّل أيضا وهو :

الوجه الخامس : من وجوه تعقل النسبة .

الوجه السادس : أن تتعقلها جازمًا بأحد طرفيها عن تقليد الغير .

الوجه السابع : أنْ تتعقلها جازمًا بأحد طرفيها بسبب جزمك بمعقول آخر هو « حق » يكون الجزم به موجبًا لجزمك بأحد طرفيها . ويسمى هذا الموجب : دليلا وبرهانًا وحجة .

الوجه الثامن : أن تتعقلها جازمًا بأحد طرفيها ، بسبب جزمك بمعقول آخر . هو « غير حق » ، ويسمى هذا المعقول : شبهة التعقل فى الوجه الأوّل ، يسمى : « تخيلا ، وفى الثانى يسمى : تكذيبًا ، وفى الثالث يسمى : شكا ، وفى الرابع يسمى : ظنًا ، وفى الخامس يسمى : وهمًا ، وفى السادس يسمى : تقليدًا ، وفى السابع يسمى : يقينًا ، وفى الثامن يسمى : جهلا مركبًا ، وكل من الظن والتقليد واليقين والجهل المركب ، يسمى : تصديقًا . وماعداهذه الأربعة . وهو ستة تعقلات يسمى : تصورًا . فالتعقل : إما تصور . وإما تصديق .

المسألة الثانية : التعقل إن كان مستفادًا من تعقل آخر ، يسمى : نظريًا ، وإن لم يكن مستفادًا من تعقل آخر سمى : بديهيًا . والبديهى ستة أنواع :

النوع الأول : ويسمى « بالأوليات » . وهى نسب تجزم بها بمجرد تصور المنسوب والمنسوب إليه .

النوع الثانى : ويسمى « بالمشاهدات » وهى « المحسوسات والوجدانيات ».

النوع الثالث : ويسمى « بِالتَّجْرِيبِيَّات » وهى التعقلات التى تستفاد من التجربة .

النوع الرابع : وتسمى « بالحدسيات » وهى التى تستفاد من الحدس والتخمين الكثير الصدق .

النوع الخامس : وتسمى « بالفطريات » وهى تعقلات مفيدها حاضر معها دائمـًا .

النوع السادس : ويسمى « بالتواتريات » وهى تعقلات تفيدها أخبارٌ تنقلها جماعة ، لايجوِّز العقل تواطؤهم وتوافقهم على الكذب عن مثلهم ، حتى ينتهى ذلك إلى المشاهدة .

المسألة الثالثة : المعقول إن كان شاملا لأكثر من شىء سمى : كليًا ، وإن لم يكن له شمول سمى جزئيًا . ويسمى شمول الشىء للشىء : صدقًا . ويسمى الشامل : صادقًا على المشمول . ويسمى المشمول ما صَدقًا ، وفردًا .

المسألة الرابعة : المركب من شيئين يسمى : كلا ، والشيئان اللذان تركب منهما ، يسميان : جزءين فينسب الجزء إلى الكل لكونه داخلا فيه . فيقال له : كُلِّى . وينسب الكل إلى الجزء ؛ لكونه صاحبه ، فيقال : جزئى . ومن هنا يقال : كلُ كلىٍّ جزءٌ لجُزْئِيِّهِ ، وكلُّ جُزئِيٍّ كلٌّ لكليِّهِ .

المسألة الخامسة : طبيعة الشىء ذاته من جهة كونها مَبْدَأً ومَنْشَأً لآثاره المختصة به ، فالإنسان مثلا منشأًللنطق وتوابعه ، من حيث أنه إنسان لا من حيث كونه حيوانًا ، وإلا لكان كل حيوان منشأً للنطق وتوابعه . والحيوان من حيث أنه حيوان منشأ للحس والحركة الإرادية ؛ فالإنسان ذو طبيعتين : طبيعة مشتركة ، وطبيعة مختصة ، وهى : الجنس والفصل . وبهذا يسمى : حقيقة مركبة ونوعًا . والنوع والجنس والفصل تسمى « بالكليات الذاتية » . وما يُؤخذُ من الأحوال المختصة بالنوع

ليخبر به عنه يسمى : خاصّة . كالضاحك المأخوذ من الضحك المختص بالإنسان . ليخبر به عنه ، وما يؤخذ من الأحوال المشتركة بين نوعين فأكثر يسمى : عَرَضاً عاماً . كالماشي المأخوذ من المشي الذي هو عَرَضٌ عامٌ للإنسان ، وغيره من أنواع الحيوان . والخاصة والعرض العام ، كليانِ لكونهما شامِلَيْن ،

فالكليات : خمسة : النوع ، والجنس ، والفصل ، والخاصة ، والعَرَضُ العــام . وماعداها فجزيئات ، وأفراد ، وأشخاص .

المسألة السادسة : كل مفهومين قَرنتَ بينهما لامحالة ، يكون بينهما إحدى نسب أربع ، وهى : التساوى ، والتباين ، والعموم ، والخصوص ، المطلقان ، والعموم من جهة والخصوص من جهة ؛ لأنهما إن تَصَادَقَا تَصَادُقًا كليًّا بحيث يكون جميع الأفراد ، التى هى مشمولة لأحدهما مشمولة للآخر ، كما بين النوع والفصل وخواصه فهى التساوى ، وحينئذ يسمى المفهومان اللذان هذا شأنهما « بالمتساويين » وإن تَفَارَقا تفارُقًا كليًا بحيث لايكون شىء من أفراد أحدهما فردًا للآخر : كما بين نوع ونوع فهو : التباين ، وحينئذ يسميان « بالمتباينين » .

وإن تصادقا على شىء ، وانفرد واحد منهما بشىء يصدق هو عليه دون الآخر ، فهو « العموم » و « الخصوص » المطلقان . وحينئذ يسميان « بالعام المطلق والخاص المطلق » كما بين الأجناس والأنواع . وإن تصادقا على شىء واختص كل منهما بشىء كما فى العرضيات مع أنفسها أو مع غيرها ، فالعموم من جهة ، والخصوص من جهة ، وحينئذ يسميان : « بالعام من جهة ، والخاص من جهة » . وهذه النسب : هى منشأُ جميع الأحكام .

المسألة السابعة : الحُكم هو إدراك الارتباط بين الشىء على وجه الاعتراف بوقوعه ، فهو يعنى التصديق .

ثم الارتباط بين الشيئين ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ثبوت أمرٍ لأمر ، أو انتفاؤه عنه ويسمى : نسبة حملية .

وذلك كالنسبة فى قولك : العدل حسن ، والظلم ليس بحسن .

النوع الثانى : لزوم وقوع نسبة لوقوع نسبة أُخرى. بمعنى : أن يكون بين وقوعيهما لزوم ، وهو امتناع الانفكاك . بحيث يحصل واحد ، ولايحصل الآخر . وذلك كالنسبة فى قولك : إن كانت الشمس طالعة ، كان النهار موجودًا . ويسمى الأوّل : ملزومًا ، والثانى : لازمًا .

النوع الثانى : عناد وقوع نسبة لوقوع نسبة أُخرى ، فهما لايقعان معًا ، ولا يرتفعان معًا . أولا يقعان معًا ، وقد يرتفعان أو لا يرتفعان معًا ، وقد يقعان معًا ، كالنسبة فى قولك : إما أن تكون الشمس طالعة ، وإما أن يكون النهار غير موجود . والنوع السابق يسمى : النسبة الشرطية الاتصالية ، وهذا النوع يسمى . النسبة الشرطية الانفصالية . ومنشأ الاتصال السببية فى الوجود أو التضايف . ومنشأ الانفصال : التناقض والتضاد . والنقيضان : هما : الأمران اللذان لايجتمعان فى موضوع ، ولايرتفعان معا عنه ، وهما الثبوت والانتفاء أو ما يساوى الانتفاء . مثل قولك : « العدد زوج أو لا زوج . وقولك : العدد زوج أو فرد . فقولك : فرد يساوى قولك : لا زوج . والضدان ، هما الأمران الوجوديان اللذان لايجتمعان فى موضوع ، وقد يرتفعان لحلول ثالث بدلهما ، كالبياض والسواد المرتفعين عن الأحمر مثلا ، ويسمى الحكم إيجابا وسلبًا وإثباتا ونفيًا . ويسمى الطرف الأوّل فى النسبة الحملية : موضوعًا . والثانى: محمولا ،كما سبق . ويسمى الأوّل فى الشَّرْطيّتيْن : مقدّما ، والثانى : تاليًـا .

المسألة الثامنة : تمييز الشيء بذكر ما يميزه من فصل أو خاصة يسمى تعريفا ، والتعريف بجنسه القريب وفصله يسمى : حدًّا تامًّا . وبجنسه البعيد . والفصل

يسمى : حدًا ناقصا ، وبجنسه القريب . وخاصته يسمى : رسمًا تامًا . وغيره يسمى : رسمًا ناقصا

والأدباء يسمون كل مميز الشيء عن غيره حدًا ورسمًا ، ولا يفصلون تفصيل أهل المنطق .

المسألة التاسعة : العبارة عن النسبة وطرفيها ؛ : مركب تام ، إن كانت النسبة مقصودة بالإفادة ، بحيث يصح السكوت على المركب الذى يفيد النسبة بهيئته التركيبية ، ويسمى المركب التام قضية ، وكلامًا خبريًا ، إن كان حكاية عن واقع ، وإنشائيًا إن لم يكن حكاية عن واقع . وناقص[1] ، إن كانت النسبة غير مقصودة بالإفادة بحيث لايصح السكوت على المركب الذى يفيدها بهيئته ، وهى نسبة المملوك إلى المالك . وتسمى النسبة الإضافية . مثل : دار زيد ، وعبد عمرو . ونسبة الصفة إلى الموصوف . وتسمى « النسبة التوصيفية . مثل قولك : الرجل العاقل ، والإنسان الكامل . وكلتا هاتين النسبتين تسمى « بالتقييدية » ، وهى لاتخرج المعقول عن كونه تصورًا .. والعبارة عن غير النسبة مفرد فعل ، إن أفاد تأثيرًا أو تأثرًا فى أحد الأزمنة الثلاثة : الماضى ، والحال . والآتى . طلبًا لذلك أو إخبارًا عنه . واسم إن كان مفاده عينًا من الأعيان ، أو أو حالا مستقلا بالمعقولية والملاحظة .وحرفٌ إن كان مفاده حالا غير مستقل بالمعقولية ، بل كان لايمكن تعقلة إلا بالتبعية لتعقل غيره . فالعبارة : إما مركب ، وإما مفرد . والمركب : إما تام ، وإما ناقص. والمفرد : إما فعل ، وإما اسم ، وإما حرف .

ومن هنا : أمكن أن نشرع فى العلوم العربية التى موضوعها الألفاظ ، وأمكن أن نتمم المسائل المنطقية ، التى ما سبقَ من المسائل بعضُها فنقول على الإجمال .

المسألة العاشرة : القضية إن كان موضوعها شخصًا سميت : شخصية ومخصوصة . وإن كان موضوعها غير شخص ، فإن حكم فيها على جميع الأفراد ، وذكر فى موضوعها لفظة كل سميت : كلية . ولفظة كل تسمى : سورا . وإن حكم فيها على بعض الأفراد ، وذكر فى الموضوع لفظة بعض سميت

---

(١) وناقص بالضم عطف على « مركب تام »

جزئية . ويسمى لفظ البعض سورا . وإن حكم على الأفراد ولم يذكر لفظ « كل » ولا « بعض » سميت مهملة . وهى : جزئية فى الاستعمال وإن لم تلحظ الأفراد وكان الحكم على طبيعة المعنى الشامل . مثل : الحيوان جنس ، والإنسان نوع ، سميت : طبيعية .

فالقضية : شخصية ،أو كلية ، أو جزئية أو مهملة أو طبيعية . وما أفاد العموم من الألفاظ ، يقوم مقام لفظة « كل » فى التسوير مثل : جميعًا وقاطبة وطُرًّا فى الايجاب ، ولا شيء ولا واحد فى السلب . وكلفظ « البعض » ماأفاد البعضية والجزئية . إيجابًا وسلبًا كواحد وشيء . ورب واحد . وليس بعض وبعض ليس ، وليس كل .

المسألة الحادية عشرة : ثبوت شيء لشيء أو انتفاؤه عنه . إما أن يكون واجبًا لايجوّز العقلُ خلافَهُ بحيث يقال بالضرورة : هذا كذا أو ليس كذا . وحينئذ تسمى القضية : ضرورية . وإن كان كلٌّ من الثبوت والانتفاء ممكنًا بحيث يجوّز العقلُ كُلًّا بدلَ الآخر سمِّيتْ : ممكنة . فالقضايا : ضروريات ، أو ممكنات .

المسألة الثانية عشرة : حيث كانت القضية حكاية عن واقع . جاز أن تكون مطابقة له ، وأنّ لا تكون مطابقة .

والمطابقة تسمى : صدقا . وعدم المطابقة يسمى : كذبًا ، وحينئذ لايلتزم العقل الوقوف عن تجويزهما إلا بملزِم . وذلك الملزم يُسمى : دليلا وحجة . وكذلك لايرجح أحدهما إلا بمرجح . ويسمى : أمارة . والدليل ثلاثة أنواع : نوع يسمى : استقْراء .

ونوع يسمى : تمثيلا . ونوع يسمى : قياسًا .

والاستقراء : تتبع جميع أفراد الشيء ليحكم عليها بحكم كلى . ويسمى : استقراء تامًا . أو تتبع أكثر الأفراد لذلك . ويسمى : إستقراء ناقصًا .

كتتبع أكثر أفراد الحيوان ، فقالوا : كل حيوان يحرك فكه الأسفل فَوُجِدَ ، التمساح على خلاف ذلك . والتمثيل : إلحاق أمر بأمر فى صفة ، ليحكم على الملحق بحكم الملحق به ، حيث تكون تلك الصفة هى السبب فى الحكم على الملحق به بذلك الحكم . والقياس : تصديقان يلزمهما تصديق ثالث . والتصديقان يسميان مقدّمتى القياس . والتصديق الثالث : يسمى ، نتيجة . والنتيجة قبل الاستدلال تسمى ، مطلوبًا . والمقدمتان تشتمل إحداهما على : موضوع النتيجة ، والأخرى على محمولها . وتشتركان فى شىء يكون سببًا لربط محمول النتيجة بموضوعها ، وحينئذ يسمى موضوع النتيجة حال كونه فى المقدمة التى اشتملت عليه ؛ حدًا أصغر . ويسمى محمولها حال كونه فى المقدمّة ، التى اشتملت عليه ؛ حدًا أكبر . ويسمى المشترك : حدًا وسطًا . وحين الاستدلال ، يسقط المشترك ، فتنتظم النتيجة وتسمى : ذات المقدمتين مادة القياس . وتسمى هيئتهما الحاصلة لهما من تأليفهما : صورة وشكلا . والشكل يكون على أنحاءٍ شتى كل نَحْوٍ منها يسمى : ضربًا . وللشكل صحة وفساد . فالأَشكَالُ الصحيحة تسمى : ضروبًا منتجة .

والفاسدة تسمى : ضروبًا عقيمة .

ثم القياس : باعتبار صورته ، نوعان : نوع يسمى : اقترانيًا . ونوع يسمى: استثنائيًا .

فالاقترانى مثل قولك : كل إنسان حيوان ، وكل حيوان متنفس ، ينتج كل إنسان متنفس . والاستثنائى مثل قولك : لو كان هذا الشىء حيوانًا لكان متنفسًا لكنه غير متنفس . ينتج هذا الشىء غير حيوان .

والقياس : باعتبار مادته ، خمسة أنواع : تسمى « بالصناعات الخمس » . لأنه إن كان مؤلفًا من مقدّمات يقينية بديهية أو منتهية إلى البديهية ، فهو نوع يسمى « بالبرهان » وإن كان مؤلفًا من مقدمة مسلمة عند الخصم ؛ وإن لم تكن حقة فى نفسها ، فهو نوع يسمى « بالجدل » . وإن كان مؤلفًا من مقدمات مقبولة مشهورة صادرة عمن يحسن فيه الاعتقاد ، فهو نوع يسمى « الخطابة » .

وإن كان مؤلفًا من مقدّمات تخيلية ، تؤثر فى الأنفس قبضًا أو بسطًا . فهو نوع يسمى « شعراً » . وإن كان مؤلفًا من قضايا باطلة وهمية فهو نوع يسمى « السفسطة » والمتكلم بالبرهان يسمى : حكيمًا . والمتكلم بالسفسطة يسمى : سوفسطائيا وكلامه مع الحكيم يسمى : مغالطة ؛ ومع غيره يسمى : مشاغبة . والبرهان : أشرف أنواع الدليل ، والحصول عليه أحسن غاية . وحيث كان الغرض التكلم على العلوم العربية ، وكان فهم كثير من مسائلها فهمًا حقيقيًا متوقفًا على الشعور بما أسلفنا من المسائل الحِكمية ، وجب أن نقتصر على هذا القدر ، ونشرع فما هو المقصود بالإصالة فنقول :

المقصد الثانى

اللغة العربية : ألفاظ معدودة عينت عند العرب للاشياء لتحضر بها فى العقول عند الإرادة . كانوا ينطقون بها على صور معينة إفرادًا وتركيبًا

اللفظ : يكون حرفًا ويكون أكثر . والحروف التى تتكون منها الألفاظ تسمى: حروف المبانى . والحروف بالمعنى السابق فى تفصيل العبارة من المسائل المنقطية تسمى : حروف المعانى . وربما كان حرف المعنى حرفَ مبْنى واحدًا ، ويكون حَرْفَىْ مَبْنًى . ويكون أحرفًا . وحرف المبْنى : صوت مقطوع على مقطع من المقاطع التسعة والعشرين ، التى تسمى : مخارج الحروف ، حسبما وجد فى اللغة العربية . والصوت : كيفية قائمة بالهواء . أى : حالة مسموعة منسوبة إلى الكيف الذى فصل من المقولة الثالثة . وتعيين اللفظ للشىء بحيث يكون وظيفة اللفظ ، إحضار ذلك الشىء فى أذهان المخاطبين عند إطلاقه وإرساله من الفم يسمى : وضعًا ، ويسمى الشىء الذى وضع له اللفظ : معنى ، أى : موضع العناية والقصد . وإحضار اللفظ معناه فى ذهن من علم وضعه عند سماعه ، يسمى : دلالة . واللفظ دالٌّ . والمعنى مدلول ، وحروف اللفظ تسمى : مادته . والهيئة الحاصلة للحروف من تأليفها وأوصافها من حركات وسكنات تسمى : الصورة الإفرادية . ومادة المركب لفظان

فأكثر ، وصورته الهيئة الحاصلة له من التأليف المرتب على تآلفه وارتباطه ، معنى ، والعلم الذى يعرفك أو ضاع الألفاظ لمعانيها هو المسمى بعلم متن اللغة . وللألفاظ باعتبار تخالفها فى المعانى ، التى وضعت لها أحوالٌ . بحثَ بعض العلماء عنها وضبطوها وفصلوها ، وسَمَّوْهَا : فقه اللغة . والعلم الذى يعرِّفك صور الألفاظ الإفرادية ، وكيفية النطق بها هو المسمى بعلم الصرف . والعلم الذى يعرّفك صورَ المُركبّات ، وأنَّ معانى المركبات تختلف باختلاف صورها ، هو المسمى بعلم النحو . فالكلام على اللغة العربية فى هذا المقصد ثلاثة أقسام : قسم فقة اللغه وقسم الصرف ، وقسم النحو .

وأما علم متن اللغة ، فليس من القوانين ، وإنما هو سرد الألفاظ وذكر مالِ وضعت . وقد أكثر الناس فيه من وضع الكتب ما بين مكثر ومقل ، وأسهلها وأنفعها ماكان مبوّبًا بالأواخر ، مفصلا بالأوائل ، مميز الموادّ « كقاموس المنجد » . واقيانوس عاصم رحمهما الله تعالى . وسيرد عليك عند الكلام على فقه اللغة ألفاظ مبينة المعنى ، لاتُخرجنا عن مقصد بيان القوانين . ولا بأس بالتكلم على أمة العرب ، بما عسى أن يكون مفيداً فيا إليه قصدنا ، فنقول :

* * *

أمة العـــرب

أمة العرب : إحدى الأُمم المتميزة بالأَلسنة والعوائد والمساكن .

أما مساكنهم : فكان أَولها : أَرض اليمن ، فلما كثروا وانتشروا في البلاد . استقر أَمرهم على سكنى جميع اليمن ، وما تحتها إلى جهة الشمال من نجد والحجاز وتهامة ، وهى فى ترتيب الهبوط على هذا الترتيب أَخذًا من الجنوب إلى الشمال . وبعض أَرض الشام . من جهة الشمال أَيضًا ، ومن جهة الشرق الحيرة وما صاقبهما ، ويسمى : عراق العرب .

وأَما عوائدهم : فكثيرة مفصلة مبينة فى أَشعارهم وأَخبارهم ، وقد وضع لذلك كتب كثيرة .

منهـا : أَنهم كانوا لايخالطون غير جنسهم إلا مخالطة التجارة ، يذهبون إلى أَطراف بلادهم ، وأَطراف بلاد غيرهم ، فيعطون ماعندهم ، ويأْخذون ماعند غيرهم ، ثم يرجعون إلى مقارهم . ومنها : أَنهم كانوا لايُدخِلون فى أَنسابهم دخيلا من غيرهم ، لامن جهة العَصَب ، ولا من جهة الرَّحِم . ويستنكرون ذلك استنكارًا عظيمًا ، حتى إنَّ ذلك إذا كان فى خيلهم أَو إبلهم ، استنكروه واستنكفوا منه ؛ وربما كان بعض الأَوضاع أَو من غلبت عليه الأَحوال البهيمية داخل غير العرب ، وكان منه نسل ؛ فإذا كان الفحل عربيًا والأُنثى غير عربية سمى النسل الحاصل بينهما : هجينًا . ومنه اشتقاق الهُجْنة : وهَجَنَهُ أَى : قبح أَمره . وإذا كانت الأُنثى عربية والفحل غير عربى سمى النسل : مُقرِفًا ؛ فهم كانوا يتحاشون الإقراف والهُجْنة . بل كان بعض القبائل ، يحافظون على أَنفسهم لايخالطون غيرهم من العرب .

ومنها : محافظتهم على الأنساب ، ومن ذلك كانوا شعوبًا وقبائل وعمائر وفصائل وأفخاذًا وبطونًا وبيوتًا ، كل اسم من هذه الأسماء ، لقب لجماعة ، يجمعهم جدّ ؛ فجدّ الشعب أعلى جدّ معروف ، وجدّ البيت أدنى الجدود إلى جماعة البيت ، فكان الواحد ينتسب فيذ من الجدود عددًا متفاوتًا ، فمنهم : المقل والمتوسط والمكثر . وأعدل الأنساب : نسب النبي محمد – صلى الله عليه وسلّم – ، الذى ينتهى بالتحقيق إلى عدنان ، وإلى عدنان تنسب « العرب العدنانية » ، وهم غير أهل اليمن ، وأهل اليمن يسمون بالعرب القحطانية ، نسبة إلى قحطان الذى يقال : انه أول من تكلم باللغة العربية . ومنه كان نشوءها ، وكانت تربيتها وكثرتها واتساعها : بحسب كثرة أولاده ، حتى انتهت بانتهائهم . ويقال لأولادِ قحطان قبل دخول إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فيهم : العرب العاربة والعرباء ؛ فلما دخل فيهم إسماعيل ؛ ونشأ فيهم وتكلم بلغتهم ونسل ، حتى قام منه جيل عظيم . قيل له ولأولاده : العرب المستعربة والمتعرّبة . فالعرب إذًا قسمان : عرباء ومتعرّبة ، وأوّل شعب اشتهر من ولد إسماعيل : عدنان . أوّل النسب الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلّم ، ثم اشتهر نزار ، ثم اشتهر أربعة شعوب من أولاد نزار : مضر ، وربيعة الفرس ، وإياد ، وأنمار أولاد صلب نزار . وصاروا قبائل أربعة كبارًا ، ثم اشتهر : كنانة ، ثم اشتهر : قريش . وبقيت له الشهرة ، وهي قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم . ولذلك يقال القرشى . ودخول إسماعيل عليه السلام فى العرب وانتقاله من أرض كنعان . التى كانت مهاجر أبيه من بلده « ارفة » إلى أرض الحجاز – : إن إبراهيم صلى الله عليه وسلّم ، لما خرج من بلده لأسباب اقتضت ذلك توطن أرض كنعان من الشام جوار بيت المقدس ، وأخذ يطوف البلاد ، فلما نزل مصر كان بها إذ ذاك ملك جبار ، من حاله أن له عيونًا ينظرون له فى المتوطنين والأغراب . فمتى رأوا امرأة جميلة حملوها له ، فعثروا بالسيدة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، فحملوها إليه . واخذ إبراهيم فى توصيتها يقول : تعلمى أنه ليس على وجه الأرض مؤمن

غيرى وغيرك . ولما سئل عنها إبراهيم ، قال : هى أُختى . أى : فى الدين . فلما وصلت سارة إلى الملك ، وهمّ بالدنوّ منها . فزعت إلى الله ، وقامت تصلى فارتعدت فرائص الملك ، وعجز عن الحركة ، فخضع لها وسألها أن تدعو ربها الذى قامت تعبده ، وفعل به ماحصل له فدعت ، فسرى عنه . ثم تكرّر هذا الحال مرارا حتى أيقن أنه من ربها الذى تعبده ، فعند ذلك أخذ فى إكرامها وإجلالها هى وزوجها وأهدى لها فى ضمن ما أُهدى من التحف والكرامة جارية اسمها « هاجر » . فأخبرت إبراهيم بما جرى ، وأهدته تلك الجارية ، فواقعها وولدت له إسماعيل ، فلحقت سارة الغيرة الطبيعية ، وخافت الافتتان فى دينها . فسألت إبراهيم : أن يُغَيِّبَ عنها الجارية وولدَها . فأوحى الله إلى إبراهيم أن أسكنهما مكة . فحملهما إليها ، وهى حينئذ ليس بها أنيس ، لكونها لا ماء فيها ولا مرعى ، فأكرم الله إسماعيل ، فأخرج له هنالك ماءً كثيرًا طيبًا ومراعى ، واتفق أن جاز بعض العرب وهم ناسٌ من قبيلة يقال لها : « جُرهُمْ » بنواحى مكة ؛ فوجدوا الطير صاعدًا هابطًا بذلك الموضع ، فقصدوه ، فوجدوا هنالك هاجرا وابنها ، وسألوها أن ينزلوا معها بذلك الموضع ، فاشترطت عليهم شروطا عاقدوها عليها ، وسكنوا معها ، وعمرت تلك الناحية . وكان بعد ذلك ماكان من كبر إسماعيل وتزوّجه فى « جُرْهم » ، وتجديده مع أبيه الكعبة : وغير ذلك . فاسماعيل أوّل دخيل من العجم فى ولد قحطان ، الذين هم العرب ، ثم كانوا بعد ذلك يَتَحاشَون غاية التحاشى من مُداخَلة العجم ، حتى إن « إيادًا » أحد الشعوب الأربعة . لما ساكنت الفرس ، وخالطتهم سقطت منزلتهم بين العرب ، واحْتُقِروا احتقارًا شديدًا وعُدُّوا من العجم ، واتُّقيتْ مُداخلتُهم . يرْشدك إلى تحقق ذلك أن قبيلتى : تغلب وبكر اللتين يجمعهما وائل من بنى ربيعة ، قوى أمرهما وعَزّا فى العرب ، وقَهَرا كثيرا من الناس ، وفى بعض الأيام نزل منهم رجل بناحية قرية من بلاد الفرس ، من منازل إياد ومعه ابنته ، وكانت من أجمل نساء العالم فوشى بها رجل من إياد يقال له : « برد » كان من خاصة ملك الفرس ، إذْ ذلك ؛ فقال له الملك : ماعسى أن تبلغ منها ، والعَربيةُ

تقدم القتل ، على أن يغشاها عجمى ؟ فقال : نرغبها بمحاسن المطاعم ، والمشارب ، والملابس ، والمساكن ، والمطاعم ، وكثرة المال ، والخول ، وتم بينهما هذا الخيال . وأرسل الملك فاغتصبها من أبيها ، ثم عرض عليها جميع المشتهيات ، وخوفها بجميع العقوبات ، ومسها بكثير من المؤلمات ، ليرى وجهها . فأبت ، وخيرته بين أن يقتلها ، أو يعيدها لأبيها ؛ فلما يئس منها أسكنها فى موضع ، وأجرى عليها الوظائف الترفُّهية ، واكتفى برؤية قامتها تحت ملابسها ، فى بعض الأحيان . وبسبب ذلك نشبت الحروب بين العرب والفرس ، حتى قهر العرب الفرس ، وأخذوا كثيرا من بلادهم ، وكان من بنى بكر فارس عظيم ، يقال له : « البراق » يَهْوَى هذه المرأة ، وهى تهواه ، وخطبها من أبيها فامتنع ، واشتد بينهما العشق ، والبراق لايرضى بقهر أبيها مع تمكنه من ذلك ، وأشارت العرب عليه به ؛ فما زال يحتال حتى خلصها ، وقتل ملك الفرس . ومن كلام ليلى بنت لكيز هذه ، فى أثناء ما حصل لها :

ليت للبرَّاق عينا فَترَى ... ما ألاقى من بلاء وعَنَا
يا كُليبًا وَعقيلاً إخوتى ... يا جُنَيْدًا أَسعدونى بالبُكَا
عُذِّبتْ أختكمو يا وَيلكُم ... بعذاب النُّكْرِ صُبْحًا ومَسَا
غَللونى قيّدُونى ضَربُوا ... مُلمَس العِفَّةِ مِنِّى بالعَصَا
يكذبُ الأَعجمُ ما يقربنى ... ومعى بعضُ حَشَاشاتِ الحيَا
قيّدونى غلّونى وافعلوا ... كُلَّما شئتم جميعًا من بلَا
فأنا كارهة بغْيَتكُمْ ... ويَقينَ الموت شىءٌ يُرتَجى
يا بنى كهلان يا أهل العُلَا ... أتَذِلُّونَ علَى الأَعجَمِا
يا إيادا خسرت أيديكمو ... خالط المنظر من برد عَمى
فاصطبارًا وعزاءً حَسَنًا ... كلُّ نصر بعد ضُرٍّ يُرتَجى
أصبحتْ ليلَى يُغلَّلُ كفُّها ... مثل تغليل الملوك العُظَمَا
وتُقَيَّدْ وتكبَّل جهرةً ... وتطالب بقبيحات العنا

فل لعدنانَ هُدِيتُمْ شمروا ... لبنى بغوض تشمير الوفا
واعقدوا الرايات فى أقطارها ... واشهرُوا البيضَ وَسِيرُوا لى ضُحًا
يابنى تغلب سِيرُوا وانصُروا ... وذرُوا الغفلة عنكم والكرَى
احذَرُوا العارَ على أعقابكم ... وعليكم ما بقيتم فى الدُّنا

وللعرب فى ذلك المعنى وقائع كثيرة .

* * *

وأما لسانهم : فهو هذا اللسان ، الذى يتكلم به أهل مصر والحجاز واليمن والشام ، ومغرب مصر . غير أنه على صورة فاسدة خرج بها عن كونه لسانًا عربيا ، وصار يقال له لغة عامية . وهو لسان قد دخل فيه الاستحسان ، على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : استحسان قدماء العرب الذين هم « العاربة » فإنهم كما قيل : كانوا يأخذون بعض الألفاظ من اللغات فيختصرونها ويغيرون أشكالها ، إلى أن تصير خفيفة عَذْبةً . وحكى صاحب المثل السائر : انه ورد فى بعض سياحته مصر ، فلقى رجلاً من بنى اسرائيل عالمـًا ، فجرى بينهما ذكر اللغة بالفصاحة والملاحة ، فقال اليهودى : كيف لاتكون فصيحة مليحة ، وهى منتخبة من اللغات ؟ ، ومثّل لذلك بلفظ الجمل . فقال : إنه كان بالعبرانية كوميلا ، فغير إلى ما سمعت ، فصار عذبًا فصيحا .

المرتبة الثانية : استحسان إسماعيل عليه السلام وأوائل أولاده ، فقد كانت له لغة عربية فصيحة ، تنسب إليه بشهادة قول النبى صلى الله عليه وسلم . وقد سأل مَالَكَ ، يا رسول اللهِ ، أَفْصَحُنا ولم تخْرُجْ من بين أظهرنا ؟ ، قال : إن لغة إسماعيل كانت درست ، فجاءنى بها جبريل فحفظْتها . وسبب دروس لغة إسماعيل : ماجرى بين أولاده من الحروب الضرُس ، التى فنى بها منهم كثير ، وتشتت منهم فى البلاد كثير ، وبحكم العادة أن الإنسان إذا خالط أهل لسان ، غلب عليه ، وغير لسانه

المرتبة الثالثة : استحسان قريش ، وهم سكان مكة وماحولها ؛ فقد كانت العرب ترد إليهم فى موسم الحج كل سنة ، فيقيمون عندهم ، قريبًا من خمسين يومًا ، ثلاثة أيام بسوق ذى المَجَاز ، وسبعةً بسوق مَجَنَّة ، وثلاثين بسوق عُكاظ . والباقى فى مواضع مناسك الحج ؛ يعرضون عليهم أشعارهم ، ويتحاكمون فى قضاياهم ، ويتعاقدون ويتعاتبون ؛ إلى غير ذلك من الأُمور التى تقتضى كثرة المقاولة ، فكانوا ينتخبون من سائر لغات العرب : ما حَلِى فى الذَّوْق ؛ وخَفَّ على السمع مثلاً ، يسمعون الحَوْجَم والحَوْجَمة : بفتح الحاء وسكون الواو ، والورد والوردة فيستعملون الثانى ، ويجتنبون الأول . هذا ما كان قبل مجىء الإسلام ؛ فلما جاء الإسلام وحصلت الدعوة إلى الاجتماع العام ، والمخالطة الشاملة ، جاءت المرتبة الرابعة من الاستحسان . وهو استحسان فطناء الناس من بقايا العرب وغيرهم ، الذين نصبوا أنفسهم لضبط اللغة العربية ؛ مفرداتٍ ومركباتٍ ، وتدوينها فى كتب ، ونَوَّعتهم مقاصدهم أنواعًا . منهم : نقلة المفردات على صورها ؛ وبيان معانيها ذاهبين إلى تمييز اللغات إلى ردىء وغير ردىء ، وحُوشِىّ غريب ؛ ومستعمل مشهور .

ومنهم : نقلة صور المركبات ، منبهين على اختلاف معانيها ؛ باختلاف صورها ، ذاهبين أيضا إلى تمييز الفصيح من غير الفصيح .

ومنهم : نَقَلة الأشعار والخطب وعالى الكلام ، منبهين على محاسن السياقات ، ولطائف العبارات ، وعلى توسعات العرب فى الاستعمالات .

ومن ذلك : تنوّعتْ العلوم الباحثة عن اللغة العربية ، مُمَيَّزَةً بالألقاب ، وجهات البحث .

والذى دعا الناس إلى النهوض فى التفتيش فى أحوال اللغة ، أنَّ العرب لما بعثهم الإسلام فى البلاد ، واختلطوا بغير جنسهم ، اختلاط المعاشرة والمصاهرة ، حصل فى مدة يسيرة تغيير عظيم فى اللغة ، وفشا بين الناس اللحن ، وصار من يضبط من العرب لسانه عن اللحن ، يفتخر بذلك ، كما ورد أن خالد بن يزيد ابن معاوية ، حضر يومًا مجلس عبد الملك بن مروان ؛ فجرت مخاطبة بينه وبين الوليد بن عبد الملك ، فكان من كلام خالد التمدح بالسلامة من اللحن ، والغض من الوليد بكونه لحَّانة . ولبعض شعراء العرب :

أبـا ضبيعـة لاتَعْجـل بسَيِّئـة　　إلى ابن عمكَ واذكرهُ بإحسـان

أما تَراني وأثوابي مقَـــاربة　　ليستْ بخزٍّ ولا مِنْ نَسجِ كتَّانِ

فإنّ فى المجـد همَّاتِى وفى لغـتى　　عُلْـويَّةٌ ولِسَـانى غيرُ لحَّـان

ومن اللحن فى العرب مادعا إلى وضع النحو . وذلك أن رجلا من أصحاب على كرم الله وجهه يقال له : أبو الأسود ظالم الدؤلى . قالت له ابنته ليلة : يا أبتِ : ما أحْسَنُ السماءِ ، بضم نون أحسن وكسر همزة السماء . فقال لها : نجومها ، فقالت : أنا مخبرة لامسائلة . فقال لها : كان يلزم أن تقولى : ما أحسَنَ السماءَ ، بفتح النون والهمزة . فلما أصبح . أخبر بذلك عليًا رضى الله عنه ، وسأله النظر فى طريقة لحفظ اللغة العربية من الضياع . فقال له على رضى الله عنه : الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف ، جاء لمعنى ؛ فالاسم :ما أنبأ عن المسمى . والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمى . والحرف : ماليس كذلك .

ثم قال : انْحُ هذا « النحو » يا أبا الأسود . ومن هنا جاء الاسم لِلْعِلْم الباحث عن حال المركبات ، فبدأ[1] له علم النحو . وتكلم أبو الأسود بعد ذلك وأخذ الناس فى تتميمة . ولا غرو أن يسرع الفساد إلى اللغة العربية ، والأطفال يتعلمون التلفظ أولا من أمهاتهم . فإذا كن عجميات لايقدرن على التكلم بصحيح اللغة ، فكيف تبقى صورة اللغة العربية ؟ . وقد ابتُدِئ التعليم والتأديب ، فى أوائل أيام مُلْكِ بنى أمية ، فكان الملك يُحْضِرُ لأولاده وأولاد أتباعه من العلماء ، من يُؤَدِبُهُمْ ويُعَوِّدُ ألسنتهم على التكلم بفصائح اللغات ، ويلقنهم مختار الأشعار . وكان للمؤدّبين مع الأطفال نوادر منها : أن مؤدّب أولاد هشام بن عبد الملك ، وكان اسمه عبد الصمد وَرَدَ عليه غلامٌ من أولاد عظماء بنى أمية ؛ ليؤدّبه مع أولاد الملك . وكان غُلاما جميلاً ؛ فاتفق فى بعض الأيام أن أساء المؤدب أدبه مع ذلك الغلام ، فقام يعدو للملك وتمثل بين يديه . وقال شعرًا .

---

(١) كذا فى الأصل ولعل المقصود فبدا به علم النحو .

إِنَّهُ واللهِ لولا أَنتَ لمْ ينجُ مِنّى سالِمًا عبدُ الصمدْ

فقال الملك : ولماذا ؟ فقال الغلام :

انَّهُ قَـدْ رَامَ مِـنِّى خِطــةً لَمْ يَرُمْهَـا قَبلَهُ مِنِّى أَحَدْ

فقال الملك : وما رام ؟ فقال الغلام :

رامَ جَهْلاً بى وَجهْـلاً بِـأَبى يُولِجُ العُصفُور فى خِيسِ الأَسَدْ

* * *

ثم أخذ التعليم فى التزايد والكثرة ، بتزايد انتشار المسلمين فى البلاد ، وظهور تغيير اللسان ، إلى أن تقرّرت العلوم المتعلقة باللغة ، وتهذبت بعد أن كانت مختلطة كثيرة السقط والغلط ، خفية الدلالة ، عسيرة الإرشاد ، كما هو شأن الأمور المتجدّدة ، فبتلاحق الأفكار ، يتزايد حسن المخترعات وإتقانها . حتى لو بذل واحد همته ، وكان جيد الحفظ والضبط ، أمكنه فى مدة غيرة طويلة أن يقف على أمر اللغة العربية . ومن حيث كون اللغة قد فسدت صورتها فى الصدر الأول ، وتزايد فسادها كما شرحنا ، كانت ألفاظها معدودة ، إذ لم يبق من أهلها من ينسب إليه ما يضطر تجدّد الأحوال واستكشاف الأشياء ؛ إلى وضعه من الألفاظ ، للأشياء التى يتجدّد ظهورها والاطلاع عليها ، فلا جرم تكون ألفاظًا غَيْرَ عربية ، مالم تكن مأخوذةً بطريق الاشتقاق من ألفاظهم ، وذلك أمر عسير ، ومحتاج إلى نظر جم غفير ، والتنبيه على ماحصل من الفساد فى اللغة يقْرُبُ أن يكون مُعجزًا . وقد تعرّض لذلك بعض المغاربة فوضع فيه كتابًا ، فلم يأْت بطائل عظيم ، وإذا قرأ الطالب العلوم ، وعرف الصحيح عرف الفساد . ولا بأْس. بالتنبيه على البعض ليظهر الداعى إلى وضع العلوم غاية الظهور . فمن عادة العامة إبدال الذال المعجمة حيثما كانت ، دالا مهملة فيقولون فى :ذا . وذى . ده . ودى . وفى حاذق حَادِق . فيبدلون القاف همزة حَيْثُما كانت . ويبدلون الثاء المثلثة تاء مثناة فوقية ، أو سينا . فيقولون فى : ثابت . تابت . وفى ثوب . توب ، وفى ثم تُم ،

ويحذفون بعض الحروف ، ويبدلون الحركات . فيقولون في : وجه مثلا : وش ، فهذا يضطر إلى وضع علم متن اللغة . ويقولون فلان يوعد ويخلف بكسر الياء وسكون مابعدها . والصواب يَعِد ويَخْلِفُ . بفتح الياء الأُولى وحذف الواو ، وضم الياء الثانية . ويقولون : إوْعَة بهمزة مكسوره وواو ساكنة . والصواب عِدْ بلا همزة ولا واو . فهذا وأمثاله أوجب وضع علم الصرف .

ثم اللغة العامية : وإن كانت بهذه المنزلة من الفساد ؛ مشتملة على كثير من الألفاظ العربية الفصيحة بحسب الحاجة ، ومتضمنة كثيراً من محاسن السياقات ولطائف الكنايات وغير ذلك من الأُمور ، التى يسمى العالم بها العامل بمقتضاها ، فصيحًا بليغًا ، كما يتبين ذلك عند التكلم على علوم البلاغة ؛ فاذا تأمل المتعلم فى كلام الناس ، سهل عليه كثير من المسائل ، التى صعبتها وأبعدت فهم معناها العبارات ، الاصطلاحية والمناظرات فيها ، بحيث يقرب أنْ يخرج غير المعتاد إلى المعتاد .

* * *

القسم الأول

فى فقه اللغة

وقد آن أن نشرع في بيان الأقسام الثلاثة ، التي ضمناها هذا المقصد فنقول :

القسم الأول في فقة اللغة : سبقت الإشارة إلى أن فقه اللغة هو : العلم الباحث عن أحوال عامة للألفاظ . ولنورد ذلك في ثلاثة تقاسيم وتتميم

التقسيم الأول : اللفظ . إما أن يعين لشخص ، وهو كما عرفت في المسألة الخامسة من المسائل المنطقية ؛ الموجود البالغ إلى غاية التمييز ؛ فيسمى اللفظ حينئذ باسم الشخص ؛ وعلم الشخص . وإما أن يعين لأمر كلي ؛ مشروطًا استعماله في مُعَيَّنٍ عنا المخاطب، معروف له ، بسبب انضمام أمر آخر ، ملحوظ له ؛ هو المعين للمراد . ويسمى ذلك الأمر قرينة المراد باللفظ ؛ ويسمى اللفظ الذى هذا شأنه ، معرفة بالقرينة ؛ ويسمى عَلَم الشخص معرفة بنفسه . وإما أن يعين لأمر كلى غير مشروط فيه ذلك ، بحيث يكون صالحًا لأن يراد به كل واحد مما صدق عليه ذلك الأمر الكلى ، فيكون المراد به مبهما على المخاطب ، ويسمى نكرة .

ثم الأمر الكلى الذى عين له اللفظ المسمى نكرة ، إما أن يكون جنسا من الأجناس الجوهرية ، ويسمى اللفظ حينئذ ؛ اسم جنس جوهريًا جامدًا .

وإما أن يكون جنسًا من الأجناس العرضية ، ويسمى اللفظ المعين له اسم جنس عرضيًا جامدًا . ويسمى مصدرًا ؛ فله اسمان . وإما أن يكون أمرًا إجماليًا يمكن للعقل أن يفصّله إلى عَرَضٍ منسوب ؛ وإلى نسبة ، وإلى منسوب إليه ، وحينئذ : إن كان الملحوظ أولا حالة الاستعمال هو العرض ، والملحوظ ثانيا النسبة ؛ والملحوظ ثالثا المنسوب إليه المعين عند المتكلم ملاحظة ، وعند المخاطب

حكْما . بحيث يكون منتظر العبارة عنه فقط يسمى اللفظ المعين لذلك فعلا .

وإن كان الملحوظ أولا هو المنسوب إليه ؛ والملحوظ ثانيًا النسبة . والملحوظ ثالثًا المنسوب العرض، سمى اللفظ المعين لذلك مشتقًا .

وإما أن يكون الأمر الكلى ، نسبة أمر لأمرٍ ، وارتباطه به ؛ أو حال نسبة يعين له اللفظ مشروطًا استعماله ؛ فى نسب معينة ، متبدلة بتبدُّل المعانى والتراكيب ؛ أو فى أحوالٍ كذلك طلبًا لمعرفته أو اخبارا به ؛ يسمى اللفظ الذى هذا شأنه « حرفًا » .

ومن هذا التقسيم ، يخرج تنويع اللفظ إلى الاسم ؛ والفعل ؛ والحرف . بينةَ الحقائق .

وبتأمل ما سبق تَعْرِفُ ضوابط عديدة ؛ لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة . وهذا تقسيم إجمالى للفظ ؛ ولأجل تمام المعرفة ، وجب أن نتكلم على أقسام اللفظ . قِسْمًا قسمًا ؛ فنقول :

قسـم العـلم : العَلَم اسم معين لشخص ، لا يراد به غيره وضعًا ، ولا يخرجه عن ذلك عروض الاشتراك فيه بعد ؛ وان أحوج إلى قرينة ، تعيِّن المراد به حالة الاستعمال . ولذلك يسمى معرفة بالنفس . وينقسم العلَم إلى ألقاب ، وكُنًى ؛ وأسماء .

فالاسم هو الموضوع أولا ، لغرض تمييز المسمى به عن غيره عند الحاجة ، لذلك ، واللقب ماوضع ثانيًا لذلك الغرض ؛ ولغرض الإشعار بالمدح أو الذم تفاؤلا أو استهزاء . والكنية ما صُدرتْ بأب أو أم أو ابن أو بنت . فالاسم : كزيد وخالد وعمرو وعيسى وموسى . واللقب كفخر الدين ؛ وعلم الدين ؛ وسيف الدولة ؛ وعضد الدولة ؛ والحاكم بأمر الله ؛ والمستعين بالله . إلى غير ذلك من ألقاب الخلفاء . والسلاطين . وسائر الناس ؛ وكبطة ؛ وأنف الناقة . والكنية كأبى بكر ؛ وأبى حفص ؛ وأم هانىء ، وأم كلثوم . وابن بطوطة ؛ وابن المراغة . وبنت برى .

وقد أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمبادرة إلى « وضع الكُنى . فقال : اكنوا أولادكم ؛ قبل أن تغلب عليهم الألقاب . ونهى الله جل ذكره فى كتابه العزيز

عن التنابز ، أى التَّرامى بالألقاب فقال : ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بالأَلْقَاب بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ ﴾(١) .

وقد سمت العرب بمفردات وبمركبات تامة؛ كَبَرَقَ نَحْرُه ؛ وتأبَّط شرًا ؛ وشاب قرناها . وبمركب ناقص إضافى ، كعبد شمس ؛ وأبى قحافة . وبمركبات مزجية بمزج الكلمتين وجعلهما كلمة واحدة، كبَعْلَبَكْ ؛ ومَعْدِى كَرِبَ؛ وسِيبويهِ؛ ودَرَسْتَويه . وأسماء الأشخاص للناس ؛ والبلاد ؛ والأقطار ، والجبال ، والبحار ، وبعض الحيوان .

وقد عامل العرب بعض الأجناس معاملة الأشخاص ، فوضعوا لها أعلامًا أجْرَوا عليها أحكام الاعلام الشخصية ، لكونهم ميزوها من بين الأجناس، ورأوا بها معنى خاصا ، فهم لايزالون يستحضرونها ؛ من ذلك تسميتهم الأسد أسامة ؛ لظهور شره عندهم ، وخوفهم إياه ، وتسميتهم الثعلب ثُعالة وتكنيته بأبى الحُصين ؛ لكثرة إفساده فى غنمهم ، وامتناعه منهم . وهكذا كل جنس سمّوه . فإنه لابد أن يكون راعُوا فيه معنى مميزًا مُحْوِجًا إلى تمييزه وافراده بالعبارة عنه . وقد سموا بعض الأجناس المعنوية ، فسموا المبرة « بَرَّة » بغير ميم ، وسموا الفُجور فَجَارِ ، كنَزَالِ .

قال الشاعر :

إنَّـا اقتسمنـا خِطَّتَيْنَا بيننَا ... فحملتُ بَرّةَ واحتملتُ فَجَارِ

وسموا الغدر كَيْسَانَ كسكران ؛ ومنه :

إذا مادعوا كَيْسانَ كانت كهولُهم ... إلى الغدر أسعى من شبابِهمُ المرد

وسموا اليسر يَسَارِ كفجار ؛ ومنه :

فقلت امكثى حتى يسار لعلّنـا ... نَحُجُّ مَعًا قَالَتْ وَعَاما وقَابله

قسم المعارف بالواسطة : هى ستة أصناف :

الصنف الأول الضمائر :

ضمائر المتكلم : معرفة بقرينة حكايته . عن شخصه الحاضر ، ومثلها ضمائر

---

(١) سورة الحجرات : ١١

المخاطب وضمائر الغائب ؛ لاتذكر إلا بعد ذكر مايدل على الغائب من الأسماء الظاهرة ؛ فلا يجيء الضمير إلا ومعناه معين ملحوظ . وبيان الضمائر يأتى بعد .

الصنف الثانى أسماء الاشارة :

وهى أسماء موضوعة لكل مشار إليه بإحدى الجوارح حاضر مبصر ، ودليل أنه المقصود بعينه ، الإشارة إليه . وألفاظه : ذا لمفرد مذكر قريب ؛ وذاك وذلك . لمفرد مذكر بعيد أو أبعد . وذِى ، وذِهِ ، وَتِى ، وتِهْ ، وتَا ، وذاتُ للمفردة المؤنثة القريبة . وتيك ، وتِلْكَ للبعيدة أو البعدى . وذَانِ للاثنين القريبين . وذانِكَ للبعيدين ، ولاتدخله اللام . وتانِ للاثنتين القريبتين . وتانك للبعيدتين . وأُولاَء : مشتركة بين جماعتى الذكور والإناث . وأهل الحجاز يأتون بالهمزة بعد الألف . وتمم : لا ويقال فى البعد : أولئك . وأولاك .

ويشار بهذه الأسماء إلى كل شىء . وتختص الأمكنة بأسماء يشاربها إليها ، وهى هنا للمكان القريب ، وهناك ، وهنالك ، وثَمَّ بفتح المثلثة ، للبعيد . ويؤتى عنا اختلاط ما يشار إليه بغيره باسم جنس المشار إليه ؛ ليتم به التمييز ؛ فنقول : ذلك الرجل ، وذلك الكتاب .

الصنف الثالث الأسماء الموصولة :

وهى : أسماء تعبر بها عن الشىء الذى علمت أن مخاطبك عرفه ؛ بسبب اطلاعه على حال من أحواله عينته عنده ، فالواسطة فى تعينه عهد المخاطب إياه بتلك الحال . والعبارة عن الحال التى هى صفة معنى الموصول تسمى صلة ، وللصلة أحكام ، تبين عند الكلام على الجمل من قسم النحو .

الأسماء الموصولة : هى الذى للمفرد المذكر . والتى للمفردة المؤنثة . واللذان للاثنين . واللتان للاثنتين . والذين والأُلَى لجماعة الذكور . واللاتى واللائى لجماعة الإناث . وهذه الأسماء تسمى بالموصولات المختصة . ومن الموصولات أسماء تسمى بالموصولات المشتركة ، وهى : مَنْ لذوى العلم ، وما لغيرهم ، وال ، وأى . كما . وتستعمل الأسماء الموصولة فى أجناس ، وفى جميع أفراد جنس ، وفى فرد معهود ، وضابط مايستعمل

فى جميع الأفراد ، أن يصح دخول كل عليه ، وضابط مايستعمل فى الجنس أن لايصح دخول كل عليه . مثال ما يُرادُ به الجنس ، الذى تُثير به الأرض وتَسْقِى الحرث ، نوعُ لحمُه داء ولبنُه شفاء ، فإنه لايصح أن تقول : كل واحد نوع . ومثال مايراد به جميع الأفراد . قولك : الله يعلم الذى غاب والذى حضر . فإنه يصح أن تقول : الله يعلم كل شيء غاب ، وكل شيء حضر . ومثل مايراد به واحد معهود قولك : الذى كان عندنا أمس رجلٌ ، أتاهُ الله الحكمةَ ، وفصلَ الخطاب .

الصنف الرابع : الشيء المعهود القائم الصورة فى الذهن بسبب حضوره أو شهرته ، يعبر عنه باسم جنسه مفتتحًا بكلمة أل ، ويسمى حرف التعريف ، وحينئذٍ يسمى الاسم المقرون بها ذا الأداة . والمحلى بأل ، نحو : خذ الكتاب . واقرأ الكتاب بين يديك . وقدم الأمير . ونحو : (كما أَرْسَلْنَا إلى فرعونَ رسولاً • فعصَى فِرْعَون الرسول) [1] . ويستعمل : ذو الاداة كما يستعمل الموصول . وعند استعماله فى الجنس تسمى أل أل الجنسية . وعند استعماله فى جميع الأفراد تسمى أل الاستغراقية . وعند استعماله فى المعهود تسمى العهدية . مثال ما يستعمل فى الجنس قولك : الرجلُ خيرٌ من المرأة . فإن المعنى هذا النوع إجمالاً ، خيرٌ من هذا النوع . ولايَسُوغ أن تلاحظ فى التفضيل ، تفضيل الأشخاص . فلو قلت : كلُّ رجلٍ خيرٌ من كل امرأةٍ . كذب الكلام بمريم مثلا . وكثير من الرجال ، ونظير ذلك (القائمُ أكثرُ من القاعد) والماشى أقل من الراكب . إذلا يمكن أن تقول : كل قائم أكثر ، لأن الواحد لايوصف بالكثرة .

ومثال استعماله فى المعهود قولك : صَبِيحةَ يومنا جاء الرجل وأخبرنى بكذا . المعهود بينك وبين مخاطبك .

الصنف الخامس : المضاف لشيء من المعارف . ويستعمل كما يستعمل الموصول وذو الأداة . والأحكام تميز المراد من جنس وغيره . فما يراد به الجنس

---

(١) سورة المزمل : ١٥و١٦ .

هو : موضوع القضية الطبيعية ، وما يراد به جميع الأفراد هو : موضوع القضية الكلية . وما يراد به شخص معين من الاعلام، والضمائر ، وأسماء الإشارة ، والموصولات ، وذى الأداة ، والمضافات ، وهو : موضوع القضية الشخصية .

وقد يراد بالأشياء التى لها الاستعمالات الثلاثة ، واحدًا ملحوظ ، تعينه بتعين جنسه ، حيث يحصل الغرض بواحد من آحاد الجنس . فهو معين من جهة مبهم من جهة ، ويسمى المعهود الذهنى . مثل قولك : ادخل السوق فاشترلنا طعامًا ما ، فإنك لا تريد سوقًا بشخصه ، بل تريد واحدًا من هذا الجنس لحصول الغرض ، فتعريف الموصول وذى الأداة والمضاف أربعة أنواع ، لكل نوع مواضع تخصه من الكلام .

الصنف السادس : الاسم المقرون بيا المطلوب به إقبال شخص بعينه ، متوجه إليه . مثل : يارجلُ ، ويازيدُ . فالمعارف سبع معرفة بنفسها . وهى : الأعلام الشخصية ، والأعلام الجنسية . والعلم الجنسى بمنزلة ذى الاداة ، الذى يراد به الجنس ، إلا أن الإشارة إلى التعين بنفس اللفظ فى الأول ، وبكلمة ألْ فى الثانى .

قسم اسم الجنس : الجوهرى الجامد هو : كإنسان ،وحيوان ، وأسد ، وحجر ، وشجر : وماء . ونار ، ويقسم إلى ثلاثة أنواع : نوع يسمى : أسماء الجنس الأحادية . ونوع يسمى : أسماء الجنس الجمعية . ونوع يسمى : أسماء الجنس الإفرادية .

فالأول : هو ماوضع للجنس . ليراد به كل واحد من آحاده لايتميز به واحد عن واحد ، كإنسان ، وأسد ، وشجَرَة ، ومَدَرة .

الثانى : هو ما وضع للجنس ،يستعمل فى كل جماعة من جماعات الجنس ، إلى الجميع ، فلا يستعمل فى غير الجماعة : كشَجَرَ ، ومَدَرَ وتَمْر ، وبَقَر . وهذان النوعان فيما إذا تَفَصَّلَتْ أفراد الأجناس وتشخصتْ بحيث تعدّ ، فيكون فيها : الآحاد ، والجماعات . وإذا دخلت على اسم الجنس الجمعى « التاء » صار للواحد : كشجر ، وشجرة . ومَدَر . ومَدَرَة ، ورَمْل : وَرَمْلَة . فذو التاء للواحد ، والمجُرّدُ

منها للجماعة ، إلا في لفظ « كَمْء ، وكَمْأَة » . فذو التاء « للجماعة والمجرد للواحد .

والثالث : ما وضع ليُستعمل في الكثير والقليل منه ، حيث لم تكن له آحاد مفصلة متميزة ، كأسماء السوائل من : ماءٍ ، وزيتٍ ، وسمنٍ ، وعسل ، فإن المفصل منها لو جمعته ، صار شيئا واحداً . بخلاف الأجناس ذوى الآحاد .

* * *

قسم المصدر : عرفت المراد به ولفظه يكون على صور كثيرة ، يأتى شرحها فى قسم الصرف . ومعناه مطلق يتقيد بالنسب، إلى متعلقاته ، ويتبين فى قسم النحو كما أن الكلام على قسمى : الفعل ، والمشتق . يأتى بعضه فى قسم الصرف ، وبعضه فى قسم النحو .

قسم الحروف : بيان معانى حروف المعانى من وظيفة علم متن اللغة . وتذكر فى علم النحو لاحتياجه إلى بعضه ، ورأيت إيرادها فى هذا الموضع لتجىء المسائل الموقوفة على معرفتها بينة واضحة ، ليس فيها إحالة ، فنقول : سبعة عشر حرفًا تسمى أحرف الإضافة ، لكونها لربط معنى كلمة بمعنى كلمة ، والمربوط يسمى « مُتعلِّقًا » بكسر اللام ، والمربوط به يسمى « متعلَّقًا بفتحها . وهى : مِنْ ، وإلَى ، وعَنْ ، وعَلَى ، وعدَا ، وحَاشَا ، وخَلَا ، وفِى ، وكَاف ، ولامْ ، وباء ، وواو ، تاء ، ومُذْ ، ومُنْذُ ، وحتَّى ، وكَىْ .

الكلام فى « مِنْ » بكسر الميم وسكون النون ، وتفتح لوقوع أل بعدها ، وتكسر لوقوع ساكن آخر مشتركة بين معان . الأول كون موضع أو وقت . وهما مدلول ما بعدها مبدأ مسافة فعل ، وهو مدلول ما قبلها . مثاله : سَعَيْتُ مِنَ الصَّفَا ، وطُفتُ من الصبح . الثانى : كون ما بعدها علة لما قبلها . مثاله : أكرمتُك مِن علمك . وكثيرًا ما يذكر بعدها كلمة « أجْل » . فيقال : من أجل علمك . الثالث : كون ما قبلها مُبَعَّضا لما بعدها . مثاله : أنفق من مالك يخلف عليك . الرابع : كون الشىء بدل شىء بتعويض . أو بغير تعويض . مثاله : أرغبُ فى الأَعْلَى مِنَ الأدنى . الخامس : كون مابعدها هو الجنس المراد من أجناس يحتملها لفظ سابق عليها ، وتسمى « البيانية » . مثاله : أنت على ما أسلفت من خير مأجور .

الكلام فى « إلى » بكسر الهمزة ، وألفها بدل من ياء . تظهر فى بعض الكلام ، وهى مشتركة بين معان . الأول : كون ما بعدها من مكان أو وقت ، غاية مسافة فعل ، . وهى فى مقابلة مِنْ الابتدائية . تقول : سار من المغرب إلى المشرق ، من

الصبح إلى العصر . الثانى : كون ماقبلها مصاحبًا لما بعدها . كقولك : فلانٌ شَرَّفه كرمُ حَسَب ، وعُلُوُّ نسب ، إلى طبع نَقىّ . الثالث : كون مابعدها مفعولاً لما قبلها لا فاعلاً . وهذه تقع فى تركيب أحب ، فى مقابلة لام ، تدل على أن مابعدها مفعول لما قبلها . كقولك : زيد أحب إلىّ من عمرو . فإلى : تدل على أن ما بعدها محبوب بخلاف أحب لى . فاللام للدلالة على أن ما بعدها محب .ومثل أحبّ أبغض ، وتسمى « اللام وإلى » فى هذا التركيب حرفى التبيين .

الكلام فى عن : بسكون النون وتكسَرُ لوقوع ساكن بعدها . ومعناها : كون شىء فَارقَ شيئًا بعد اجتماع .

الكلام فى على : على ألفها بدل من ياء تظهر فى بعض الكلام . ومعناها : كون شىء فوق شىء حسًا أو معنى . نحو : زيد واقف على الأرض ، على نية المشى .

الكلام فى عدا وحاشا وخلا . معنى هذه الحروف : كون ما بعدها مصروفًا عنه حكم ، على أمر شامل للمصروف عنه وغيره . مثل : خرج أهل البلد عدا زيدٍ ، وحاشا عمرو ، وخلا بكر . الكلام على فى هى مشتركة بين معانٍ .الأول : كون مابعدها ظرفًا لما قبلها . الثانى : كون ما بعدها سببًا . كقول النبى – صلى الله عليه وسلّم – : دخلتْ امرأةٌ النارَ فى هِرَّةٍ ، حَبَسَتهَا لا هى أطعمتها ، ولا هى أرسلتها تأْكل من خَشَاشِ الأرض . الثالث : كون شىء فوق شىء ، فهى كعلى . نحو : (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النخل) [1] . الكلام فى الكاف : هى مشتركة بين معنيين : أحدهما : كون ما قبلها شبيها بما بعدها . وثانيهما : كون ما بعدها علة لما قبلها . مثل : زيد كالقمر ، ومثل (وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) . الكلام فى اللام وهى مشتركة بين معان : أحدها : كون ماقبلها مملوكا لما بعدها ، أو مُنَزَّلا منزلته . وثانيها : كون ما بعدها علة . وثالثها : كونه نهاية .

الكلام فى « الباء » : هى مشتركة بين معانٍ . أحدها : كون ما قبلها ملصقًا بما بعدها . وثانيها : كونه مصاحبًا .مثل : اشْتَرى الفرسَ بسَرْجِه ، وأخذ

(١) سورة طه : ٧١

الشيء برُمّتهِ وبأَسره . وثالثها : كون مابعدها ظرفًا . ورابعها : كونه سببًا . مثل : فَبِظُلْم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا علَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحلَّتْ لَهُمْ) [١] . وخامسها :كونه عوضًا . وسادسها : كونه آلة وتسمى باء الاستعانة . وسابعها : كون ما بعدها مقسمًا ومحلوفًا به لتأكيد الدعوى ، أو الاستعطاف . « والواو والتاء » كالباء فى معنى القسم لغير الاستعطاف .

الكلام فى : مُذ ومُنْذُ » هما بمعنى من أن صحبتا زمانًا ماضيا ، وبمعنى « فى » إن صحبتا زمانا حاضراً ، وبمعنى « من وإلى » إنْ صحبتا زمانًا ماضيًا بعضه .

مثل : مُذْ أَوّلِ يوم ، ومُذْ يومِنا ، ومذ عامٍ ، ومذ يومين .

الكلام فى « حتى » معناها : كون ما بعدها غاية لما قبلها ، فى أمر مرتب فى الذهن شرفًا أو خسة . مثل : اقرأ العلم حتى السَّحَرَ .

الكلام فى « كَيْ » . هى فى هذا الباب لا تصحب إلا كلمة سؤال ، وهى « ما » . مثل : كيمه ، فهى للعلة المطلوبة بما .

حرفا التشبيه : هما الكاف السابقة ، وكأنَّ . مثل : كأن زيدًا قمر .

أحرف التوكيد : وهى التى تفيد بها أنك جازم بنسبة أمر إلى أمر .

إنَ : بكسر الهمزة . وأنْ : بفتحها . « ولام » تسمى لام الابتداء . نحو : لزيد أفضل مِنْ عمرو ، وقد ، وتختص بالأفعال . حرف الاستدراك لكن . والاستدراك رفع وهم نشأ من الكلام السابق . نحو : فلان عالم لكنَّه سيء الخُلُق . « حرف التمنى ليت » والتمنى تشوف النفس وطلبها حصول مالا يمكن أو يبعد . « حرف التوقع لعل » . ويقال الترجى والترقب .

« أحرف النفى » هى : ما ، ولا ، ولن ، ولم ، ولما ، وإن ، ولَاتَ .

« أحرف الجواب » . نعم ، وبلى ، وأجلْ ، وجَيْرِ ، وان ، وأى ،

---

(١) سورة البقرة : ١٩٨

(٢) سورة النساء : ١٦٠

فنعم ، وأجل ، وجير ، وأن : لتصديق المخبر ، ووعد الطالب ، واعلام السائل ، ولا ضدها . وبلى لإبطال نفى سابق . « وأى » يغلب وقوعها بعد الاستفهام ، ويصحبها القسم كقوله تعالى : (وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ)[1] ومنه قول : « إيوه » بكسر الهمزة والاقتصار من القسم على واوه ، والحاق هاء تسمى هاء السكت ، تقعْ فى مواضع من كلام العرب ، يأتى بيانها فى قسم الصرف .

أحرف « النداء » وهو التصويت طلبًا للإقبال . أىْ ، وأيا ، وآ ، وياء ، وهَمزَة مفردة .

« حرف العرْض » وهو الطلب برفق ألَا .

« أحرف التحضيض » : وهو الطلب بشدّة ألّا ، وهلَّا ولولا ، ولوما .

« حرفا الاستفهام : الهمزة وهل » . هل لطلب التصديق ، فيكون المتكلم بها غير حاكم بوقوع النسبة يطلب أن تعلمه ليحكم ، والهمزة مثلها ، ولطلب التصوّر ، فيكون المتكلم بها حاكمًا ، بوقوع النسبة مترددًا بين فاعلين ، أو مفعولين ، أو مكانيين ، أو زمانيين ، أو حالين ، أو غيرهما . وبعد الهمزة التى لطلب التصوّر ، يؤتى بأَمْ وتسمى « أمْ المتصلة » و « المعادلة » .

« همزة التسوية » هى التى تقع بعد سواء غالبًا ، ويؤتى معها « بأَم المتصلة » ، كما يؤتى بها مع همزة الاستفهام .

« أَحرف الشرط » إنْ ، ولَوْ ، وأمَّا ، ولَوْلَا ، ولَمَّا ، فإنْ لتعليق حصول أمر على أمر آخر مشكوك فى حصوله ، لكن بفرض حصوله يلزم حصول ما علقته به ، ووقفته عليه . وهذا هو معنى لفظ الشرط ، وتمام الكشف عن ذلك ، أن كل أمر متردّد بين : أن يكون . وأن لايكون ، لا بد له . من سبب يرجح أحد طرفيه . وربما توقف تحقق ما يرجحه السبب على شروط . فمتى وجد السبب وتمت الشروط

(١) سورة يونس : ٥٣

وجب حصول المسبب . مثل قولك : إنْ طلعتَ الشمسُ ، ولم يحجبْها الغمامُ أضاءتْ الآفاق ، فطلوع الشمس سبب للإضاءة ، وعدم حجب الغمام شرط ، فالعبارة الواقعة بعد إنْ ، عبارة عن مسبب أو شرط . فهي لتعليق الأُمور المستقبلة . وأما لَوْ فهي لربط أمر بأمر ، والحكم باللزوم بينهما في الماضي . ولها في اللغة ثلاثة استعمالات :

الأول : « أن يفاد بها أن شيئًا انتفى ، وامتنع وجوده لانتفاء سببه أو شرطه ، كقوله الشاعر :

فَلَوْ طَارَ ذُوْ حَافِرٍ قَبْلَهَا ... لطَارَتْ ولكنه لم يَطِرْ

وحينئذٍ يكون المراد منها . هذا المعنى يستدرك برفع ما يليها وهو المقدّم ؛ ليرتفع مايليه ، وهو التالي .

الاستعمال الثاني : أن يفاد بها أن مضمون التالي واقع على كل حال ، وذلك حيث يعلق حصوله على ما ينافيه ، فإذا كان واقعًا مع ماينافيه ، فوقوعه مع ما يلائمه أولى ، كقول النبي – صلى الله عليه وسلّم – في بعض الصحابة : إنَّ سَالِمًا شديدُ الحُبِّ لله ، لَوْ لَمْ يخفِ اللهَ لم يعصِه . فعدم العصيان يلائمه الخوف ، فلما علّق على المُنافي ، عرف أنه واقع على أي حال فرضتَ . وحينئذ يكون المراد منها هذا المعنى لايستدرك إذ الغرض التقرير .

الاستعمال الثالث : أن يفاد بها أن بين مقدمها وتاليها لزوما ، فيستدل بوقوع المقدم الملزوم ، على وقوع التالي اللازم ، ويستدل بانتفاء التالي اللازم ، على انتفاء المقدم الملزوم ، فيستدرك بثبوت المقدّم ليثبت التالي ، ويستدرك بانتفاء التالي لينتفي المقدم .

مثال ذلك قولك : لو كان زيد عالمًا ، أحبَّ العلماء ، لكنه عالم ، فهو يحب العلماء ، أو لكنه لايحب العلماء ، فهو ليس بعالم . ولما كان اللازم قد يكون لازمًا لأكثر من شيء ، كالمسبّب الذي له أسباب كل واحد منها يكفي لوجوده . لم يكن وجود اللازم المسبب دليلا على وجود سبب بعينه . ولم يكن انتفاء سبب بعينه دليلا على انتفاء المسبب . مثال ذلك : الضَّوْء ، فإنّه يتسببُ عن الشمس ، ويتسبب عن النار ، فلا يكون وجوده دليلا على وجود الشمس ، ولا يكون انتفاء الشمس دليلًا على انتفاء الضوء . وهذا الاستعمال لَلَوْ ، هُوَ المبحوث عنه في علم المنطق ؛ لأنه هو العلم الباحث عن حال الاستدلال ، وجميع استعمالات لَوْ واردة في الكتاب العزيز .

فالأول : كقوله : (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ) [سورة الأنفال : ٢٣] . أى لكنه لم يعلم فيهم خيرًا فلم يسمعهم .

والثانى : كقوله : (وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) [سورة لقمان : ٢٧)] .

أى فكلمات الله غير متناهية على أى حال فرض .

والثالث كقوله : (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) [سورة التوبة : ٤٦] .

أى لكنهم لم يُعدّوا ، فهو دليل على عدم إرادتهم الخروج .

وأما كلمة « أمّا » فهى للتحقيق فى صورة التعليق .

مثلا تقول : أنا مسافر الحجاز . فيقول لك إنسان : إنّ الوقت شديدُ الحرّ والطرق مَخُوفةٌ ، ولو لا ذلك لصحبْتُكَ .

فتقول : أمّا أنا فمسافرٌ . ومعناه — مهما يكن من حرّ أو بَرْدٍ أو اعتدالٍ ، أو أمْن أو خَوْفٍ فأنا مسافرٌ . استغنتْ العرب بكلمة أمّا عن مهما يكن وبيان مهما . وزُحْلِقتْ الفاء اللازمة « لإمّا » عن موضعها . فبان أن الغرض من تركيب أما ، هو التحقيق بصورة التعليق .

وأما « لَوْلَا » فهى لإفادة إنتفاء شىء لوجود آخر . كقوله تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [سورة البقرة : ٢٥١] .

أى : انتفى الفساد لوجود الدفع .

ويقال فى لولا لوما ، وأما لَمّا ، فهى لإفادة حصول أمر ، لحصول سببه فى الماضى .

مثل قوله تعالى : (لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ) . (سورة يونس :٩٨] .

وغيرُ سيبويه وأتباعه يقول : إنَّ لَمَّا هذه اسم بمعنى أن إذ من أسماء الزمن الماضى .

« أحرف التنبيه » : يَا ، وأَلَا ، واما . ويُستفتح بهذه الكلام والتنبيه ينبئ عن الاعتناء . و« ها » وتصحب أسماء الإشارة التى ليس معها لام . مثل : هذا وهذاك . فلا يقال : هذا لك . وتصحب ضميرًا مصحوبًا باسم إشارة . مثل : ها أنا ذا ، وها أنت ذا . لدقة الإشارة ، وصغر لفظها ، وغلبة الأشكال فى المشار إليه .

وتصحب وتعقب كلمة « أى » . مثل : يا أيها الإنسان .

أحرف التشريك بين شيئين فى حكم ، أو حصول الفاء وثُمَّ . « للتشريك والترتيب مع الاتصال فى الأُولى والفورية ، ومع الانفصال فى الثانية والمهملة . مثل : قَرأَ زيدٌ فعمرٌو ، أو ثم عَمْرُو ، أو قَرأَ زيدٌ فقرأَ عمرٌو ، أو ثُمَّ . ورُبّما أفادت الفاء سببية السابق لِلّاحق .

و « الواو وحتى » ، للتشريك المطلق بترتيب وبغير ترتيب . باتصال وغيره .

مثل : خرج زَيدٌ وعَمْرٌو ، وزيد قبل أو بعد ، أو مقارن .

لكن حَتّى لاتكونُ إلا مع ذى أجزاء ، أو جزئيات ويكون مابعدها غايةً لما قبلها فى خسة أو شرف . مثل : خرج أهلُ البلد للنزهةِ حَتّى الكنّاسُون . أو أمراؤُها .

حرف الترديد : للشك ، أو التشكيك ، أو الابهام » .

أو مثل : إنَّا أَوْ إيَّاكُمْ لَعلَى هُدًى أو فى ضلال مبين : وتكون للتخيير بين أمرين لا يجوز جمعهما عقلا أو شرعًا .

مثل : تكلَّمْ أَو اسكُتْ ، وتزوج هندًا أَو أُخْتَهَا . وللاباحة عند جواز الجمع .

مثل : جالِسِ العُلَمَاءَ أو الزُّهَّادَ .

حرف الاضراب والإعراض : أى الانتقال من ضرب إلى ضرب ، وعُرضٍ . بضم العين إلى عرض » .

كلمة « بلْ » :

وهى مثل : جاء زيد بل عمرو ، وأحسن إلى زيد بل عمرو ، ظاهرة فى صرف الحكم عن الأوّل وتخصيصه بالثانى مع جواز اشتراكهما .

فإذا قلت : لا بل كان صرف الحكم قطعيًا .

وفى مثل : ما أساء زيدٌ بل عمرٌو ، ولا تهُنْ زيدًا بل عمرًا . التقرير ماسبق والانتقال بضدّه لما بعدها . وما فيه تقرير السابق يسمى « إضرابًا انتقاليًا » . وما فيه رفع السابق يسمى « إضرابًا إبطاليًا » .

وتستعمل كلمة « أم » بمعنى « بل » فقط . وبمعنى « بل » . والهمزة ، جميعا فى بعض الكلام ، وحينئذ تسمى أم المنقطعة فى مقابلة أم المتصلة ، التى سبق القول بأنّها تكون بعد همزة الاستفهام التصوّرى ، وبعد همزة التسوية .

حرف التفصيل إمّا : بكسر الهمزة .

مثل : إمّا زيد . وإما عمرو .

وتقوم مقام الثانية .

أو مثل : إمّا زَيْدٌ أَو عمْرٌو .

حرف النهى لَا :

فى مثل : لَا تُحقِّرْ نَفْسَكَ .

حرف الأَمر اللام :

فى مثل ؛ لِيَحْسُن رأيُك فلْيزِدْ جدُّك ، ولتطِب نفسُك ، ثم لتطلب كلَّ خير ، وتُسَكَّنْ بعد الواو والفاء ، وتكسر مع غيرهما :

حرف الاستثناء إلّا :

مثل : كلُّ الكلام حَسَن إلا كلامًا أعقب شرًا .

أحرف التعليل : مِنْ ، واللّام ، والكاف ، والفاء ، والباء :

مثل : أكرم زيدًا من أنه حكيم ، أو لأنه ، أو كما أنه ، أو فإنه ، أو بأنه .

أحرف الاستقبال : أىْ التى يكون مابعدها مستقبلاً آتيًا لايحتمل الكون في الحال .

« السين وسوف » وأَنْ : بفتح الهمزة وسكون النون . و « إنْ » بكسر الهمزة . « ولَنْ » :

مثل : سيقول ، ولسوف يعطيك ، وأَنْ تصُومُوا خيرٌ لكم ، وإن تجْهدْ تَسْعَدْ ، ولن تغلبكَ صعوبةُ صعب إن صَبَرْتَ وسلكت إليه من مسالكه .

« خمسة أحرف تسمى « الأحرف المصدرية والموصولات الحرفية والأحرف السوابك » . لأنها تجعل مابعدها وهو صلتها من فعل أو مشتق آخر بمنزلة مصدر فكأنها سبكت مابعدها مصدرًا ، بحيث لو رفعتَها صلتَها ، ووضعت المصدر مكانهما ، استقام لك الكلام . ولذلك تسمى هذه الأحرف مع مابعدها « المصادر التأويلية » لأنها فى اللفظ أحرف وأفعال أو مشتقات أُخَر . وفى المعنى هى مصادر ، والمصادر التأويلية فى مقابلة المصادر الصريحة .

والأحرف المذكورة هى « أنْ » . بفتح الهمزة وسكون النون .

« وأنَّ » : بفتح الهمزة والنون المشددة . « وكَيْ » ، ومَا ، ولَوْ » . مثل : حسن أن تكتب العلم ، لأن الكتُبُ يحفظُه من الضياع ، ولكى تراجع الكتاب متى شئت . ومما وضَعتْ الكتبُ حفْظتَ العلومُ .

وقد يلحظ مع ما هذه معنى الوقت فتسمى « المصدرية الظرفية » .

مثل : أنت حكيم محبوب مَا طلبْتَ الخيرَ وجهدْتَ فى تحصيله . فهو على معنى :

مدّة ما طلبت الخير . وعلى تأويل مدّة طلبك . وأودّ لو تتحفظ « ويَوَدُّ أحدُهم لَوْ يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَة » .

حرف الردع والزجر كلا :

مثل : [قوله تعالى] : (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ، حتَّى زُرْتُمُ ٱلْمقَابِرَ ، كَلَّا). سورة التكاثر : ١ ـ ٣] .

حرفا التفسير « أَيْ » . « بفتح الهمزة وسكون الياء . « وأَن » بالفتح فالسكون . فَأَيْ تكونُ بعد ما يحتاج إلى البيان ويلاحقها . مثل : غَضَنْفَر أى أسد ، وعَسْجَد أى ذهب . وأن تقع بعد مبهم مذكورٍ أو محذوف متعلق بفعل فى معنى القول دون حروفه . كأمر ، وأشارة وما بعد أن جملة مفسرة للمبهم السابق هى معناه .

مثل : [قوله تعالى] : (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلى أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ . أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ) [سورة طه : ٣٨ ـ ٣٩] .

ومثل : [قوله تعالى] : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ) أى وأوحينا إليه مُوحًى هو : اصنعِ الفلك .

حرفا التوكيد الفعلى ، نون ساكنة تسمى « نون التوكيد الخفيفة » ونون مفتوحة مشدّدة تسمى « نون التوكيد الثقلية » . « لايلحقان الأفعال الماضية ، ويلحقان الأفعال الأمرية عند الحاجة إلى التوكيد . ويلحقان المضارع وجوبًا إذا كان مستقبلا مثبتًا .

جواب قسم : مثل : [قوله تعالى] : (وتاللهِ لأَكيدَنَّ أَصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) . [سورة الأنبياء : ٥٧] .

وقريبًا من الوجوب إذا كان شرطًا ، لأن المزيد معها لفظ مَا

مثل : [قوله تعالى] : فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ منتقِمونَ) [سورة الزخرف : ٤١] .

وكثيرا إذا كان ذا طالب من : استفهام ، أو تمنٍّ ، أو نهى ، أو عرض ، أو حض .

مثل : هل تُضْغِيَنَّ ، وليتكَ تحفَظَنَّ ، ولا تكْسَلَنَّ ، ولا تَدْأَبَنَّ ؟ وهلّا تطْلُبَنَّ . وقليلا والأحسن تركه ، والاقتصار على ماسمع من العرب إذا كان منفيًا بلم ، أو زيدَ قبلَه لفظ ُ مَا .

كقول الشاعر :

ومِنْ[1] عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شكيرُها

أو كان شرطًا لغير إمَّا . ويمتنع توكيد المضارع بهما فى غير هذه المواضع ، فلهما مع المضارع خمس أحوال : وقد شذ بعض العرب . فلا ينطق بمثل ا به نطق ، فأكد الفعل الماضى الدعائى تنزيلا له منزلة الأمر لاشتماله على معنى الطلب .

فقال :

دامَنَّ سَعْدُكِ ان رَحِمتِ متيَّما لولاكِ لم يكُ للصبابة جانِحا

فهو بمنزلة اللَّهُمَّ أديمَنَّ سعدَها .

وشذ بعض آخر ، فأكد اسم الفاعل تنزيلا له منزلة المضارع :

فقال :

أرأيْتَ إنْ جاءَتْ بهِ أُمْلُـودَا مُرَجَّلا ويَلْبَسُ الـبُرُودا

أقائِلُنَّ أحضِرُوا الشهودا

فهو بمنزلة : أتقولُنَّ .

وللنطق بالأفعال معهما كيفيات ، لم تكن له بدونهما تقف عليها فى قسم الصرف .

---

(١) هذا عجز بيت وصدره :

اذا مات منهم سـيد سرق ابنه ومن عضه ما ينبتن شكيرهـا

والعضة واحدة العضاة . وهو الشجر الكبير . والشكير شـوك صغير أو ورق وهو شاهد على برواز توكيد الفعل اذا سبقه ما .

(المحقق)

تكملة للكلام على قسم الحروف : اعلم أن العرب قد يسمون الشيء باسم ، ثم يزيدونه حرفًا ، ويسمون به ماهو أكبر من ذلك الشيء من جنسه .

ومن هنا قالت العلماء : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . من ذلك ماحكاه الزمخشرى عن نفسه قال : اجتزتُ يومًا بساحل البحر ، فرأيت رجلا أعرابيًا عند مركبين صغير وكبير ، فسألته عن اسم الكبير فأشار إلى الصغير . وقال : أليس هذا الشُّقْدُف (١) ؟ فقُلت له : بلى . فقال : فهذا الشُّقْدَاف . إذا وعيت هذا فاعلم أنَّ بعض أحرف المعانى تستعمل في بعض الكلام زائدة ، لا لإفائدة معنى ، بل لغرض التوكيد والتقوية من باب زيادة المعنى بزيادة المبنى .

وتلك الأحرف هى : من ، والباء ، واللام ، وإن . بكسر الهمزة .

« ولا ، وما ، والكاف » : فتزاد من بعد نفى ، أو نهى ، أو استفهام داخلة على نكرة . مثل : [قوله تعالى] : (فَمَا مِنكُم مِّنْ أحد عَنْه حَاجِزين) [سورة الحاقة : ٤٧] .

وَما لباغ من مُفَر ، ولن ترى من أحد يعرف الخير ولا يأتيه ، ولا يجهل الشر وهو يبتغيه ، ولا تَخَيَّبْ من آمل وأنت قادر .

وتزاد الباء كثيرًا بعد نفى ما وليس . مثل : وما هو بقول شاعر .

ومثل : [قوله تعالى] : (أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) [سورة الزمر : ٣٦] .

ونادرًا في غيرهما . فلا يسوغ أن يحمل فصيح الكلام عليه مع إمكان غيره .

ومن الشاذ قولهم : بِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ .

فلا يقال فى «بسم الله الرحمن الرحيم» : يحتمل زيادة الباء وتزاد اللام فى .

مثل :للعلم يكتب من أحبه ، وزيد كاتب للعلم . وتُزَادَ «إن» بعد «ما» النافية فى .

مثل : مَا إنْ أتيتَ بشيء أنتَ تكرهُه . وتزاد مع بعض أحرف الإضافة :

مثل : [قوله تعالى] : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ) [سورة آل عمران : ١٥٩] ، (مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا و(عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) [سورة المؤمنون : ٤٠]

ومثل :

ونَنصُــــر مولانَــا ونعــلمُ أنَّه   كمَا النَّاسُ مجرومٌ عليه وجَارِمُ

وتزاد أيضا بعد «أين ،وأىّ ، وإذا ، ومتى ، وحيثُ ، وكيفَ ، وإنّ ، وأنّ ، وليت ، ولَعلّ ، وكَأنّ ، ولكنّ . وتزاد «لا» بعد عاطف على منفى .

مثل : ماجاء زيد ولا عمرو .

وبعد «أن ، واللام» . مثل : [قوله تعالى] :(لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ) [سورة الحديد٢٩] .

وتزاد «الكاف» فى . نحو قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [سورة الشورى : ١١] وثَمّة : حرف يقال له الشبيه بالزائد وهو «رُبّ» وذلك أنه يذكر مع أحرف الإضافة . وقد عرفت أن حرف الإضافة يفيد معنى ، ويحتاج إلى متعلق . وبذلك سمى «حرفًا أصليًا» ، وما لايفيد معنى ، ولايحتاج لمتعلق يسمى «زائدا» . فلفظ «رب» لكونه يفيد معنى ، وهو غير محتاج إلى متعلق سمى «شبيها بالزائد والأصلى» . ومعنى «رب» : تكثير شىء أو تقليله ،

مثل قول الشاعر :

ربّمـــا تكرهُ النفــوس من الأمـــــر   له   فُرجة   كَحلّ   عِقــال

وقــول الآخــر

رُبّةٌ فِتيَــةٍ   دَعَوتُ إلىَ مــــا   يكسب المجدَ دائبًا فأجابُوا

وقــول آخــر

رُبّمـــا أوفيتُ في عَـــلَم   تَرْفَعــنْ ثَــوبي شَمَـــالاَت

وتستعمل فى مقام التسلية ، والادلال ، والافتخار ، والامتنان ، والتهديد .

وتحذف « رب » ويعوض عنها الواو . ويقال لها « واو رُبَّ » . كقول الشاعر :

وفتيـةٍ زُهـرِ الآداب بينــهم   أزْهىَ وأزهرُ من زهر البساتين

مَشَوْا إلَى الرَّاح مَشْى الرُّخّ وانصرفوا   والراحُ تَمشِى بهمْ مَشى الفرازين

وقــول آخــر

ولبلةٍ بتُّ أسقى فى غَيَــاهبها   راحًــا تَسُلُّ شَبَابِى من يد الهرَم

مازلتُ أشربهــا حتى نظرتُ إلى   غزالة الصُّبح تَرْعى نَرجس الظُّلَم

وقــول آخــر

وأهيــفَ متبسم عــن حَبَــب   مُوَرّد الخـــدّ مــليح الشنب

يلّــومني العـــاذل فى حبــــه   ومــا درى شعبــان أنى رجب

إنتهى الكلام على معانى الحروف ، ولها أحكام يجيئك تفصيلها فى قسم النحو .

التقسيم الثانى : من تقاسيم فقه اللغة : « اللفظ الواحد » إما أن يكون موضوعًا وضعًا أصليًا لمعنى واحد ، ويسمى « مختصا » ككثير من أسماء الأجناس ،

وإما أن يكون موضوعًا وضعًا أصليًا لأكثر من معنى ، ويسمى « مشتركًا » .

وإما أن يكون موضوعا وضعًا أصليًا لمعنى وتبعيًا لجميع ما يناسب ذلك

المعنى وله به علاقة وارتباط ، كالمشابهة ، واللزوم ، والسببية ، والكلية ، والجزئية ، إلى غير ذلك من العلاقات بين المعانى ، ويسمى اللفظ باعتبار الوضع الأصلى « حقيقة » وباعتبار الوضع التبعى « مجازًا » إن كانت المناسبة مرعية حالة الوضع والاستعمال دائمًا ، فإن كانت المناسبة مرعية حالة الوضع فقط ، بحيث صار المعنى الثانى الذى وضع له اللفظ وضعًا تبعيًا ، وهو الذى يتبادر إلى الأفهام عند استعمال اللفظ ، ويكون المعنى الأول مهجورا ، غير ملحوظ عند الاستعمال سمى اللفظ « منقولا » ؛ فإن كان الناقل عامة الناس سمى « حقيقة عرفية » ؛ وإن كان الناقل الشرع سمى « حقيقة شرعية » . وإن كان الناقل أهل فن من الفنون سمى « حقيقة اصطلاحية » .

فالأول : كلفظ الدابة كان اسمًا لكل مايدب على وجه الأرض ، ثم تعارفه الناس اسمًا لذوات الأربع ، وكالنجم كان اسمًا لكل كوكب ، ثم تعارفه الناس اسمًا للثريا ، وعليه ورد قوله تعالى : (وَٱلنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ) [سورة النجم : ١].

والمثل : إذا طلع النجمُ عَشاءً ابتغى الراعى كساه . وكالعقبة كان اسمًا لكل كُدْية تعترض فى الطريق ، ثم تعارفه الناس اسمًا لعقبة أيلة ، التى فى طريق أهل مصر إلى الحجاز . وهذا النوع غير كثير .

والثانى : كالصلاة ، والطهارة ، والوضوء ، والتيمم ، والصوم ، والزكاة . إلى غير ذلك من الألفاظ ، التى نقلها الشرع عن معانيها اللغوية إلى معان تجددت بتجدد الإسلام .

والثالث : كلفظ الفاعل ، والمفعول ، والحال ، والتمييز . إلى غير ذلك من الألفاظ التى نقلها أهل النحو .

وكذلك أكثر الفاظ الفنون العلمية .

ثم الحقائق : تارة تستعمل فى معانيها وهى المرادة بالإفادة ، وتارة تستعمل

---

(١) الكدية : الأرض الغليظة الصلبة

فى معانيها والمراد بالإفادة غيرها من المعانى المناسبة لها ، وحينئذ تسمى الحقائق بالاعتبار الأول « صرائح » وبالاعتبار الثانى : « كنايات » .

مثال : ذلك زيد كثير الرماد ، والرماد ماتبقيه النار بعد انتهاء فعلها ، فتارة يكون المراد الإخبار بكثرة رماد زيد فقط ، كأن يكون خبّازًا أو طباخا ، وتارة يكون المراد الإخبار بكرم زيد ، فإن كثرة الرماد دليل على كثرة الإحراق ، وكثرة الإحراق دليل على كثرة الخبز والطبخ ، وكثرة الخبز والطبخ دليل على كثرة الأكلة ، وكثرة الأكلة دليل على كثرة الضيوف وسماحة لهم بما ملكت يداه واختص بحيازته .

وتفصيل العلاقات بين المعانى وتنويعها إلى أنواع بسببها تنوّع المجاز ، وبيان أنواع الكناية قد وضع له فن هو المسمى بفن « البيان » .

المشـــترك[1]

وأما المشترك : فلا بد من تفصيلة فى هذا الموضع نوعًا من التفصيل ، وبيان ما تسهل بسببه للبلغاء من اللطائف .

فنقول : المشترك واجب الوقوع ؛ لأن الأشياء التى تستحق العبارة عنها غير متناهية ، والألفاظ متناهية لكونها مؤلفة من الحروف المتناهية ، ولكثرة المشترك ادعى بعضهم : أن المشترك أكثر من المختص . واستدل بأن جميع الحروف مشتركة ، والأفعال الماضية مشتركة بين الدعاء والاخبار ، والأفعال المضارعة مشتركة بين الحال والاستقبال ، والأفعال الأمرية مشتركة بين الطلب الجازم والإباحة والتخيير ، والتهديد . وكثير من الأسماء مشتركة ، فإذا ثبت أن قسمين وبعض الثالث من أقسام الكلمة من المشترك ، ثبت أن المشترك أكثر من المختص ، لكن الاستقراء مبطل دعواه . ولتشريك المعانى فى اللفظ الواحد أغراض منها : التورية بالشىء عن غيره ؛ لدفع المحذور مع الصدق .

كما روى أن أبا بكر - رضى الله عنه - يوم خرج مع النبى - صلى الله عليه وسلم - مُهاجرين إلى المدينة ، سأله رجل مَنْ هذا الذى معك ؟ فقال له : هذا رجل يهدينى السبيل . فالهداية مشتركة بين تعريف ماينبغى وما لا ينبغى من الأعمال .

---

(١) هذا العنوان من عندنا وليس فى الأصل

(المحقق)

وبين الدلالة على الطريق الموصل إلى الجهة المقصودة ، فأوهم أنه يريد هداية الطريق . وهو يريد هداية الدين .

وروى أيضا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – : لما خرج يريد غزو المشركين غزوة بدر – وانتهى إلى – نصف الطريق من المدينة إلى مكة ، وجد رجلا أعرابيا فسأله : ما علمك بقريش ومحمد ؟ فقال له الأعرابي : مم أنت ؟ فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى تخبرني فقال الأعرابي : بلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا ومحمدًا خرج يوم كذا ، فإن كان هذا صدقا ، فمحمد بموضع كذا ، وقريش بموضع كذا . ثم استنجز الأعرابي الوعد ، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – أنا من ماءٍ ومضى . فأوهم أنه من العراق ، لأن من أسماء العراق ماء . وهو يريد أنه (من ماءٍ دافق * يخرُج من بين الصُّلبِ والترائب) .

ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام « إنَّ في المعاريضِ لمندوحة عن الكذِب » .

ومن المشترك : ألفاظ موضوعة لأشياء وأضدادها ، سماها نقلة اللغة بالأضداد ، فتراهم يقولون مثلا : الجَوْن بفتح فسكون : الأبيض والأسود ضدٌّ من ذلك الجَلَلُ للعظيم والحقير .

قال الشاعر من الأول :

قَومِي هُمُو قَتَلُوا أُمَيمَ أَخِي فَإِذا رميتُ يُصيبُنِي سَهْمِي
فلئِن عفَوتُ لأعفُوَنْ جَلَلا ولئِنْ سطوتُ لأَوهِنَنْ عَظْمِي

ومن الثاني قول آخر :

كلُّ شيءٍ ما خلا الموت جَلَلْ والفتَى يَسْعى ويُلهيه الأَملْ

وقول الطُّغرائي :

فقلتُ أدْعُوكَ للجُلَّى لتَنْصُرَنِي وأنتَ تخذُلُنِي في الحادِثِ الجَلَلِ

ومنه الغابر لماضي الزمن وغيره وللآتي .

قيل ، ومن الأضداد لفظ « سوى » فإنها تطلق على عين الشيء وعلى غيره

وخرّجوا على ذلك قول حسان – رضى الله عنه – يمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

أتانا فلم نعدل بِسواه بغـــيره   نبىٌّ أتَى من عندِ ذى العرشِ هاديًا

قالوا : إنّ معناه لم نجعل شخصه عدلا لشخص من الأشخاص المغايرين له ، بل فضلناه على الكل ، وخرَّجه غير هؤلاء على أن لفظ «سوى» بمعنى غير . فقالوا : إن معناه لم نشتغل بتفضيل أحد على غيره إلا محمدًا ؛ فإنا مشتغلون بإثبات فضله على كل من عداه .

فالضمير فى بغيره يعود على سوى . وعلى التخريج الأول يعود الضمير على النبى ، فإن التقدير : أتانا نَبىٌّ فلم نَعْدِل شخصَه بغيرِهِ .

ومن لطائف المشترك ، تحسين الكلام بالنوع الذى عدّه أهل فنِّ البديع من الأمور المحسنة ، وسَمَّوْه « الجناس التام » وإن ازدراه بعض فطناء المتأخرين ، حتى قال منفرًا عنه :

طبـــع المجنس فيه نوعُ قيـــادةٍ   أوَ مَا تَرى تـأْليفـــه للأَحـــرفِ

وذلك أن ناسا من المتقدمين لهجو باستعماله ؛ حتى انصرفت أفكارهم إلى جهة الألفاظ مهملين جانب المعانى ، حتى صار أكثر كلامهم ركيكًا مرذولا وأحسنُ الجناس ما اقتضاهُ المعنَى حتى تكون الألفاظ فى مواقعها متمكنة .

ويكون الشاعر أو الناثر بريئًا من تكلفه ساعيًا فى الطريق ، الذى نهجه بعض الأدباء بقوله :

إذَا أحببتَ قـــولَ الشِّعـــر فَاخْتَرْ   لنظمِكَ كلَّ سهل ذِى امتناع

ولا تَقْصِد مُجـــانسة ومَـــكِّن   قوافِيَـــه وَكِلْهُ إلى الطِّبـــاع

ومن الجناس المقصود به إحصاء المعانى ؛ التى اشتركت فى اللفظ قول يحيى بن سلامة الحصكفى نسبة إلى « حصنكيفا » إحدى بلاد الشام . من أدباء القرن السادس عصر أبى محمد الحريرى صاحب المقامات :

عَادَك عيدٌ وطَال مَا عَادَا وهكذا كُلَّمَا انقَضى عَادَا
عَدَاك عمّا تُريدُه زَمَنٌ لسمت بقِرْن لَهُ إذا عادا
يجنح للسلم ماكرًا فإذا سالَم فاعلم بأنه عادا
وكم عدا داوُه إلى مُلِك عَدَاوَهُ مَخْشِيَةٌ فما عادا
قصّر آمال قيصر ومَضَى يكسر كِسرى وقبلَه عادا
فإن رَمَى صَرْفَه عداك فلا تُبدِ شماتًا فربّما عادا
كم ادعى مدع علىّ وَرَع فالتزمَ المُدّعى وما عادا
وكم عدا ظالم فأبصر مَن سلِم فيه المُنى وَمَا عادا
وكم عدا طالب فَعِيق وكَم نَالَ المدا مَن مَشَى فما عادا
وكَمْ مريض أبل مِنْ مَرَضٍ وَمَاتَ من طبّه ومنْ عادا

فلفظ « عاد » يعود مشترك بين ثلاثة معان :

الأول : اتخذ عادة وديدنا ، وهو المراد بعادك عيد ، والعيد ماتكرر وروده عليك من الأحوال ، فكلما انصرف أو قل عاد .

والثانى : رجع بعد ذهاب ، وهو المراد بقافية البيت الأول ، والألف المرسومة بعد الدال ليست من اللفظ ترسم فى روىّ الشعر المفتوح تسمى « ألف الاطلاق » . لإطلاق الصوت بها ، ولأجلها يرسم بالألف ماحَقُّه أن يرسم بالياء ، كالقوافى السبع من هذا الشعر ، وهى غير الأولى والخامسة والأخيرة ، وعاد فى القافية الخامسة اسم القبيلة المشهورة المذكورة مع ثمود . وكان اسمَ أبيها ، فسُمّيتْ به ، كما هو عادة العرب يسمّون القبائل بأسماء آبائها .

والمعنى الثالث : لعاد زار المريض ، وهو المراد بقافية البيت الأخير ، وقد جمع ثلاثة المعانى بعض الأدباء يشكر أصحابه بقوله :

مرضت لله قوم ما فيهمو مَنْ جفانى
عادوا وعادوا وعادوا على اختلاف المعانى

أى : زاروا ورجعوا بعد انصرافهم واتخذوه عادة .

وعدا يعد مشتركً بين أربعة معان :

عداه عن الأَمر صرفه عنه. وربما قيل عاده بالقلب. وهو من سنن العرب ويسمى « القلب المكانى » لكونه تقديم حرف عن مكانه وتأْخير آخر فلا يرد نقْضًا على حصر معانى عاد ، وعدا الداء من موضعه إلى غيره ، لم يقتصر عليه وجاوزه إليه وعدا عليه ، بغى وظلم وعدا أحضر . أى : جرى شديدًا وعادى على صيغة المغالبة مشتركة بين سبعة معان :

نسردها على ترتيب القوافي .

عاداه صَارَفَهُ . أى : غالبه في الصّرْف والعطف عن الوجهة . وعاداهُ : كان عُدوًّا مثل ماكان. وعاداه : جاوزه وتحامى أن يَصل إليه . وعادى بين الشيئين : والَى بينهما كأَن يُوالى بين صيدين فى طلق.. أى : شوط واحد من العدو .

وقال امرؤ القيس يصف حصَانه :

فعادَا عَدَاءً بين ثَوْر ونَعجـــة   درَاكًا ولَم يَنْضَحْ بماء فيغْسِل

وعاداه : قابله بالظلم والبغى. وعاداه إلى الحاكم : رافعه بالخصومه إليه . وعَادَاه : جاراه . ومن هذا النوع قول المذكور :

أَقــول ؛ فربمــا نفــع المقــالُ   إليكُ سهيل إذْ طَلَع الهــلالُ
تكاثرنى بــآلات المعـــالى   وكيف يكاثرُ البحرَ الهــلالُ
وتطمع أن تنــال المجد قبلى   وأنَّى تَسْبق النُّجبَ الهــلالْ
وتبطن شِرَّة فى لين مس   كما لاَنَتْ مَع الشَّرّ الهــلالُ
وتَبْسِم حين تُبصرنى نِفَاقًا   وشخصى فى جوانحك الهــلالُ
وتنتظر الدوائرَ بى ولكنْ   عليك تدور بالشر الهــلالُ
كأن وجوهــكم فى ذل مثوى   وفرط صلابة فيهــا الهــلالُ
واعراض إذيلت للأهـــاجى   كما تبدو على القدم الهــلال

وما تغنى الكتائف فى صدوع ... بها أن يراب الصدع الهلال

وأعجب كيف يلزمكم كتاب ... وأعقل من لبيبكم الهلال

للهلال ثمانية عشر معنى ذكرها صاحب القاموس ، وأتى هذا الشاعر منها بعشرة . فلم يف بالمقصود ، من مثل هذا الشعر ، والذى ذكره الهلال المعروف : وبقية الماء فى الحوض ، والناقة الهزيلة ، والحية ، والحربة ذات الحديين . يعرقب بها الصيد أو الرحا ، ونعل الدابّة . وجمع هَلْ بفتح الهاء كالهلهل : وهو الثوب لايضم نسجه ، والقطعة من السلك يشعب بها الإناء ، وهى الكتيفة واحدة الكتائف . والطفل الصغير ، وفيما ذكره بعض مخالفة لما فى القاموس . ومثل هذا الشعر كثير ، ولكون المقصود منه ما أسلفنا يحتمل ركاكته ، ويرمى بالقصور أو التقصير من لم يوفه حقه ، من استيفاء المعانى المشتركة فى اللفظ .

ومن لطائف المشترك : أن تمكن بعض الأُدباء من وضع أسئلة فقهية ، يكون الجواب عنها مخالفة للشرع بحسب المعنى المتبادَر من المشترك ، موافقاً بحسب غيره وسموه « فُتيافقيه العرب » من ذلك ما وضع الحريرى فى المقامة الثانية والثلاثين ، من مقاماته : السؤال على لسان شاب عربى ، والجواب على لسان أبى زيد السروجى قال :

ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نَعْلِهِ ؟ قال : انتقض وضوءه من فعله . المتبادر من النعل المداس ولمسه لاينقض الوضوء ، وغير المتبادر الزوجة ولمسها ينقض الوضوء .

قال :

فإن توضأ ثم اتكأهُ البردُ ؟ قال : يُجدّدُ الوضوء من بعد . اتكأه أضجعه على مرفقه . والمتبادر من البرد ضدّ الحر ، واتكاؤه صاحبه لايبطل الوضوء ، ولا يوجب تجديده : والبرد النوم . ومن كلامهم منع البردُ البردَ ، واتكاء النوم صاحبه بحيث يخرجه عن التمكن مبطل للوضوء .

قال :

أيمسح المتوضىء اينثَيْهِ – قال : قد نُدب إليه ، ولم يَجب عليه . المتبادر من الأُنثيَيْن – الخصيتان – وليستا من أعضاء الوضوء . والأُنثيان : الأذنان ومسحهما فى الوضوء مطلوب محبوب غير لازم . قال :

أيجوز التوضؤ مما يقذفه الثعبان ؟ قال : وهل ماء أنظفُ منه للعُريان ؟ المتبادر من الثعبان الحيوان المعروف ، ولايجوز التوضؤ مما يقذفه من لعابه وغيره . والثَّعبان جمع ثَعْب بفتح فسكون ، وهى مناقع الماء يقر فيها فيصفو . قال :

أيستباح ماء الضرير ؟ قال : نعم . ويجتنب ماء البصير . المتبادر من الضرير ، فاقد البصر ، ومن البصير واجده وماؤهما ، وهو المنى مجتنب لايجوز استعماله . والضرير حرف الوادى ، وماؤه كماء وسطه . والبصير الكلب . قال :

أيحل التطوّف فى الربيع ؟ قال : يكره ذلك للحدث الشنيع . المتبادر من الربيع زمان نضارة النبات وكثرة الأعشاب . والتطوّف : تردّد الإنسان فى البلاد لحوائجه ، وذلك أمر جائز أو واجب فى أى زمن . والتطوّف قضاء الحاجة . والربيع النهر الصغير ، وقضاء الحاجة فيه مكروه للنهى عن البول فى الماء الدائم . أى الراكد . ومضى الحريرى على هذا حتى استتم مائة مسألة من أبواب الفقه ، وحذا حذوه فى ذلك « الحصكفى » المقدم ذكره فوضع مسائل منها :

ماتقول فى قاطع الطريق ؟ قال : لم يزَغ عن التحقيق . الطريق النخل القصار . قال : ماتقول فى قتل العاقل ؟ قال : حل وإن كان غير واقل العاقل : التيس الوحشى . والواقل : الصاعد فى الجبل . قال : فما تقول فى ركوب الخيل ؟ قال : هو بريدُ الويل .

الخيل الظن . قال : فما تقول فى ركوب الدابة ؟ قال : حل كصيد الجداية . الداية فى ظهر الدابة ، والجداية الظبية الفتية .

وقد ألف بعض أهل اللغة فى المشترك مؤلفات سَمَّوْها « شجر الدر » وذلك انهم سلكوا فى التأليف كيفية ، بها يمكن وضع الكلام على صورة شجرة ذات أصل

وفروع وذلك أن المؤلف منهم اختار كلمة مشتركة فصدّر بها الكلام . وبين أحد معانيها بلفظ مشترك ، وترك معناه المتبادر ، وبين معنى آخر له بلفظ مشترك ، وعمل فيه ماعمل فى سابقه . وهكذا . حتى وقف عند حدّ . ثم قال فرع وأتى بالكلمة ، التى صدر بها وفسرها بمعنى آخر ، ومضى على تلك الصورة ، حتى استوفى معانى الكلمة الأُولى . وهذا مثاله : العينُ عَيْنُ الوجه ، والوجهَ القصد ، والقصدُ الكَسْر ، والكَسْر جانب الخِباء . والخباء مصدر خَابأْتُ الرجل إذا خبأْت له خبأً وخَبأَ لك مثله . والخَبْءُ : السحاب من قوله تعالى : ﴿يُخْرِجُ الخَبْءَ فى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة النمل : ٢٥] .

والسحاب : اسم عمامة كانت للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . والنبى التل العالى ، والتل مصدر التليل ، وهو المصروع على وجهه ، والتليل صفح العنق ، والعنق الرجل من الجراد .

ثم قال : فرع : والعينُ عين الشمس ، والشمس شِماسُ الخيلِ ، والخيلُ الوهم ، والوهم الجمل الكبير ، والجمل دابة من دواب البحر ، والبحر الماء الملح ، والملح الحُرمة ، والحُرمة ماكان للإنسان حرامًا على غيره ، وحرَام حىّ من العرب ، والحى ضد الميت .

فرع : والعين النقد ، والنقد ضربك أذن الرجل أو أنفه بإصبعك ، والأُذُنُ الرجل القابل لما يسمع . والقابل الذى يأْخذ الدلو من الماتح ، والدَّلْوُ السير الرفيق ، والرفيق الصاحب ، والصاحب سَيْف ، والسَّيف مصدر سَافَ مالُهُ إذا أَودَى . وأَودَى الرجلُ إذا خرج من إحليله الوَدْىُ ، والودْى الفسيل .

فرع : والعين موضع انفجار الماء ، والانفجار انشقاق عمود الصبح ، والصُّبح جمع أصبح ، وهو لون من ألوان الأُسود ، واللَّون الضرب ، والضَّرب الرجل المهزول ، والمهزول الفقير ، والفقير المكسور فِقَر الظهر ، والفقر البوادر ، والبوادر أنوف الجبال ، والأنوف الأوائل من كل شىء ، والواحد : بضم الهمزة ، وفى النون الضم والسكون .

فرع : والعين عين الميزان ، والميزان برج فى السماء والسماء ، أعلى متن الفرس ، والمتْن الصُّلب من الأَرض ، والأَرض قوائم الدابة ، والقوائم جمع قائمة وهى السَّارية ، والسَّارية المزْنَة تنشأُ ليلا ، والليل فرخ الكروان ، والفرخ مااشتملت عليه قبائل الرأْس من الدماغ ، والقبائل من العرب دون الأَحياء .

فرع : والعين مطر لايقلع أياما ، ومطرحى من أحياء العرب ، والأَحياء جمع حيَا الناقة ، والحياء الاستحياء ، والاستحياء الاستبقاء ، والاستبقاء التماس النظرة ، والالتماس الجماع ، والجماع ضد الفراق ، والفراق جمع فَرَقَ وهو ظرف يسع ستين رطلا ، والفرق جمع فارق ، والفارق من النوق ، والأُتُن التى تذهب على وجهها عند الولادة ، فلا يدرى أين تنتج .

فرع : والعين رئيس القوم ، والرئيس المصاب فى رأْسه بعصا أو غيرها ، والرأْس زعيم القبيلة أى سيدها ، والزعيم الصبير أى الكفيل ، والصبير السحاب الأَبيض المتراكم أعناقا فى الهواء .

فرع : والعين نفس الشىء ، والنفس ملء الكف من دباغ ، والكف الذب ، والذب الثور الوحشى ، والثور قشور القصب تعلو على وجه الماء ، والقصب رهان الخيل .

فرع : والعين الذهب ، والذهب زوال العقل ، والعقل الشدّ ، والشدّ الأَحكام .

وعلى هذا سياق تأْليف المشجر فى المشترك ، وكل لفظ تعدّد معناه يجب عند استعماله أن يكون مقرونا بما يُعيّن المراد منه ، حيث كان الغرض من الكلام الإفادة والاستفادة . ولما كان الكلام عندّ أُمّة العرب كأَنه صنعتهم ، التى بإتقانها يتفاخرون وفى أحكامها يتفاوتون ، حتى قيل : خطيب مِدْرَه ومِصْقع ، وشاعر مُفْلِق وبليغ ، كان المجاز والمشترك لما فيهما من المحاسن الكلامية ، والمقاصد فى المحاورات لازمين للغة العربية ، ومن لم يقف من الأَعاجم على مراد اللغة منهما ، وانتفاع أهلها بهما عدهما من عيوب اللغة ، والله يهدى من شاء لما شاء .

العدد من اللفظ إما أن يوضع لمعان متخالفة من: ذوات، أو صفات، أو موصوفات، كإنسان، وفرس، ونطق، وصهيل، وناطق، وصاهل.

وهذا النوع يسمى «الألفاظ المتباينة» وإما أن يوضع لمعنى واحد، دون اعتبار أحوال زائدة على الشيء الموضوع له: كالحنطة، والبر، والقمح. وهذا النوع يسمى «الألفاظ المترادفة». وإما أن يوضع لمعنى واحد باعتبار أحوال زائدة على الشيء الموضوع له كالصارم، والعضب، والباتر للسيف. وهذا النوع يسمى «الألفاظ المتكافئة» ومنه أسماء الله تعالى من: العليم، والقادر، والمقتدر، وغيرها.

ويقال لهذا النوع: الأوصاف التي غلبت عليها الإسمية، لأنها عند استعمالها لايقصد بها إلا إحضار المسمى دون التوصيف. وادعى بعض أهل اللغة أن «المترادف متكافىء» وتكلف تبيين الاعتبارات في بعض الألفاظ. والجمهور على ما فصلنا.

وفائدة المترادف: التوسيع على الشاعر والناثر، فإذا لم يوافق اللفظ وزناً أو سلاسة عدل إلى مرادفه الموافق.

قال المقرى في مزدوجته في تعريف الحب:

فإن تشأ فقل عذاب يعذب أو ضربان في الهوى أو ضرب

فلفظ الضرب مرادف للفظ العسل، فلما لم يوافق لفظ العسل عدل إلى مرادفه ومضى في شعره، ومعرفة ذلك في الشعر سهلة. وفي النثر تحتاج إلى دقة نظر ولطف حس، وفضل ذوق. وقد تتعدد الأسماء للشيء المسمى باسم واحد بسبب تنوعه لملاحظة قيود، بحيث لايكون الاسم من تلك الأسماء محضراً لجميع أنواع ذلك الشيء، كالمتكافىء والمترادف فلا تكون منهما. وذلك كالكأس والكوب والكوز

والقدَح ؛ فإن القَدَح اسم لكل ماتتناول به الماء وتشرب منه ، والكأْس اسم للقدح الممتلىء من الماء أو غيره ، والكوب اسم للقدح الذى لاعُروة له ، والكوز اسم للقدح الذى له عُروة ، وكالدَّلْو والذَّنوب والسَّجْل . فالدلو اسم لما يشَدّ فى الرشا ، ليستخرج من البئر به الماء . والذَّنوب : اسم له بشرط أن يكون ممتلئا .

ومن ذلك أسماء الصوت المختلفة بحسب اختلاف الإضافة . كصوت الريح فى الشجر يسمى « حفيفًا » وفى الفلوات دويًّا » وكل صوت شى له اسم يخصه كرُغاء الجمل ، وخُوار البقر ، ونُباح الكلاب ، وعواء الذئاب . وهذا يسميه أهل اللغة « المطلق والمقيد » فإذا أردت إفادة الخاص ، وجب أن تأتى باسمه ، ولم يصح أن تأْتى بالاسم العام إلا إذا تركت الإيجاز إلى الإطناب ؛ فتقول مثلا : الحفيف ربما نشأ من شدته الدوار ، أو تقول صوت الريح فى الأشجار . وهذه الألفاظ التى سَمَّوها مطلقا ومقيدًا داخلة فى قسم المتباين ؛ لكونها من أسماء الأنواع المشتركة فى أمر المتميزة بآخر .

التتميم : أوردنا فى هذا التتميم أربعة أنواع من الأسماء العامة ، أى « أسماء الأجناس » وهى أسماء الشرط ، وأسماء الاستفهام ، وأسماء الأزمان والضمائر . وألممْنا بكلام عام على الأفعال .

أسماء الشرط : هى أسماء ذات معان مستقلة ضمنت معنى كلمة إن ؛ فأغنت عن النطق بها وهى : مَنْ لِذَوى العلَم ؛ ومَا ومَهْمَا وأىٌّ ؛ لكل شىء ، ومَتَى ، وإذا ، وأيَّانَ للزمان ، وحيثما ، وأينَ ، وأنَّى للمكان ، وكيفَما للحال .

فقولك : مَنْ يَعْمَلْ خيرًا لم يلق ضيرًا . معناه : كل شخص إنْ يعمل خيرًا . فلفظة مَنْ وهى حرفان أغنتك عن قولك : كل شخص إن . وقولك : متى تجدّ تجده معناه : إن تجدّ فى وقت من الأوقات . وهكذا بيان البقية .

أسماء الاستفهام : هى أيضا أسماء ذات معان مستقلة ، ضمنت معنى همزة الاستفهام التصوّرى فأغنت عن النطق بها ، وهى : من ومَنذا لذوى العلم ، وما وماذا وأى ، لكل شىء ، ومتى للزمان ، وأين للمكان ، وكيف للحال ، وأنَّى تكون بمعنى

من أين فهي للمكان ، وتكون بمعنى كيف فهي للحال ، وكم للعدد ، فإذا قلت : مَنْ عِنْدَكَ ؟ فمعناه أزيدٌ عندك أم عمروٌ أم بكرٌ ، إلى غير ذلك من كل شخص يجوز أن يكون عندك ، فلفظة مَنْ أغنتك عن الهمزة ، وأم وما يعجزك من سرد الأسماء ؛ وإذا قلت : كيف زيدٌ . فمعناه ؛ أمستقيمٌ زيد أم معوج ؟ صحيحٌ أم مريض ؟ حاضرٌ أم غائب ؟ إلى غير ذلك من الأحوال الممكنة . فلفظة كيف ، أغنتْ عن هذا ؛ وإذا قلت : كم بيتًا تحْفَظُ ؟ . فمعناه : أعشرين بيتًا أم ثلاثين أم مائة ، أم ألفا ؟ إلى غير ذلك من العدد . فلفظة كَمْ مُغنية عن هذا التفصيل . وهكذا بيان البقية .

* * *

أسماء الزمان

نقلت هذا الباب وتفسيره «من مقدمة الأدب» للزمخشرى ، يذكر المفرد وماورد له من جمع قال :

باب م[1] . وقت م = أوقات . ج = حين . م = أحيان . ج = أجل مدّة بقاء الشىء . « ج » = آجال .

(أَوان) بفتح الهمزة وكسرها لغة : وقت وجود الشىء .

« ج » = آونة . م = إبّان وقت صلاح الشىء وإقبال نضرته ، وزنه فعلان من أبَّ الشىء أى تهيأ . (ج) أبابين (م) . دهر اسم للزمن معتبراً اتصاله بخلاف الزمان ، فإنه يعتبر فيه التفصيل إلى الساعات ، والأيام والشهور والفصول إلى غير ذلك . (ج) دهور أدهار . حُقْب بضم فسكون مدّة طويلة ثمانون سنة أو أكثر ، ويضم ثانيه ج . حِقَاب وأحْقاب . حِقْب بكسر فسكون «ج » حِقَب كعنب . بُرْهة بضم فسكون وتفتح باؤها قطعة من الزمن . والسَّبْت بفتح فسكون . والسُبات بضم سينه . الدهر . والسَّبْتُ والسَّبتَةَ والسَّنْبة والسنبتة البرهة «قاموس». م . مَنُون من أسماء الدهر مأخوذ من منَّ بمعنى قطع لكونه قَطوعًا غير وَصول على صيغة المبالغة . وريب المَنُون وريوبُه : حوادث الدهر م . عَصْر بفتح فسكون وبضمتين مدّة الجيل (ج) أعصار وعصور . أُمة طائفة من الزمن ، ومنه قوله تعالى : وادَّكَر بعد أمةٍ

(١) كذا فى الأصل ويبدو ان هنا نقصا ولكى يستقيم المعنى يجب ان نذكر « ابواب » وهو جمع باب

(المحقق)

زمن « ج » أزْمُن . زَمَان « ج » أزْمِنَة . وصَرْف الزمان وصُروفه تغيراته وتنقلات أحواله . فترة . م . قرن مائة سنة « ج » . قرون . سنة . « ج » . سنون وسنوات وسَنَهات . وتقول : سانيت وسانهتُ ، وآجرت الدار مُسَاناة . ومُسانَهة حَوْل « ج » أحوال « م » حِجة بكسر الحاء « ج » حِجج عام « ج » أعوام . والأسماء الأربعة لمدة اثنى عشر شهراً ، وتقول : أحج العام وحججتُ عاما أوّل ، وأحج القابل . فصل اسم لربع السنة « ج » فصول : ربيع ، صيف . خريف ، شتاء غرة أول شتوة مشتاء . شهر « ج » شهور وأشهر والأشهر المعلومات : أشهر الحج . غرة أول الشهر « م » محاق مثلث الميم ، وسرار ، وسَلخ الثلاثة آخر الشهر .

أسماء الشهور : المحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ،وشهر ربيع الآخر ،وجُمادى الأُولى ، وجُمادى الآخرة ، ورجب ، وشعبان ،وشهر رمضان ، وشوال ، وهو أول أشهر الحج وذو القِعدة ، بفتح القاف وكسرها ، وذو الحجة ، كذلك وهو آخر أشهر الحج .

أسماء اليوم والليلة : الجديدان ، والملَوان ، والعَصْران ، والدائبان . مثنى لايستعمل له مفرد . ليلة اسم جنس جمعى ليل « ج » ليال . قطعة اسم الجنس قطع « م » زُلْفَة قطعة « ج » زُلَف . . وَهن ومَوْهِن : ثلث الليل الأول أو ربعه أو نصفه . وبَهْرةُ الليل : وسطه . والسَّحَر والسُّحرَة آخره . ج . أسحار . والجنح : جزء من الليل .

وتقول : زرت زيداً الليلة للحاضرة التى أنت فيها ، من المغرب إلى زوال الشمس.

وتقول : البارحة لليلة التى مضى يومها . والبارحة الأُولى للتى قبلها ، وليلة غد لليلة المقبلة ، وليلة السَّذَق بفتح الذال المعجمة ، وليلة الوقود لليلة الأربعين من الشتاء ، وليلة القدر ، وليلة القضاء لليلة نصف شعبان ، وليلة البراءة . وفى القاموس البراء اسم لاخر ليلة من الشهر أو لآخر يوم منه ، أو لأول ليلة من الشهر أو لأول يوم منه . . . يوم « ج » أيام . نهار من الفجر الصادق لغروب الشمس فى لسان الشرع . ومن طلوع الشمس إلى غروبها فى لسان أهل الهيئة « ج » نُهُرٌ نحر النهار صدره ووجهه لأوله .

تقول : صاحبت فلانا مدّة إقامته عصر يومَ يومَ بالتركيب ، والفتح أى جميع الأيام على التعاقب . وتقول : انتظر اليوم قدوم زيد للحاضر . وتقول : جئتك أمسِ بكسر آخره ، للوقت المعين ؛ الذى قبل وقتك بلا فصل . وتقول : لما قبله أوّلُ أمس . وتقول لما قبله : أول من أول من أمس . وتقول : ألقاك غدا لما يلى يومك وبعد غد لما يليه . تباشير الصبح : عمود الفجر . الفَلَق لوقت انفصال الليل من النهار ، وذهاب الظلمة وبُدُوّ النور . الفجر والصبح والصباح والبُكرة ، لوقت النور قبل الشمس . والغَدَاة لما قبل الضحوة وهو ربع النهار الأول والجمع : غَدَوَات . ومثلها الغُدْوَة بضم فسكون ، والجمع : غُدُوات بضمتين أو بضم فسكون أو فتح ، ولا يقال : غدايا الا مع عشايا للازدواج . وتقول : خرج زيد الغَدَاةَ للحاضرة القائمة أو الذاهبة من يومك وغداة أمس ، وغداة غد والضُّحى بضم أوله والقصر والضحوة لربع النهار الثانى . والظهر والظهيرة والجمع : ظهائر . والقَائِلةُ لرُبْع النهار الثالث . والعَصْر والأصيل والجمع : أُصُل . وجمعه : آصَال وجمعه : آصائل . والمَسْىُ والمَسَاء والعَشِيَّة واسم الجنس العَشِىّ . والجمع العَشيَّات والعَشَايَا لآخر النهار ، والعِشَاء من أواخر النهار إلى منتهى الليل ، والعَتْمَةُ لأول الليل . وتقول : تعهدت الشيء صباح مساء بالتركيب والفتح . أى كل صباح ومساء .

أسماء الأيام : فى لسان العرب القديم يوم السبت : شِيَار بكسر أوّله . ويوم الأحد أول . ويوم الاثنين : أَهْوَن . ويوم الثلاثاء : جُبار) بضم أوله وكسره . ويوم الأربعاء : دُبَار كذلك . ويوم الخميس : مُؤْنِس . ويوم الجمعة : العُروبة وبغير أل ، فيكون علم جنس

اسم مجموع الأيام : اسبوع « ج » أسابيع . م . يوم عاشوراء وتاسوعاء للتاسع والعاشر من المحرم . النَّوْرُوز : أول يوم من الخريف

المِهْرَجَان : أول يوم من الربيع (عيد) . الفطر عيد الضحية « ج » أعياد يَوم التَّرْوِية للثامن من ذى الحجة يوم عرفة للتاسع منه . يوم النحر للعاشر . أيام التشريق للثلاثة بعده ، وهى الأيام المعدودات ، والأيام المعلومات العشر قبلها . مُدَّة « ج » مُدَد . أمد « ج » آماد . مَدَى « م » غاية « م » نهاية « م » أبد يقال : لا أفعل كذا أبدَ الدهر ، ومدى الدهر ، وجدَى الدهر . أى أبدا . ساعة

« ج » ساعات اسم جنس ساع . إنىٌ . ج [1] . آناء وأُنِيٌّ . فَيْنة : قطعة من الزمن . تقول : كنت أذهب لزيد الفينْة بعد الفَيْنَة « ج ». فَيْنَات . فُواق بضم أوله : الزمن بين الحلبتين . تقول : انتظرنى فُوَاق ناقةٍ . أى زمنًا قدَر تلك المدة . وتقول : الساعة يجىء زيدٌ للحاضرة . وتقول : حضر الآن للوقت الحاضر وآنفا للوقت الذاهب

ومن الأسماء الزمانية : مَتَى وأَيّان وإذْ وإذَا ، التى سبق لها ذكر فى أسماء الشرط والاستفهام ، ومُذْ ومُنذُ ، اللتان تقدم ذكرهما فى الحروف ، فهما مشتركتان بين الاسمية والحرفية ، والكَرَّةُ : الغَدَاةُ والعَشِىُّ ، وتقول : ألقاه كَرَّتى النهار ، أى طرفيه . « م » تارة وطور حين « ج » تارات وأطوار .

وتقول : لقيته ذاتَ مرة . أى مدّة صاحبَة مرة .

وعلى هذا التقدير : كل ما ورد من ذات كذا ، وهى ذات سَنة ، وذاتُ شَهْرٍ ، وذات ليلة ، وذات يوم ، وذات غداة ، وذات عشاء ويؤتى ببعض أسماء الزمان مضافة إلى كلمة إذْ مضافةً إلىَّ جملة مذكورة أو محذوفة ، اعتمادًا على علمها من سياق الكلام . ويعوض عنها عند حذفها نون يُلفَظُ بها ولا تكتب تسمى التنوين نحو حينئذ وعامئِذ وغَداتئِذ وعشيتئِذ وساعتئذ ويَوَمئِذ وليلتئِذ . تقول : حينئذ أطاعَ اللهَ زيدٌ أكرمه الناس ، وتقول : أطاع اللهَ زيدٌ وأكرمه الناسُ حينئذ . أى حينئذ أطاع الله

أسماء يوم القيامة : الساعة . يوم القيامة . يوم البعث . يوم الدين . يوم النشور يوم الخروج . يوم الحشر . يوم الجمع . يوم الحساب . يوم العَرْض . يوم الهَيْبَة . يوم الحَسْرَة . يوم النَّدامة . الحاقّة . القارعة . الواقعة . الطَّامَّةُ . الصَّاخَّةُ . الغاشية . الآزِفَةُ ، وأكثرها وارد فى القرآن المجيد ، وأشراط الساعة جمع شَرَط بفتحات العلامات على قرب يوم القيامة .

---

(١) جاء فى لسان العرب والأنى و (بفتح الهمزة وسكون النسون) والانى (بكسر الهمزة وسكون النون) الوهن أو الساعة من الليل وجمعه آناء وانى (بضم الهمزة وكسر النون وتشديد الياء) (المحقق)

أسماء مدة النشأة الأولى : الدنيا . والأولى . والعاجلة :

أسماء مدة النشأة : الآخرة : الآخرة . الآجلة . الأخرى .

أسماء المدة بين النشأتين : الرقدة . الهَمْدة . البرزخ انتهى مانقلناه من مقدمة الأدب ببعض تصرف وزيادة .

أَنَا وإيَّاى وتاء مضمومة مثل : كتبتُ وياء ساكنة تفتح أحيانا نحو : كتابى اذكرني ؛ لكل متكلم يريد الحكاية عن نفسه وحده . ونَحْنُ وإيَّانَا ونَا . نحو : عرفنا ؛ لكل متكلم يريد الحكاية عن نفسه وغيره . وأنتَ وإيَّاكَ وتَاء مفتوحة مثل : فهمتَ ، وكاف مفتوحه مثل : عملكَ ؛ لكل مخاطب مذكر . وأنتِ بكسر التاء وإياكِ بكسر الكاف وتاء مكسورة مثل : قرأتِ . وكاف مكسورة مثل : أخبركِ ؛ لكل مخاطبة مؤنثة . وأَنْتُما وإيّاكُمَا . وتاء مضمومة بعدها ميم فألف مثل : حَفِظْتُمَا . وكاف مضمومة فميم فألف مثل : هَذاكُما ربّكُمَا ؛ لكل مخاطبَيْن مُذَكَّرَيْن أَو مُؤنثين أو مختلطين . وأَنْتُم وإيَّاكُمْ . وتاء مضمومة فميم وكاف مضمومة فميم . لكل جماعة ذكور مخاطبين ، وان تكن الجماعة مختلطة غلبت الذكور على الإناث .

وأَنْتُنَّ وإيَّاكُنَّ ، وتَاء مضمومةٌ بعدها نون مُشَدّدة وكاف مضمومة بعدها نون مفتوحة مشدّدة ؛ لكل جماعة إناث مخاطبات .

وهُوَ وإيّاه ، والمستتر الملحوظ بعد عَرَفَ . نحو : زَيدٌ عَرَفَ ، لكل مذكر غائب . وهِيَ وإيَّاها . والمستتر الملحوظ بعد عَرَفَتْ . من نحو : هندٌ عرفتْ ؛ لكل مؤنثة غائبة . وهُمَا وإيَّاهُمَا ، والألف من نحو : عَرَفَا ، وعَرَفَتَا ؛ لكل غائبيْن مذكريْن أو مُؤنثين أو مختلطتين لافرق إلا مع الألف ؛ فالتاء قبلها حرف يدل على أن المحكِى عنه مؤنث . وكانت ساكنة ، ففُتحت لأجل الألف وتُسمى هذه التاء : تاء التأنيث الساكنة . وهم وإياهم والواو من نحو : عَرَفُوا ؛ لكل جماعة ذكور غائبين .

وهنَّ وإياهنَّ والنون .

في نحو : عَرَفْنَ ؛ لكلِّ جماعة إناثٍ غائبات . والألف والواوُ والنُّونُ ، تكونُ في الخطاب أيضا مثل : اكْتُبَا واحْفَظُوا وافهمْن . وما عدا هذه الأسماء يسمى : الأسماء الظاهرة .

وما كان من الضمائر ظاهر الاستقلال في النطق يسمى « منفصلة » وما كانَهُ حرفٌ من الكلمة السابقة عليه يسمى : متصلا .

وللضمائر مواضع من الكلام يَخْتَصُّ كل صنف منها بموضع . وبيان ذلك في قسم النحو .

* * *

الفعل إن كان يكفى فى حصول معناه شىءٌ واحد ، محصِّلٌ له وهو الفاعل ، يُسَمَّى الفعل : قاصرًا ولازمًا . والفعل ذا النسبة الواحدة .

وإن كان يفتقر فى حصول معناه لأَكثَر من شىء يسمى : متجاوزًا ومتعديًا . والفعلَ ذا النسبتين . فتارةً يكونُ مُفْتَقِرًا الشيئين فاعله وشىء آخر ، يقع به تأْثيره وهو المفعول به . وحينئذ : يسمى « المتعدى لواحد . وتارةً يكون يفتقر إلى ثلاثة أشياء : فاعل ، ومفعولين . وهذا النوع ثلاثة أصناف .

الصنف الأول : أفعال تدل على أن فاعلها جعل شيئا يفعل فعلا فى شىء آخر ؛ فيكون المجعول فاعلا مفعولا أول ، والشىء الآخر مفعولا ثانيًا . فالمفعول الأول فى هذا الصنف : هو ماله فاعلية فى المعنى . والمفعول الثانى : مالا فاعلية له في المعنى ، بل له المفعولية الخالصة . وهذا الصنف من الأفعال يسمى : باب أَعْطَى كأَعطَى ومنعَ ومنَح وكَسَى ووَهَبَ وألبس وأطعم وأسقى وسَقى .

وبيان ذلك أنَّ قولك : أعطى زيدٌ عمرًا دِرْهمًا . معناه : أن زيدًا جعل عمرًا عاطيا . أى متناولا درهمًا .

تقول : عطى عمرو درهمًا يعطوه وأعطيته إياه ، فأنت متناول وعمرو متناول لنفسه مُناوَلٌ منك ، والدرهم بينكما مفعولٌ خالص .

الصنف الثانى : أفعال تتعلق بنسبة أمر لأمر حقيقة وبطرفي النسبة ظاهرًا ، وتسمى : الأفعال الادراكية . وأفعال القلوب بعضها لليقين وبعضها للظن والحُسبان فما لليقين : فقط أربعة أفعال هى : وَجَد ، وألفى ، ودَرَى ، وتَعلَّم بمعنى اعْلَمْ .

وهذه الكلمة وردت في اللغة ، وليس لها فعل ماض ولا مضارع . قال الله تعالى : (وما تقدموا لأنفسكم مِنْ خيرٍ تجدوه عِنْدَ اللهِ هُوَ خيرًا وأعظم أَجرًا) : [سورة البقرة : ١١٠] .

وقال :] الله تعالى [: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهم ضَالِّين)[سورة الصافات : ٦٩] .

وقال بعض العرب :

دُرِيتَ الوَفِيَّ العهدَ ياعُرْوَ فَاغْتَبِطْ   فإنَّ اغتباطًا بالوفاءِ حميدُ

وقال آخر

تَعَلَّمْ شِفَاء النَّفْسِ قَهْر عَدُوِّهَا   وَبالغْ بِلُطْفٍ في التَّحَيُّل والمكْرِ

وما للظن فقط خمسة أفعال ، وهى : جَعَل ، وحَجَا ، وعُدَّ وهَبْ . ولا تكون إلا طَلبًا فهى أُخت تعلم السابقة ، ولا ثالث لهما في اللغة ، وزَعَمَ .

قال تعالى : (وجَعَلُوا الملائكَةَ الَّذينَ هُمْ عِبادُ الرحمٰن إناثًا) . [سورة الزخرف : ١٩] .

وقال الشاعر :

قد كُنتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرو أَخَاثِقةً   حتَّى أَلمَتْ بِنا يومًا مُلِمَّاتُ

وقال آخر

فَلَا تَعْدُدِ الْمَوَلَى شَريكَكَ في الغِنَى   ولكنَّما المولَى شَريكُكَ في العُدْم

وقال آخر

فقلتُ أَجِرْنِى أَبَا خَالِدٍ   والا فَهِبْنِى امرءًا هالِكًا

وقال آخر

زَعَمتْنِى شيخًا ولستُ بشيخ   إنما الشَّيخ مَن يدِب دبيبًا

وما للأمرين : والغالب استعماله في اليقين فعلان : رأى ، وعلم .

قال تعالى : (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا) [سورة المعارج : ٦ ، ٧] .

وقال [تعالى] : (فاعلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) [سورة محمد : ١٩] .

وقال [تعالى :] (فإِنْ علمتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) [سورة الممتحنة : ١٠] .

وما للامرين : والغالب استعماله فى المُرجِّحَات ، ثلاثة أفعال : ظَنَّ ، وحَسِب ، وخَالَ .

قال الشاعر :

ظَنَنْتُكَ إنْ شَبَّتْ لَظَى الحرب صَالِيًّا فَعَرَّدْتَ فِيمنْ كانَ عَنْها مُعَرِّدَا

وقال تعالى : (الذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُواْ رَبِّهِم) [سورة البقرة : ٤٦] .

وقال الشاعر :

وكُنَّا حَسِبْنَا كلَّ بيضاءَ شحمةً عشيةَ لا قينا جُذَامَ وحميرا

وقال آخر

حسبتُ التُّقى والجُود خيْر تجارةٍ رَبَاحًا إذَا ما المرءُ أَصبحَ ثَاقِلَا

وقال آخر

أَخَالُكَ إن لَّمْ تَغْضُضِ الطَّرف ذاهَوًى يَسُومُكَ مَالَا يُسْتَطَاع مِنَ الوَجْدِ

وقال آخر

ما خلتنى زلت بعدكم ضمنا أشكو إليكم حموة الألم

الصنف الثالث : أفعال تدل على تحويل شىء ونقله من حالة إلى غيرها ، وتسمى : أفعال التَّصيِيْر ، وهى : جعل ، وردَّ ، وترك ، واتخذ ، وتخذ ، وصَيَّرَ ، ووَهَب .

قال تعالى : (فجعلناه هباءً منثورًا) [سورة الفرقان : ٢٣) .

وقال [تعالى] : (وَدَّ كثيرٌ من أَهل الكتاب لو يَرُدُّونكم من بعدِ إيمانِكم كُفَّارًا) [سورة البقرة : ١٠٩] .

وقال [تعالى] : (وتركنا بعضَهم يومئذ يمُوج فى بعض) [سورة الكهف : ٩٩] .

وقال [تعالى] : (واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلا) [سورة النساء : ١٢٥] .

وقال الشاعر :

تخذت غُرار إثْرَهُمُ دَلِيـــيلا وفَرُّوا فى الحِجَاز ليُعْجِزُونِى

وقال الراجز :

* فَصِيرُوا مثل كعصف مأْكول *

وسمع من العرب : وهبنى الله فداءك . ولم يستعملوا منه غير الماضى .

« ولمفعولى أفعال الادراك » ، مباحث تأْتى فى قسم النحو ، وتتعلق أحرف الإضافة بجميع الأَفعال ، لازمها ومتعديها .

ويقال لها مفاعيل غير صريحة . ويقال للأَفعال اللازمة : متعدية بالواسطة ؛ لأَن أحرف الإضافة تربطها بما بعدها ، فإذا قلت : خرجت من الدارَ إلى الطريق . فكلمتا : من ، وإلى . ربطتا خرج بالدار والطريق .

« وأما مفاعيل الأَفعال المتعدية بنفسها » : فإنها تسمى : المفاعيل الصريحة .

تقسيم آخر للفعل

الفعل منه ما يكون معناه مقصودا بالإفادة ، بحيث يتم به وبشىء واحد معه وهو فاعله كلام ، ويسمى : فعلا تامًا . كقام زيدٌ وأعطى خالدٌ . ومن يسمع يخل .

وإمّا أن لايكون معناه مقصودًا بالإفادة ، بحيثُ لايكونُ له فاعل يتم بهما كلام ، بل يكون المقصود به الذهاب إلى حكاية نسبة أمر لأمر مفادًا بذلك الفعل وقت تلك النسبة وحالها . وهذا النوع من الفعل يسمى : ناقصا . وألفاظه (كان) لمُطلق التوقيت . (وأصبح) للتوقيت بالصبح (وأضحى) للتوقيت بالضحى (وأمسى) للتوقيت بالمساء (وظل) للتوقيت بالنهار . (وبات للتوقيت بالليل . (وصار) للتوقيت والدلالة على التحويل من صفة إلى . صفة ومثلها حَارَ وآضَ » . في ألفاظ أخر (وليس) للنفى (وزال) (وبرح) (وفتىء) و (إنفك) (ودام) للاستمرار .

ولا تستعمل هذه إلّا منفيةً أو منْهيًّا عنها (كمازال) (ولن يزال) ، ومَارَام ، ولا يريم . ولفظ مادام لبيان مدة حكم يذكر قبلها ؛ ولا تستعمل هذا الاستعمال إلا مع «ما» المصدرية الظرفية .

«وعَسَى وحَرَى واخلَولَق . للدلالة على أن أمرًا قارب أن يحصل أمرًا بحسب الرجاء . وتسمى « الأفعال الثلاثة : أفعال الرجاء » وكَادَ وأوشك وكَرَب » للدلالة على أن أمرًا قارب أن يحصل منه أمر بحسب الواقع ونفس الأمر فهى للإخبار بذلك وتسمى : أفعال المقاربة .

و «جعل ، وأخذ ، وطفق ، وأنشأ ، وأقبل» للدلالة على أن أمرًا شرع فى أن يحصل أمرًا وتهيأ لذلك وتصدى . وكما تسمى هذه الأفعال : أفعالا ناقصة تسمى : الأفعال النسبية لكونها كما سبقت الإشارة إليه ؛ لشرح حال نسبة تذكر بطرفيها بعدها ، ولها اسم ثالث يأتى هو وأحكام تراكيبها فى قسم النحو إن شاء الله تعالى .

* * *

قسم النحو ومقدمته

قسم الصرف

عرفت أن الصرف علم يبين صيغ الألفاظ ، وكونها أصولا وزوائد ، ومتبادلة الحروف ، وكيفية النطق بها .

ولنجعل الكلام عليه فى مقدمة ومقالتين وخاتمة .

المقدمـــة

اعلم أن الناس الذين نَصبُوا أنفسَهم لضبط صُوَر مفردات اللغة ، وجدوا أن العرب تقصد إلى الحروف ، فتركب منها الكلمة لأجل أن تضعها لشيء تكونُ دالةً عليه مفيدة له . فإذا أرادوا جعلها مفيدة لمعنى آخر يكون المعنى الأول جُزْءًا له ، غيرّوا صورة الكلمة : إمّا بتبديلٍ فى الحركات ، وإما بزيادة أو نقص فى الحروف . ومن هنا جاء الاشتقاق ،

فيكون اللفظُ بصورته الأُولى أَصْلاً ، وبالصورة الأُخرى فرعًا .

وحينئذ يسمى الأَصل : مصدرًا . وتسمى الفروع : مشتقات .

فالاشتقاق : تبديل صورة كلمة ذات معنى بصورة أُخرى ، لتكون ذات معنى آخر .

وللمصدر أنواع يأْتى بيانها ، وبيان فروعها فى الموضع المناسب لذلك .

ثم نظروا فى الالفاظ فوجدوا أكثر الكلمات الموضوعة للمعانى الأَصلية ، لاتزيد على ثلاثة أحرف ، فذهبوا إلى جعل أصول الكلمات ثلاثة أحرف يُعَبَّر عن أولها بالفاء ، وعن ثانيها بالعَيْن وعن ثالثها باللام .

ووضعُوا لِوَزن أصول الكلِمة لفظَ (فعل) مصوّرا عند النطق بصورة الموزون .

ثم الكلمات : الزائدة على ثلاثة أحرف ثلاثة أنواع : نوع تكون زيادته أصلية . بأن تكون الكلمة من أوّل وضعها على الأحرف الزائدة على ثلاثة ، وتسمى الكلمات التى هذا شأنها بالكلمات المجردة .

فإنْ كانت فعلا لم تزد عن أربعة . وإن كانت اسما لم تزد على خمسة .

فالأفعال المجردة ثلاثيات كنَصَرَ ، وذَهَبَ . ورُباعيّات كدَحْرَجَ وعَرْبَدَ .

والأسماء المجردة أحادية كتاء : اكرمْتُكَ وكافِهِ ، وثنائية كمنْ وكَمْ . وثلاثيات كَفَهِم وحفِظَ وزيدٌ وعَمْرو . ورباعيات : كبَرْثَنَ وجَعْفَر وزبْرَجٍ . وخماسيات كسَفَرْجَل وجَحْمَرِش .

فإذا أردت أن تزن مازاد على الثلاثة من هذا النوع كررتَ اللام ، فجئت بلامينَ أو ثلاثة ، فتقول : دَحْرَجَ على وزن فَعْلَلَ . وتقول : سَفَرْجَلْ على وزن فعلَلْ . وجَحْمرش على وزن فعْلَلِلْ . ونوع تكون زيادته بتكرير عين الكلمة أو لامها ويسمى : مضعّفًا . فإذا أردت أن تزن كلمة من هذا النوع كررت العين فى مضعف العين ، وكررت اللام فِى مضعف اللام . فتقول : عَظّم . وزنه فَعّلَ بتشديد العين فتكون ناطقًا بعينين ، ومجرده عَظُمَ بتخفيف الظاء . وتقول : جَلْبَبَ . وزنه فَعْلَلَ .

ونوع : تكون زيادته حرفًا أو أكثر من حروف سألتمونيها وهى عشرة أحرف تسمى : أحرف الزيادة .

ولايتجاوز الفعل بالزيادة ستة أحرف ، ولا يتجاوز الاسم بالزيادة سبعة أحرف . وكل زائد أقل مما قبله فِى عدد الكلمات . فإذا أردت أن تزن الكلمة من هذا النوع نطقت بألفاظ الحروف الزائدة .

فتقول : ضَاربٌ . وزنه فَاعِلَ . واستخرج . وزنه استَفْعَل واقْتَدَر . وزنه افْتَعَلَ . وهكذا . وتعيين مواضع الزيادات يأتى فى مواضعه من الكلام على الأفعال والأسماء .

المقالة الأولى

الكلام على الفعل

للفعل تقاسيم :

التقسيم الأول : قد عرفت أن الفعل كلمة موضوعة لمنسوب ملحوظ أولا ، ونسبة ملوحظة ثانيا . ومنسوب إليه معين ملحوظ ثالثا .

فإن كان مُخَبراً به عن حدوث أمر فى الزمن الماضى ، فهو الفعل الماضى . وإن كان مُخْبرًا به عن حدوث أمر فى الحال . أى الزمن الحاضر الذى فيه المكالمة فهو الفعل المضارع الحالى . وإن كان مَخْبرًا به عن حدوث أمر ى الزمن الآتى بعد زمن التكلم ؛ فهو الفعل المضارع الاستقبالى . وإن كان مطلوبًا به تحصيل أمر فى الزمن المستقبل فهو فعل الأمر .

فالفعلْ أربعة أصناف ، وصيغة المضارعيْن واحدة مشتركة بينهما . وتعيين المراد منها كسائر المشتركات بالقرينة ، أى الدليل على المراد مثل : كتب زيد ، وقرأ وحفظ ، وعمرو يكتُب وسيقرأْ وسوف يحفَظُ ، واكتُب يابكر واقرأْ واحفَظ .

والتقسيم الثانى : الفعل إن كانت أصوله غير الألف والواو والياء يسمى : صحيحًا . كَعِلمَ وَشَرُف . وإن كان بعض أُصوله من الأحرف الثلاثة يسمى . « معتلا » فإن كانت فاؤه منها يُسمى : مثالا كَوعَد ويَسرَ .

وإن كانت عينه يسمى : أجوف . كعَوِرَ وغَيِدَ وقال :

وإن كانت لامه يسمى : ناقصا . كرضى وخشى وتلا ورمى .

وإن كان منها اثنان يسمى : لفيفًا مفروقًا » ان لم يجتمعا كوقى ووفى . ولفيفًا مقرونًا إن اجتمعا : كياوم ، وغوى وروى .

والأحرف الثلاثة تسمى « أحرف العلة » لأن الفعل كثيرًا ما يتغير عن صورة نوعه . بسببها ، فإن كانت هذه الأحرف ساكنة سميت : أحرف اللين ، فإن كانت ساكنة وقبل الواو ضمة ، وقبل الياء كسرة سميت : أحرف مدٍّ .

فالألفُ حرفُ مد ولين ؛ دائما لدوام سكونها وفتح ما قبلها لامتناع غير ذلك فيها .

وأما : الواو والياء ، فلهما ثلاثة أحوال : يستحقان فى واحدة منها اسمًا واحدًا وفى أخرى اسمين ، وفى الثالثة ثلاثة أسماء تستحقها الألف مطلقًا .

وإن كان بعض الأصول همزة يسمى الفعل : مهموزا . كأخذ ، وسأل ، وقرأ .
وإن كان أصلان من جنس واحد كبآئين ، أو لامين يسمى الفعل : مضعفًا . كسَبَّ ، وملَّ ، وشدَّ .

ولكون الفعل يتغير عن صورة نوعه بسبب الهمزة والتضعيف . قال أهل الفن : يسمى الفعلُ « سالمًا » إذا خلا من الهمزة والتضعيف وحروف العلة . فكل سالم صحيح ، وليس كل صحيح سالمًا .

ثم إن هذه الأسامى لتلك الأسباب لا تخص الفعل بل تكون فى الاسم .

التقسيم الثالث : الفعل باعتبار مادته وعدد حروفه أربعة أصناف :

ثلاثى ، ورباعى ، وخماسى ، وسداسى : كنَصَر ودَحْرَج وانْطَلَق واسْتَخْرَج .

وباعتبار صورته التى هى هيئته الحاصلة له من الحركات أو الحركات والسكنات على التراتيب الخاصة سبعة وثلاثون بابًا :

ستة أبواب للثلاثى ، وعشرة للرباعى ، وثلاثة عشر للخماسى ، وثمانية للسداسى .

لكن أبواب الثلاثى باعتبار حال الماضى ومضارعه ، لاختلاف صورة المضارع مع اتفاق صورة الماضى ، بخلاف جميع الأبواب فإنها بإعتبار حال الماضى فقط . لأن كل فعل منها يكون مضارعه علىَ صَورةٍ واحدة .

الكلام على أبواب الثلاثى : هى مرتبةٌ بحسب الكثرة والقلة ، فكل سابق منها أكثر افرادًا من لاحقه ولا يخرج الماضى عن ثلاث صور : فَعَل بفتح العين : كنَصَر وضَربَ ، وفَتَحَ ، وفَعِلَ بكسر العين : كَفِرحَ ، وحَسِبَ . وفَعُلَ بضم العين : كشَرُف .

وكل منها بعض افراده متعد . والبعض لازم . الأباب شرُف . فإن جميع افراده لازمة فهى باعتبار التعدى واللزوم أحد عشر صنفًا .

الباب الأول

فَعَلَ (بفتح العين) يفْعُلُ (بضمها) . ويسمى : باب نَصَر » . كَنَصَر يَنْصُر وأَخَذَ يأْخُذُ ، وقَالَ يقول ودَعَا ، يَدْعُو ، وشدّ يشُدّ ، وقَعَد يقعُد . فهذه الأفعال وأمثالُها بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع .

والأمر من كل فعل على صورة مضارعه بحذف حرف المضارعة .

فإذا كان أوله ساكناً وأردت الابتداء به جئت بهمزة مضمومة فى مضموم العين ، ومكسورة : فى غيره تسمى « همزة الوصل » لكونك تصل بها إلى التمكن من النطق بالساكن .

ولهمزة الوصل مواضع يأتى بيانها؛ لكن إذا كانت فاء الفعل من هذا الباب همزة : كأَخَذَ ، وأَمَرَ ، وأَكَلَ . أُبْدِلتْ فى المضارع ألفًا إذا سبقتها همزة المتكلم . لقاعدة : أنه متى اجتمع همزتان في أوّل الكلمة ، وسكنت ثانيتهما أُبْدلت من جنس حركة الأُولى ، فتبدل ألفا للفتحة ، واو ، اللضمة ، وياءً للكسرة وحذفت همزة الفعل من الأمر ، فيبقى عينه ولامه . تقول . آخُذُ وآمُر وآكُل . وخُذْ ومُرْ وكُلْ . وحينئذ يستغنى الأمر عن همزة الوصل .

وإذا كانت عين الفعل واوًا كقول وروم . أُبدلتْ ألفا فى الماضى ونقلت ضمتها إلى الساكن قبلها ، وبقيت ساكنة سكونًا مرسلا فى المضارع ، فإذا سكن

آخره حذفت كما تحذف من الأمر إذا لم يتحرك آخره . فيكون النطق هكذا : قَالَ يقُول . لم يُقُل : قُلْ قَوْلا ، وَرَامَ يَرُوم ، لم يرُمْ رُمْ روموا .

وإذَا كانت لام الفعل واوًا كدَعَوَ وعلَو أُبدلتْ ألفا فى الماضى ولها فى المضارع ثلاثة أحوال : السكون المرسل ، والفتح ، والحذف .

وبيان سبب ذلك من وظيفة النحو . ولها فى الأمر ثلاثة أحوال : حذفها عند خطاب الواحد ، وعند خطاب جماعة ، الذكور وعند خطاب الواحدة . وفى هذا تبدل الضمة التى كانت قبلها كسرة . وبقاؤها مفتوحة عند خطاب الاثنين . وبقاؤها ساكنة عند خُطاب جماعة الإناث . فيكون النطق هكذا : عَلَا يَعْلُو ، لَنْ يَعْلُوَ بفتح الواو . لم يعلُ . اعْلُ . اعْلُوَا اعْلِى . اعْلُوا اعلُون .

وإذا كانت عين الفعل ولامه من جنس واحد ، كداليين أوجيمين كردَّدَ سكنت العين ، وأُدغمت فى اللام فى الماضى ، ونقلت ضمتها إلى الساكن قبلها ، فتسكن وتدغم فى المضارع والأمر . ولذلك يحرك آخر الأمر فى موضع سكونه .

الباب الثانى

فَعَلَ بفتح العين يفعِل (بكسرها) ، ويسمى « باب ضَرَبَ . كضَرَبَ وبَاعَ ورمى ووَعَدَ وُوفى ووَجَدَ .

فإذا كانت عين الفعل ياء كبيع قلبت ألفا فى الماضى ، ونقلت كسرتها إلى الساكن قبلها وبقيت ساكنة سكونا مرسلا فى المضارع . وحذفت إن سكن آخره كما تحذف من الأمر إن لم يتحرك آخره . كبَاع يَبيع لم يبع بعْ بعْنَ بيعَا بيعُوا بيعى .

وإذا كانت لام الفعل ياء : كرمَى قُلبتْ ألفا فى الماضى .

ولها فى المضارع ثَلاثَة أحوال : سكونها وفتحها وحذفها .

ولها فى الأمر ثلاثة أحوال : حذفها فى خطاب الواحد والواحدة وجماعة الذكور .

وتبدل الكسرة التى كانت قبلها فى هذا ضمة وبقاؤها مفتوحة فى خطاب الاثنين . وبقاؤها ساكنة فى خطاب جماعة الإناث ، فيكون النطق هكذا : رَمى

يَرْمى لنْ يَرْمِىَ بفتح الياء لم يرم ارْم يازيد ارْمى يا هندُ ارْمُوا يا رجال ارْمِيا ارْمِينَ .

وإذا كانت فَاؤه واوًا حذفت من المضارع والأَمر ، فيبقى الفعل على حرفين هما : عينه ولامه : كوعد يَعِدُ عِدْ وَوَزَنَ يَزِنُ زِنْ .

وإذا كانت فاء الفعل واوًا ولامه ياء : كوَفَى وَوَفى عُومِلَ معاملةً مَا فَاؤُه واو وما لَامه ياء فيكون نطقه هكذا وَقَى يَقى لن يقِىَ لم يَق ق قِى قُوَاقِيا قِينَ .

وعند حذف لامه يبقى على حرف واحد هو عينه ، وإذا أَردت حينئذ أَن تَقف عَلَيه أَتيت بهاء السكت ، فتقول : قِهْ وَعِهْ وفِهْ .

وإذا كانت عينه ولامه من جنس واحد عَمِلَتَ فيه عَمَلَك فى ردَّ . سِوَى أَنَّ هُنا كسرة وهناك ضمة .

الباب الثالث

فَعَل يَفْعَلُ بفتح العين فيهما ويسمى باب فَتَح كفتَحَ يفتَح وذهب يذهب . ولم يرد هذا الباب إلا وعينه ، أَو لامه من الحروف الحلقية . وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والعين والخاء . كسَأَلَ يَسْأَل ولَجأَ يلجأُ وَدَهَم يدْهَمُ وشذ أَبَى يأْبَى . وكان حقه يأْبِى كيَرْمِى .

ومتى كانت لام الفعل ياء كسعى ورعى ، أُبدلتْ أَلفًا فى الأَفعال الثلاثة . وتحذفُ من المضارع ، والأَمر فى بعض التراكيب على قياس أُخْتَيْها الياء والواو من نحو يرمى ويدعو غير أَن فَتْحتَهَا تحفظ ، ولا تبدل كسرة لأَجل الياء أَو ضمة لأَجل الواو فيكون النطق هكذا : سَعَى يَسْعَى لن يسعَى لم يسعَ اسْعَ اسْعَىْ بفتح العين اسْعَوا بفتحها أَيضا اسعَيَا اسعيْنَ بالياء فيهما على الأَصل ، والمضَعَّفُ منه كالمضعّف من غيره والتخالف بالحركة .

الباب الرابع

فَعِلَ بكسر العين يَفْعَلُ بفتحها . ويسمى « باب فرح » كفرحَ يفرَحُ وفهِمَ يفهَمُ وخافَ يَخَافُ ، وعور يعْوَرُ .

ومن هذا الباب الأَفعال الدالة على الفرح وتوابعه ، والحزن وتوابعه ، والامتلاء ،

والخُلوّ ، والألوان ، والعيوب ، والخِلَق الظاهرة ، التي تذكر لتحلية الإنسان في الغزل : كفَرِحَ ، وطَرِبَ ، وبَطِرَ ، وأَشِرَ ، وكغَضِب ، وحَزِن ، وكشبع ، ورَوِىَ وسَكِر وعطِش وظَمِىء وصَدِىَ وهَيِمَ وكَحِمرَ وسَوِد وكعَوِرَ وعَمِش وعَشِىَ وجهِر وكغَيِد وهَيِف ولَمِىَ .

وإذا كانت عين الفعل من هذا الباب واوًا أو ياء . فإن كان مصدره على فَعَل بفتحتين كعور عَوَرًا وغيد غَيدًا سلمت ولم تغير . وإن كان مصدره على فَعْل بفتح فسكون ، كخاف يخاف خوفًا ، أبدلت ألفا في الماضى ، وكذا في المضارع بعد نقل فتحها إلى ما قبلها . وإذا سكن آخره حذفت ، كما تحذف من الأمر إن لم يتحرك آخره : كخاف يخاف لم يَخَفْ خَفْ خَفْن خَافِى خَافَا خَافُوا .

وإذا كانت لامه واوًا أبدلت ياء في الماضى ، وألفا في المضارع ، والأمر . وعوملت معاملة ألف يسعى : كرَضِىَ وعَشِىَ أصلهما رَضُوَ وعشو بدليل الرضوان وعشواء . ومثل الياء المبدلة الياء الأصلية في إبدالها ألفا في المضارع والأمر كلَمِى يلمَى . و المضعف من هذا الباب كغيره .

الباب الخامس

فعُل يفعُل بضم العين فيهما ويسمى « باب كَرُمَ » .

نحو : كرُمَ يكرُم . وشَرُفَ يشرُف .

وجميع أفعال هذا الباب دالة على غرائز مطبوعة في الفِطَر ولك أن تحول كل ثلاثى إلى هذا الباب للدلالة على أن معناه قد صار كالغريزة في صاحبه . وربما تَعَجَّبُوا بأفعال هذا الباب ، فلا تكون للاخبار عن حدوثها كما هو وضع الأفعال ولهذا شرح في النحو .

الباب السادس

فَعِل يَفْعِل بكسر العين فيهما ويسمى « باب حسِبَ » كحَسِب يَحْسِبُ ووثِق يثِق . وهذا الباب أقل الأبواب أفعالا ولذلك أخر . ولم يكن مع باب فرح كما تقتضى المناسبة لكسر عين الماضى فيهما .

ولم يوجد في اللغة العربية فهو مهمل فعِل بكسر العين يفعُل بضمها ولا فعُل بضم العين يفعِل أو يفعَل بكسرها أو فتحها . ولو وجدت لكانت أبواب الثلاثى تسعة .

الكلام على أبواب الرباعى

هى خمسة أقسام : قسم المجرد ، وقسم ملحقات المجرد بالزيادة ، وقسم المهموز ، وقسم مضعف العين ، وقسم المُفَاعَلة . كدحْرَجَ وبَعْثَر وعَرْبَدَ ودَرْبَجَ وكحَوْقَل وبيْطَر وجَهْوَر وَعَثْيَرَ وجَلْبَبَ وسَلْقَى وكأكرم وكعظَّم وكفَاخَر .

ومن المجرد أفعال نحتها العرب من مركبات ، كَبَسْمَل من : بسم الله . وحَمْدَل من الحمد لله . وحَوْقَل . من لاحول ولا قوة . وطَلْبَق من أطالَ اللهُ بقاءه . ودَمْعَزَ من دَامَ عِزُّهُ وجَعْفَل من جعلنى الله فداءك .

ويقتصر من هذا على ما سمع ، فليس لنا أن ننحت كما نحتوا . والزيادة فى الملحقات للدلالة على قوة الفعل أو كثرته . وأما صيغة المهموز ، وصيغة مضعف العين ، وصيغة المفاعلة ، فهى لمعان يكثر فى الكلام دورها . فلا بد من تفصيلها والتنبيه على مواضعها .

صيغة المهموز : يكثر استعمالها فى ستة معانٍ .

أحدها : تصيير شيىء فاعلا فِعْلا . كأقمتُ زيدا وأقْعَدْتُه واقرأْتُه القرآن . أى صيرته فاعلا للقيام والقعود والقراءة .

فمتى كان أصل الفعل لازما صار بالهمزة متعديًا لواحد . ومتى كان متعديًا لواحد صار متعديًا لاثنين . وذلك أن صيغة المهموز مشتملة على معنيين هما فعلا التصيير . ومعنى أصل الفعل . فإذا قلت أعطى زيد عمرًا درهمًا . فمعناه : صير زيد عمرًا عاطيًا درهما . فالتصيير فعل زيد وعمرو ومفعوله ، والعطوَ أى التناول والأخذ فعل عمرو والدرهم مفعوله ، ولم يرد فى اللغة إدخال همزة على فعلٍ متعد

لاثنين، ليصير متعديًا لثلاثة إلا رأى وعلم . وهما من الأفعال الإدراكية التي سبق معرفتك أنها متعدية لاثنين بعد الفاعل . فإذا أدخلت الهمزة صار ما كان فاعلا مفعولا ؛ فتقول : أرأيت زيدًا بكرا نافعًا أو أعلمته .

ومن كلامهم : البركة أعلمنا الله مع الأكابر .

وثم خمسة أفعال متضمنة معنى الإعلام، فهي متعدية إلى ثلاثة ، وهي :

أَخْبَرَ وَخَبَّرَ ونَبَّأَ وأنْبَأَ وحَدَّثَ .

وثانيها : سَلْبُ شيء وإزالته عن شيء : كأَعتَبْ زيدٌ عمرًا . وأشكاه وأقذى عينه . أي أزال عتبه عليه بترضّيه والاعتذار له. وأزال شكايته منه . وسلب القذى عن عينه . والقَذَى مايسقط في العَين فيؤذيها .

ثالثها : مصادفة الشيء على صفة : كأكرمتُ زيدًا وأحمدته حين قصدتُه . وأبْخَلتُ عمرًا وأذممته . أي وجدت زيدًا كريمًا محمودًا وصادفت عمرًا بخيلا مذمومًا .

ورابعها : صَيْرُورة شيء ذَا شيء بكونه مالكا له كألْبَن وأتمر وأفلَس وأنْقَد وأعْرَض . أي صار مالكا لِلَّبَن والتَّمر والفُلُوس . والنَّقد والعَرَض . أو حاصلا فيه كأمسى وأصبح وأشأم وأعرق .

وخامسها : حَيْنُونَةُ الشيء للشيء . أي مجيء حِينه ، وأوانه كأحصَدَ الزَّرعُ وأجَدَّ النخلُ وأقْطَفَ الكرمُ وأجنَى الوردُ وأزْوَجَتْ عقيلة فلان : أي جاء حِينُ ذلك .

وسادسها : تعريض الشيء لشيء كأرْهَنْتُ المتاع ، فما وجدت مُرتهنًا وأبعت الجارية فلم أرَ مشتريا . أي عرضتها لذلك وربما جاء المهموز كأصله ، وهو نادر كلحق وألحقَ وحرم وأحرم ، وشغل وأشغل ، وحب وأحب . فتارة يكون المتروك المستردهو الثلاثي كحب ، فالفصيح أحب . وتارة يكون المهموز كاشغل . فالفصيح شغل .

يحكي : أن كاتبا للصاحب اسماعيل بن عباد ، رفع له ذات يوم كتابا فيه .

وأشغلني هذا الأمر ، فوقع الصاحب تحته لايصلح لعلمنا من يقول أشغلني ، وأبعده عن الخدمة .

وربما كان الفعل الثلاثي متعديا ، فتدخل عليه الهمزة فيصير لازمًا على خلاف المعتاد من ذلك :

نَسلتْ ريشُ الطائر . وأنسل ريشُ الطائر . وعَرَضْتُ الشيءَ ، أي أظهرته ، وأعْرضَ الشيءُ أي ظهر . وكَبَبْتُ زيدًا على وجهه . وأكَبَّ زيدٌ . وقشعت الريح السحاب . وأقشعَ السحابُ .

قال الشاعر :

كَمَا أبْرقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا سحابةٌ فلمَا رَأَوْهَا أقْشَعَتْ وتَجلَّتِ

صيغة المضعف : تشارك المهموز في معنيين .

أحدهما : تصيير الشيء فاعلا . كقومتُ زيْدًا وقَعَّدتُه وقرَّأته شِعْرًا .

وثانيهما : السَّلْب والإزالة : كقشَّرتُ الشيء وجَرَّبْتُه أي أزلت عنه قشرَهُ وجَرَبَهُ .

وتنفرد بستة معان .

أحدها : صيرورة الشيء شَبه شي كقوَّس زيدٌ ، وحجَّر عمرو ، أي صار شبهَ القوسِ في الانحناء وشبه الحجر في الجمود .

وثانيها : نسبة شيء لشيء باعتقاد أو دونه . كوَحَّدْتُ الله وقدَّسْتُه . وخَطَّأَ زيدٌ عمرًا وفَسَّقَهُ أو صَوَّبَهَ وحسَّنَ رأْيَه .

وثالثها : الحضور إلى شيء : كجَمَّعَ وسَوَّقَ وَوَسَّم . أي حضر الجُمعة والسُّوق والمَوْسِم .

ورابعها : النطق بألفاظ تأخذ منها الصيغة كلبَّى وسَمَّى وسَبَّح .

وخامسها : قبول شيء وتحصيلُ الغرضِ منه كشَفَّعْتُ زيدًا في عمرو . أي : قبلتُ شفاعتَه ، وأبرأْتُه من الدَّيْن .

وسادسها : التكثير وربما اعتبر مع التكثير التدريج .

نحو : نَزَّل الله القرآن . أى أكثر من نزوله شيئا فشيئا ، لكونه نزل على النبي — صلى الله عليه وسلَّم — نجُومًا . ثم التكثير يكون بالنظر للفعل فى نفسه :

نحو : طَوَّفَ زيدٌ وجوَّل . وقَرَّيْتُ الأَدِيمَ .

وقد يكون بالنظر للفاعل حيث لايكون الفعل فى نفسه قابلا للتكثير .

نحو : موَّتَتْ الإبل أو برّكَتْ وربَّضَتِ الشاةَ

وقد يكون بالنظر للمفعول نحو : وَغَلَّقَتِ الابوابَ .

وربما لم يزد المضعف على أصله ولم يتغير معناه : كعَاضِ وعوَّض بمَّر وبَشَّر وماز ويز .

وربما استعملت صيغة المضعف هذه بمعنى تفعل كولىَّ بمعنى تولى وفكرَّ بمعنى تَفَكَّرَ . وربما أغنت عن الثلاثى كعَرَّد فى القتال إذا فرّ وعيَّرهَ أى عابه . وعجَّزتِ المرأةُ أى : صارت للسن العالية .

صيغة الفاعل : تأتى لمعنيين :

أحدهما : أن شيئا فعل فعلا مع شيء آخر ، فقابله ذلك الشيءُ الآخر بمثله . فيكون كلٌّ فاعلا مفعولا لكن ليس النظر لمجرد الاشتراك ، بل مع أن أحدهما بدأ والآخر قابل ، فلذلك ينسب لأحدهما نسبة الفاعلية ، وللآخر نسبة المفعولية . وإذا كان أصله لازما صار متعديًا لواحد ، وإذا كان متعديًا لواحد فربما صار متعديًا لاثنين نحو ماشيته . وأصله . مشى ومشيت ، وجاذبته الثوب والأصل جذبت ثوبه وجذبه ، وفى هذه الصيغة معنى المغالبة والمسابقة .

ويدل عَلَى سَبْق أحدهما . وغلبته بصيغة فَعَل من باب نصر إلا إذا كان واوى الفاء أو يائى العين أو اللام فإنه من باب ضرب .

تقول : كاثر زيدٌ عمرًا و فاخره فكثَرهُ يكثُرُه وفَخرَه يفخُره كنصرهُ ينصُرهُ . وتقول واثبَه فوثبَه يثِبَه . وبايعه فباعَه يبيعه . وماشاه فمشاه يمشيه .

فمتى كان فعل للدلالة على الغلبة كان متعديا . وإن كان أصله لازمًا ومن باب نصر ، وان كان أصله من أي باب تقول : كارم زيدٌ عمرًا ، فكَرَمه يكرُمُه . كنصَره ينصُرُه ، وأصله كرم لازم من الباب الخامس .

وثانى المعنيين : تَصْيِيرُ الشيء ذا صفة .. كتابعتُ القراءة وَوالَيْتَ السفر . أي صيرت القراءة تابعًا بعضها بعضًا وصيرت السفر كذلك . وربما كانت هذه الصيغة بمعنى فعّل مضعفا كضاعفت الشيء بمعنى ضعفتُه أى : جعلت له ضِعْفًا . وهو قَدْرَه مَرّةً . وربما كانت صيغة المفاعلة قائمة مقام فَعَل ثلاثيًا أو أفْعَل مهموزًا .

فالأول : كبارك وقَاسَى وبالى . والثانى : كوارى الشيء . أى : أخفاه .

وربما كانت المفاعلة بتنزيل غير الفعل منزلة الفعل وجعله من جنسه مثل حاربَ اللهُ الكفار ، وجعل عنادهم ونفورهم عن قبول الحق حربًا وحربهم إيذاؤهم بسلب أموالهم وإهلاك أبدانهم .

* * *

الكلام على أبواب الخماسى

هى ثلاثة أقسام : خماسى الثلاثى ، وخماسى الرباعى ، وخماسى ملحقات الرباعى .

نحو : انبعثَ ، واحمرَّ ، وتَغَافل وتَصَبَّر . واقتدر ونحو : تدحْرَجَ . ونحو تَشَيطَن وتَجوْرَبَ وتَرَهوكَ وتَجابَبَ وتَقَلْنس وتَقَلَّسَ وتَمَسْكَنَ .

بيان المعانى التى تأْتى لها تلك الصيغ .

صيغة انفعل : كَانْبَعَثَ وانْطَلَقَ . تأْتى لمعنى واحد وهو المطاوعة أى قبول تأْثير الغير ولاتكون إلا فى الأَفعال العلاجية وتكون لمطاوعة ثلاثى كثيرا . كطبَعْتُهُ فانطبَعَ وبَعَثتُه فانبعثَ وكسرتُه فانْكَسَر . ولغيره قليلا كأَطْلَقتُه فانْطَلَق وعدَّلتَه بالتضعيف فانْعَدَلَ ، فلا يُقال : علمْتُ الشىء فانْعَلَم لكونه غير عِلَاجىٌّ .

صيغة أفعَلَّ : كاحْمَرَّ ، واسْوَدَّ ، واعْوَرَّ ، واعْمَشَّ . تأْتى لمعنى واحد هو قوّة اللون أو العيب .

صيغة تَفاعَلَ : تأْتى لأَربعة معانٍ :

أحدها تَشَارُكُ شيئين فأَكثر ، فيكون كلٌّ فاعلا مفعولا لاينظر فيه للبدء والمقابلة . كما ينظر فى المفاعلة . ولذلك إذا كان فَاعَلَ متعديًا لواحد صار بالتاء لازمًا ، وإذا كان متعديًا لاثنين صار بها متعديا لواحد .

فنقول : ضَاربَ زيدٌ عمرًا ، وتضارب زيدٌ وعمرٌو وجاذب زيدٌ عمرًا ثوباً ، وتجاذب زيدٌ وعمرٌو ثوبًا .

فتلغى نسبة المفعولية مالم تزد عن واحدة .

وثانيها : التظاهر بالفعل دون حقيقة : كتَغَافَلَ ، وتَناوَمَ ، وتغابَىَ . أى أظهر الغفلة والنوم والغباوة ، ولا غفلة ولا نوم ولا غباوة .

قال الشاعر :

ليس الغبيّ بكاملٍ فى قومه لكنّ سَيّد قومه المُتغابى

والثالث : حصول الشيء تدريجا : كتزايد النيل ، وتكاثف الغمام أى : حصلت زيادة النيل وكثافة الغمام شيئًا فشيئًا .

والرابع : مطاوعة فَاعَل . كباعدته فتباعد .

صيغة تَفَعّل : تأتى لخمسة معانٍ :

أحدها : تَكلُّف الشيء ومحاولةَ أن يحصل ، كتَحلمَّ ، وتصبَّر ، وتشجّع حيث يقوم الغضب والجزع والجبن . فهو يتعقل مافى هذه الأشياء من المضار ومافى تلك من المنافع فهو يحاول أن يتحلى بتلك الفضائل ، ويحصل منافعها .

وثانيها : تجنب الشيء نحو : تحرَّج ، وتأثّم ، وتهجّد أى : تجنب الحرج والاثم والهجود .

وثالثها : إتخاذ الشيء شيئًا نحو : توسّدتُ الحجر ، وتفرّشْت الأرْض ، وتبيّتْ الدنيا أى اتخذت الحجر وسادة ، والأَرض فِرَاشًا ، والدنيا بيتًا .

ورابعها : تحصيل الشيء تدريجا نحو : تحفَّظْتُ العلم ، وتفهّمت مسائلهٌ .

وخامسها : مطاوعة فعَّلَ مضعف العين . نحو علّمته فتعلَّم . ونبهته فتُنبّه .

وربما كانت صيغة تفعّل مغنيةً عن النطق بفعل الثلاثى قائمةً مقامَهَ نحو : تَكلَّمَ وتصدّى .

صيغل افتعل : تأْتى لستة معانٍ :

أحدها : الاتخاذ نحو : اخْتَتَمَ زيدٌ واختَدَم . أى اتخَذ خاتمًا وخَادِماً .

وثانيها : الاجتهاد نحو : اكتَتَبَ ، واحْتَمل ، واجْتَهَد .

وثالثها : التشارك فى الفعل . فتُرادِف صيغةَ « تفاعل » .

نحو : اختصم زيدٌ وعمرو أى تخاصما واجتورَ العربُ واختلف الناس . ومنه قوله تعالى : (وإنْ طائفتان من المؤمنين اقْتَتَلوا) [سورة الحجرات : ٩] .

ورابعها : إظهار الشىء نحو : اعتذر واعتظم أى أظهر عذره وعظمته .

وخامسها : القوة نحو : اقتَدَرَ ، واحتَدَرَ ، وارتَدَ

وسادسها : مطاوعة ثلاثى كثيرًا ومطاوعة غيره قليلا .

نحو : عَدَلْتُه فاعْتَدل وهَمَمْتُه بالأمر فاهتَمّ به وغَمَمْتُه فاغْتَمّ وقرَّبتُه بالتضعيف فاقترب ، وحَمَلته فاحتمل .

هذا ومتى كانت فاء « افتعل » زايًا أو دالا ، وجب إبدال التاء دالا ، ليحسن اللفظ ويخف النطق به .

نحو : ازدان من الزينة . وادّان من الدين .

ومتى كانت ذالا فأنت مخير ، بين أن تبدل التاء والذال دالين ، وبين أن تبقى الذال وتقلب التاء ذالا .

فتقول : فى اذتكرا ادّكَر أو اذكر وبكلتيهما يحصل المقصود . ومتى كانت أحد حروف الاطباق وهى : « الطاء ، والضاد ، والصاد ، والظاء » وجب إبدال التاء طاء فى الثلاثة الأول . نحو : اطّحن من الطحن ، واضْطُرَّ مّن الضُرِّ واصطبر من الصبر .

وفى الرابع : أنت مخير بين أن تبدل التاء طاء ، أو تبدلها ظاء أو تبدل الظاء والتاء ظاءين .

فتقول : اظْطَلم أو اظّلَم أو اطّلَم فى ظلم . وبالأوجه الثلاثة روى قول زهير :

هو الجوادُ الذى يُعطيك نائلهُ . عَفْوًا ويَظْلَم أحيانا فيَظَّلِمُ

ويَظْطَلِم ويطَّلِم . ومتى كانت فاء « افتعل » واوًا أو ياء وجب إبدالها تاء .

نحو : اتّكل واتّئَد واتّقى . فأصله أوتكل واوتئد واوتقى . ونحو اتسر .
وأصله : ائتسر . فهذه التغيرات التى تلحق هذه الصيغة .

صيغة تفعلل : نحو : تَدَحْرج لمطاوعهِ أصله فى الأفعال المتعدية وفى غيرها لمجرد التقَوى .

وقيل فى نحو : تمسكن أنه ليس من الملحقات بل هو من باب تَفَعْلَلَ بناء على توهم أصالة الميم فى نحو : مسكين ، ومكان ، ومكرمة . وهى زائدة لكونها من السكون والكون والكرم . ومن ادعى هذا كمل أبواب الفعل بعد تكلم من الملحقات وهى فعل وضع بهذه الصورة لم ينطق له بثلاثى .

* * *

الكلام على أبواب السداسى

هى قسمان : سداسى الثلاثى ، وسداسى الرباعى .

كاحْمَارَّ من حَمِرَ واخْشَوْشَنَ من خَشِنَ ، واجْلَوَّذَ من جَلَذ واقْعَنْسَسَ من قَعَسَ . واسْلَنْقَى من سَلَق ، واستخرج من خَرَج ، وكاحْرَنْجَمَ من حَرْجَمَ واقْشَعَرَّ من قَشْعَرَ . والخمسةُ الأُول من القسم الأَول للدلالة على قوة المعنى .

والصيغة السادسة : منه تأْتى لستة معانٍ .

أحدها : طلب الشىء حقيقة أو مجازًا كاسْتكْتَبَ زيدًا أى طلب منه الكتب . واستخرجت المعدن أى طلبت منه الخروج . سميتَ علاجَك ومحاولتَك أن يَخْرجَ طلبًا

وثانيها : اعتقاد الشىء كاستحسن زيد كذا أَو استقبحه واسْتَنْسَبَ واستصوَب أى اعتقد حسنه وقبحه .

وثالثها : صيرورة الشىء كاستحْصَن المهرُ أى صار حصانا واستحجر الطين .

ورابعها : المصادفة والوجدان . كاستكرمت زيدًا حين قصدته أو اسْتَبْخَلْتَهُ

وخامسها : النطق بكلام أُخذ منه الفعل . كاسترجع أى قال إنا لله وإنا إليه راجعون .

وسادسها : القوّة : كاسْتَحْمَقَ واسْتُهْتِرَ أى قويت حماقته وهُتاره والصيغة الأُولى من القسم الثانى للمطاوعة . كحرَجَمْتُ الإبل أى جمعها ، فاحْرَنْجمت أى اجتمعت .

والصيغة الثانية : منه للتقوية .

تكملة فيها مسائل

المسألة الأُولى : الهمزة التي تبدأ بها مواضي هذه الأفعال وأوامرها . همزة وصل . كما سبقت الإشارة إليه إلا همزة مهموز الثلاثي : كأكرم فإنها تسمى همزة قطع لاتسقط أصلا بدأت بها أو وصلتها بغيرها ، بخلاف السابقة .

فتقول : أَكْرَمَ وأَجْمَلَ وأَحْسَنَ . وأَكْرِمْ وأَجْمِلْ وأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إليك . فتنطق بالهمزة . وتقول انْطَلَقَ ، واسْتَخْرَجَ ، فَتَنطق بالهمزة فى الأُولى فقط ، مع كونها ترسم مطلقا إلا فى « بسم الله » . كما قال بعض الشعراء مشيرًا لذلك :

أفى الحق أَنْ يُعطَى ثلاثونَ شَاعِـرًا ويُحرَمُ مادونَ الرضى شاعرٌ مِثْلِى
كما سامَحوا عَمْـرًا بواوٍ مزيدة وضُويِقَ بسم الله فى أَلِفِ الوصل

وبقيةُ مواضع همزة الوصل ، مصادر هذه الأفعال الآتى بيانها إلا همزة مصدر نحو : أكرم . وعشرة أسماء هى : اسم ، وابن ، وابنم ، وابنة ، وامرؤ ، وامرأة ، واست واثنان ، واثنتان ، وأيمن ، القَسَمِيَّة .

كقول الشاعر :

وقال فريق لَأَيْمَنُ الله ما ندرى

وحرف واحد على خلاف فيه وهو أل « التعريفية » فمن قال : إن حرف التعريف هو اللام فقط حكم بوصلية الهمزة . ومن قال : مجموع الحرفين حكم بقطعيتها وتسقط تخفيفا لكثرة الاستعمال .

الثانية : الأحرف الأربعة التي يُبتدأ بها المضارع ويجمعها قولك (أَنَيْتُ)

تسمى أحرف المضارعة وهى مفتوحة إلَّا فى مضارع الرباعى مجردًا أو مزيدًا . فإنها مضمومة . والهمزة للمتكلم المخبر عن نفسه وحده والنون للمتكلم المخبر عن نفسه وغيره والتاء للمخاطب والمخاطبة والمخاطبين والمخاطبتيْن والمخاطبات وللغائبة والغائبتَيْن والياء للغائب والغائبين والغائبات . والغائبتين .

الأمثلة لذلك : أنا اكتب ، نحن نكتب يارجل ، تكتب يامرأة تكتبين يارجلان تكتبان . يامرأتان تكتبان لافرق بين خطاب الاثنين ، وخطاب الاثنتين يارجال . تكتبُون يانساء تكتبْن بسكون الباء ، هند تكتُب ، والهندان تكتبان . زيد يكتب والزيدان يكتبان ، والرجال يكتبون ، والنساء يكتُبْن بسكون الباء .

المسألة الثالثة : الحرف الواقع قبل آخر المضارع من غير الثلاثى مكسور ولو تقديرًا . إلَّا فى الأفعال المبتدأة بالتاء الزائدة كتصَّبر وتغافَل فإنه مفتوح .

المسألة الرابعة : المضارع يشتمل على جميع أحرف الماضى غير همزة الوصل إلا فى باب أكرم فتسقط همزته : فتقول : أكْرَمَ ، وتُكرم وكان حقه أُأَكْرِمُ كأُدَحْرِجُ فَخُفِّفَ بإسقاط الهمزة .

المسألة الخامسة : « الفعل الماضى » متى أُسْنِدَ للتاءأو نون الإناث أو نَا ، يُسَكَّنُ آخره . فإن كان قبله ألف حذفت لقاعدة متى التقى ساكنان فإن كان أولهما مَدًّا لَيْسَ بَعْدَه حرف مشدّد حذف وإلا حرك أحدهما للتخلص . وتعيين المتحرك منهما بالسماع فبناء على هذا تقول فى قال وباع وخاف . قلتُ وبعْتُ وخِفْتُ . والنساء قُلْنَ وبعْنَ وخِفْنَ ونحن قُلْنَا وبعنا وخِفْنَا . فإن كانت الألف المحذوفة بدلا عن واو غير مكسورة ضَمَمْتَ أوّل الفعل تنبيها على أنه من بنات الواو كقلت وَطُلْتُ . الأول من باب نصر والثانى من باب كَرُم .

وإن كانت الألف بدلا من ياء أو واوٍ مكسورة ، كُسِرَ أَوّلُ الفعل تنبيها على أنه من بنات الياء فى الأول ، وعلى كسر عينه فى الثانى . كخِفْت ونِمْتُ من الخوف والنوم ، وهما من باب فرح .

ومتى أُسند لواو جماعة الذكور ضُمَّ آخرُه ، كقَامُوا ، وبَاعُوا ، وأَكَلوا ، وشَرِبُوا . ويفتح فى غير ذلك .

ومتى كان آخره ألفا حُذِفتْ عند إسناده للواو لتلك القاعدة وتبقى الفتحة التى كانت قبلها فتقول رجال سَعَوْا . وَدَعَوْا بفتح العين وحذف الألف من سَعى ودَعا .

وعند إسناده لغير الواو من الضمائر البارزة ، يرجع الفعل لأصله فتقول : دَعَوْتُ ودَعَونَا . والنسوة دَعَوْنَ ، ورميتُ ورمَيْنَا ورمَيَا . والنسوة رَمَيْنَ .

ومتى كان آخره ياء لم تبدل : كَرَضِيَ وخَشِيَ ، حذفت عند إسناده لواو الجماعة ، وأبدلت الكسرةُ التى قبلَهَا ضمة .

فتقول : رَضُوا وخَشُوا .

المسألة السادسة : الفعل المضارع إذا أُسند لألف الاثنين ، أو لواو الجماعة أو لياء المخاطبة ، جيء بعد الضمائر بنون لامعنى لها . ولها فائدة تعرف فى النحو . وحينئذ إذا كانت لام الفعل واوًا أو ياء ، حذفت مع ياء المخاطبة وتبدل الضمة التى قبل الواو كسرة كتَدعِينَ وتَرْمِين . وحذفت أيضا مع واو الجماعة . وتبدل الكسرة التى قبل الياء ضمة كتَرْمُون والأمر كالمضارع . لكن النون الزائدة لا ينطق بها معه وإذا أُكد بإحدى نونى التوكيد فإن اتصلتْ به فُتح آخره . وإن انفصلت بأحد الضمائر الثلاثة حذفتْ النون الزائدة وحذفت واو الجماعة وياء المخاطبة إلا مع الفعل المعتل بالألف . فإنهما يبقيان وتضم الواو وتكسر الياء كتَخْشَوُنَّ وتَخْشَيِنَّ .

وأما الألف فلا تحذف ولا يقع بعدها من النونين إلا الثقيلة مكسورة . وكذلك بعد نون الإناث ويفصل بينها وبين نون التوكيد بألف كتَعْرِفْنَان .

وإذا ولى الخفيفة ساكن حُذِفَتْ وبقيت الفتحة التى كانت قبلها .

كقول الشاعر :

لا تهينَ الفقيرَ علك أنْ تَرْكَعَ يومًا والدهرُ قد رَفَعهْ

التقسيم الرابع : الفعلُ إن ذَكَرْنَا فاعله سمى فعلا معلوما ، وإن لم يُذكر

فاعله سُمِّي « فعلا مجهولا » . وحينئذ تتغير صورته فإن كان ماضيًا كسر ماقبل آخره وضم أوله وثانيه إن كان مفتتحًا بتاء زائدة ، وضم أوله وثالثه إن كان مفتتحًا بهمزة وصل وضم أوله فقط في غير ذلك . فإن كان بعد المضموم ألف ؛ قلبت واوًا : كبُويِعَ وتُغُوفِلَ . وإن كانت عين الفعل ألفا سواء كانت بدل واو أوياء أبدلت ياء وكسر ما قبلها على الأفصح : كِقيل وبِيع واختِير وانْقِيد واسْتُقِيدَ . وإن كان مضارعًا ضم أوله وفتح ما قبل آخره . فإن كانَ ماقبل الآخر واوًا أوياء : كيقُول ويَبِيعُ ويَستطيل ، أبدلت ألفا : كيُقَال ويُبَاعُ ويُستَطال .

التقسيم الخامس : الفعل إما متصرف تام التصرف يجيء ماضيًا ومضارعًا . وأمرًا . كنَصر ينصُر انصُر ، ونَاقِصُه يَجِيءُ ماضيًا ومضارعًا فقط . كزَالَ يَزَالُ وبَرِح يَبْرَحُ وفَتِيء يَفْتَأُ . وانْفَكَّ يَنْفَكُّ وكادَ يكَاد وأوشَكَ يُوشِكُ .

وإما : جامد لايجيء منه غير الماضي كَلَيْسَ وأفعال الشروع وبقية أفعال المقاربة « ونِعْم وبِئْسَ في المدح والذَّمِّ وعَدا وخَلا وحاشا في الاستثناء .

* * *

المقالة الثانية فى الكلام على الاسم

للاسم تقاسيم :

التقسيم الأول : الاسم : إما جامد . وهو أسماء الأجناس الجوهرية وأسماء الأجناس العَرَضية : كإنسان وسَبُع وفرس وشجر وورق وكفَهْم وعِلْم وقِيام وقُعُود .

وإما مشتق كأكثر الأفعال . وهو الأسماء الدالة على أمر ذى صفة . والاشتقاق من أسماء الأجناس المعنوية : كالفَهْم والعِلْم والحِفْظ . وجاء قليلا من اسم العين : كأوْرَق الشجرُ من الورَق . وأسْبَعَتِ الأرضُ من السَّبُع .

والأصل الذى منه الاشتقاق غالبًا يسمى كما عرفت « مصدرًا » ويشتق منه عشرة أشياء : الماضى ، والمضارع ، والأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة ، واسم التفضيل : فتحصَّل معنا أحد عشر شيئا .

الأصل والفروع العشرة . وكل يحتاج إلى البيان . أما بيان الأفعال . فقد مضى

* * *

بيــان المصدر

سبق أن الفعل باعتبار مادّته أربعة أنواع ، ولكل نوع مصادر فهي أنواع أربعة :

(النوع الأوّل) : مصادر الثلاثى اعلم أنهم يقولون : هذا الشيء قِيَاسِى ، وهذا الشيء سماعِىّ .

أما القياسى : فهو كل شيء كثرت أفراده وصعب حصرها وعدّها ؛ فوضع له ضابط كلى ينتظم به جميع أفرادها أو أكثرها .

وأما السّماعى : فهو ما قَلَّت أفرادُه فَعُدَّت ، ولم يوضع لها ضابط ؛ فإذا سمعت القياسى والسماعى فهو على هذا المعنى :

كل فعل ثلاثى يدل على حركة واضطراب ، فمصدره القياسى يوازن « فعَلانًا » بفتحات ؛ كجال جَوَلَانًا ، وطاف طوَفَانًا ، وَغلى غَلَيَانًا .

« وكل ثلاثى » يدل على حِرْفَة أو صِناعة ، فمصدره القياسى يوازن « فعالة » بكسر أوله ، كولى البلاد وِلَاية ، وسَاس العبادَ سِياسةً ، وراضَ الخيل رِيَاضةً .

و « كل ثلاثى » يدل على إباء وامتناع ، فمصدره القياسى يوازن « فِعَالا » بكسر أوله ، كأبَى إباءً ، وشَرَد شِرَادًا ، وحرن حِرانًا .

« وكل ثلاثى » يدل على سير ، فمصدره القياسى يوازن « فَعِيلا » بفتح أوله كرحل رَحِيلاً ، ورسم رسِيمًا ، وذمل ذَمِيلاً .

« وكل ثلاثى » يدل على داء فمصدره القياسى يوازن « فُعَالا » بضم أوله كدار رأسه دُوارًا ، وصَدَع صُدَاعًا ، ومَشَت بطنُه مُشَاء .

« وكل ثلاثى » يدل على صوت ، فمصدره القياسى نوعان يتوزعانه : أحدهما يوازن فُعالا بضم أوله. والآخر يوازن فَعِيلا بفتح أوله كصَرخ صُراخًا ، ونَبَح الكلب نُباحًا ، وعَوَى الذئب عُواء ، وكزأر الأسد زَئِيرًا ، وصهل الفرس صَهِيلاً .

« وكل ثلاثى » من باب كرُم ، فمصدره القياسى نوعان يقتسمانه : أحدهما يُوازنُ فُعُولة بضم أوله . والآخر يوازن فَعَالة بفتح أوله ، كصَعُب صُعُوبةً ، وخَشُن خُشُونة ، وسَهُل سُهُولة ، وَجزُلَ جَزَالة ، ونَبُهَ نَبَاهةً ، وظَرُفَ ظَرَافَةً .

« وكُل ثلاثى » لازم من باب فرح ، فمصدره القياسى يوازن فَعَلا بفتحتين ، كفَرِحَ فَرَحًا ، وهَوِىَ هَوًى ، وشَلَّ شَلَلًا . وكُلُّ مادل من هذا الباب على لون ، فمصدره القياسى يوازن فُعْلَة ، بضم فسكون كحمر حُمْرَةً ، وصفر صُفْرَةً ، وحوى حُوَّة .

« وكل فعل ثلاثى » لازم ليس من باب فَرِحَ ، ولا من باب كرُم ، فمصدره القياسى يوازن فُعُولاً بضم أوله كقَعَد قُعودا ، وجلَس جُلوسًا ، وذَهَب ذُهُوبًا ، ووثق وُثُوقًا .

« وكل ثلاثى » متعدّ كنصر ، وضرب ، وفتح ، وفهم فمصدره القياسى يوازن فَعْلا بفتح فسكون كنصر نَصْراً ، وضرب ضَرْبًا ، وفتَح فَتْحاً ، وفَهِم فَهْمًا ، وخاف خَوْفاً .

فهذه هى أنواع المصادر القياسية للأفعال الثلاثية ، وهى ثلاثة عشر نوعاً . ولأهل العربية خلاف فى تفسير القياسى ؛ فمنهم من ذهب إلى أنه ما وضع له قانون كلى يضبط أفراده ، بحيث متى سمعت فِعلا من أى باب نطقت بمصدره ، حسب القانون الموضوع لمصدر نوع ذلك الفعل ، وإن لم يكن مسموعًا من العرب وكان المسموع غيره ؛ فلك إذن الخيار بين أن تنطق بالمسموع ، أو أن تنطق بما اقتضاه القياس .

ومنهم من ذهب – وهو الصحيح – إلى أنه ما وضع للكثير المسموع منه قانون . فيكون الضبط لما كثر ، لا لجميع الأفراد ؛ فوجب أن تقف على حدّ ماسمع ، فإن كان المسموع من المضبوط فذاك وإلّا نطقت بما سمع .

وفائدة وضع القوانين حينئذ : التنبيه على الكثير ، وإنك إذا سمعت مصدرًا من المضبوطات عرفت هيئة فِعْلِه .

وأما المسموع القليل من المصادر الثلاثية ، فهى هذه نسردها عليك : شُرْب بضم فسكون ، وحِفْظ بكسر فسكون ، ورَحْمة بفتحة فسكون ، ونِشْدة بكسر فسكون ، ودَعْوَى بفتح فسكون ، وذِكْرى بكسر فسكون ، وبُشْرى بضم فسكون ، ولَيان بفتح فسكون ، وحِرْمان بكسر فسكون ، وغُفْران بضم فسكون ، وطَلَب بفتحتين ، وحَنِف بفتح فكسر ، وصِغَر بكسر ففتح ، وهُدًى بضم ففتح ، وغَلَبة بفتحات ، وسَرِقة بفتح فكسر ، وذَهَاب بفتح أوله ، وصِرَاف بكسره شهوة الكلبة إلى الفحل ، وزَهَادة بفتح أوله ، ودِرَاية بكسره ، وبُغَاية بضمه ، وقَبول بفتحه ، وكراهية بفتحه ، ورُجُوليّة بضمه وتشديد الياء ، وشَيْخوخة بفتح فسكون .

وربما نطق للفعل بمصدرين فأكثر ، فهذه خمسة وعشرون وزنًا ، ووردت مصادر لبعض الأفعال الثلاثية ، لايجوز على الصحيح أن تنطق بغير المسموع منها قياسًا على الكثير فى مصدر نوعه مثلا : شَرِبَ فعل ثلاثى متعدّ كفَهِمَ ، فالكثير فى مصدر نوعه كما عرفت أن يوازن فَعْلا بفتح فسكون كفهم ، لكن المسموع شرِبَ الماء شُرْبًا بضم أوله فهو ملتزم . وقد وردت ألفاظ على أوزان أُخر ، اختلف أهل العربية فى كونها مصادر .

فمنهم : من بنى على ظاهر ما يعطيه الكلام فحكم بمصدريتها . ومنهم : من رأى سهولة التأويل محافظة على ضبط الانتشار ، فحكم بكونها غير مصادر وأخرجها فى أبواب أشكالها . وذلك كالمَعْقُول ، والمفهُوم ، والمَيْسُور ، والمعسور ، والمجلود ، والبَاقية والعاقبة .

فى مثل : ليس لفلان معقول . على معنى ليس له عقل ، مصدر عقَل بمعنى أدرك .

فالظاهر أنه مصدر جاء على وزن مفعول ؛ لأن الغرض من هذا الكلام كما عرفت نفى العقل بمعنى الإدراك ، وبمصدريته بناء على هذا حكم الأولون فهو نفى للعقل بغير واسطة . وقال الآخرون معنى الكلام : ليس لفلان أمر معقول ، وإذا لم يكن له أمر معقول لم يكن له عقل ؛ فهو نفى للعقل بواسطة ، ومن هذا قال المفسرون فى قوله تعالى : (فَهَل تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) [سورة

الحاقة : ٨] يحتمل أن يكون معناه : فهل ترى لهم من بقاء؟ . وأن يكون معناه : من فرقة باقية أو حالة باقية ، فلفظ باقية على الأوّل مصدر جاء على وَزن فاعِلَة ، و على الثانى غير مصدر ، والتأْويل فى بعض المواضع متكلف ، وجاء للدلالة على الكثرة مصدر لهذه الأَبواب يوازن التَّفْعال بفتح فسكون : كالتَّطْواف ، والتَّجْوال ، والتَّكرار ، والتَّذكار . وشذ كسرُ التاء فى تبيَان وتِلقَاء .

وثم لجميع الأَفعال الثلاثية مصدر يقال له « المصدر الميمى » لكونه مبتدأ بميم زائدة لا خلاف فى كونه مصدرًا ، وإنما الخلاف فى كونه مشتقًا من المجرد عن الميم أو مرادفًا له .

وَمَبْنَى الأَوَّل على أن الاشتقاق لا يلزم أن يغير المعنى ، ومبْنَى الثانى على ذلك . وضابطه لتعرف كيفية النطق به أنه إذا كان مصدرًا لمثال حذفت فاؤه فى المضارع وصحت لامه ، فهو بكسر عينه : كمَوْعِد ، لوعد ، وموئِل لوئَل . تقول : وعدنى زيد مَوْعِدًا لم يُخلِفْهُ ، كما تقول : وعدنى وَعْدًا . وفى غير ذلك بفتح عينه ، كمنظَر ومَضرَب ومجلَس ومفرَح ومكرَم وموجَل وميسَر ومعلَى ومَرْمَى . تقول : رميت مَرْمَى زيد ، على معنى رميت مرمى ، مثل مرمى زيد ، كما تقول : رميًا . مثل رمى زيد ، فهو على معنى تمثيل الفعل الصادر منك بالفعل الصادر منه . وقد سمع ما يخالف هذا الضابط فى قليل من الكلمات ، فيلتزم المسموع كلفظ « مَعْرِفة » بكسر الراء . والضابط يقتضى فتحها «أو مقدرة » بتثليث الدال . والموافق الفتح ولوجود الشواذ لم تتم جميع القوانين ، فأنت بعد مفتقر للكشف فى كتب متن اللغة عن المصدر وغيره من الأَلفاظ ، التى تريد أن تستعملها لتعرف صورتها ، ولكن لوضع القوانين فوائد سبق تنبيهك لها .

(النوع الثانى) : مصادر الأَفعال الرباعية .

لِلرُّبَاعِى المجرد وما أُلحق به إلا نحو : زَلْزَلَ وقَلْقَلَ وبَخْبَخَ ، وزن واحد هو « فَعْلَلَة » كدَحْرَجَ دَحْرَجَةً ، وحَوْقَلَ حَوْقَلَةً ، وبَيْطَرَ بَيْطَرَةً .

وأما نحو زَلْزل . فله وزنان هما « فَعْلَلَةً » بفتح فسكون ففتح ، و« فِعْلَال » بكسر فسكون كزلزل زلزلَةً وزِلْزَالًا ، ووسوس وَسوسة ووَسْوَاسًا . قيل : ويفتح هذا

وقيل : هو حينئذ غير مصدر ؛ بل اسم موضوع لذلك المعنى .

ولمهموز الثلاثى ، كأسْلَم وآمَنَ « الإِفْعَال » كأَسْلَمَ إِسْلامًا ، وآمَنَ إِيمانا ، وأحسن إِحْسَانًا ، لكن إذا كانت فاء الإفْعَال همزة كالإيمان قلبت ياء ، وإذا كانت واوًا فكذلك كأوصى إيصَاءً ، وأوغَل إيغَالاً ، وأَوْعَدَ إيعَادًا .

وإذ كانت عين فعله مبدلة ألفا حذفت منه ألف الإفعال ، وجئت بعده بتاء هى عوض منها ، فيكون وزن المصدر « إفعلَةً » بكسر ففتح فسكون ، كأقام إقَامَةً وأجاز إجازةً ، وأبان إبانةً ، ويقال فى تصريفه أصل إبانة مثلا إبيان كإكرام ، نقلت فتحة الياء إلى الباء ، وأُبدلت الفا وحذفت ألف الإفعال وعوّض منها التاء ، وذلك ليخف اللفظ ويَعْذبُ إذْ كان وضع اللغة على ملاحة المنطق ورشاقة اللفظ .

وإذا كانت لام فعله مبدلة ألفا صارت فيه همزة كأحْلَى إحْلَاءً ، وألْقَى إلْقَاءً ، وأبْقَى إبْقَاءً .

ولمضعف العين التَّفْعيل : بفتح فسكون فكسر فسكون ، كسَبَّحَ تَسْبيحًا وجَرَّب تَجْريبًا ، لكن إذا كانت لامُ فِعْلِهِ معتلة ، حذفت منه ياء التفعيل وعَوّض منها تاء بعده ، فوزنه « تَفْعِلة » بفتح فسكون فكسر ، كزَكَّى تَزْكِيةً ، وربَّى تَرْبِيةً ، وحَلَّى تَحْلِيَةً . وسمع هذا التغيير فى بعض الصحائح فلا يتجاوز المسموع ، كتَجْرِبة وتَكْرِمة .

ومثل معتل اللام مهموزها مثل : جَزَّأ تَجزِئَة ، ووَطَّأ تَوْطئة ، وبرَّأ تَبرِئة .

ولفَاعلَ : كضَارَبَ وخَاصَم مصدران : فِعال بكسر أوّله ، ومُفَاعلة كعيَان ومُعاينة ، وخِصَام ومُخاصمة ، لكن إذا كانت فاؤه ياء كيَاوَم ويَامَن ويَاسَر ، التزم الثانى وترك الأول لثقله ، كمُيَاوَمَة ، ومُيامنة ، ومُياسرة .

وإذا كانت لامه معتلة ، فهى فى الأول همزة ، وفى الثانى ألف ، كوَالَى وِلاءً ومُوالاةً ، وجارى جِراء ومُجارَاةَ .

(النوع الثالث) : مصادر الخماسي لتَفَعْلَلَ .

نحو : تَدَحْرَجَ وتَشَيْطَنَ « التَّفَعْلُل » بفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه وضم رابعه كالتَّدَحْرُج والتَّشَيْطُن « ولتفَعَّل » نحو : تَصبَّر وتكَلَّمَ « التَّفَعُّلْ » بفتح أوله وثانيه وضم ثالثه مشدّدا إن لم تكن لامه معتلة فإن كانت كسر .

فالأول : كتَصبُّر وتَكَلُّم .

والثاني : كتَدَلَّى تَدَلِّيا ، وتأَلَّى تَأَلِّيا ، وتَأَنَّى تأَنِّيا .

ولتَفَاعَلَ : كتغَافَل وتَقَاصَر « التَّفَاعُل » بضم ماقبل آخره إن لم يكن الآخر معتلا وإلا كُسر ، كتَغافُل وتَدَاخُل ، وإن كان الآخر وما قبله من جنس واحد سكنت وأدغمت ، كما هو الواجب في مثله ، كتحابّ ، وتوادّ ، وتشادّ ، والتغافي والتَّداني ، والتَّقاضي .

ولانْفعَلَ : كانْطَلَق « الانْفعَال » كالانْطِلَاق .

وإذَا كانَتْ لامُه مُعْتَلة أُبدلت همزة ، كالانجلاء ، والانْطِواء ، والانْضِواء .

ولافْتعَل : كاقْتَدَرَ . الافْتِعَال كالاقتدار .

وإذا كانت لامه معتلة أُبدلت همزة . كالاصطفاء ، والاقتداء ، والاخْتِباء .

وإذا كانت فاؤه واوًا أو ياء أُبدلت تاء وأُدغمت في تاء الافتعال كما فعلت بفِعْلِه : كاتِّقَاء ، واتِّكَال ، واتِّسَار .

ولافْعَلّ كاحْمَرَّ ، الذي أصله قبل الإدغام الواجب في مثله . احْمَرَر ، وارْعَوَى الذي أصله قبل الابدال الواجب في مثله ارعوى « الافْعِلال » : بكسر فسكون فكسر كاحْمِرَار ، واصفرار .

وإذا كانت لامه معتلة أُبدلت همزة كارْعِواء .

(النوع الرابع) : مصادر السداسي لاستفعل .

كاستخرج « الاسْتفعال » كاسْتخراج واسْتِمْهال .

وإذا كانت فاؤه واوًا أُبدلت ياء كاستوعد استيعادًا واستولى استيلاء .

وإذا كانت عين فعله مبدلة ألفًا حذفت ألف الاستفعال ، وعوّض منها تاء لزوما ، كاستعانة واستقامة واستطالة .

وإذا كانت لامه معتلة أبدلت همزة ، كاستبقاء واستيفاء واستهداء . ولنحو اخشَوْشَنَ الاخشِيشَان بكسر فسكون فكسر وإبدال الواو ياءً .

وإذا كانَت لامه معتلة أُبدلت همزة كاعريراء .

ولمصادر الأفعال المبدوءة بهمزة الوصل ضابط : وهو أن المصدر كالفعل الماضي غير أنه يكسر ثالثه ، وإذا كانت بعده ألف أو واو أبدلت ياءً ، ويزاد قبل آخره ألف . وإذا كانت لامه معتلة أبدلت همزة .

ومن وعَى صور الأفعال لم يصعب عليه تمثيل المصادر .

(تكملة) بِنْيَتَان إحداهما : تُوازِنُ « فَعْلة » بفتح فسكون . والثانية : تُوازن « فِعْلة » بكسر فسكون يصوّر بهما كل مصدر فعل ثلاثي لم يكن وضعه على إحداهما .

الأُولى : تذكر بعد الفعل للدلالة على حصوله مرة .

والثانية : للدلالة على هيئة الفعل حال صدوره من فاعله .

تقول : زارني زيد زَوْرَةً ، وجلس جَلْسَةً ، وفرح فَرْحة . وتقول : مشى مِشْية الأُمراء ، وهو حَسَنُ السِّيرة ، وخاتم جيد الصِّيغة ، بإبدال الواو ياء . كما هو الواجب في مثله كقيمة .

فإذا كان وضع المصدر على « فَعْلَة » كرَحْمَة أو « فُعْلة » كنُشْدة . دللت على المرة والهيئة بما يفيد ذلك . تقول : رَحِمَ رَحمةَ واحدةً ، ونشد الضالة نُشْدَةَ المُنَادِي ، كما هو الحال إذا أردت الدلالة على الهيئة من غير الثلاثيات . تقول : عَظَّمْتُه تَعْظِيمَ العِنَايِة والاحتفال ، أو تعظيما قويًا . وأما الدلالة على المرة من غير الثلاثي ؛ فبإلحاق التاء المصدر المشهور للفعل ، كعظمته تعظيمةً ، وأكرمته إكرامةً .

فإن كان المصدر مختومًا بالتاء ، كإقامةً ودحرجةً . دللت على المرة بلفظ واحدة .

ومن الشاذ قولهم : اعتم عِمّة الأعرابي ، وتقمص قمصة الرعّاة ، واختمَرتْ خِمْرة الحضَر ، وانتقبت نِقْبَةً حسنة ، إذ لم تكن الأفعال ثلاثية ، كما هو شرط البنية .

بيان اسم الفاعل

كل فعل ثلاثي متعدّ مطلقا أو لازم ، ليس من باب فَرِح أو كَرم ، فاسم الفاعل منه يُوازن فَاعِلا كنَاصِر من نَصَرَ ، وضَارِب من ضَرَبَ ، وفاتِح من فتَحَ ، وحافِظ من حَفِظَ ، ووارِثٌ من وَرِثَ .

فإذا كانت عينُ فِعْله مبدلة ألفا كقام وباع ، فهي فيه همزة كقائِم وبائع .

وإذا كانت لام فِعْلِهِ معتلة فهي فيه ياء ، تحذف لوقوع ساكن بعدها كقاض وداع ، وقاضي البلد ، وداعي الخير ، والقاضي والداعي ، وتلحقه التاء في الأوصاف المشتركة بين الذكور والإناث للفرق كقائم وقائمة .

ولا تلحق الأوصاف المختصة بالإناث لعدم الحاجة ، كحائض وامرأة حامل وحائل وفارك .

والغرض من اسم الفاعل الدلالة على أن صاحبه متلبس بإيجاد الفعل وإحداثه ، فهو بمنزلة المضارع الحالي ، وكقائم مقامه ، بحيث يصح وضع كل مكانَ الآخر ، فيحصل المعنى المقصود ، أو الدلالة على أنه سيتلبس ، أو سوف يتلبس بالفعل ، فهو بمنزلة المضارع الاستقبالي كذلك . مثلا يسألك سائل : مَا حَالُ زيد الآن ؟ فتقول : هاهو ذا قائم أو يقوم حال ما هو آخذٌ في تصبب أعضائه والهويّ برأسه إلى جهةِ الفوْق .

أومايفعل زيد غدًا ؟ فتقول : هو راكبٌ فرسَه ومُسَابِقٌ الفُرسَان ، أويركب ويسابق .

ويقال لاسم الفاعل في هذين الموضعين : اسم الفاعل الذى يحل محله الفعل .

وقد يذكر لتعيين موصوفه حيث يكون سبق عهده به ، كما تقول : هذا سائلك أمس ، ويسمى حينئذٍ : اسم الفاعل الذى يحل محله الموصول وصلته ؛ فإنه فى معنى : هذا الشخص الذى سألك أمس وعرفته بذلك .

وكل فعل غير ثلاثى فاسم الفاعل منه يوازن مضارعه ، غير أن اسم الفاعل مَبْدُوء بميم مضمومة مكسور ماقبل آخره مطلقًا ، كمُدَحْرِج ومُكْرِم ومُعَظِّم ومُخَاصِم ومُنْطَلِق ومُقْتَدِر ومُتغافِل ومُسْتخرِج . وهكذا .

* * *

بيان اسم المفعول

كل فعل غير ثلاثى فاسم المفعول منه يوازن اسم فاعله ، غير أنه يفتح ما قبل آخره ، كمُدخَرَج ومُنْتَظَر ومُسْتَخْرَج .

وكل فعل ثلاثى فاسم المفعول منه يوازن مفعولا كمخلوق ومَرْزُوق ومَوْجُود ومَقْصُود ومفروح به ومَفْرُوغ منه . وإذا كانت عينه واوا نقلت ضمتها إلى الساكن قبلها فتبقى ساكنة وتحذف إحدى الواوين ؛ كمَصُون ومَقُول .

وإذا كانت عينه ياء نقلت الضمة ، وحذفت الواو ، وأبدلت الضمة كسرة للفرق بين ذوات الياء وذوات الواو ، كَمَبِيع ، ومَدِين .

«وتميمٌ» تُصحِّحُ هذا فيقولون : مَبْيُوع ، ومَدْيُون . وعليه لِسَان مصر قال شاعر تميم :

قد كان قومك يحسبُونَكَ سَيِّدًا وإخَالُ أَنَّكَ سَـيِّدٌ مَعْيُـونُ

من عانَهُ فهوَ عائِن ، وذاك مَعْيُون أصابهُ بعَيْنِهِ .

وإذا كانت لامه واوا سكنت واو مفعول سكونًا مقيدًا وأدغمت . وشذ قلب الواوين ياءين وإبدال الضمة كسرة ، كما هو لسان مصر . قال بعض الشعراء(١) :

وقد علِمتْ عِرْسِى مُلَيْكَةُ أَننِّى أَنَا اللَّيْثُ مَعْـدِيًّا عليهِ وَعَادِيَا

من عدا عليه يعدو . والفصيح : معدوعليه كَمَدْعُوّ ، وَمقْلُوّ . وإذا كانت لامه ياء

(١) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثى . وقد روى المرصفى عجز البيت :

« كما الناس معديا عليه وعاديا »

وقد رجحت الرواية التى اثبتناها (المحقق)

أبدلت واو مفعول ياء وأدغمت ، وأبدلت الضمة كسرة ، كمَرْمِيٌّ ومَرْضِيٌّ .

وقد جاءت ألفاظ كثيرة توازن «فَعِيلاً» تستعمل بمعنى مفعول ، ولا يُفرقَ فيها بين المذكر والمؤنث غالبا ؛ كَقَتِيل ، وجَرِيح ، وكَحِيل .

وكذا وردت ألفاظ تستعمل بمعنى مفعل اسم «مفعول» نحو : حكيم . وألفاظ تستعمل بمعنى مُفاعِل كسمير ، وخليط ، وجليس ، وبمعنى فاعِلْ ، كقدير وعليم ، وبمعنى مُفْعِل اسم فاعل نحو : أبدع . كبَدِيع وحكِيم وسَمِيع . وندر هذا حتى نفاه الكثير ، ومن أثبته عدّ منه اثنى عشر لفظا .

* * *

الأوصاف من باب كرم وكذا من باب فَرح اللازم تسمى : صفات مشبهة ، ولا يقال لها اسم فاعل ؛ وذلك لأنها لإفادة الأوصاف باعتبار قرارها وثُبوتها لمحالها من غير نظر إلى حدوث وتجدّد ، كما هو المعتبر في حقيقة اسم الفاعل ، بحيث لا يصح أن توضع الأفعال مكان تلك الصفات ، حتى لو أريد أن يفاد بها معنى الحدوث والتجدّد ، وجب ردّها إلى زنة « فاعل » مثلا إذا قلت : زيد حَسَن الوجهِ . كان المعنى : زيد له صفة الحسن ، لا أنها حدثت أو تحدث ، فلو قلت : حسنٌ وجهُه أو يحسن ، فات الغرض المقصود وتبدل المعنى ، فلو أردت هذا المعنى الفعلى قلت : زيد حاسنٌ وجهُه . لاستعمال الأغذية اللطيفة ، والأدوية المنضرة ، فهو على معنى : آخذٌ وجهُه في الحسن لذلك ، بحيث يصح أن تقول : زيد يحسُن وجهه .

وكل وصف : فاعل أو مفعول استعمل بهذا المعنى المشروح لأوصاف هذين البابين ، فهو من الصفة المشبهة .

الأوصاف : من باب كَرُم منها ماجاء على وزن « فَعْل » بفَتْح فسكون ، كضَخْم وشَهْم ، ومنها ما جاء على وزن « فَعِيل » بفتح فكسر ، كجَمِيل ، وظَرِيف . وهذان الوزنان يقتسمان حسب السماع أكثر أوصاف الباب ، ومنها ماورد بأوزان أُخر كصُلْب بضم فسكون ، وبَطَل بفتحتين ، وشُجاع وجَبَان والفرق بين الإناث والذكور في هذه الأوصاف بالتاء .

الأوصاف : من باب فَرِحَ : جاءت أوصاف هذا الباب على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : يوازن فَعِلا بفتح فكسر ، ويؤنث بالتاء كفَرِحَ وطَرِبَ وبطِر وأشِر .

النوع الثانى : يوازن أَفْعَل بفتح فسكون ففتح للمذكر ، وفَعْلاء بفتح فسكون ، وفى آخره همزة للمؤنث ، كأَحْمَر وحَمْراء ، وأَجْهَر وجَهْراء .

النوع الثالث : يُوازِنُ فَعْلان بفتح فسكون للمذكر ، وفَعْلى بفتح فسكون

وآخره ألف للمؤنث ، كغضْبان وغَضْبَى ، وسَكْران وسَكْرَى .

ولهذه الأنواع : ضابط به تميز بين مواضعها .

فالأوّل : فى أحوال تحصل ويُسرع زوالها عادة ، كالفَرَح والطَّرَب والأشر.

والثانى : فى صفات وضعها على البقاء ، وهو دائر بين الألوان والعيوب والحُلى ، كالحُمرة والصُفْرة والحمق والعَمَى والهَيَف والغَيَد .

والثالث : فى أمور بطيئة الزوال ، كالرِّىِّ والعَطَش والجُوع والشِّبع والسُّكر والغَضَب . وتسمية هذه الأوصاف « صفات مشبهة » يذكر سببه فى النحو .

بيان (اسم زمان الفعل واسم مكانه من مادته) صيغتهما واحدة ؛ فإن كانا من غير الثلاثى فهى : كصيغة اسم المفعول منه ، وكذلك مصدره الميمى ، فالصيغة مشتركة بين أربعة أشياء تقول : استخرجتُ الذهبَ من المعدِن صُبحًا مُسْتخرَجًا حَسَنًا ؛

فالذهبُ مستخرجٌ ، والصبح مُسْتَخْرَجُهُ أى وقت استخراجه والمعدن مُستخرَجُه أيضا أى مكان استخراجه .

وقولك : مُستخرجًا حسنًا . بمنزلة قولك : استخراجا حسنًا فهو مصدره .

ومنه قول الشاعر :

أظلومُ إنَّ مُصابكُم رجـــــلاً ردَّ الســـلام تحيـــة ظلـــم

معناه : إن أصابتكم بالمكروه رجلا حياكم وسلم عليكم ظلم منكم له .

وإن كان من الثلاثى : فهما على وزن مَفْعِل ؛ فإذا كان مضموم عين المضارع أو مفتوحها أو معتل اللام فتحت عينه ، كمَنْصَر ومَنْظَر ومَفْتَح ومَفْرَح ومَطْرَح ومَرْمى ومَدْعَى ومَسْعَى .

وإن كان : مكسور عين المضارع ، أو كان فعله مثالاً واويًا أو يائيًا كسرت عينه ، كمَضْرِب ومَجْلِس ومَوْعِد وموئِل وموضِع وموجِل وميسِر .

وما جاء على خلاف ذلك . كمسجِد بالكسر ، ومشْرُبة بالضم وحقهما الفتح ، لكون مضارعهما مضموم العين فى الأول ، ومفتوحها فى الثانى ؛ فإنه جعل اسما

للموضع المعدّ للفعل ، وإن لم يقع فيه الفعل ، ألا ترى أنك إذا بنيت بيتًا للعبادة كان اسمه مسجدًا وإن لم يسجد فيه أحد .

وأما اسم مكان الفعل المضبوط فهو للموضع ، الذى وقع فيه الفعل ، فإذا أردت من لفظ المسجد هذا المعنى فتحت عينه ، كما تقول : اسجد مَسْجَدَ زيد تَعُدْ عليك بركته . فمعناه في الموضع الذى سجد فيه زيد .

* * *

بيان (اسم آلة الفعل) آلة الفعل التى وقع بها يكون اسمها على وزن « مِفعَل » بكسر فسكون ففتح أو «مِفعَال» . بزيادة الألف ، كمِفْصَل ومِفْصَد ومِبْضَع ومِقْول ومِقْوَد ومِخْيَط ومِشْبَر ومِسْبَار ومِهْمَاز ومِخْيَاط . وتلحقه التاء ، كمِنسئة ومِكْنَسة ومِقْرَعَة . ولا يغير من أسماء الآلة ما عينه واوًا وياء ، كما رأينا على خلاف «قاعدة» أنه إذا تحرّكت الواو أو الياء وسكن ما قبلهما ، نقلت حركتهما إليه وبقيتا ساكنتين سكونًا مرسَلا ، أو أبدلتا ألفا كما سبق التصريح به فى مواضع ، والإشارة إليه فى غيرها ، وكما استثنى من هذه القاعدة أسماء الآلات استثنى منها نحو :

ابْيَضّ واسْودّ ، وأبْيَض وأسْوَد وأقْوَمَ وأفْيَح ، لكن إذا كانت فاء الكلمة واوًا أبدلت ياء ، كما هو شأن كل واو وقعت إثر كَسْرة كميزان وميقات من الوزن والوقت ، ودِيمَة وقيمَة وقيام . من يدوم ويقوم .

* * *

بيان اسم التفضيل

اسم التفضيل : هو اسم يوازن « أَفْعَل » بفتح فسكون ففتح ، وكما يسمى اسم تفضيل يسمى : أَفعَلُ مِنْ .

وهذه الصيغة للدلالة على أن شيئين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فيها والزائد مفضَّل ، والآخر مُفضَّل عليه ، وهو الذى يقرن بمِنْ .

ثم لاتكون هذه الصيغة إلّا لفعل ثلاثى متفاوت قوةً وضعفًا ، أو قلةً وكثرةً ، متصرف ، مثبت ، ليس وصْفه على وزن أَفْعل ، ولا على صورة فِعْل المجهول ، ولا من الأفعال الناقصة .

لأن غير الثلاثى لا تمكن فيه الصيغة ، وغير المتفاوت لا يزيد فيه شىء عن شىء ، والجامد لايصاغ منه شىء ، والمنفى مركب مع أداة النفى .

وماوصفه : على « أَفْعَل » مشغول بهذه الصيغة لغير معنى التفضيل .

وما على صورة فعل المجهول يؤدى للإلباس ، والأفعال الناقصة لم يقصد بها إفادة إحداثها .

ومن الشواذ قولهم : أَشْغَلُ من ذات النِّحيين . وزيدٌ أشْهر من عَمْرو . فإن معناه أقوى مشغولية ومَشْهورية ، فهو من فعل المجهول .

وقال أهل الكوفة : يصاغ اسم التفضيل من الأفعال التى وصفها يوازن «أَفعَل» وعليه قول أبى الطيب المتنبى يخاطب الشيب :

أبْعِد بَعِدتَ بياضًا لا بياض له لأنتَ أَسْودُ فى عينى من الظُّلَمِ

وقيل كلام أَخْصَرُ صوغا من اخْتُصِر فعل مجهول خماسى ، ففيه شذوذان

لكن أنتَ محتاجٌ إلى التفضيل فيما فقد بعض تلك الشروط .

فالطريق لذلك أن تصوغ اسم تفضيل من نحو : قَوى وكثُر وعظُم وزاد ، ثم تأتى بمصدر الفعل الممتنع صوغ أفعل منه بعد ذلك ، مُبيِّنًا بذلك أنه موضع التفضيل . مثلا تقول : زيدٌ أقْوى إكراماً لعمرو ، وأزيد اشتغالاً بالخير ، وأكثَر استخراجًا للفوائد ، وأقْوى حُمْرةً .

ويقوم مقام المصدر لفظ مركب من اسم فاعل ، أو اسم مفعول وياء مشدّدة تسمى « ياء النسبة » وتاء كضَاربية ومَضْرُوبية ومكْرُمِيَّة . فتقول : زيد أكثر مَكرُمِيَّة بين الناس . متوصلا بذلك لإفادة التفضيل فى فعل مجهول ؛ لأن معناه : أن زيدًا أكْرِمَ وغيره أكرم ، من غير تعرض إلى بيان المكرم ، وزيدًا أكثر من غيره فى ذلك المعنى .

(ثم إن اسم التفضيل) : له من جهة نطقه ثلاث حالات ، ومن جهة معناه ثلاثة استعمالات :

أما كيفيات نطقه ؛ فالأولى : أن تنطق به مفردًا مذكَّرًا دائمًا سواء كان صفة واحد ، أو اثنين أو جماعة من الإناث أو الذكور ، وذلك حيث تضيفه إلى نكرة ، أو تَأْتى بعده بالمفضل عليه مقرونا بمنْ . فتقول : زيدٌ أفضلُ رجل ، والزيدان أفضَلُ رجلين ، والزيدون أفْضَلُ رجَالٍ ، وهِنْدٌ أفضلُ امرأةٍ ، والهندان أفضلُ امرأتين ، والهنداتُ أفضلُ نساءٍ ؛ فتطابق الموصوف بالمضاف إليه وجوبًا كما رأيت .

وتقول : زيد أفضلُ من عَمْرو ، والزيدان أفضلُ منه ، والزيدون أفضل منه ، وهندٌ أفضلُ من دعدٍ ، والهندان أفضل منها ، والهندات أفضل منها .

الحالة الثانية : أن تنطق باسم التفضيل مطابقًا للمُفَضَّل ، فى : التذكير ، والتأْنيث والإفراد ، والتثنية ، والجمع .

وتأْنيث اسم التفضيل : أن تجعله على وزن فُعْلى بضم فسكون ، وذلك حيث

تُعرف اسم التفضيل بأل وحينئذ لا تأتى بمن فتقول : زيدٌ الأفضل ، والزيدان الأفضلان ، والزَّيدون الأفضلون أو الأَفاضل ، وهندٌ الفُضْلى ، والهندانِ الفُضْلَيانِ ، والهنداتُ الفُضليَاتُ أَو الفُضَل .

الحالة الثالثة : أن تنطق به كيف شئت مُطابِقًا أو غير مطابق ، وذلك حيث يُضاف لمعرفة ، فتقول : الزيدون أفضلُ الرجالِ أَوْ أَفَاضِلُهم ، وهندٌ أفضلُ النساء أو فُضْلَاهن ، وهكذا .

وأما استعمالاته بحسب المعنى :

فالأوّل : ماسلف شرحه .

والثانى : أن تُفيد به أنَّ شيئا زاد فى صفة نفسه على شىء آخر فى صفته ؛ فلا يكون المفضَّل والمفضَّل عليه مشتركين فى صفة ، كما هو الحال فى الاستعمال الأوّل كقولهم : العَسَلُ أَحْلَى من الخَلِّ ، والصيفُ أَحَرُّ من الشتاء . معناه : العَسلُ زائد فى حلاوته على الخل فى حموضته ، وعلى هذا تأْويل ما ورد من ذلك .

والثالث : أن تُفيدَ به ثُبوتَ الوصفِ لمحلِّه ، فهو كاسم الفاعل لم يقصد تفضيل شىء على شىء . وأهل العربية يمثلون لذلك بقول بعض العرب : الأَشَجُّ والناقِصُ أَعْدَلا بنى مروان . أى : هما العادلان ولا عدل فى غيرهما .

ومن هذا الاستعمال قول الحسن بن هانىء :

كأَنَّ صُغْرَى وكُبْرَى من فَقَاقِعها[1] حَصْباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذَّهب

أى صغيرة الفواقع وكبيرتها ، وإلاَّ لأفرد وذكر ، لعدم التعريف والإضافة لمعرفة .

---

(١) روى المرصفى البيت بكلمة (من فواقعها) بدل « من فقاقعها » ورجحت الرواية الأخيرة (المحقق)

تكملة

كل من الفعل ، واسم الفاعل ، إذا نسبته لصاحبه كفى فى صدقه حصوله منه ولو مرة ، فهو يحتمل القلة والكثرة ؛ فإذا أردت أن تنص على الكثرة ضعّفت عين الفعل ، فقلت فى ضَرَب مثلا : ضَرَّب . بتشديد الراء وقد سبق ، وجئت بدل فاعل بإحدى صيغ ثلاث مطّردة فى ذلك ، وهى « فَعَّال » بفتح أوله وتشديد ثانيه ، « ومِفْعَال » بكسر فسكون ، « وفَعُول » بفتح فضم فتقول : زيد رَكّابٌ للخيل ، ومِنْحَار للإبل ، وصَبُورٌ على الشدائد . وأهل الفن يسمون هذه الصيغ « صيغ المبالغة » .

وسمع من العرب على قلة فيقتصر على ما سمع للدلالة على الكثرة صيغ أُخَر : كعليم ورحيم وقدير . هذا بنقل الفعل لباب فعُل بضم العين الذى سبق القول بكونه مختصًا بالغرائز ونحو : حذِر ومِعْطِير وشِرِّيب .

وإذا كانت : فاء مِفْعال واوًا أبدلت ياءً كميزان .

وإذا كانت : لامُهُ أو لامُ « فَعَّال » معتلة ، أبدلتْ همزة ، كمِشْواء ومِقْلاء ، وشوّاء وقَلّاء .

وإذا كانت : عين « فعُول » واوًا أبدلتْ همزة ، كقَؤُول وصَؤُول .

وإذا كانت : لامه واوًا أدغمت فيها الواو قبلها ، كعدُوّ وصبوّ .

وإذا كانت : ياءً أبدلت الواو قبلها ياء ، وأدغمت فيها ، كبَغِى وسَعِى ، وأصلهما بَغُوىٌ وسَعُوىٌ .

المذكر والمؤنث[1]

الاسم : إما مذكر وإما مؤنث ، فالمذكر ماوضع لذكر ، والمؤنث ماوضع لأنثى.

وقد اعتبرت العرب التأنيث فى بعض الأشياء لأسباب ، فعاملوها معاملة الإناث ، كالشمس اعتبروها أنثى لوقوعها فى مقابلة القمر ، والكأس لوقوعها فى مقابلة الإبريق ، والحرب اعتبروها ولّادةً غَرَّارة كما قال عمرو :

الحـربُ أوّلَ ما تكون فتيّةٌ   تَسْعَى بزينتِهـا لِكُلِّ جَهُـول

حتى إذا اتّهبتْ وشَبَّ ضِرامهـا   عَادَتْ عجوزًا غير ذاتِ حليل

ومن ثم قال أهل العربية : مؤنث حقيقى لذوات الفروج ، ومؤنث مجازى لغيرها .

ومعرفة المؤنث المجازى بتتبع كتب اللغة ، إذ ليس لها ضابط .

وقد يكون التأنيث لفظيًا فقط ، بمعنى أن اللفظ يكون معه علامة التأنيث ومدلوله من الذكور ، كطَلْحة وبطَّة اسمى رجلين .

والمؤنث أحكام: كاختصاصه بإشارة وضمير ، كما تقول : هذه الكأْسُ لا أشربُها .

لكن المؤنث اللفظى تتبعّض فيه الأحكام ، ففى بعض الأبواب يعامل معاملة المؤنث وفى بعضها يعامل معاملة المذكر ، كما يتبين ذلك فى مواضعه ، والمؤنث المجازى يخالف المؤنث الحقيقى فى بعض الأحكام ، كما يتبين فى مواضعه أيضا .

ثم ان الأشياء التى لا يتميز ذَكَرُها من أُنْثَاها ، ما كان منها بالتاء مؤنث ، كنَمْلةٍ وبَعُوضةٍ . وما خلا منها مذكر ، كبُرْغُوثٍ وجُنْدب .

---

(١) هذا العنوان من عندنا وفى الأصل : التقسيم الثانى .   (المحقق)

وللتأنيث ثلاث علامات : تاء متحركة يختم بها الاسم ، وألف بعد ألف لا يمكن النطق بها فتبدل همزة ، وتسمى : ألف التأنيث الممدودة ، وألف مفردة ، وتسمى : ألف التأنيث المقصورة .

الكلام على التاء : أكثر ما تلحق الأوصاف المشتركة للفرق ، وقل لُحُوقُها الأسماء لذلك ، كرجُلٍ ورَجُلة ، وغلام وغلامة ، وفتى وفتاة . كما قل لُحُوقُها للأوصاف المختصة بالإناث فلا يقال : حائضة ومرضعة إلا إذا أريد بها معنى الفعل ، كما تقول : هى حائضة بعد شهر ، فهى بمنزلة هى تحيض .

ولا تلحق من الأوصاف ما كان على وزن « مِفْعَال أو مِفْعِيل أو فَعُول » بمعنى فاعل أو فَعِيل بمعنى مَفْعُول إن علم فى هذا الموصوف ، فتقول : امرأة مِكْسَال ومِعْطِير وصَبُور وجريح .

وتقول : رأيت جريحة . وتكون التاء مع التأنيث للوحدة فى أسماء الأجناس الجمعية ، وتكون للمبالغة فقط ، أو لتأكيدها كرواية وعلامة وفرُوقة ، وتكونُ عِوَضًا عن حرف محذوف ، كما سبق فى نحو : إقامةٌ وتزكية .

ويأتى لذلك مواضع :

الكلام على الألفين : قد اختص كل بأبنية ، واشتركتا فى أبنية ، فمن أبنية المقصورة « فُعْلَى » بضم فسكون « وفُعَالَى » بضم أوله « وفُعَلَى » بضم أوله وفتح ثانيه مشددًا . « وفِعَلَى » بكسر ففتح فسكون « وفِعْلَى » بكسر فسكون . « وفُعُلَّى » بضم أوله وثانيه وتشديد ثالثه . « وفُعَّالَى » بضم أوله وفتح ثانيه مشددًا

فالأول : كبُهْمَى لنبت ، وحُبْلَى وكُبْرَى وطُولَى وأُولَى ورُجْعَى وبُشْرَى .

والثانى : كحُمَادَى وسُمَانَى وحُبَارَى ؛ لطائرين .

والثالث : كسُمَّهَى للباطل .

والرابع : كسِبَطْرَى ودِفَقَى لنوعين من المشى .

والخامس : كحِجْلَى فى جمع حَجَلة بفتحات لطائر ، وظِرْبَى فى ظَربان بفتح

فكسر لدابة مُنْتِنة القَسْو فى حجم الهرة ، ولا ثالث لهذين الجمعين فى أوزان الجموع ، وكدِفْلَى لنبت ، وكِيِصَّى للرجل يأكل وحده وينزل وحده ، ولا يهمه غير نفسه .

وذِفْرى للعظم خلف الأذن ، وضِيزَى بالياء ، وهو بالهمز مثلث الأول ، وربما نون بعض الكلمات الواردة على هذا الوزن ، فتكون ألفه للالحاق بدرهم من الأسماء الرباعية . من ذلك : ذِفْرَى . فعلى كون الألف للتأنيث تقول : هذه ناقة ذات ذِفْرى تضاخة بالألف ، وعلى كونها للإلحاق تقول : ذفرى بالتنوين .

والسادس : كحُذُرَّى للحذر ، وبُذُرَّى للتبذير ، وكُفُرَّى لوعاء الطلع .

والسابع : كخُبَّازَى وشُقَّارَى لنبتين .

ومن أبنية الممدودة « فَاعُولاء ومَفْعُولاء » بفتح فسكون فضم « وفِعْلِياء » بكسر فسكون فكسر . « وفِعَلاء » بكسر ففتح « وفَعَالاء » بفتح أوله « وفَعِيلاء » بفتح فكسر « وفَاعِلاء » بكسر ثالثه « وأفْعِلاء » بفتح فسكون فكسر .

فالأول : كَتَاسُوعاء وعَاشُوراء .

والثاني : كَمَشْيُخَاء ؛ للشيوخ .

والثالث : ككِبْرِياء وكِيمِيَاء وإيلْياء ؛ لبيت المقدس .

والرابع : كسِيَرَاء ؛ للثياب المخططة ألوانا .

والخامس : كبَرَاسَاء ؛ للناس . يقال : لا أدرى من أى البَرَاسَاء هو ، وبَرَاكاء لمعظم القتال .

والسادس : كبَرِيساء . لغة فى سابقه . وقَرِيثَاء ؛ لنوع من التمر .

والسابع : كقَاصِعَاء ونَافِقَاء ؛ لبابَى جحر اليربوع .

والثامن : كأصْدِقاء وأنْبياء وأرْبِعَاء لليوم الرابع من الأسبوع ، ويضم ثالثه ويفتح .

ومن الأبنية المشتركة بينهما : «فَعْلى» بفتح فسكون «وفُعَلى» بضم ففتح «وفَعَلى» بفتحات «وأَفْعَلاء» بفتح فسكون ففتح .

فالمقصور من الأول : كَسَكْرى ، وشَبْعَى ، وقَتْلى ، وجَرْحَى ، ودَعْوى ، ونَجْوى .

والممدود : كصحْراء وحَمْراء وهطْلاء وطَرْفاء .

والمقصور من الثانى : كأربى للشدائد وأدمى وجُنَفى وشُعبَى لمواضع . ومن كلام جرير :

أعبدا حل فى شُعَبى غريبا ألؤما لا أبالك واغترابا

والممدود : كجُنَفَاء . لغة فى السابق وكُبَراء وعُلَماء وحُنَفَاء .

والمقصور من الثالث : كَمَرَطَى وبَشَكَى وجَمَزَى لسرعة العدو ، وحَيَدى . يقال : حِمار حَيَدَى . أى يحيد عن ظله لنشاطه ، وبَرَدَى لنهر بالشام ، وهو المعنى فى قول حسان رضى الله عنه :

يسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ بردى يُصفَّقُ بالرحيق السَّلسل

والممدود : كقَرَمَاء وجَنَفَاء ، لموضعين . ودَاثَاء للأمة ، وابن داثاء : الأحمق .

والمقصور من الرابع : كأجْفَلَى للدعوة العامة . يقال : فلان يدعو الأجْفَلَى . والجَفَلى بفتحات ، ويقابلها النَّقَرَى بفتحات للدعوة الخاصة ، ولبعض العرب :

نَحنُ فى المشتَّاة نَدْعُوا الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ منا يَنْتَقِرْ

والممدود : كأَرْبِعَاء .

والغرضُ من ذكر هذه الأبنية ، التنبيه على أن لألفى التأنيث أبنية مشتبهة ، بحيث ينبغى عند رؤية بعض الكلمات ، التى يكون آخرها ألفا ، أن يبحث عن كونها ممدودة أو مقصورة ، للتأنيث أو للإلحاق . وهذا الموضع من المواضع الصعبة فى اللغة .

التقسيم الثالث

الاسم إما مجرَّد وإما مزيد ، والمجرد إما ثلاثى أو رباعى أو خماسى ؛ ولكُلٍّ أنواعٌ من الأوزان لم يرد على غيرها .

بيان (أوزان الثلاثى) « فَعْل » بفتح أوّله وسكون ثانيه ؛ أو فتحه أو ضمه أو كسره : كسَهْل وجَفْن وسَيْف وثَوْب ، وكشَرط وحَسَن ، وباب وحَول وكندس ، وعضد ، وكفَرِح وكَتِف .

« وفُعْل » بضم أوّله وسكون ثانيه ؛ أو فتحه أو ضمه أو كسره . كحُسْن ونُعْم ، وكرُطَب وصُرَد ، وكعُنُق وسُبُل ، وكدُئِل ورئِم ، وهو قليل جدا .

« وفِعْل » بكسر أوله وسكون ثانيه ، أوفتحه أوكسره ؛ كذِكْر ونِحْى ، وكعِنَب وقرب ، وكإبل .

« وفِعُل » بكسر أوّله وضم ثانيه غير موجود فى اللغة ؛ فأوزان الثلاثى أحد عشر .

بيان (أوزان الرباعى) « فَعْلَل » بفتح فسكون ففتح ؛ كسَهْلَب وجَعْفَر .

« وفُعْلُل » : بضم فسكون فضم ؛ كبُرْقُع وبُرْثُن .

« وفِعْلِل » : بكسر فسكون فكسر ، كزِبْرِج وجِرْمِل .

« وفِعَلّ » : بكسر ففتح فسكون ، كفِطَحْل وسِبَطْر .

« وفِعْلَل » : بكسر فسكون ففتح ؛ كدِرْهَم وضِفْدَع ؛ فله خمسة أوزان ليس غير .

بيان (أوزان الخماسى) « فَعَلَّل » بفتحتين فسكون ففتحة ؛ كسَفَرْجَل وشمَرْدل .

« وفَعْلَلِل » : بفتح فسكون ففتح فكسر ؛ كقَهْبَلِس وجَحْمَرِش .

« وفِعْلَلّ » : بكسر فسكون ففتح فسكون كقِرْطَعْب وجِرْدَحْل .

« وفُعَلِّل » : بضم ففتح فسكون فكسر ؛ كقُبَعْثِر وقُذَعْمِل ؛ فهذه عشرون صيغة

لم يرد اسم مجرد على غيرها ، فما عداها فمزيد ؛ كمنْطلِقٌ ومُحْرنجم ، وظريف وحُبْلى ، أو ناقص كعُلَبِط بضم ففتح فكسر أصله عُلابِط ، أو أعجمى الوضع كسَمَرْخس وَبَلخش بفتحتين .

والمزيد : كل لفظ قام دليل على أن بعض حروفه ليس أصلا . وأدلة الزيادة تسعة :

الأول سقوط بعض الكلمة من أصلها كضَارِبَ وتَضَارب من الضرب ، فما زاد على الضاد والراء والباء ، التى هى حروف الأصل تحكم بزيادته لذلك .

الدليل الثانى : سقوط بعض الكلمة من فرع كأَسْبَل الزرع ، وحنْظَلت الإبل ، أى خرج سنبل الزرع ، وتأذت الإبل من أكل الحنظل ، فَنُونَا سنبل وحنظل زائدتان ، لسقوطهما فى الفرعين .

الدليل الثالث : لزوم خروج الكلمة عن أوزان نوعها لو حكمنا بأصالة حروفها ، كتَنْضبُ وتَتْفُل بفتح فسكون فضم ، فالتاء فيهما زائدة لعدم هذا الوزن فى الرباعى المجرد .

الدليل الرابع : التكلم بالكلمة أربعة مرة وثلاثة مرة . مثلا : كأَيْطَل وأَطَل .

الدليل الخامس : ورُود الكلمة على صورتين تخرج بإحداهما عن أوزان نوعها ، لو حكمنا بأصالة حروفها دون الأُخرى ؛ فنحكم بالزيادة على كلتا الصورتين لوحدة الكلمة .

الدليل السادس : كون بعض الكلمة دالًا على معنى كأحرف المضارعة .

الدليل السابع : وقوع الحرف من الكلمة الجامدة فى موضع لو كانت الكلمة مشتقة قطعنا بزيادته ، كنون غَضَنْفَر التى هى فى موضع نون جحَنْفَل المحكوم بزيادتها ؛ لسقوطها من أصل الكلمة وهى الجحفلة .

الدليل الثامن : وقوعه منها فى موضع تغلب زيادته فيه من المشتقة ، كهمزة الأفْكل[1] الموازنة للأحمر .

---

(١) الافكل : الرعدة

الدليل التاسع : اختصاص الحرف بموضع لايقع فيه إلا حرفٌ من حروف الزيادة ، كالنون فى كِنْتَأْو وحِنْطَأْ ، وبكسر فسكون ففتح فسكون فيهما .

والأوَّل : يستعمل بالمثناة فوق ، وبالمثلثة : عظيم اللحية .

والثانى : يستعمل بالطاء والظاء : عظيم البطن .

وحاصل ذلك أنك تعرف الزيادة والأصالة بمعرفة الاشتقاق ، فتقول : حروف الأَصل أُصول وماعداها فى الفروع زوائد ، وبضَبطِ الأوزان التى جاءت عليها الألفاظ المقطوع بأَصالة حروفها ، فإذا سمعت لفظًا محتملا للزيادة والأَصالة ، فإن وافق وزن نوعه على تقدير الأَصالة فأَصلٌ ، وإن لم يوافق فزائد . ويكون الحرف الذى تريد الحكم عليه معروف الزيادة ، بطريق الاشتقاق فى كثير من المواضع .

مثلا : همزة إصبع تحكم بزيادتها ؛ لأن الاشتقاق دَلَّ على زيادتها فى أسماء التفضيل ومضارع المتكلم ، وفى الجمع على أفعل ، ثم إن خروج اللفظ عن التجرّد تارة يكون بتكرر بعض أُصوله ، ويسمى : المضعف . ولا يختص التكرر ببعض الحروف دون بعض ، وتارة يكون خروجه عن التجرد بزيادة بعض الحروف ، وذلك مختص بالأَحرف العشرة التى عرفتها سابقًا ، وجمعها ابن مالك فى بيت أربع مرات فقال :

هَنَاءٌ وتَسليم تَـلاَ يومَ أُنْسِـه نهاية مسئول أَمـانٌ وتسهيل

غير أن زيادة الهاء واللام قليلة ، ومثَّلوا لزيادة الهاء بقولهم : إهْراقُ الماء . وبأمهاتٍ فى جمع أُم على خلاف فى هذا .

ومن مثَّل لزيادة الهاء بهاء السكت فى نحو : لِمَهْ ولم تَره وعِهْ . ردَّ عليه بكون الهاء السكتية كلمة مستقلة ؛ ومثَّلوا لِلَّام بطيسل وزيدل . والأَصل طيس ، وهو الكثير وزيد .

ومن مثَّل لها بلام ذلك وتلك ، ردَّ عليه بردِّ هاء السكت .

ولزيادة بقية الأَحرف ضوابط ؛ هى دلائل حاضرة معك ، متى تحققت قطعت بالزيادة وإلَّا رجعت للدلائل السابقة .

وبيان ذلك : أنه متى صحبت الأَلف أكثر من أصلين فهى زائدة ؛ كضارب

وعماد وحُبلى ، ومتى صحبت الواو أكثر من أصلين ، ولم تتصدر ولم تكن كلمتها من باب سِمْسِم فهى زائدة ، كمحمود ، وبُويع ، ومتى صحبت الياء أكثر من أصلين ، ولم تتصدر سابقة أكثر من ثلاثة أُصول ، ولم تكن كلمتها من باب سمسم فهى زائدة ، كيضرب فعلا ويَرَمْعُ[1] اسما ، ومتى سبقت الميم أكثر من أصلين فهى زائدة ؛ كمحمود ومنطلق ومسجد ومفتاح . ومتى سبقت الهمزة أكثر من أصلين أو تأخرت مسبوقة بألف مسبوقة بأكثر من أصلين فهى زائدة ؛ كاحفظ فعلا وأفضَل اسما مشتقًا ؛ وإصبَع اسمًا جامدًا ؛ وأفْلُس فى جمع فلْس وكحمراء وصحراء .

ومتى تطرفت النون مسبوقة بألف مسبوقة بأكثر من أصلين ؛ كسَكْران وعثمان ، أو توسطت ساكنة غير مضعفة أربعة أحرف ؛ كغَضَنْفَر وقُرنْفل ، أو كانت فى باب الانفعال ، كانطلاق ومُنْطلق ، أو بدأت المضارع فهى زائدة .

ومتى كانت التاء فى باب التَّفَعُّل ؛ كالتَّفَهُّم أو التَّفعلُل كالتَّدحْرُج أو التفاعُل كالتعاون أو الافْتِعال كالاقتراب ، أو الاستفعال كالاسْتِخراج ، وهو الموضع الذى تقطع بزيادة السين فيه ، أو كانت التاء فى التَّفْعِيل أو التِّفعال ، أو كانت للتأْنيث أو بدأت المضارع فهى زائدة .

التقسيم الرابع

الاسم إن كان آخره ألفا سمى : مقصورا . وإن كان آخره همزة بعد ألف زائدة سمى : ممدودًا . وإن كان آخره ياء مكسورًا ماقبلها سمى : منقوصًا . وليس فى الأسماء ما يكون آخره واوًا مضمومًا ماقبلها .

وألف المقصور : إما أصل بدل من واو ؛ كعَصًى وقَفًا بدليل عصوته وقَفَوته ،

---

(١) اليرمع : حجارة رخوة

أو من ياء كفَتًى ورحًى .

وإما زائدة للتأنيث ، كحُبلى وذِكْرى ، أو للالحاق كذِفْرى وأرْطَى على ما سبق .

وهمزة الممدود إما أصل : كقُرَّاء ووُضَّاء من قرأ ووضأ .

وإما بدل : من أصل واو أو ياء : ككساء من الكسوة وَوِلَاء من الولى .

وإما بدل : من زائدة للتأنيث : كحمراء وصحراء أو اللالحاق كعُلْباء الملحق بزيادة الياء المبدلة همزة بقرطاس من الصحيح .

التقسيم الخامس

الاسم إما مفرد وإما مثنى ، وإما جمع تصحيح للذكور ، وإما جمع تصحيح للإناث ، وإما جمع تكسير : تارة يكون مشتركا ، وتارة يكون مختصًا ، كما ستقف عليه عند تفصيله .

فالمثنى : اسم مشترك بين شيئين تزيد بعده ألفًا ونونًا في حال ، وياءً ونونا في حال ؛ ليدل على اثنيْن أو اثنتيْن .

وأما جمع تصحيح الذكور ، فهو اسم مشترك بين ثلاثة أشياء فأكثر ، تَزيدُ بعده واوًا ونونًا في حال ، وياءً ونونًا في حال ؛ ليدل على أكثر من اثنين .

وأما جمع تصحيح الإناث ؛ فهو اسم مشترك بين ثلاث إناث أو أكثر ، تزيد بعده ألفا فتاء ؛ ليدل على أكثر من اثنتين .

وأما جمع التكسير ، فهو اسم مشترك بين أكثر من شيئين تغيره إلى صورة من الصور الآتي بيانها ؛ ليدل على أكثر من شيئين .

الكلام على المثنى : الاسم الذي تريد تثنيته إن كان مقصورًا ؛ فإن زاد على ثلاثة أحرف وجب إبدال ألفه ياء ؛ كحُبْلَيَان ومُصْطَفَيَان . وإن لم يزد فإن كانت ألفُه بدل واو ، عادت الواو كعَصَوَان وقَفَوَان .

وإن كانت بدل ياء عادت الياء كفَتَيَان ورَحيَان ، ويعرف ذلك بالتَّتبُّع .

وإن كان الاسم ممدودًا ؛ فإن كانت همزته للتأنيث ، أبدلت واوًا ؛ كحمْراوان وصَحْراوان .

وإن كانت أصلا لم تبدل كقَرّاءان ووضاءان ، وإن كانت غير ما ذكر جاز إبدالها واوًا والأحسن إبقاؤها ؛ فتقول : عِلْباوان وكِساوان مثلا ، والأحسنُ عِلْباءان وكِساءان .

وإن كان الاسم غير ما ذكر فتحت آخره فقط ؛ كَزَيْدان وقاضِيان ؛ والنون التي تزيدها للتثنية مكسورة .

الكلام على جمع تصحيح الذكور

الاسم الذى تريد جمعه إن كان مقصورًا حذفت ألفه ، وإن كان ممدودًا عملت به عملك بالمثنى ، وإن كان منقوصًا حذفت ياءه وضممت آخر ما بقى مع الواو وكسرت مع الياء ، كما هو الحال فى بقية الأسماء غير المقصورة ، ولا يجمع هذا الجمع إلّا الأسماء الخالية من تاء التأنيث ، والتركيب من أسماء الذكور العقلاء أو أوصافهم الواردة على غير «أَفعل فَعْلاء» بالفتح والمد «وفَعْلان فَعْلَى» بالفتح والقصر ، وليست من الأوصاف التى يستوى فيها المذكر والمؤنث .

الكلام على جمع المؤنث السالم

تعامل الأسماء فى هذا الجمع معاملتها فى التثنية ، وصورة المفرد عند زيادة الألف والتاء بعده ؛ لتقوم صيغة هذا الجمع محفوظة ، لايعرض لها تغير إلا فى الأسماء ذوات التاء ، فإنها تحذف تاؤها وإلّا فى الأسماء الثلاثية الساكنة العين ، التى لم تكن عينها مضعفة ولا حرف علة ، فإنها إذا كانت مفتوحة الفاء وجب فتح عينها عند الجمع ، كخَطْوة وخَطَوات ، وجَفْنة وجَفَنات ، ووَثْبة ووَثَبات ، ودَعْد ودَعَدات . وإذا كانت مضمومة الفاء جاز فى العين ثلاثة أوجه : الضم والتسكين والفتح . إلّا إذا كانت لام الكلمة ياء ؛ فإنه يمتنع ضم العين ، ويجوز الوجهان الآخران فتقول فى جمع غُرْفة وخُطوة ، غُرفات وخُطُوات بالأوجه الثلاثة ، وفى جمع زبية : زُبْيات بتسكين

الياء وفتحها لابضمها ، وإذا كانت مكسورة الفاء جاز فى العين ثلاثة أوجه أيضا: الكسر والتسكين والفتح ، إلّا إذا كانت لامها واوًا ، فإنه يمتنع الكسر فتقول فى جمع كِسْرة: كِسرات بالأوجه الثلاثة ، وفى جمع ذِرْوة : ذِرْوات بالتسكين والفتح .

تنبيه : المراد بالاسم فى أبواب الجموع ما قابل الصفة ، فنحو ضَخْمة بفتح الضاد وسكون الخاء صفة من الضَّخَامة إذا جمعتها قلت : ضَخْمَات بسكون الخاء لاغير لما عرفت من أن فتح العين إتباعًا لفتح الفاء إنما هو فى الأسماء كجفْنَة وشَرْبة .

الكلام على جمع التكسير

هو نوعان: جمع قلة يستعمل فى العشرة فما دونها إلى الثلاثة .

وجمع كثرة : يستعمل فى الثلاثة فما فوقها إلى غير نهاية .

ولِكُلٍّ صيغٌ منها ما كَثُر واشتهر ، ومنها ما قلّ وندَر . والمقصود فى هذا الباب ضبط الكثير المشتهر ، لتقليل الانتشار وسهولة الحفظ .

صيغ جمع القلة هى أربع :

« أَفْعِلَةٌ » : بفتح فسكون فكسر .

«وأَفْعَال» : بفتح فسكون .

«وأَفْعُلٌ» : بفتح فسكون فضم .

« وفِعْلَة » : بكسر فسكون .

الصيغة الأُولى : تكون جمعًا لكل اسم مذكر رباعى قبل آخره مدة ؛ كطَعام وأَطْعِمةُ ، وجراب وأَجْرِبَة ،وغُراب وأَغْربة ، ورغيف وأَرْغفَة ، وسَرير وأَسْرِرة ، وعمود وأَعْمِدة .

وما كان من أسماء هذا النوع الذى يجمع هذا الجمع مفتوح الفاء أو مكسورها مضعفًا أو معتل اللام ومدّته ألف لم يكن له جمع غير هذا ؛ كبتَات وأبتّه ، وكزمَام وأَزمّة ، وكقَبَاء وأقبية ، وكإناء وآنِية .

صيغة أَفْعَال : تكون جمعًا لكل اسم ثلاثى على أى صورة إلّا ما كان منها

موازنا لفُعَل بضم ففتح ، فإن هذه الصيغة فيه قليلة والكثير غيرها ، كما سيأتى التنبيه عليه ، وإلا ماوازن فَعْلا بفتح فسكون ، وصحَّت عينه ولم تكن فاؤه واوا ولم يكن مضعفًا كفَلْس وكَلْب ؛ فإن هذه الصيغة لاتكون جمعًا له إلا نادرًا جدًا كقوله :

ماذا تقول لأفراخ بذى سلم (1) ؟ .

وما عدا هذين النوعين من الأسماء الثلاثية فتلك الصيغة فيه : إما لازمة ، وإما أكثر من غيرها ، كبيت وأبيات ، وثَوْب وأثواب ، ووقْتٌ وأوقات ، وجدٌ وأجْداد .

صيغة أفعُل : تكون جمعًا لنوعين من الأسماء . أحدهما : كل اسم موازن لفَعْل الذى سبق أنه لا يجمع على أفعال ؛ ككَلْب وأكْلُبٌ ، وفَلْس وأفْلُس ، وجرو وأجْرٍ وظَبىٌ وأظْبٍ ، وماكان من هذا النوع واوى اللام ، أو يائيها تكسر عينه فى الجمع ، وتحذف لامه إن وليها ساكن ، كما رأيت فى أجرٍ وأظْبٍ .

وثانيهما : كل اسم مؤنث رباعى قبل آخره مدّة ، كعَنَاق بفتح أوَّله ، وأعْنُق وذِراع بكسر أوَّله على لغة تأنيثها . وأذْرُع ولِسانٌ كذلك وألْسُن ، وعُقَاب بضم أوَّله وأعقُب ، ويَمين وأيْمُن .

صيغة فِعْلَة : هى من النوادر لكونها لم ترد إلا فى أسماء معدودة ، وإنما ذكرت لاستيفاء جموع القِلَّة سُمِع : صِبْيَة فى جمع صَبِىّ وصَبِيَّة ، وفِتْية فى جمع فَتًى ، وغِلْمة فى جمع غُلام ، وغِزْلة فى جمع غَزَال ، وثِيَرَة فى جمع ثَوْر ، وشيخَة فى جمع شيخ ، وثُنْية فى جمع ثِنْى بضم المثلثة أو كسرها وسكون النون ، وهو الثانى فى السيادة .

---

(1) هذا صدر بيت للحطيئة . وعجزه : زغب الحواصل لا ماء ولا شجر .
وقد روى صدره على هذا النحو :
ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ .. الخ

(صيغ جموع الكثرة هي سبع عشرة)

الصيغة الأُولى : فُعْل بضم فسكون تكون جمعًا ، لكل صفة توازن أفْعل أو فَعْلاء ؛ كأَحْمَر وحَمْراء وحُمْر ؛ فإن كانت عين الكلمة ياء ؛ كأَبْيض وبَيْضاء كسرت فاء الجمع كبِيض وغِيد .

الصيغة الثانية : فُعُل بضمتين تكون جمعًا ؛ لنوع من الأسماء ونوع من الأوصاف .

فالأول : كل اسم رباعي قبل آخره مدّة ، ولم تكن لامه حرف علة ، ولم يكن مضعفًا ومدته ألف ، كحِمار وحُمُر وأتان وأُتُنُ ، وسرير وسُرُر ، وعَمُود وعُمُد .

والثاني : كل وصف على وزن فعُول بمعنى فاعل ؛ كصَبُور وصُبُر ، وصدُوق وصُدُق .

الصيغة الثالثة : فُعَل بضم ففتح تكون جمعًا ؛ لنوع من الأسماء ونوع من الأوصاف .

فالأول : كل اسم على وزن فُعْلة بضم فسكون ، كبُرْمة وبُرم ، وقُرْبة وقُرب ، وغُرْفة وغُرَف .

فإن كانت لام الكلمة واوًا أو ياء ، أبدلت ألفا في الجمع ، كربوة ورُبًى ، وزبية وزبى ، ومُنْية ومُنًى .

والثاني : كل صفة على وزن فُعْلى بضم فسكون في تأنيث أفْعل للتفضيل ؛ كالكُبْرَى والكُبَر ، والدُّنيا والدُّنا والعُلْيا والعُلا ، والقُصْوَى والقُصَى ، بحذف ألف التأنيث وإبدال الألف من الواو والياء .

الصيغة الرابعة : فِعَل بكسر ففتح وتكون جمعًا ؛ لكل اسم يوازن فِعْله بكسر فسكون ؛ كقِرْبة وقِرَب ، ودِيمَة ودِيَم .

وربما نابت هذه الصيغة عن سابقتها ونابت سابقتها عنها ، كصورة وقوّة بالضم وصُورٌ وقُوى ، وكحِلية ولِحْيَة بالكسر ؛ وحُلى ولُحًى بالضم .

الصيغة الخامسة : فُعَلَة بضم ففتح تكون جمعًا لوصف عاقل على وزن «فاعل» منقوص، وتقلب الياء فيها ألفا ؛ كداع ودُعاة ، وراو ورُواة .

الصيغة السادسة : فَعَلَة بفتحات تكون جمعًا لفاعل وصف عاقل صحيح اللام ؛ فإن كانت عينه معتلة أبدلت ألفا مثل ؛ كامل وكملَة ، وبَائِع وباعة .

الصيغة السابعة : فَعْلَى بفتح فسكون وألف التأنيث المقصورة تكون جمعًا لكل وصف فيه معنى الآفة أو الهلاك ؛ كمريض ومَرْضَى ، وأسير وأَسْرى ، وشتيت وشَتَّى ، وجريح وجَرْحَى ، وأحمق وحمْقى ، وسَكْران وسَكْرى ، وقتيل وقَتْلَى ، وهالك وهَلْكى ، وزَمِنٌ وزَمنى ، وميّتٌ ومَوْتَى ؛ ولكون عتيق يقع فى مقابلة أسير قيل فى جمعه : عَتْقَى .

الصيغة الثامنة : فِعَلة بكسر ففتح تكون جمعًا لاسم صحيح اللام يوازن فُعْلا بضم فسكون ، كدُرْج ودِرَجة ، وكُوز وكِوزة ، وحُب وحببة .

الصيغة التاسعة : فُعَّل بضم أوله وفتح ثانيه مشددًا تكون جمعًا لكل وصف مذكر أو مؤنث صحيح اللام يوازن « فاعِلا » كعاَذِل وعاَذِلَة وعُذَّل ، وصائم وصائمة وصُوَّم .

الصيغة العاشرة : فُعَّال بضم أوله وتشديد ثانيه ، وبعده ألف تكون جمعًا لمذكر الصيغة الماضية ؛ فله صيغتان .

الصيغة الحادية عشرة : فِعال بكسر أوّله تكون جمعًا بكثرة لثمانية أنواع :

أحدها وثانيها : فَعْل وفَعْلة بفتح فسكون اسمين أووصفين ، ليست عينهما ياء إمثل ، كَلْب وكَلْبة وكِلَاب ، وصَعْب وصَعْبة وصِعاب ، وتبدل الواو ياء كثَوْب وثِياب.

وثالثها ورابعها : فعَل وفَعَلة بفتحات اسمين صحيحى اللام ، ليست عينهما ولامها من جنس مثل ، جَمل وجمَال ، ورَقَبة ورقَاب .

وخامسها : فِعْل بكسر اسما كقِدْح وقِداح ، وذِئْب وذِئَاب ، ونِهْى ونِهَاء .

وسادسها : فُعْل بضم فسكون اسما صحيح اللام ؛ كرُمح ورماح ، وجُب وجِباب .

وسابعها وثامنها : فَعِيل وفَعِيلَة ، وصْفَى باب كرُم صَحِيحى اللام ؛ كظَرِيف وظَرِيفة وظِراف . وتلزم صيغة « فِعَال » فيما عينه واو من هذا النوع ، فلا يجمع على غير هذه الصيغة ، كطَوِيل وطَوِيلَة وطِوَال .

وشاعت هذه الصيغة أيضا فى كل وصف على « فَعْلان » بفتح فسكون للمذكر « وفَعْلى » للمؤنث « وفُعْلان » بضم فسكون له . « وفَعْلَانة » لها كغَضْبان وغَضْبَى وغِضَاب ، وعَطْشَان وعَطْشَى وعِطَاش ، وكخَمْصَان وخَمْصَانَة وخِمَاص .

الصيغة الثانية عشرة : فُعُول بضمتين تكون جمعًا لخمسة أنواع من المفردات :

النوع الأوّل : فَعِل بفتح فكسر مثل ؛ كَبِد وكُبُود ، وكرِش وكُرُوش .

النوع الثانى : فَعْل بفتح فسكون بشرط أن يكون اسما لا وصفًا ، وأن لا تكون عينه واوًا ، كفَلْس وفُلُوس ، وقَلْب وقُلُوب ، وبَيْت وبُيُوت ، ودَلْو ودُلِيّ ، ونَهْى ونُهِيّ ؛ وفى مثل هذين تقلب واو « فعول » ياء وتدغم فى الياء ؛ لقاعدة : متى اجتمع واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء ، ويدغم الأوّل فى الثانى فلا يجمع الوصف كصَعْب ، ولا واوى العين كحَوْض على هذه الصيغة إلّا نادرًا .

النوع الثالث : فُعْل بضم فسكون بشرط أن يكون اسما ، وأن لا تكون عينه واوًا ، وأن لا تكون لامه ياء ، وأن لا يكون مُضَعَّفا مثل جُنْد وجُنُود ، وبُرْد وبُرُود فلا يجمع على هذه الصيغة وصف كَحلْو ، ولا واوى العين كحُوت ، ولا يائى اللام كمُدْى لنوع من المكاييل ولا مضاعف كخُفّ .

النوع الرابع : فِعْل بكسر فسكون بشرط أن يكون اسما كقِرْد وقُرُود وحِمْل وحُمُول ، ونِحْى ونُحِيّ ، ونِهْى ونُهِى لغة فى النهى مفتوح الأول اسم للنهر الصغير . وتلحظ فيه وفى أمثاله قاعدة الواو والياء ، فلا يجمع على هذه الصيغة وصف كحِلف

النوع الخامس : فَعَل بفتحتين بشرط أن يكون اسما ، وأن لا يكون مضعفًا

كَأَسد وأُسُود ، وذَكَر وذُكُور ، ورَحًى ورُحِىّ ، وعَصَى وعُصِىّ ، وكل ماتصرفت فيه بقاعدة الواو والياء يجوز كسر أوّله اتباعا لثانيه ، لتخفيف النطق فتقول : عِصى بكسر العين ورِحى ودِلِىّ كذلك ، فلا يجمع على هذه الصيغة ، الوصف منه كَحسَن وبَطَل ، ولا المضعف كَلَبَبَ وعَدَدَ .

الصيغة الثالثة عشرة : فِعْلَان بكسر فسكون تكون جمعًا لأربعة أنواع من المفردات :

النوع الأوّل : فُعال بضم أوله ، كغُلام وغِلْمَان ، وغُراب وغِرْبان ، وقُراد وقِرْدان .

النوع الثانى : فُعَل ، بضم ففتح ، كصُرَد وصِرْدان لطير . وجُرَذ وجِرْذان ، لنوع من الفأر . وغلب الاكتفاء بهذه الصيغة فى جمع هذا النوع عن صيغة « أفعال » التى هى جمع القلة لغالب الثلاثيات .

النوع الثالث : فُعْل بضم فسكون واوى العين ، كحُوت وحِيتَان ، ونُون ونِينَان ، وكُوز وكِيزَان .

النوع الرابع : « فَعَل » بفتحتين واوى العين أيضا ، كقاع وقِيعان ، وبَاب وبيبان . ولحركة الواو وفتح ما قبلها فى هذا النوع تُبدل ألفا بحكم قاعدة : متى تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا .

الصيغة الرابعة عشرة : فُعْلان بضم فسكون تكون جمعًا لثلاثة أنواع من المفردات :

النوع الأوّل : فَعْل بفتح فسكون بشرط أن يكون اسما لاصفة ، كبطْن وبُطْنان ، وسَيْف وسُوفَان ، وتبدل الياء واوًا لأجل الضمة .

النوع الثانى : فَعيل بشرط أن يكون اسما أيضا مثل كثيب وكُثْبان ، وغَدِير وغُدْران ، وقَضِيب وقُضْبان .

النوع الثالث : فَعَل بفتحتين بشرط أن يكون اسما صحيح العين ، كحَمَل وحُمْلان ، وذَكَر وذُكْران .

الصيغة الخامسة عشرة : فُعَلاء بضم ففتح تكون جمعًا لنوع واحد من المفردات ، وهو فَعِيل من أوصاف الفاعلين ، بشرط أن لا تكون عينه واوًا ، وبشرط أن

لا يكون معتل اللام، وبشرط أن لايكون مضعفًا . نحو : بَخِيلٌ وبُخَلاء ، وكَرِيمٌ وكُرماء ، ونَبيهٌ ونُبهَاء . وحمل عليه مِنْ فاعِلٍ مادل على ما يشبه المطبوع ، كصَالِح وصُلَحاء ، وفاسق وفُسَقَاء ، وعاقل وعُقَلاء .

الصيغة السادسة عشرة : أَفْعِلاء بفتح فسكون فكسر تكون جمعا لنوعين :

أحدهما : فَعِيل المضعف ، كَخَلِيل وأخلَّاء ، وجَلِيل وأجلَّاء ، وذَلِيل وأذِلَّاء ، وعَزِيز وأعزَّاء .

وثانيهما : فَعِيل معتل اللام ، كنَبِيٌّ وأَنْبياء ، وتَقِيٌّ وأَتْقِيَاء ، ووَلِيّ وأَوْلِيَاء .

الصيغة السابعة عشرة : صيغة تُسمَّى صيغة منتهى الجموع ، والجمع الذى لا نظير له فى الآحاد .

وذلك أن صيغ الجموع ربَّما جعلت مفردات وجمعت ، فيكون جمعها جمع الجمع ، كأفْرَاس جمعُ فَرَس يجمع على أفارس . وحينئذ يكون لكل صيغة من الصيغ السالفة نظير من المفردات . مثلا : غِرْبان جمع غُراب نظيره فى المفردات سِرْحان اسما للذئب ، وحُمْر جمع أحمر نظيره فى المفردات قُفْل وهكذا . وهذه الصيغة لاتجمع ، وليس لها فى المفردات نظير ، ولذلك منعت الصرف كما تعرفه فى علم النحو .

ثم إن هذه الصيغة تكون على أوزان شتَّى ، وضابطها أنها متحصلة من خمسة أحرف ، إذا لم يكن قبل آخر المفرد حرف لين ، وإلا كانت ستة أحرف : حرفان متحركان بعدهما ألف وبعد الألف حرف مكسور ، وآخر الصيغة أو بينها ياء ساكنة كصَيْرَف وصَيارِف ، وفِرْعَوْن وفَراعين .

تفصيل أوزانها

الوزن الأوَّل : « فواعِل » يكون جمعًا لستة أنواع من المفردات :

النوع الأوَّل : فَوْعَل كجَوْهَر وجَوَاهر ، وجَوْرَبْ وجَوَارب ، وصَوْمَعَة وصَوَامِع .

النوع الثانى : فَاعَل بفتح ثالثه ، كطابَع وطَوابِع ، وخاتَم وخوَاتِم ، وقالَب وقَوالِب .

النوع الثالث : فَاعِلاء بكسر ثالثه ؛ كقاصِعاء وقَواصِع ، ونَافِقَاء ونَوافِق ، وراهِطاء ورواهط اسماء أبواب جُحْر اليربوع .

النوع الرابع : كل اسم غير صفة يوازن «فَاعلا» مثل ؛ كَاهِل وكَوَاهِل ، وعامر وعوامِر ، وجابر وجَوَابِر .

النوع الخامس : أوصاف الإناث الموازنة لفاعِلْ مختتمة بالتاء أولا ، كحائض وحوائض ، وفارك وفَوارك ، وهي المبغضة لزوجها ، وصائمة وصَوائِم ، وقَائمة وقَوائِم .

النوع السادس : أوصاف غير العقلاء الموازنة لفاعل : كصَاهِل وصَوَاهِل ، ونَاهِق ونَواهِق .

الوزن الثاني : من أوزان صيغة منتهى الجموع «فَعَائِل» بفتح أوَّله وكسر ثالثه . يكون جمعا لكل اسم مؤنث قبل آخره مدَّة مختتم بالتاء ؛ كسَحابة ومَسحَائِب ، ورِسَالة بكسر أوَّله ورَسَائِل ، وذُؤابة بضم أوله وذَوائِب ، وحَمُولة بفتح أوله وحَمَائِل وفَعِيلَة بفتح أوله كصَحيفة وصَحَائف ، وخَميلة وخَمَائِل ، وتجمَع الأوصاف الموازنة «لفَعِيلة» بهذه الصيغة ؛ كعَقِيلَة وعَقَائل ، وكَريمة وكرائم ، إن لم تكن بمعنى مفعول كجريحة وقتيلة .

الوزن الثالث : «فَعَالى» بفتح أوَّله وكسر رابعه وآخره ياء ، وتبدل الياء ألفا فى البعض ، فيفتح ما قبلها ضرورة ، وقد التزمت الهيئة الأُولى فى بعض المفردات ، والتزمت الثانية فى بعض آخر ، وورد كل منهما فى بعض ثالث ؛ فأنت بالخيار بينهما . فمما التزمت فيه الأُولى حِذْرِيَة بكسر فسكون فكسر فهاء خفيفة ، اسم للقطعة الغليظة من الأرض والأكمة ، فجمعها حذَارى لا غير ، وسِعْلاة بكسر فسكون اسم ساحرات الجن فجمعه سَعَالِى ، وعَرْقُوة بفتح فسكون فضم فواو خفيفة كتَرقُوة فالجمع عَراقِى وتَراقِى ، والعَرْقُوة : هى الخَشَباتُ التى تُجعل للدلاء من فوق ، يُربط فيها الرشاء . والتَّرقُوة : العظم الذى يلى العنق إلى الكتف من أعلى الصدر . ومما التزمت فيه الثانية كل وصف على «فَعْلَان» للمذكر «وفَعْلَى» للمؤنث كسَكْران وسَكْرَى وسُكارَى ؛ وغَضْبان وغَضْبى وغِضَابَى ، وعَطْشَان وعَطْشَى وعِطَاشَى .

ومما ورد فيه كل منهما كل اسم على وزن «فَعْلاء» كصحْراء فتقول : صَحارِى بالكسر والياء ، وصحارَى بالفتح والألف .

وكل اسم على وزن « فَعْلَى » بفتح فسكون كعَلْقَى اسم نبت فتقول : عَلَاقٍ وعلاقَى .

وكل اسم على وزن « فِعْلَى » بكسر فسكون كِذْفرَى :اسم للعظم خلف أُذن الناقة ، فتقول : ذَفَارِى وذَفَارَى .

وكل وصف على وزن « فُعْلَى » بضم فسكون لمؤنث غير أفعل كحُبلى فتقول : حَبالِى وحَبَالَى .

الوزن الرابع : « فُعالَى » بضم أوَّله وآخره ألف يكون جمعًا «لفَعْلَان وفَعْلَى» كسكران وسَكْرى وسُكارَى ، وهو أرجح من المفتوح .

الوزن الخامس : « فَعالِىّ » بفتح أوله وكسر رابعه وتشديد الياء يكون جمعًا لكل اسم مختوم بياء مشددة تُشبه ياء النسب ليست له مثل كُرْسِىٌّ وكَراسِى : وكَرْكِىّ وكَراكِىّ .

* * *

خاتمة فيها مسائل

المسألة الأولى : اعلم أن صيغة منتهى الجموع ، إنما يجمع بها من الأسماء مازاد على ثلاثة أحرف من الأسماء : الرباعية ، والخماسية ، والسداسية ، والسباعية ، وحيث كانت غير ممكنة فيما زاد على أربعة أحرف ، وجب أن ترد مازاد على الأربعة إليها ؛ ليمكنك أن تجمعه بهذه الصيغة .

ولذلك تفصيل حاصله ؛ أن الاسم إذا كان خُماسيًا مجردًا وجب حذف خامسه ؛ كسفَرْجل وسَفَارج : وإن كان خماسيًا بزيادة حذف الزائد إلا إذا كان لينًا قبل الآخر ؛ فإنه يبدل ياء ويبقى ؛ كغَضَنْفَر وقرنْفُل ، وغَضَافر وقَرافِل ، وكفِرْعَون وفَراعين ، وغُرينق وغَرانيق ، وكِرْباس وكرابيس ، وعُصفور وعصافير .

وإن كان اسمًا مشتملا على زيادتين أو أكثر ، حذفت باختيارك من الزوائد مايكون الباقي بعده صالحا لأن يجمع بهذه الصيغة ، إلا إذا كان أحد الزائدين ذامزية ، بحيث يكون دالا على معنى محققًا لصيغة ، أو كان حذفه مخرجًا للكلمة عن النظائر ، فتقول في عَلَنْدَى وسرندى مثلا : علاند وعَلَادٍ ، وسراند وسرادٍ .

وتقول في مُستَدع ومُقْتدَر : مَداعِي ومُقادِر ، وفي نحو : استخْراج تخَاريج على وزن تماثيل ، فلا تحذف التاء وتبقى السين لخروجه بذلك عن النظائر ، وإلا إذا كانت الكلمة كحَيْزَبُون وعَيْطَبُول ، فإن الواجب حذف الياء دون الواو فتقول في جمعه : حزابين وعطابيل .

ومما علمت في هذا الموضع تعرف سائر أوزان صيغة منتهى الجموع ، فتقول في جمع جَعْفَر مثلا : جَعَافِر . وزنُه فَعَالِلَ ، وفي جمع أفضل : أَفَاضِل ، وزْنُه أفاعل .

وفى جمع مَسْجِد: مَسَاجد . وزنه مَفَاعِل . وبالتفكر لا يخفى عليك اعتبار ذلك .

المسألة الثانية : قد تَتَفَصَّلُ آحاد النوع جملا ، وتتصنف أصنافًا ، فيستعمل جمع فى كل جملة ، فإذا أردت أن تدل على تلك الجمل جمعت الجمع .

مثلا إذا كانت لزيد جِمَال بخاتية ، وجِمَال مصرية ، وجِمال شامية قلت : جِمالُ زيد المصرية ، وهو جمع جَمَل . وقلت : أحصيتُ جِمَالاتِ زيدٍ وهو جمع جِمال الذى هو جمع جَمل . وهذا ضابط جمع الجمع ، فإذا لم تتفصل الآحاد جُمَلا لم يصح أن تجمع الجمع ، وذلك أن الجمع يقتضى ثلاثة أفراد ، والجمع الأصلى مستغرق لجميع الآحاد ، فمن أين يجىء مفرد ثان وثالث ، حتى تأتى بجمع الجمع مالم تتفصل الآحاد جُمَلاً؟ .

وتأمل قوله تعالى : (ترْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ * كأنه جِمَالَتٌ صُفْر) [سورة المرسلات :٣٢و٣٣] ، فإنه لو قال : كأنه جمال . لم يفد كون الشرار يخرج جماعة جماعةً ، فكان جمع الجمع لازمًا لإفادة هذا المعنى .

وعلى هذا الحد تعتبر جمع الجمع فى نحو : بيوتات العرب ، ورجالات قريش ، وأفارس العسكر ، وهكذا .

المسألة الثالثة يقولون : جمع ، واسم جمع ، واسم جنس جمعى .

والفرق بين هذه الأنواع الثلاثة : أن الجمع هو ما يعتبر فيه تفصيل الاحاد ، بحيث يكون الحكم منصرفا لكل واحد .

فإذا قلت : رِجَالُ البلد قائلون . فمعناه ، كل رجل منهم قائل ، وأن اسم الجمع هو ما وضع للجملة من غير تفصيل الاحاد ، فيكون الحكم منصرفًا للمجموع مثلا تقول : ارْتَحل قومُ فلان وحَلُّوا بكذا ، ورَكْبُ هؤلاء أحسن من رَكْب أولئك . وأن اسم الجنس الجمعى : هو ما وضع لماهية بشرط أن يستعمل فى جماعة جماعة من آحادها إلى الجميع ، فإذا أردت به واحدا ألحقتهُ التاء للفرق . كتمر وتَمْرة ، وقمح وقَمْحَة . وتُثَنِّى ذا التاء إذا أردت اثْنَتَيْن ، وكما يُجمع الجمع ، يُجمع اسْمُ الجمع ،

وأسماء الأجناس الجمعية ؛ للاختلاف وتعدد الجماعات فتقول : الأقْوام والتُّمور والأعْنَاب . والتَّثنية كالجمع عند الحاجة فتقول : قَوْمانا مُؤتَلِفان ، ومدينةُ كذا يوجد فيها تمرَان أحدُهما أحلى من الآخر .

المسألة الرابعة : المركبات الإضافية التى جعلت اسماء ، تُجمع أجزاؤها الأُوّل كما تثنى فتقول : عبْدُ الله ، وعُبْدانُ اللهِ ، وعِبَاد الحقِّ ، وذُوو القعدةِ والحِجَّة ، وأذْوَاء القعدة وذَوَاتُ القعدة .

وماكان من الأسماء ؛ كابن عُرس ، وابن آوى ، وابن لَبُون يقال فى جمعه : بنات عُرس ، وبَنَات آوى ، وبَنَات لَبُون .

والمركبات المزجية ، والمركبات الإسنادية ، والمثنى ، والجمع ، إذا جعلت أسماء جئت بذو وثنيت أو جمعت حسب حاجتك فتقول : ذو معدى كرب ، وذَوُو بَعْلَبكْ ، وأذواء سيبويه ، وهكذا .

المسألة الخامسة : الأسماء التى حذف منها لتصح صيغة منتهى الجموع ، يجوز أن يُزاد قبل آخرها ياء ساكنة فى الجمع ؛ لتكون عوضًا عن المحذوف .

المسألة السادسة : صيغة منتهى الجموع تلحقها تاء تأنيث ، وهى على ثلاثة أصناف :

أحدها : تاء تجعل عوضًا عن الياء ، التى قبل آخر الجمع بعد حذفها تقول فى مثل قناديل : قَنَادِلَة .

وثانيها : تاء تلحق جمع المنسوب ؛ للدلالة على أن الجمع له لا لأصله ، كالأَشَاعِثة والأَزَارِقَة ، والمهَالِبة فى جمع أشعثى نسبة إلى أشعث ، وأزرقى نسبة إلى الأزرق ، ومهلبى نسبة إلى المُهَلَّب .

فلو كان الجمع للأشعث والأزرق والمهلب قلت : المهَالِبُ والأزارق والأشاعث ، دون تاء .

وثالثها : تاء تزاد لإلحاق الجمع بمفرد؛ كصيارفة فى جمع صَيْرف ، وصياقلة فى جمع صَيقل لإلحاقه بكراهِية وطواعِية ، وما أُدخلت فيه التاء من هذه الجموع ، ينصرف بعد أن كان ممنوعًا من الصرف ، وربما لَحِقَت التاء بعض صيغ الجموع لتحقيق معنى الجمعية كالتاء فى : حِجارة جمع حَجَر ، وفُحولة ، وعمُومة ، وخُؤولة جَمْعُ فَحْل وعم وخَال .

فالأصل : حِجار كجبال ، وفُحول وعُموم وخؤول .

المسألة السابعة : تبين لك أن النوع الواحد من المفردات ، قد يعتوره صيغتا جمع أو أكثر مثل : كَامِل وكَمَلَة بفتحتين ، وكُمَّل بضم أوله وفتح ثانيه مشددا . ومثل فَحْل وفِحال ، وفُحُول وفُحْلان ، وأَفْحُل . هذا مقتضى ماتقدَّم من توزيع صيغ الجموع على أنواع المفردات .

ولكن حيث كنت مريدًا أن تتكلم باللغة العربية كما نطق بها أهلها ، فواجب عليك أن تبحث عن الصيغة التى نطقوا بها ، فتارة تجدهم نطقوا بالصيغتين للمفرد الواحد ، وتارة تجدهم اقتصروا على إحداهما ، فتنطق كما نطقوا . وقد سبق التنبيه على أن هذه الضوابط ، إنما هى للتقريب والتسهيل وإلاَّ فالسماع لازم .

ولذلك ترى أصحاب كتب اللغة يذكرون المفرد ويعقبونه بذكر جمعه ، وإن كان من المشاهير تنبيهًا على أنّه المنطوق به للعرب .

* * *

التقسيم السادس :

الاسم : إما مكبر وهو المنطوق به على صيغته الوضعية ، وإما مُصَغَّر وهو المحوَّل إلى إحدى الصِّيغ الآتى بيانها ، لغرض الدلالة على حقارة قدر مسماه ، أو صِغَر حجمه أو قربه مكانًا أو زمانًا .

وربما استُعملتْ الصيغة للتّلطف والتّملح أو فظاعة المسمى ونكارته ؛ كرُجيْل وجُبيْل ودُويَنْ وقُبيْل وحُبيْب وَدُوَيْهِيَة .

بيان الصيغ هى ثلاث : «فُعَيْل» بضم أوّله وفتح ثانيه وزيادة ياء ساكنة ، تسمى ياء التصغير لتصغير الثلاثيات .

« وفُعَيْعل ، وفُعَيْعيل » بضم ففتح فزيادة تلك الياء وكسر ثاليها ، ولأجل الكسرة تبدل الألف والواو الواقعتان بعدها ياء فى تصغير الأسماء الزائدة على ثلاثة أحرف ، وللتصغير أحكام ولنوردها فى مسائل :

المسألة الأُولى : الحرف الثانى من أحرف الاسم الذى تريد تصغيره ، إن كان ألفا مبدلة من واو أو مبدلة من همزة لوقوعها ساكنة بعد همزة مفتوحة ، أوكانت زائدة أوأصلية مجهولة لم يعلم أنها بدل عَمّاذا ، أوكان ياء مبدلة من واو ، وجب أن تنطق به عند التصغير واوا ، كَبَاب وبُوَيْبْ ،وكآدم وأُوَيْدِم . أصلها أءدم بهمزتين ؛ لكونه وصف المذكر من الأُدْمة ومؤنثه أدْماء . ونحو . ضارب وضُوَيْرب ، وكَاهِل وكُوَيْهل ،وعاصم وعُوَيْصِم ، وجَامُوس وجُوَيمِس . ونحو : صَاب وصُوَيْب

اسم شجر مر ، وعاجَ وعُوَيْج اسم عظم الفيل . ونحو: قِيمة وقُوَيْمة ، ودِيمة ودُوَيْمة ، و ميزان ومُوَيزين .

وإذا كان ذلك الحرف ألفا مبدلة من ياء أو واوًا كذلك نطق به عند التصغير ياء . كَنَاب ونُيَيْب ، ومُوقِن ومُيَيْقِنْ ، ومُوسِر ومُيَيْسِر ، من اليقين واليسار .

وإذا كان ذلك الحرف ياءمبدلة من همزة ، ردّ فى التصغير همزة ؛ كذئب وذُؤَيْب .

وإذا كان ياء بدل حرف صحيح رُد لأصله ، كدينار وَدُنَيْنير وقِيراط وقُرَيْريط ودِيوان ودُوَيْوين ، فإذا كان ذلك الحرف ياء أصلية ، فالأفصح إبقاؤها فى التصغير .

وفى لغة رديئة إبدالها واوًا ، وعليه قول العامة : شُوَيَّة فى تصغير شيء ، فتقول على الفصيح : بيت وبُيَيْت .

وفى الأسماء : حُيَيٌّ بن أخطب ، ويشارك التصغير فى غالب ما سلف ، وما سيأتى جمع التكسير . ولذلك اشتهر أن التصغير والتكسير يردان الألفاظ إلى أصولها .

ألا ترى أنك تقول فى جمع باب : أبواب . كما قلت فى تصغيره : بُوَيْب . وعليك باعتبار ذلك .

المسألة الثانية : الحرف التالى لياء التصغير ، إن كان ياء مشددة حذفت أولاهما لتوالى الأمثال ، تقول فى تصغير صَبِىّ وصَبِيّة : صُبَىٌّ وصُبَيَّة .

وإن كان ألفا أو واوا ساكنة ، أبدل ياء كمَقَام ومُقَيِّم ، وعَجُوز وعُجَيِّز .

وإن كانت الواو متحرّكة جاز إبقاؤها ، والأفصح إبدالها ياء ، فتقول فى تصغير أسود وجدول : أُسَيْود وجُدَيْول . والأفصح : أُسَيِّد وجُدَيِّل إذا لم تكن الواو المتحركة لام الكلمة ، وإلا وجب إبدالها ياء كَدَلْو ودُلَية ، وكروان وكُرَيَّان .

المسألة الثالثة : الحرف التالى لياء التصغير ، إن كان بعده تاء تأنيث أو ألفه أو مدّته أو ألف « أفْعَال » جمعًا أو مدة « فَعْلان » الذى لم يجمع على « فَعالين » كسَراحين : يجب فتحه وإلاَّ جرت عليه حركات الإعراب فى الصيغة الأُولى ، وكُسِر فى الصيغة الثانية ، ولأجل كسرته إذا كان بعده ألف أو واو قلبت ياء فتقول : فُوَيْطِمة وحُبَيْلى وحُمَيْرَاء وأُجَيْمال وسُكَيْران ، وتقول : رُجَيْل . تجرى على اللام حركات الإعراب . وتقول : جُعَيْفِر ، ودُنَيْنِير ، وعُصَيْفِر بالإبدال .

المسألة الرابعة : متى زاد الاسم الذى تريد تصغيره على أربعة أحرف ، وجب حذف الزائد ورده إلى الأربعة ؛ لتمكن صيغة التصغير على التفصيل ، الذى سبق فى صيغة منتهى الجموع ، إلا إذا كانت الزيادة ألف التأنيث الممدودة ، أو تاءه أو ياء نسب ، أو زائدى .

نحو : زَعْفَران ، أو عَلَم تَثْنية ، أو عَلَمَ جمع تصحيح للذكور أو الإناث ، أو جزءًا ثانيًا من المركب المزجى ، فإنك لا تحذفها ؛ لكونها فى تقدير الانفصال وكأنها كلمات مستقلة ، والتصغير وارد على ما قبلها .

وأما ألف التأنيث المقصورة إذا لم تكن رابعة ، فإن كانت سادسة أو سابعة حذفت ، وإن كانت خامسة فإن لم تسبقها مدّة فى الاسم ى هى فيه بحذفها تصلح الصيغة حذفت أيضا ، وإلا فأنتَ بالخيار بين حذف المدّة السابقة وإبقاء ألف التأنيث ، وبين حذف ألف التأنيث وإبقاء المدّة .

نحو : حُبارى . فلك أن تقول : حُبَيِّر . بحذف ألف التأنيث وإبقاء المدّة ، التى هى الألف المبدلة ياء لأجل ياء التصغير ، وأن تقول : حُبَيْرِى . بحذف المدّة وإبقاء الألف[1] .

المسألة الخامسةُ : إذا كان الاسم الذى تريد تصغيره باقيًا على حرفين ، يحذف أحد حروفه كعِدَة أصلها وعَد ، وسِنَة أصلها سَنَوة أو سَنَهة ، وشَفَة أصلها شَفَهة ويَدٌ أصلها يَدى . رددت المحذوف ليمكن التصغير فتقول : وُعَيْدَة وسُنَيَّة ، أو سنيهة وشُفَيْهة ، ويُدَيّة ودُمى .

وإذا كان على حرفين وضعًا وجعلته اسما ، فإن كان ثانيه صحيحًا ضعفته بزيادة حرف من جنس ثانيه أو كَمَّلْتَه بياء ، فتقول فى تصغير هل : هُلَيْل أو هُلَيّ .

وإن كان ثانيه حرف علة كَمَّلته بحرف من جنسه كَلَوْ وكَىْ وما ، فتقول : لُوَىّ بإبدال الواو ياء ، وكُيَىّ ومُوَىّ .

المسألة السادسة : الأسماء المؤنثة الثلاثية ، ولو حال التصغير الخالية من علامة التأنيث ، إذا صغرتها ألحقتها تاء التأنيث إلا إذا حصل لبس ، فتقول : دُوَيْرة وسُنَيْنَة ، ويُدَيَّة ، وعُيَيْنة ، وأُذَيْنَة ، ولا تقول : شُجَيْرَة لا لتباسه بتصغير شجرة .

---

(١) كذا فى الأصل . ولذلك يكون المرصفى قد خالف النحـــويين الذين يرون ان « حبارى » إذا حذفنا المدة التى تسبق ألف التانيث ، قلنا « حبيرى » أما اذا حذفنا ألف التانيث قلنا : « حبيـر » حيث نقلب المدة ياء وندغمها فى ياء التصغير . وابن مالك يقول :

وعند تصــغير حبــارى خير بين الحبيرى فــادر والحبيـر

وكان (أبو عمرو) يقول حبيرة ، ويجعل الهاء بدلا من ألف التانيث التى حذفت .

(المحقق)

وأنت تريد تصغير شجر ، ولا تقول : خُميسة لالتباسه بتصغير خَمْسة وأنت تريد تصغير خمس . وقد شذَّ التجريد من التاء فى بعض الأسماء نحو : قُويس ونُعَيل : وشذَّ إلحاق التاء بغير الثلاثى ، فقالوا فى تصغير أَمَام ، ووَرَاء ، وقُدَّام : وُرَيِّئة وأُمَيِّمة بتشديد الياء فيهما وقدُيِّديمة .

المسألة السابعة : قد يقتصر من الاسم على أُصوله ويصغر ويسمى : تصغير الترخيم . فتقول فى تصغير إِزْوَاد : زُوَيْد ، وفى تصغير مِعْطَف : عُطَيف ، وفى تصغير حَمَّاد وحِمْدان وحمدون ومحمود ومحمد : حُمَيد . والاعتماد فى بيان المراد على القرينـــة .

المسألة الثامنة : يتبين لك مما سلف أن التصغير خاص بالأسماء المتمكنة ، لا يكون فى الأفعال ، ولا فى الحروف ، ولا فى الأسماء المبنية . وشذ تصغير أَفْعَل فى التعجب ، وتصغير أسماء الإشارة ، وبعض الأسماء الموصولة ؛ فسمع : ذَيَّا وتَيَّا واللتيَّا بفتح أوائلها ، وأُوليَّاء بضم أوله قالو بعد اللُّتَيَّا والَّتِى . أى بعد الصغيرة والكبيرة وقال :

يَامَا أُمَيْلِح غِزْلانًا شدَنَّ لنَـــا مِنْ هَؤُلَيَّائِكنَّ الضَّال والسَّمرِ

* * *

النسب [1]

المنسوب : اسم قبيلة أو قطر أو بلد أو غير ذلك ، تزيد بعد آخره ياء مشددة ؛ ينتقل إليها الإعراب ولأجلها يكسر آخر الاسم ؛ لأن المجموع صار كلمة واحدة ؛ كنِذَارِىٌّ ومُضَرِىّ وحِجَازِىٌّ وشَامِىٌّ ومِصْرِىٌّ ودِمَشْقِىٌّ وقُطْنِىٌّ وشَادِىٌّ .

وبذلك العمل يصير الاسم وصفًا يُنعتُ به ، ويَعْمل عمل الأوصاف كما يتبين فى النحو .

وللمنسوب أحكام نوردها فى مسائل :

المسألة الأولى : الاسم الذى تريد أن تَنْسِبَ إليه إذا كان آخره ياء مشددة ، فإذا كانت مسبوقةً بحرف واحد ، فتحتَ الياء الأولى ورددتها لأصلها إن كانت منقلبة عن واو وقلبت الياء الثانية واوًا مطلقا ، فتقول فى النسبة إلى حىّ : حيوىٌّ وإلى طَىٍّ ، ولَىّ مَصْدَرَىْ طَوى ولَوَى : طَووِى ولووىٌّ .

وإذا كانت مسبوقة بحرفين خففتها وقلبتها واوا ، وفتحت ثانى الاسم ، فتقول فى النسبة إلى عَلِى وعَدِى وقُصَى بضم أوّله : عَلَوى وعَدَوىٌّ وقُصَوِىٌّ .

وإذا كانت مسبوقة بثلاثة أحرف فأكثر ، فإن كانت زائدة حذفتها كلمةً واحدة ، فتقول فى النسبة إلى شافعىٌّ : شافعىٌّ . حذفتَ ياء الاسم ، ووضعت مكانها ياء النسب .

---

(١) هذا العنوان لم يرد فى الأصل فقد جاء الحديث مباشرة بعد التصغير عن النسب • وقد آثرت أن أميز هذا الباب بعنوانه

(المحقق)

وإذا كانت قائمة من أصلى وزائد كَمَرْمِى اسم مفعول أصله مَرْمُوى ، فالياء لام الكلمة والواو زائدة قُلبت ياءً كما هو القاعدة فى مثله ، فالأحسن أن تحذف كسابقه ، وفى لغة تحذف الياء الزائدة وتقلب الأصلية واوًا فتقول على الأول مَرْمِىٌّ ، وعلى الثانى : مَرْمَوِىٌّ .

المسألة الثانية : الاسم إذا كان مقصورًا أو منقوصًا .

فمتى جازت ألف الأول ، أو ياء الثانى أربعة أحرف حُذفتا ، ومتى كانتا ثالثتين قلبتا واوا وفتح ماقبلها ، فتقول فى المصطفى اسم مفعول ، والمصطفى اسم فاعل : مصطفى. وتقول فى النسبة إلى العصا والرَّحا : عَصَوِى وَرَحَوِى ، وإلى الشَّجا : شَجَوِى.

ومتى كانتا رابعتين فالأفصح حذف الياء ، كقَاضِىٌّ وقالىٌّ . ويجوز قلبها واوا فيفتح ما قبلها كقاضَوِىٌّ وقَالوِىٌّ . وأما الألف فإذا كانت ألف تأنيث ، ولم يسكن ثانى الاسم الذى هى فيه حُذفت أيضا ، فإن سكن فالأحسن الحذف ويجوز قلبها واوًا . والك زيادة ألف قبلها ، فتقول فى النسبة إلى نحو حُبلى : حُبْلِىٌّ وحُبْلَوِى وحُبْلاوى . وإذا كانت الألف لإلحاق كلمة بكلمة أُخرى كلفظة أرطى ، التى أصلها أرط فزيدت فيها الألف لإلحاقها بجعفر أو كانت الألف أصلية ، كَمعلى ومرمى فالأحسن فيهما القلب واوًا فتقول : أَرْطَوى ومَعْلَوى . ويجوز الحذف فتقول : أَرْطَىّ ومَعْلِىٌّ .

المسألة الثالثة : الاسم إذا كان مختومًا بتاء التأنيث حذفت ، فتقول فى النسبة إلى فاطمة : فاطِمىّ . وإذا كان نحو : طيب ونير حذفت الياء الثانية ، فتقول : طِيبِىٌّ ونِيرِىٌّ بياء واحدة ساكنة . وعليه فكان حق النسبة إلى طَيِّء طَيْئِىٌّ ؛ لكنهم شذُّوا فقالوا : طائى . وإذا كان الاسم على وزن «فُعيْلة» بضم ففتح فسكون نحو : جُهَيْنة ومُزَينة حُذفَت ياؤه ، فقيل : جُهَنى ومُزَنِى .

وإذا كان على وزن فَعِيلة بفتح فكسر فسكون ، ولم يكن واوى العين ولا مضاعفا

حذفت ياؤه وفتحت عينه ، فتقول فى النسبة إلى حنيفة : حَنَفِيٌّ . وفى النسبة إلى طَويلة وجليلة : طَويلى وجليلى دون تغيير .

المسألة الرابعة : المركبات الإسنادية المسمى بها نحو : تأبط شرًا ، وبرق نحرُه ، وجاد الحق ، والمركبات المزجية ، والمركبات الإضافية ، إذا نسبت إليها حذفت أعجازها ، واقتصرت على صدورها ناسبًا لها ، فتقول : تَأَبَّطِيّ وبَرَقِى وجَادِيّ .

ونقول : بَعْلِى فى النسبة إلى بعلبك ، ومَعْدِىّ وقَالِىٌّ فى النسبة إلى معدى كرب وقالى قِلى . وذُو الياء كمعدى وقالى من المنقوص ؛ فإذا كانت الياء رابعة فحكمها ما مر فى المنقوص ، ويستثنى من المركب الإضافى الكُنَى والأعلام الغالبة . وما يكون فيه المضاف لفظًا واحدًا ، أُضيف إلى أشياء كثيرة على البدل ؛ كأبى بكر ، وأبى طالب ، وأم كلثوم ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمر ، وعبد الأشهل ، وعبد قيس . فإنهم نسبوا فى هذه المواضع إلى الأعجاز ، وحذفوا الصدور ، وقالوا : بَكْرِىّ وطَالِبِىٌّ وكلثومى وعبّاسِىّ وهكذا . وربما نحتوا من المضاف والمضاف إليه اسمًا على وزن « فَعْلَل » بفتح الفاء وسكون العين ، وفتح اللام الأُولى ؛ كحَضْرَم فى حَضْرَمَوت وعبْشَم من عبد شمس ، وعبقَس من عبد القيس ، ومرقس من امرىء القيس الشاعر .

فقالوا : الشعر المرقسى أوّل ما يستجاد من شعر العرب ، وقال الشاعر :

وتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيـــةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَ قبلى أسيرًا يَمانِيًا

المسألة الخامسة : الاسم إذا كان على وزن « فُعِل » بتثليث أوّله وكسر ثانيه ، كدُؤِل بضم أوّله وإبل ونمر بفتح أوله ، وجب عند النسبة إليه فتح عينه ، فتقول : دُؤَلى بفتح الهمزة ، وإبَلى بفتح الباء ونمَرِىٌّ بفتح الميم .

المسألة السادسة : المنسوب إليه إذا كان ممدودًا ، فإن كانت ألفه للتأنيث قلبت واوًا ، فتقول : حَمْراوِىّ ، وخَضْراوى ، وصَفْراوىٌّ . وإذا كانت الهمزة بدلا عن أصل نحو : كسَاء أصله كِسَاوٌ من الكسوة أو مزيدة بإلحاق الكلمة بكلمة أُخرى ؛ كعلباء أصْلُه عِلب زيدت المدة لإلحاقه

بقرطاس فلك قلب الهمزة واوًا وإبقاؤها ، فتقول : كِساويٌ وعِلباويٌ ، وكسائى وعِلْبائى .

وإذا كانت الهمزة أصلية ؛ كقُرَّاء ووُضَّاء بقيت الهمزة ، فتقول : قُرَّائِيٌّ ووُضَّائِيٌّ .

المسألة السابعة : المنسوب إليه إذا كان اسما ثلاثيًا حذف منه حرف فى الاستعمال .

فإذا كان المحذوف لامه ، فإن عُهِد ردُّهُ فى تَثْنِيَةٍ أو جمع تصحيح وجب ردّه فى النسب ؛ كأب وأخ . قِيلَ فى تَثْنِيَتِهِ : أبوان وأخوان . فينسب إليه بالردّ فيقال : أبَوِى وأخَوِى ، وكسنة وعِضَة : قالوا فى الجمع : سنَوات وعِضَوات وسَنَهات وعِضَهات على اللغتين ؛ فتقول فى النسب : سَنَوِىٌّ وعِضَوِىٌّ ، أو سَنَهِىٌّ وعِضَهِىٌّ وإنْ لم يعهد ردًا للام فى التثنية ، وجمع التصحيح نحو : ثُبة جاز الردّ وعدمه فتقول : ثُبِىٌّ وثُبَوِىٌّ . إلا إذا كانت عينه معتلة ، فإنه يجب الرد أيضا فتقول فى النسبة إلى شاة وذى بمعنى صاحب : شاهى وذَوَوِىٌّ ، ومن قال فى يد ودَم : يدَان ودَمَان جاز عنده الردّ والحذف . ومن قال : يديَان ودميَان وجب عنده الرد .

ويجب فتح عين هذه الأسماء عند ردّ لاماتها وتكون كالثلاثيات المقصورة فى قلب ألفها عند النسبة واوًا .

والنسبة لأُخت كالنسبة لأخ وبنت كابن ، فتقول : أَخَوِىٌّ وبَنَوِىٌّ بفَتح أولهما وثانيهما . وما كان كابن واسم محذوف اللام معوّضًا عنها همزة الوصل ، يجوز ردّ لامه وحذف الهمزة ، ويجوز عكسه . وكلتا مثل : كلا . واثنتان كاثنان ، فتقول : كَلَوِىٌّ بفتح اللام ، وثَنَوِىٌّ بفتح النون .

وإذا كان المحذوف الفاء فإن كانت اللام صحيحة لم يرد المحذوف . تقول فى النسبة لِعدة وزِنة : عِدِى وزنىّ . وإن كانت معتلة كشِيَة ودية ردت فتقول : وَشَوِىٌّ بفتح أوله وثانيه .

وإن كان المحذوف العين فإن كانت لامه صحيحة لم ترد نحو : مذ أصلها منذ ينسب إليها مُذِىٌّ .

وإن كانت اللام معتلة ردّت العين ، فتنسب إلى مُرْاسم فاعل من أرى فتقول : مُرْئِىٌّ .

المسألة الثامنة : إذا كان المنسوب إليه ثنائيا وضعًا ، فإن كان ثانيه صحيحًا نحو : كم ولم . جاز تضعيفه عند النسب إليه ، وإبقاؤه على صورته ، فتقول : كَمِىٌّ ولَمِىٌّ . بالتشديد والتخفيف . وإذا كان ثانيه معتلا ، وجب تضعيفه ، فتقول فى النسبة إلى لا وما : لَائِىٌّ ومَائِىٌّ .

وفى النسبة إلى كى : كَيَوِىٌّ كالنسبة إلى حى . وفى النسبة إلى لَوْ : لَوَوِىٌّ كالنسبة إلى الدوّ .

المسألة التاسعة : إذا نسبت إلى الجمع أعدته إلى لفظ المفرد ، ونسبت إليه فتقول فى النسبة إلى أجمال : جملى . إلّا إذا صار الجمع بمنزلة المفرد لاستعماله استعمال الأسماء كالأنصار ، فإنه ينسب إليه على لفظه ، فتقول : أنصارىٌّ ، أو لكونه لا واحد له كعباديد .

المسألة العاشرة : قد نسبوا فى الحرف بلفظ على وزن « فَعَّال » فقالوا : حدَّاد ونجّار وبزّاز من البز وهو الأقمشة . وربما استعمل مع فَعَّال النسب الأصلى ، فقالوا لبائع العطر : عَطَّاروعِطْرى . وهذا كثير . واستعملوا أيضا وزن « فَاعِل » . وهو قليل ، فقالوا : لَابِنٌ وتَامِرٌ . أى ذو لبن ، وذو تمر . وأقل منه وزن « فَعِل » بفتح فكسر .
قال الشاعر : ولستُ بلَيْلِىٍّ ولكننى نَهِرٌ (١)

أراد لست ممن كسبه بالليل فأنسب إليه ، ولكن كسبى بالنهار ، فقوله : نَهِرٌ . كقوله : نَهَارِىٌّ .

---

(١) روى المرصفى الشعر على هذا النحو . ولكنه روى فى كتاب سيبويه والاشمونى على النحو التالى :

لست بليلى ولكنى نهر ... لا ادلج الليل ولكن ابتكر

متى أر الصبح فانى انتشر

(المحقق)

الخاتمة

فى أمور لا تخص [1] بعض أنواع الكلمة

الأمر الأوَّل : أحكام الوقف وهو قطع النطق عند آخر الكلمة ؛ إما لتمام الكلام أو للاستراحة إذا وقفت على الضمائر المتصلة نحو : لهُ وبهِ وغلامهُ حذفت الواو والياء وسكنت الهاء إذا لم يكن قبل الضمير ساكن موجود أو محذوف ، وإلَّا جاز لك حذف الواو والياء وإبقاؤهما . نحو : منهُ وإليهِ وادعُه وارمِه . ولا تحذف الألف من نحو : بهَا وغلامُهَا ، وإذا وقفت على المُنَوَّنات حذفت تنويناتها ، إلَّا إذا كان التنوين بعد فتحة ، فإنه يبدل ألفا ، وإذا كان آخر الموقوف عليه ألفاً وقفت على ألفه ، وألحقوا إذا الناصبة للمضارع أحيانا بالمُنوّن المفتوح ، فأبدلوا نونها ألفًا ، وإذا وقفت على المنقوص ، فإذا لم يكن منصوبًا ولا محذوف الفاء كيَفِي مُسَمًّى به ، ولا محذوف العين كمُرْ اسم فاعل من أرى فإن كان منونًا فالأحسن حذف يائه ، وإن لم يكن منونًا فالأحسن إثباتها .

وفى المنصوب وما بعده يجب الإثبات ، وإذا وقفت على متحرك غير تاء تأنيث سكنته وهو الفصيح فى اللغة . وبعض العرب يميل بالحرف نحو الحركةِ ميلًا خفيفًا ، ويسميه العلماء : رَوْما .

وبعضهم إذا وقف على المضموم ضم شفتيه ومدّهما ويسمونه : اشمامًا . وبعضهم يشدّد الحرف الموقوف عليه ويسمى : تضعيفًا ، ومحل ذلك إذا لم يكن همزة ولا واوًا ولا ياء ولا ألفا ، ولم يكن ماقبله ساكنًا وبعضهم ينقل غير الفتحة من الحرف

---

(١) الكلمة جنس تحته انواع ثلاثة : الاسم والفعل والحرف . ولما لم يتناول المرصفى أحد هذه الأنواع على حدة ، فقد نبه على ذلك فى هذه الخاتمة التى خصصها للحديث عن احكام الوقف والابدال والادغام والفك . ونقل الحركات من مواقعها . وهي أمور تتعلق ببنية الكلمة .
(المحقق)

الصحيح لسابقه الساكن الذى يمكن تحريكه ، ولم يثقل بالتحريك إذا لم يؤدّ النقل إلى صيغة لا نظير لها ، ويغتفر ذلك إذا كان الموقوف عليه همزة ، كما ينقل الفتحة من الهمزة ؛ ونقل الحركة للمتحرك السابق بعد سلب حركته لغةٌ لَخْمِيّة ، بقيت فى لسان أهل مصر ، فيقولون فى الوقف على كُتُبِه بكسر الباء : كُتُبُه بضمها . وإذا وقفت على تاء التأنيث المتصلة بالأفعال أو الحروف أو فى أُخْت وبِنْت ، لم يتغير لفظها إلا بتسكين المتحرك منها ، فتقول : ثُمَّتْ ورُبَّتْ وأُختْ وبنتْ بسكون التاء ، كما تقول : قَالَتْ .

وإذا وقفت على التاء من جمع المؤنث السالم وما أشبهه ؛ فالأحسن إبقاؤها تاء ساكنة والأحسن فى غير ذلك إبدالها هاء . وإذا وقفت على الفعل المحذوف اللام للجزم أو البناء أو على ما الاستفهامية المخفوضة ، يجب حذف ألفها عند ذلك أو على مبنى على حركة ، وليس فعلا ماضيًا ، ولا اسم لا ، ولا منادى ، ولا قبل وبعد وما أُلحق بهما ؛ جاز لك أن تقف على أواخر هذه الكلمات بالسكون ، وجاز لك أن تجتلب هاء ساكنة تسمى : هاء السكت . إلا مع ما الاستفهامية المخفوضة بالاسم فإنه يجب ، وإلا مع الفعل المحذوف اللام والفاء جميعًا فإنه يترجح ، حتى قيل بوجوبه فى المضارع ، كلم يع ولم يقِ ، ويجب فى الأمر كقِهْ وعِهْ .

الأمر الثانى : من الأمور التى لا تخص بعض أنواع الكلمةَ الإبدال : وهو جعل حرف مكان حرف جعلا ملتزمًا ، وسببه التخفيف ولطافة الألفاظ .

والإبدال وإن سبق (التنبيه) عليه فى كثير من المواضع ، إلا أنه يحتاج لضبط واستيفاء ؛ لتكون على بصيرة من أُصول الألفاظ ، وما آلت إليه إذْ هو ركن عظيم من أركان الصرف .

* * *

الإبـدال[1]

اعلم أنه قد وقع الإبدال فى لغة العرب على نوعين : نوع شائع مطرد فى اللغات وهو المراد بالبيان والشرح فى هذا الموضع . النوع الآخر : مختص ببعض اللغات يطلع عليه فى كتب اللغة ، وليس يحتاجه من يريد معرفة الفنون العربية ، لأجل أن ينطق بالنطق الصحيح ويأمن الغلط فى شائع الحديث ، إذ المهم للطالب أن يعرف الأمور الكثيرة الاستعمال ، التى تستوفى معظم أحوال الكلام .

ثم الأحرف التى يكون فيها التبادل تسعة يجمعها قولك : « هدأت موطيا » . ومن هذه الأحرف ما يكون بدلا عن غيره ويكون غيره بدلا عنه[2] كما ستطلع عليه إن شاء الله تعالى .

حرف الهاء : تكون بدلا من تاء التأنيث فى الوقف كما سلف بيانه ، وربما نطقوا بها بدلا من الهمزة ، فقالوا فى أراق الماء : هرَاق . وفى آتِى : هَاتِى . وذلك مقصور على ماسمع منه .

حرف الهمزة : الهمزة تكون بدلا عن غيرها على سبيل الوجوب فى خمسة مواضع ، وعلى سبيل الجواز فى مواضع يأتى الإلمام بها .

الموضع الأوّل : من مواضع الوجوب الواو والياء إذا وقعتا طرفين بعد ألف زائدة وجب إبدالهما همزة ، نحو كِسَاء من الكسوة ، وسماء من السمّو ، ودعاء من دعَوْتُ ، وظِبَاء جمع ظَبْى ، ودِلَاء جمع دَلْو .

---

(١) هذا العنوان ليس فى الأصل . وقد وضعناه لنميز به هذا الفصل عن غيره .

(٢) حذفنا هنا التكرار الذى لا داعى له

(المحقق)

الموضع الثانى : الواو والياء من اسم فاعل الفعل الأجوف ، فإحداهما مبدلة ألفا يجب إبدالهما همزة ، كقال فهو قائل ، وباع فهو بائع .

الموضع الثالث : المدَّة الثالثة الزائدة فى المفرد إذا جمعته بصيغة منتهى الجموع ، يجب إبدالها همزة ، نحو : قِلادة وقَلَائد ، وصَحيفة وصحائِف ، وعجُوز وعَجَائز .

الموضع الرابع : إذا اجتمع في الكلمة واوان ، أو ياءان ، أو ياء وواو ، وجمعتها على صيغة منتهى الجموع ، وجب إبدال الثانية منهما همزة ، كالأوائِل فى جمع أول ، والنَّيائِف فى جمع نَيِّف ، والسَّيائد فى جمع سيد .

الموضع الخامس : الواوان إذا اجتمعتا فى أول الكلمة ، وتحركت ثانيتهما أو سكنت وكانت أصلية وجب إبدال أُولاهما همزة ، فتقول فى واصلة إذا صغرتها أُوَيْصِلة ، وإذا جمعتها أواصل قال الشاعر :

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إلىَّ وَقَالَتْ   يا عَدِيًّا لقَدْ وَقَتْكَ الأَواقِى

جمع واقية أى حافظة .

وتكون الهمزة على سبيل الجواز بدلا من واو مضمومة ضمًّا لازمًا غير مشددة كوُجُوه وأُجُوه ، ووقوت وأُقوت ، وأَدْوُر وأَدْؤُر ، وأَنْوُر وأَنْؤُر فى جمع دار ونار ، وقَؤُول وصَؤُول صيغة مبالغة ، من قال وصال . وصُؤُولٌ وغُؤُورٌ ، مصدرى صال وغار . وخُؤُول جمع خال .

وكذلك تكون بد لا من ياء بعد ألف وقبل ياءٍ مُشدَّدة كَغَائِيّ فى النسبة لغاية ، ورائِيٌّ فى النسبة لراية .

وكذلك تكون بدلا عن واو مكسورة فى أول الكلمة ، كإشَاح وإفادة وإسادة ، فى وشاح ووفادة ووسادة .

وجاءت الهمزة بدلا من الهاء فى ماء ، لتصغيره على مُوَيْه ، وجمعِهِ على أمْواه .

تنبيه : إنما تبدل الهمزة من الواو والياء نطقًا ، بعد ألف صيغة منتهى الجموع ،

إذا لم يكن لام الكلمة همزة أو واوًا أو ياء ، وإلا نُطِقَتْ بالواو فى جمع مثل هراوة ، وبالياء فى جمع مثل خطيئة وهدية ومطية ، وتبدل لام الكلمة ألفا فيها ؛ فتقول : هَراوًا وهَدايا وخطايا ومطايا . ذلك أمر لازم لا يصح النطق بغيره .

حرف الياء : تكون بدلا عن الألف فى موضعين :

الموضع الأول : إذا وقعت بعد كسرة ، كما فى جمع مِصْباح وقنطار على مَصَابيح وقنَاطِير ، وكما فى تصغيرهما .

الموضع الثانى : إذا وقعت بعد ياء التصغير ، كما فى غزال وغُزَيِّل .

وتكون بدلا عن الواو فى عشرة مواضع :

الموضع الأول : أن تقع متطرفة إثر كسرة ، ولا يمنع من كونها طرفًا وقوع تاء التأنيث أو ألفه أو مدّته ، أو ألف ونون زائد تين بعدها نحو ، رَضِىَ من الرضوان ، وقوى من القوّة ، والغازى والداعى ، من غَزَوْتُ ودَعَوْتُ .

الموضع الثانى : أن تقع عينًا لمصدر فعل أُعلّت فيه ، وقبلها كسرة وبعدها ألف ، كصِيام و قيام لصام وقام ، وانقياد واعتياد من انقاد واعتاد .

الموضع الثالث : أن تقع عينا لجمع قبلها كسرة وبعدها ألف إذا صحت فى المفرد . فإذا أُعلت فيه لم يشترط الألف كَديمة من الدوام ، وقيمة من يقوم ، وحِيلة من يَحُول فجمعه دِيَم وقِيَم وحِيَل ، وكحَوْض وثَوْب جمعه حياض وثياب .

هذا إذا لم تعتل لام الكلمة ، وإلا لم تبدل الواو ياء تقول فى جمع جَوّ جواء .

الموضع الرابع : أن تقع طرفًا رابعة فصاعدا نحو : أعطيت وعَاطَيْتُ وتَعاطَيْتُ ، وما تصرف منها .

الموضع الخامس : أن تقع ساكنة غير مشددة ، إثر كسرة نحو : ميزان من الوَزن ، وميقات من الوقت ، وإيصاء من الوصية .

الموضع السادس : أن تقع لا ما لوصف على وزن « فُعْلى » بضم الفاء : كدُنْيا من الدُّنُوّ ، وعُلْيا من العُلُوّ .

وخالف أهل الحجاز فى قُصْوَى[1] . وتميم يقولون : قُصْيَا على حكم القاعدة .

الموضع السابع : أن تجتمع مع الياء ، ويكون السابق ساكنًا واجب الوجود فى كلمة واحدة . كسَيِّد من السُّؤدد ، وعلى من العُلُوّ ، وعُصَى ، وكطَىْ من طَويت ، ولَىْ من لَويت ، وطَيَّان وليان .

الموضع الثامن : أن تقع لام مفعول لفعل مكسور العين ، كرَضِى فهو مَرْضِى .

الموضع التاسع : أن تقع لاما لجمع على « فُعُول » كعُصِىّ ودُلِىّ أصلهما عصوو ودلوو جمع عَصَا ودَلْو[2] .

الموضع العاشر : أن تكون عينا لجمع على « فُعَّل » بضم أوله وتشديد ثانيه كصُيَّم ونُيَّم . وذلك إبدال جائز والتصحيح أفصح كصُوَّم ونُوَّم .

حرف الواو : يكون بدلا من الألف إذا اقتضى الحال ضم ماقبلها كبُويِع مجهول بايع ، وضُوَيْرِب مصغر ضَارب . ويكون بدلا عن الياء فى أربعة مواضع :

الموضع الأول : أن تقع بعد ضمة كمُوقِن من اليقين ، ومُوسِر من اليسار ، إلا إذا كانت الكلمة جمعًا لنحو : أبْيَض فإن الياء تبقى ، ولأجلها تبدل الضمة كسرة ، فتقول : بِيض بكسر الباء .

الموضع الثانى : أن تقع لام كلمة بعد ضمة ، مثل نَهُو من النُّهْيَة ، وقَضُوَ المحوَّل من قَضَى يَقْضِى للتعجب وإلْحاقه بالطبائع .

الموضع الثالث : أن تقع لَامًا لاسم على وزن « فَعْلَى » بفتح الفاء كتَقْوَى وفَتْوَى .

الموضع الرابع : أن تقع عينا لاسم على وزن « فُعْلَى » بضم الفاء ووافق حكم الاسم ، وهى الصيغة التفضيلية كطُوبَى من الطيب ، والكُوسَى من الكياسة .

حرف الألف : تكون الألف بدلا عن الواو والياء إذا تحركتا تحرّكا أصليا ،

---

(١) قول الحجازيين « قصوى » شاذ قياسا فصيح استعمالا .

(٢) حذفنا هنا التكرار الذى لا داعى له .

(المحقق)

وانفتح ماقبلهما من كلمتهما وتحرّك مابعدهما إن كانتا غير لام كلمة ، وإلا فالشرط أن لايقع بعدهما ألف ولا ياء مُشَدَّدة . ولا يبدلان إذا وقعتا عينا فى فَعِل الذى مصدره على فَعَل بفتحتين . وكذا فى مصدره نحو : غيد غَيَدا ، وعَوِرَ عَوَرًا . ولا تبدل الواو إذا كانت عينا لافتعل الدال على التفاعل نحو : اجتَورُوا واشتَورُوا ، واعتَورُوا . ولا يبدلان أيضا إذا وقع بعدهما حرف أعلّ بإعلالهما ، كالهوَى والجوَى .

وكذلك إذا وقع بعدهما زيادة تخص الاسم ، كالألف والنون من الجوَلان والطَوَفان والهَيَمان ، والألف فى نحو : صَوَرَى وحَيَدَى بفتحات .

حرف التاء : تكون التاء بدلا من الواو والياء ، إذا وقعتا فاء لصيغة افتعل . نحو : اتَّقَى ، واتكَّلَ ، واتَّسرَ . أصله اوْتَقَى ، واوْتَكَلَ ، وايْتَسَر .

حرف الطاء وحرف الدال : يكونان بدلا من تاء الافتعال كما سبق تفصيله .

حرف الميم : يكون بدلا من نون ساكنة ، وقعت قبل باء .

الهمزة : إذا وقعت بعد همزة فى آخر الكلمة قلبت ياء مطلقًا . ثم إن كان ماقبلها مفتوحًا قلبت ألفا ، وإن كان مضمومًا أو مكسورًا حذفت فى غير النصب ؛ إذا وقع بعدها ساكن لكون ماهى فيه صار منقوصًا . وإن كان ما قبلها ساكنًا بقيت ياء كما هو شأن مثلها .

وإذا كان الهمزتان فى أول الكلمة ، فإن سكنت ثانيتهما وجب إبدالها من جنس حركة السابقة . نحو : آثرت أوثِرُ إيثارًا ، وآمَنْت أومِن إيمانًا : من الأَثَرة والأَمْن .

وإن تحركت فإن كانت مضمومة أو مفتوحة بعد ضمة أو فتحة وجب قلبها واوًا . وإن كانت مكسورة أو مفتوحة بعد كسرة ، وجب قلبها ياء .

وإذا كانت الهمزة الأولى همزة المضارع ، تخيرتَ بين تحقيق الهمزة الثانية وبين قلبها على حُكْم القاعدة ، وعليك باستخراج الأمثلة ورعاية تفصيل الحكم فيما يرد عليك من الكلام . وإن كانت الهمزتان فى أثناء الكلمة أدغمت الأولى فى الثانية نحو : سَآل ورآس ولآلٌ .

فهذا تقريب ضوابط الإبدال الشائع فى اللغة العربية ، وهناك إبدالات تطلع عليها إذا توسعت فى مطالعة كتب اللغة .

* * *

الأمر الثالث : نقل الحركات من مواضعها وحذف بعض حروف الكلمة متى تحرّكت الواو والياء ، وكان ماقبلهما ساكنا صحيحًا ، ولم تكن الكلمة فعلاً . تَعَجُّبِيًّا ، ولا كأبيض وأسود ، ولا مضارعًا لنحو : عَوِرَ ، ولااسم آلة كالمِقْوَدَ والمِخْياطَ نقلت حركتهما إلى الساكن قبلهما ، وبقيتا ساكنتين سكونًا مرسلا إن كان قبل الواو ضمة وقبل الياء كسرة ، وإلا قلبتا ألفين نحو : يَقُول ويَبِيع ، وأقام وأباع ، واستقام واستباع . . .

وتحذف الألف من الإفْعال والاستفعال ، ويعوّض منها تاء لازمة كما تقدم التنبيه عليه فى باب المصدر ، ويحذف لهذا الإعلال واو مفعول نحو : مَصُون ومَبِيع ، بإبدال الضمة كسرة فى نحو : مَبِيع .

* * *

الأمرالرابع : فى الإدغام والفك : اعلم أنه إذا توالى حرفان من جنس واحد ، كبائين ، أو دالين فى كلمة أو كلمتين ، فهما موضع الفك والإدغام . واستيفاء الكلام فى ذلك من وظيفة علم القراءات .

وإنما تكلم الصرفيون على المثلين فى كلمة واحدة ، حيث كان بحثهم عن أحوال المفردات ، فوجب أن نسير مع القوم .

فنقول : إذا اجتمع المثلان فى كلمة فتارة يجب الفك ، وتارة يجب الإدغام ، وتارة يجوز كل منهما .

مواضع جوازهما : يجوز كل من الفك والإدغام فى نحو : حيى من الحياة أو الحياء ، وعَيِى أى عجز عن الإبانة فيجوز أن تقول : حَيّ وعَيّ وفى نحو : تتابع ، فيجوز أن تقول : اتَّابع بجلب همزة الوصل . وفى نحو : استتر فيجوز أن تقول :

سَتَّر بنقل الفتحة إلى السين . وكسر السين لغة ، فيستغنى عن همزة الوصل .

وفى المضارع الساكن الآخر الجزم أو الوقف ، والفك لغة الحجاز ، والإدغام لغة تميم .

وبكلتيهما جاء (القرآن) وفى الأمر وإذا أدغمت فى المضارع والأمر وجب تحريك ثانى الحرفين للتخلص ، ويجب الفك فى موازن « فُعَل » بضم ففتح كصُفَف وعُقَق . وفى موازن « فِعَل » بكسر ففتح مثل : كِلَل وحِبَبه . وفى موازن « فُعُل » بضمتين كذُلُل وسُرُر . وفى موازن « فَعَل » بفتحتين كملَلَ ولبَب وردده ، وفى صيغة الإلحاقية كهَيْللَ وجَلْبَبَ وفى « فُعَّل » بضم أوله وفتح ثانيه مشددًا ؛ نحو : جُسَّس فى جمع جاس .

وفى الأفعال الماضية إذا اتصلت بها الضمائر المرفوعة البارزة . نحو : حَلَلْتُ ومَلِلْتُ وصَبَبْت .

ويجب الإدغام فى غير ذلك ؛ فإن كان أول الحرفين ساكنًا فذاك . وإن كان متحركا نقلت حركته للساكن قبله إن كان نحو : أزمة تشدّ وإلا حذفتَ كحلَّ وملَّ وصَبَّ . وشذت العرب بالفك حيث يجب الإدغام ، فقالوا : أَلِلَ السّقاء بأَلَلُ . أى : فَسَد ، ودَبَبَ زيدٌ يَدْبِبُ ، أى نبتٌ الشعر فى جبهته ، وفى كلمات أُخَر من الأفعال والأسماء نَبَّهتْ عليها علماءُ اللغة .

مسألة : التّاءان فى أوّل المضارع إذا ابتدأْت به ، لايجوز فيهما الإدغام كما لايجوز فى المتصدّرين سوى ما سلف ، ويكثر حذف إحدى تائى المضارع تخفيفًا نحو : تَلَظّى وتَيمّموا ، فإذا لم تُبْتَدأ بالمضارع جاز الإدغام ، فلك فيه حينئذ ثلاثة أوجه تقول : لاتتردَّدَ ولا تردَّد ، ولا تَرَدّد .

مسألة : النون الساكنة ومنها « التنوين » لها خمسة أحوال :

الأول : إبدالها من جنس مابعدها وإدغامها فيه بلاغُنة . وذلك حيث تلاقى الراء واللام مثل : من ربهم ، وأن لو .

الثانى : إبدالها من جنس ما بعدها وإدغامها فيه بغنة . والغنة : إخراج الصوت من الخيشوم فى نوع ترنم . وذلك حيث تلاقى الميم والواو والياء إلا إذا لاقتهما فى كلمة . نحو : دُنيا وصِنْوان ، والإدغام بغنَّة حكمها إذا لقيت مثلها .

الثالث : إبدالها ميما مع غُنَّة حيث تلاقى الباء كما مر .

الرابع : إظهارها حيث تلاقى حرفًا حلقياً .

الخامس : إخفاؤها وهو حالة بين الإدغام والإظهار فيما عدا الحروف السابقة . هذا :

واعلم أن من وظيفة علم الصرف إبانة مخارج الحروف . أى مواضع خروجها وأوصافها لتعرف كيفية النطق بها ؛ وقد وضع بعض العلماء فى ذلك رسائل مستقلة وسموه علم (تجويد القرآن) ؛ لأن القارىء يلزمه شدّة الحرص على إصابة النطق بحروفه . هذا وقد سبق اطلاعك على أن لكل حرف مخرجًا يخصه ، ولكن العلماء مشوا مع الظاهر فشركوا بين الحروف فى المخارج فلذلك عدّوها سبعة عشر : أولها الجوف للألف وحرفى المدّ الآخرين ، واعتبر الجوف أوّل المخارج ؛ وجرى الترتيب على ما نرى لأن الصوت قائم بالهواء الآخذ من الجوف إلى الخارج ، ولو اعتبر وضع الإنسان وأن أوّله رأسه كان أولها الشفتين ، وثانيها أقصى الحلق للهمز والهاء .

وثالثها : وسطه للعين والحاء المهملتين .

ورابعها : أدناه للغين والخاء المعجمتين .

وهذه الأحرف الستة كما عرفت تسمى : الأحرف الحلقية .

وخامسها : ما يلى الحلق للقاف .

وسادسها : مايلى ذلك للكاف وينسب الحرفان إلى اللهاة ، التى هى الحدّ بين الحلق والحنك ، فيقال : الحرفان اللَّهويّان .

وسابعها : وسط اللسان وما فوقه من الحنك للجيم والشين والياء ، وتسمى : الأحرف الشَّجْرية . بسكون الجيم نسبة لشجْر الحنك ، وهو ما انفتح منه بين اللَّحْيَيْن .

وثامنها : إحدى حافتى اللسان مع مايليها من الأضراس للضاد ، وأكثر الناس يستعملون اليسرى ، ومن قدر على استعمالهما جميعًا يسمى « أضبط » . وكذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وتاسعها : حافة اللسان ومايليها واقعًا على الضاحك ، والناب والرباعية والثنية للام ، وهو أوسع الحروف مخرجا ، والثنية : إحدى الثنايا الأربع ، وهى الأسنان الوسطى ، اثنتان فوق واثنتان تحت ، ويليها الرَّباعيات بفتح الراء وتخفيف الياء ، ويليها الأنياب ، ويليها من الأضراس الضواحك الأربعة ، ويليها الطواحن الاثنا عشر ، ويليها النواجذ المعروفة بأضراس العقل .

وعاشرها : ما يلى حافة اللسان واقعا على الثَّنيتَّين للنون الظاهرة .

والحادى عشر : طرف اللسان بين المخرجين السابقين للراء المهملة .

والثانى عشر : طرف اللسان منطبقًا على نِطْع الحنك بكسر النون وسكون الطاء ، وهو ماوراء الثنيتين الفوقيتين للطاء والدال والتاء ، وتسمى لذلك : الأحرف النِّطْعيّة .

والثالث عشر : طرف اللسان مما يلى الثنايا للصاد والزاى والسين ، وتُسَمَّى : الأحرف الأَسَلية . نسبة لأَسَلة اللسان بفتح السين وهى طرفه .

والرابع عشر : طرف اللسان منطبقا على طرف الثنيتين للظاء والذال ، فالمخارج المنسوبة للسان اثنا عشر ، وحروفها ثمانية عشر .

والخامس عشر : طرف الثنيتين موضوعًا على بطن الشفة السفلى للفاء .

والسادس عشر : الشفتان منفتحتين للواو ، ومنطبقتين للميم والباء ، فالأحرف الشفوية أربعة .

والسابع عشر : الخيشوم ، وهو ماوراء الأنف إلى الرأس لغنّة النون والميم ، فى نحو : لمًّا وعمًّا .

هذا : وأما أوصاف الحروف فهى : الهمس وحروفه يجمعها قول الجزرى رحمه الله تعالى : « فحثه شخص سكت » .

ويقابله الجهر ، وحروفه ماعدا تلك الأحرف ، فيقال : الحروف المهموسة والمجهورة لما فى الأولى من الخفاء بالنسبة للثانية ، والشدة والرخاوة والتوسط ؛ فالشديدة يجمعها قوله : « أجد قط بكت » والمتوسطة يجمعها قوله : « لن عمر » والرخوة ماعدا ذلك . والاستعلاء وأحرفه « خص ضغط قظ » ويقابله الاستفال والاطباق ، وأحرفه : الصاد والطاء والضاد والظاء ، ويقابله الانفتاح ، ولايخفاك مناسبة التسمية إذا تأملت عمل آلات النطق . والذلاقة وأحرفها :« فر من لب » ويقال : الأحرف الذلق . ويقابلها الإصمات ، وهو المنع . قيل فى وجه التسمية بالمصمتة : انها ممنوعة من الانفراد أصولا فى بنات الأربعة فما فوق .

ولذلك حكموا بأعجمية لفظ « المسجد » .

والصفير وأحرفه : الصاد والزاى والسين . والقلقلة ، ويقال : اللقلقة وأحرفها : « قطب جد » فإذا سكنت هذه الأحرف ملت بها ميلاً خفيفاً نحو الفتحة .

واللين وحرفاه : الواو والياء إذا سكنتا ، وانفتح ما قبلهما .

والانحراف وحرفاه : اللام والراء . ويقال لهما : المنحرفان .

قيل : ومن الصفات « التكرير »وحرفه الراء . ومعناه أنها قابلة للتكرير ؛ لكونها يرتعد بها اللسان لا أنها تكرر فى النطق ، بل يجب الاحتراس منه .

والتَّفَشِّى ، وحرفه كما ذكره جميع المؤلفين الشين المعجمة . وقال بعضهم : أنه صفة الفاء والثاء المثلثة والضاد . وهو انتشار الهواء بالحرف واتساعه .

والاستطالة : وحرفها الضاد ؛ لأنك إذا مكنتها فى مخرجها وجدتها ممتدّة زيادة عن سائر الحروف .

والتفخيم : وأحرفه المستعلية .

والترقيق : وحروفه المستفلة ، وبعض الحروف كالراء واللام تارة يفخم ، وتارة يرقق ؛ كذكر ، وفرعون ، وصراط ، وخير .

فهذه صفات الحروف التى يلزم المحافظة عليها سيما فى تلاوة القرآن الشريف؛ لتكون ممتثلا أمر الله تعالى فى قوله :

﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[سورة المزمل: ٤] سواء قرأْتَ بالترتيل وهو : التأنى أو الحدر وهو العجلة ، . أو التدوير وهو التوسط . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا قرأ تعدُّ حروفه ،لا كما تَسْرُدُونه اليوم ».

وينبغى للإنسان أن يروّض آلات نطقه ؛ لتكون ألفاظه بينة واضحة دون تكلف ، حتى يخف على السمع ولا يمجه الطبع . وبالله التوفيق .

* * *

قسم النحو ومقدمته

قسم النحو

قبل المضى معك فى تقرير المسائل النحوية ، التى بإتقانها تعرف كيف كان فصحاء الأمة العربية ينطقون بلغتها ، ولم كانت هيئآت المركبات القرآنية على ما أنت واجدها عليه ، لابد من دلالتك على السلوك الواصل بك فى المدة اليسيرة إلى المنفعة ، التى هى غاية كل سعى وطلب لتلتزمه وتجتنب ماعداه ، فتكون ممتثلا قوله – صلى الله عليه وسلم – : « احرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز » . ومتحققا من إصابة قول القائل :

لِمَا نَافِعٌ يَسْعَى اللبيب فلا تَكن لشىء بعيدٍ نَفْعُه الدهرَ ساعِيًا

وذلك السلوك المنوه به والمدلول عليه ، هو أن تجهد كل اجتهادك ، وتصرف جميع همتك وقتًا مّا ، فى تخليص الأَحكام ، التى اشتملت عليها العلومَ الآلية ، من سواقط الشبهات وتناقض العبارات ، حتى يسهل عليك ضبطها وجودة حفظها ، ويتهيأ لك ملاحظتها متى شئت ، حيث اعترفت أنها آلات وغيرها المقصود . قال أحد أكابر عقلاء الأُمة : « وقدوة سائر الأمم فى إخراج التاريخ عن كونه قصصا وأحاديث يتعجب منها أو يضحك عليها ، إلى جعله أكبر مرب للعقول ، وأجل مظهر للإنسانية » . (عبدالرحمن بن خلدون) رحمة الله تبارك وتعالى عليه .

اعلم [1] أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين : علوم مقصودة بالذات ؛ كالشرعيات من : التفسير ، والحديث ، والفقه ، وعلم الكلام . وكالطبيعيات والإلاهيات

---

(١) من هنا بدأ المرصفى ينقل من مقدمة ابن خلدون : راجع المقدمة طبعة الدكتور على عبد الواحد واقى ص ٤٠ ص ١٢٣٨

من : الفلسفة . وعلوم هى آلية ووسيلة لهذه العلوم ؛ كالعربية ، والحساب وغيرها للشرعيات ، وكالمنطق للفلسفة . وربما كان آلة لعلم الكلام ولأُصول الفقة على طريقة المتأَخرين .

فأَما العلوم التى هى مقاصد فلا حرج فى توسعة الكلام فيها ، وتفريع المسائل واستكشاف الأَدلة والأَنظار ، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا فى ملكته ، وإيضاحا لمعانيها المقصودة .

وأَما العلوم التى هى آلات لغيرها مثل العربية والمنطق وأَمثالهما ، فلا ينبغى أَن ينظر فيها إلا من حيث هى آلة لذلك الغير فقط ، ولا يوسع فيها الكلام ، ولا تفرع فيها المسائل ؛ فإن ذلك مخرج لها عن المقصود ، إذ المقصود منها ما هى آلة له لا غير ، فكلما أُخرجت عن ذلك خرجت عن المقصود ، وصار الاشتغال بها لَغْواً ، مع مافيه من صعوبة الحصول على ملكتها لطولها ، وكثرة فروعها ، وربما يكون ذلك عائقًا عن تحصيل العلوم ، المقصودة بالذات لطول مسائلها ، مع أَن شأْنها أَهم ، والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة ، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضيعًا للعمر ، وشغلا بما لايعنى .

وهذا كما فعل المتأَخرون بصناعة النحو والمنطق وأُصول الفقه ، فإنهم أَوسعوا دائرة الكلام فيها ، وأَكثروا من التفاريع والاستدلالات ، بما أَخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد ، وربما يقع فيها انظار لا حاجة بها فى العلوم المقصودة ، فهى من نوع اللغو وانها مضرة بالمتعلمين على الاطلاق ؛ لأَن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أَكثر من اهتمامهم بوسائلها ، فإذا قطعوا العمر فى تحصيل الوسائل ، فمتى يظفرون بالمقاصد ؟ .

فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية ، أَلاَّ يتبحروا فى شأْنها ، وينبهوا المتعلم على الغرض منها ، ويقفوا به عنده ؛ فمن نزعت به همته إلى شىء من التوغل ، فليرق له ماشاء من المراقى ، صعبًا أَو سهلاً ، وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له .

وقال فى موضع آخر : « كانت مدة التلميذ فى تونس خمسة أعوام ، وفى فاس ست عشرة سنة ، وكانت المنفعة فى أهل تونس كثيرة ، والتقدم ظاهرًا . وأهل فاس على خلاف ذلك ، وسببه أن علماء تونس جرت عادتهم أن يسلكوا بالتلامذة مسلك التعقل والتفهم لما تحفَّظوه ، حتى إذا انقضت مدة التعلم ، خرج التلميذ ومعه محصول معقول مفهوم يرشده إلى تحصيل مالم يكن قد حصل له ؛ ولا يعجز إلا عن بعض الأشياء بحيث متى ردّد فكره ، أو شارك بعض إخوانه فيما خفى عليه واستصعب ، تجلى له وانقاد .

وأما أهل فاس فكانت عادتهم أن يأخذوا التلامذة بحفظ الكتب الطويلة ، والعبارات العويصة ، واللغات الحوشية دون تعقل ، إلا أن يكون التعقل قهريًا بديهيًا أو شبيهًا به . وبما شرحناه من السبب وأشباهه تفاوت أهل الأمصار وأجيال الأعصار ، فى كثرة العلم وثباته وسرعة تحصيله ، على ماكان من صعوبة المؤلفات وتقصيرها وكثرة أغلاطها ، كما هو شأن الأمور المتجددة .

فبتلاحق الأفكار وتفاوت الأنظار واختلاف الأذواق ، تسهل المؤلفات ويظهر الصواب ، ويحصل الفائت ، حتى تكون بمنزلة الثمار التى بدأ صلاحها وتم نضجها ، فلسان حالها ينادى : تناولونى ولا تتركونى تتلفونى .

وينبهك على ذلك أنه لم يزل عمل المتأخرين ؛ لما فيه من المحاسن ، ينسخ عمل من سبق بهم الزمن .

ألا ترى إلى مؤلفات جمال الدين بن مالك ؛ كيف أبطلت العمل بما سبق من التآليف ، بل المتأخر من مؤلفاته أبطل العمل بالمتقدم منها وعلى ذلك القياس . وبالجملة ؛ فقد تصفت العلوم وتهذبت وأمكنت من نفسها ، فلا معطل عن سرعة تحصيلها إلا سوء طريقة التعليم والغفلة عن المعوّقات التى يجب اجتنابها والحذر من الوقوع فيها ؛ فمن المعوّقات : المناقشة قبل فهم الأصل فربما تسمع المعلم يقول : قال المؤلف كذا وكذا ، فقبل أن يُفسِّر ألفاظه ويبين الغرض منه يقول : وفيه شىء ، أو بحث ، أو إشكال ، أو اعتراضات ، إلى غير ذلك من الألفاظ .

ومنها نقل عبارات الكتب الكبيرة فى الكتب الصغيرة عند تفهمها ، ويجمع الناقل تلك النقول فى كتاب ويسميه حاشية ، وربما صعب عليه نفسه بعض ماينقله ، فيكون التلميذ كمن يتعلم السباحة فى نهر صغير ، فيكلف أن يخرج إلى البحر يقطعه بالسباحة .

ومنها كثرة التأليف فى الفن الواحد ، وتكليف الطالب أن يقرأ جميع تلك المؤلفات ، فإنه مع كونه تكرارًا مانعٌ من تحصيل فن آخر ، وربما كان سبباً لضياع الفن نفسه ، فإن الطالب إذا تكرر استماعه للمسألة الواحدة ملَّ وانصرف ذهنه عن الحضور . فلو فرضنا أن الكتاب الثانى والثالث والرابع كل يشتمل على أمر أو أمور لم يشتمل عليها الآخر ، لم يكن ذلك مفيدًا ، فإن نفس الطالب قد ملَّت وذهنه قد انصرف . وأشدُّ من ذلك أن الكتاب له شرح ، وللشرح شرح ، ولشرح الشرح شرح ، وهلم جرا .

يريد الشارح الأول أن يوضح الكتاب ويفتح مُقفله ، فيعمد الشارح الثانى لإغلاقه ويزيده الثالث إغلاقاً . وبالجملة ؛ فالطالب يقع من كثرة الشروح المستعملة فى وقت واحد ، فى أمر عظيم ، وورطة شديدة ، وتستشعر نفسه اليأس من تحصيل العلم .

ومن المعوّقات حمل المتعلم على التطبيق قبل المعرفة ،فضلا عن جودتها اللازمة لذلك .

مثلا يحضر المبتدىء الذى سمع كلمة النحو ليتعلمه ، فقبل أن يعرف شيئًا مًا من النحو يسمع الشيخ يقول : بسم الله ، الباء حرف جر أصلى . ويشرع فى تقرير الأصلى والزائد ونقل الخلافات ، وتكثير الأوجه ، بالعبارات الطويلة والاستدلالات الدقيقة ، فالطالب الشديد الذكاء يحفظ تلك الألفاظ ، ولايتعقل لها معنى ، ويبقى على ذلك مدة طويلة يقرأ فيها كتبًا عديدة ، فبعد انقضاء سنوات يكون قد تحصل معه ألفاظ كثيرة وقد وصل لسن الاحتياج ، وتمييز النافع من غيره ، فيبتدىء أن يتعقل المراد من تلك الألفاظ ، ويكون ذلك الوقت أول طلبه ومعرفته .

وينقسم الطلبة حينئذ قسمين :

أحدهما إنسان تذكر منفعة الاستكمال ، فيأخذ فى التفكر والتعلم بنفسه .

وآخر يقول : إنى حصلت ملكة العلم ، فأفهم الكتب وأعلِّم الناس ، وأكون فى درجة الفضلاء .

فيذهب الأول صاعدًا ، والثانى هابطًا ، حتى يستويا .

فيجب ديانة وعقلا تدارك هذا الخلل ، واختيار أقرب الطرق ومُثْلاها ؛ لتصل طلبة العلم إلى حقيقة المعرفة ، ويعود لهم شرف العلماء ، ويظهر عليهم رونق التهذب وجمال السيادة ، ويكونوا قد حفظوا جوهرة العقل ، التى ميزتهم من بين أنواع جنسهم ، واستعملوها فيما خلقت لأجله ، ويقتطف ثمرات الامتثال بالدخول فى المخاطبين بقوله تعالى شأنه : (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قِيلَ لكُمْ تَفسحُوا فى المجالس فافسَحُوا يَفْسحِ اللهُ لكم وإذا قيل انْشُزُوا فانْشُزوا يرفعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا منكُم والذينَ أُوتوا العلمَ دَرجاتٍ واللهُ بما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [سورة المجادلة : ١١]

وامتثلوا الأمر المخاطب به النبى ، والمقصود الكل وهو قوله تعالى : (وقُلْ عَسَى أن يَهْدِيَنِ رَبِّى لأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا) . [سورة الكهف : ٢٤] .

وقد آن أن نمضى معك فى تقرير المسائل النحوية ، على ترتيب الخلاصة لحسنه وعموم استعمالها ، والانتفاع بها شرقًا وغربًا ، منذ نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى ؛ فلقد كان صادق النية ، صحيح العزم ، شديد الاجتهاد فى تأييد الإسلام ونفع المسلمين ، حتى ان الناس بعده أكثروا من نظم ألفيات مختلفة ، وزادوا فيها على الخلاصة ولم يلتفت إليها فنقول : ينبغى أن نجعل الكلام فى النحو منقسمًا إلى مقدمة وخمسة أقسام وخاتمة .

اعلم أن الإفراد جعلُ الشّيء فردًا ليس معه آخر ، ويقابله التزويج ، وهو جعل الشيء زوجًا يقارنه زوج آخر . قال تعالى : (وخَلَقَ منهَا زَوْجَهَا) [سورة النساء : ١] وقال تعالى : (ومِن كُلِّ شيءٍ خَلقْنا زَوْجَيْنِ) [سورة الذاريات : ٤٩] .

ثم نقله النحويون كما هو شأن أكثر الألفاظ المستعملة فى الفنون ، فتارة يريدون بالمفرد ماليس مركبًا من الألفاظ ، وتارة يقابلون به المثنى والجمع ؛ وتارةً يقابلون به الجملة ، وطورًا يقابلون به المضاف والشبيه به . وأن التركيب وضع الشيء على الشيء ، ونقل إلى جمع كلمتين فأكثر بحيث يفيد الاجتماع معنى لم يكن قبل .

وقد عرفت أن موضوع النحو المركب ، لكونه يبحث عن أحوال الكلمات ، حيث تكون أجزاء له من : الإعراب والبناء ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، ولذلك تأخرت رتبته عمّا سبقه من العلوم العربية ؛ لكونها تبحث عن المفردات . وضابط المفرد فى هذا الموضع : مايكون إعرابه واحدًا وإن كان قائمـًا من كلمتين يفيد كل منهما معنى مثل : الرجل وفاطمة ومصرى .

وضَابطُ المركَّب : مايتعدد فيه الإعراب ، وإن كان معناه واحدًا كعبد الله ، والانسان الكامل علمين .

وعرفت أن الكلام : هو المركب التام المشتمل على النسبة التامة ، التى شأنها أن تقصد إفادتها ويتلوها مقطع وفصل بينها وبين غيرها ، سواء قصدت الإفادة بالفعل أم لا ، وسواء زاحت جهالة وحصلت علمًا أم لا .

وإن كان الكلام لا يعتد به ولا يعتبر ، إلا إذا وافق الحكمة الأصلية فى تشريف الخالق ، نوعنا بمزية الكلام ، وهى : الافادة والاستفادة .

وشكَّ أهل اللغة فى تفسير الكلام ، هل هو مساوق للقول والنطق ، أو هو ما اكتفى بنفسه ؟ ويستعمل موضع التكليم كما قال شاعرهم :

فإن تُمس ابنةَ السَّهمى منا بَعيـداً ما تُكَلِّمُنَا كلَامَـا

وإطلاق الكلام على المعانى النفسية المتعرضة للعبارة عنها مجاز ، وجعلها الأخطل هى الجديرة باسم الكلام ، والأحق به حيث يقول :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنمـا جُعِل اللسانُ على الفُؤادِ دليلا

وأراد الأخطل بهذا البيت الردع والزجر ؛ لفريق ، والتسلية ، وتسكين الخاطر لفريق آخر .

وبيان ذلك أن بعض الناس إذا تَجَبَّر وعتَا ، وساءت أخلاقه ، وقبحت أفعاله ، وكان معه من القهر والسلاطة مايحبس الألسن ، فهو مشتوم بالضمير ، ممقوت بالقلوب ، متمنى الزوال . وحَسبُ امرىء جهلا أن يعرف بُغض القلوب ، وشحناء النفوس ويتمادى فى غيِّه ، وأن بعض الناس تحسن أحواله ، وتطيب أفعاله وتملأ الرحمة قلبه ، ثم يمنع خوف ضدّ غشوم من انطلاق الألسن بتقريظه ؛ والثناء عليه ، وبث فضائله ، ولكن القلوب منطوية على حبِّه ناطقة بمدحه وشكره ، فهو يقول : إن العبرة بالبواطن فعندها الحقائق .

وخص – النقل – الكلمة بالقول المفرد ، وفى اللغة : تطلق على الجملة ومنه الكلمة الباقية ، وهى كلمة الإخلاص ، وعلى القصيدة يقولون مثلا : قال امرؤ القيس فى كلمته الفلانية . و الكَلِمة بفتح الكاف وكسر اللام أو سكونها ، وعليه تفتح الكاف وتكسر ثم إنها بمعنى المفرد واحد الكَلِم ، الذى هو اسم جنس جمعى موضوع ؛ ليستعمل بالمشيئة عند الحاجة فى جميع الألفاظ ، وكل جماعة منها دون الاثنين ،

والواحد ، ويذكر ويؤنث ، ويفرق بينه وبين واحده بالتاء ، كما هو شأن هذا النوع من الأسماء ، فتقول : الكَلِم منه كَلِمٌ طيِّبٌ وكَلِمٌ غير طيب .

وعرفت تَنَوُّع الكلم وتَميُّز أنواعه الثلاثة بالحقائق ، ويذكر لأجل التنوير على الطالب المبتدىء وإرشاده بمرشد محسوس خواص لكل نوع منها ، فيقال له : إذا سمعت الكلمة مخفوضة الآخر نحو : بسم الله ، أو منادى معناها مطلوب الإقبال بأحد الأحرف الموضوعة لذلك ، أو مختومة بنون ساكنة تلفظ ولا تكتب ولايكتب لها بدل غالبًا ، أو مُفتتحةً بأل التعريفية أو مسندًا إليها أو مضافة أو مثناة أو مجموعة ، فاعرف أنها اسم . وإذا رأيت الكلمة مصحوبة بتاء ، نحو : أنا كتبتُ وأنتِ كتبتِ وهند كتبتْ . أوياء نحو : تكتبين ياهند واقرئي أو نون نحو (لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا) [سورة يوسف : ٣٢] ، و (لأَكِيدَنَّ) [سورة الأنبياء :٥٧] . و (لَنَسْفَعًا) .[سوة العلق :١٥].

أو بقد فى نحو : قد قامت الصلاة . وقد يعلم . أو بالسين فى نحو : سيقول أو بسوف فى نحو : ولسوف يعطيك . فاعرف أنها فعل .

وتعرف المضارع بدخول لم عليه فى نحو : لم يكن ، ولَمَّا فى نحو : لمَّا يذُوقُوا ، واللام فى نحو : لِيُنْفِق ، ولا فى نحو : ولَا تُلْقُوا .

وتميز الماضى بتاء نحو : أنا كتبتُ ، وهند كتبَتْ .

وعلامة فعل الأمر : دلالته على الطلب ، وتوكيده بنون التوكيد .

وهنالك ألفاظ تدل على معانى الأفعال ، ولا تصحبها سمات الأفعال وعلاماتها يقال لها أسماء الأفعال ؛ لأنها وضعت ليستغنى باستعمالها عن النطق بألفاظ الأفعال ، وهى مثل أفعالها فى التعدى واللزوم غالبًا فتقول : دَرَاك زيدًا . كما تقول : أدركه ، ونَزَال ياعَمرُو ، وكما تقول : انزل .

ومن النادر لفظ : آمين . فلا تقول : آمين دعاءنا ، كما تقول : استجب دعاءنا ، وهى أيضا مثل أفعالها فى أن فاعل بعضها ضميرٌ مستترٌ أبدا ، وبعضها يكون فاعله ضميرًا مستترًا تارة ، وتارة ، يكون اسما ظاهرًا . وبعضها فى مقابلة أفعال ماضية ، وبعضها فى مقابلة أفعال مضارعة ، وبعضها وهو الأكثر فى مقابلة أفعال أمرية .

ثم إنها ثلاثة أقسام : قسم موضوع من أول أمر اسمَ فعل ، وقسم نقل عن ظرف ، وقسم نقل عن مصدر .

فمن الأول للماضي : هَيْهَاتَ أي بَعُد ، وشَتَّانَ أي افترق ، وسَرعانَ بفتحات ، وَوَشْكانَ بفتح فسكون أي أسرع ، وبُطئان بضم فسكون أي أبطأ .

وللمضارع وَيْ أي أتعجب ، وأَوَّه أي أتوجع ، وأف أي أتضجر ، وبَخ بَخ . بفتح باء بهما ، وكسر الخاء في الأولى منونة أي استحسن وأتعجب وللأمر تَيْدَ بسكون بين فتحتين . « أي : ارفق » ، وآمين أي استجب ، وها أي خذ وتمد ويخاطب بها الواحد وغيره بلفظ واحد ، وتتصل بها كاف الخطاب متصرفة تصرف الكاف الضمير ، وتبدل الكاف همزة ومنه : (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) [سورة الحاقة : ١٩] .

وهَيْتَ كتَيْدَ ، وهِئْتَ كشِئْتَ ، وهَيَّا بفتح الهاء وكسرها وتشديد الياء ، وهَيْت كبيت أي أسرع ، وهَلُمَّ أي أقبل ، وحَيَّهَلْ مثل هَلُمَّ ، وينطق بحي وحدها ، وتستعمل في استحثاث العقلاء ، وتستعمل هل في استحثاث غيرهم غالبًا ، ومن النادر :

ألا حَيِّيَا لَيْلَى وقُولا لها : هَلّا .

ومَهْيَمْ (١) كمَرْيَم أي : أخبر . ومن المنقول عن ظرف : عَلَيْكَ زيدًا ، أي الزمه ، وإليك ، أي تأخر وإلَيَّ أي أقبل ، وعندك ودونك أي خذ ، ومكانك أي اثبت

ومن المنقول عن مصدر لم ينطق له بفعل : بَلْهَ بسكون بين فتحتين .

قال كعب بن مالك الأنصاري في ذكر السيوف :

تَذَرُ الجماجمَ ضَاحيًا هَاماتُهـا ... بَلْهَ الأَكُفَّ كأَنَّها لم تُخْلَقِ

ومعناه : اترك . ورُوَيْد مصغر ارْوَاد ، مصدر أَرْوَدَ . أي أمهل تصغير ترخيم .

وبعض أسماء الأفعال قد ينَوَّنُ ، وحينئذ يكون نكرةً ويسمى تنوينُه : تَنْوين

---

(١) مهيم . بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء وسكون الجيم . معناه : ماوراءك كما جاء في اساس البلاغة . وهو قريب من هذا المعنى الذي ذكره المرصفي .

(المحقق)

التنكير مثلا إذا أردت أن تنهى جليسك ، عن حديث بعَيْنِهِ مُبيحًا له غيره قلت : صَهْ دون تنوين ، ومعناها : اسكت السكوت المتعلق بهذا الحديث وحَدِّث ماشئت .

وإذا أردت أن تنهاه عن الحديث مطلقًا قلت : صَهٍ بالتنوين . ومعناه : اسكت سكوتًا متعلقًا بكل حديث .

وعلى ذلك قياس مايرد عليك من هذا النوع كمَهْ ومَهٍ : أى انكفف وإيه وإيهٍ أى زد فى الحديث .

ومن أسماء الأفعال مايقوم مقام جملة مثل : هَمْهَام ، ومَحْمَاحُ ، وَحمْحَام وبَخْبَاح بفتح فسكون ساكنة الأواخر ، أى لم يبق شىء .

ويذكر مع أسماء الأفعال ألفاظ يقال لها : أسماء الأصوات وهى نوعان :

الأول : الألفاظ التى تخاطب بها الحيوانات مثل : هَلَا فى زجر الخيل ، وعدس فى زجر البغال .

والثانى : الألفاظ التى تحكى بها الأصوات المسموعة من الحيوانات وغيرها كقولهم فى حكاية صوت الغُراب : غَاقْ غَاقْ . وفى حكاية صوت الذباب : خَازْ بَازْ . وفى حكاية صوت السيف فى الضريبة : قَبْ قَبْ .

ومن أراد التوسع فى معرفة أسماء الأفعال والأصوات ، فعليه بكتب اللغة فإنها موضع ذلك ، وإنما يذكرها النحوى لتنبيه المتعلمين ، وحفظهم من اعتقاد كونها أفعالا ، حيث دلت دلالتها وأفادت معانيها .

[وبما أوردناه فى هذا الموضع تستغنى عن وضع باب لأسماء الأفعال .

* * *

القسم الأول فى الإعراب والبناء والمعرب والمبنى

الإعراب : كلمة مشتركة بين معان كثيرة منها : الإبانة ، والإظهار . وهو الأنسب بالمعنى المنقول إليه ، الذى هو الآثار المختلفة على آخر الكلمة المركبة حسب اختلاف الاقتضاء ؛ لتمييز المعانى المتعاقبة على الكلمة من الفاعلية والمفعولية وغيرهما .

والبناء : وضع حجر على حجر بلاصق بينهما ؛ لحفظ الصورة المراد بقاؤها نقل إلى حالة آخر الكلمة اللازمة ، التى لاتتبدل مع اختلاف المقتضيات .

أنواع الإعراب أربعة : رفع ونصب وخفض وجزم .

الرفع : ضمة وألف وواو ونون . يقال للضمة : أصل . وللأحرف الثلاثة : نائبة عنها .

والنصب : فتحة وألف وياء وكسرة وحذف نون كسابقه : أصل ونائب .

والخفض : كسرة وياء وفتحة كذلك .

والجزم : سكون وحذف حرف علة ، وحذف نون أصل ونائبان .

والبناء أربعة أنواع : سكون وفتح وضم وكسر . وينوب عن السكون حذف حرف علة ، وحذف نون . وينوب عن الفتح ياء وكسرة . وينوب عن الضم ألف ، ولا ينوب عن الكسر شىء ، وسيرد عليك مواضع ماذكر فلتكن على ذُكْرٍ منه .

* * *

المبنى موضع البناء : وهو جميع الحروف ، وجميع الأفعال الماضية ، وجميع الأفعال الأمرية ، والفعل المضارع المتصل بإحدى نونى التوكيد ، أو بنون الإناث .

ومن الأسماء : الضمائر ، وأسماء الإشارة ، وأسماء الاستفهام ، وأسماء الشرط ، وأسماء الأفعال ، والأسماء الموصولة ، والأعداد المركبة من أحد عشر إلى تسعة عشر ، وما أجرى مجراها : كبيْتَ بَيْتَ ، وصَباحَ مَسَاءَ ، وأوّلَ أوّلَ ، ويوم يوم .

والمركبات المزجية المختومة بويْه ، واسم لا ، والمنادى المفردان ، وحيثُ وإذْ وإذا ، وباب قَبْل وبعد ويحسن ، ولايجب بناء أسماء الزمن المضافة إلى جُمل مُصَدّرة بمبنِى .

ويجوز بناء كلمة غَيْر ومِثْل وشِبْهٍ إذا أُضيفتْ لِمَبْنى ، فما كان من المبنيات ساكنا فهوساكن أبدا كلم ومن وكم ، وكذلك المفتوح والمضموم والمكسور .

والفعل الماضى إذا اتصل بغير الألف والواو من الضمائر البارزة مبنى على السكون ومع الواو على الضم ، وفى غير ذلك على الفتح ظاهرًا أو مقدرًا .

والأمر الصحيح الآخر فى خطاب الواحد ، وفى خطاب جماعة الإناث مبنِىٌّ على السكون ، وفى غير ذلك على حذف النون .

والمعتل الآخر مبنى بحذف حرف العلة فى خطاب الواحد ، وفى خطاب جماعة الإناث مبنى بالسكون ، وفى غيرهما بحذف النون ، والمتصل بإحدى نونى التوكيا مبنى على الفتح . والمضارع المتصل بإحداهما مبنى على الفتح ، والمتصل بنون الإناث مبنى

على السكون، وما كان من الأسماء على صورة المثنى مبنى على الألف فى مواضع الرفع ، وعلى الياء فى مواضع النصب والخفض .

ويُبنَى الَّذين الدال على الجماعة بالياء مطلقًا .

وجمع المؤنث السالم فى موضع النصب حيث يستحق البناء مبنى على الكسر ، والمعرب غير ماذكر.

وحيث كان الغرض من الإعراب تمييز المعانى المتواردة على الكلمة ، كان حق الأسماء أن لايبنى منها شيء . ولذلك نجد النحويين يلتمسون العلة لبناء ما بنى منها ، فيقولون : إنما بنيت الضمائر لأمرين :

الأول : أن كثيرا منها كائن من حرف أو حرفين ، وتلك حال أكثر الحروف ، ومازاد من الضمائر محمول على غيره ، ويسمون ذلك بالشَّبه الوضْعِىِّ .

والثانى : أن الضمائر أنواع كل نوع منها مختص بباب ، فلم تتوارد عليها المعانى . مثلا : التاء المضمومة فى نحو : كتبتُ مختصة بالفاعلية ، وكلمة أنا مختصة بالابتداء ، وهكذا .

وبنيت أسماء الشرط لتضمنها معنى إن .

وأسماء الاستفهام ؛ لتضمنها معنى الهمزة .

وأم وأسماء الإشارة ؛ لتضمنها معنى أل التعريفية .

ويمكن اعتبار ذلك فى الضمائر أيضا ، ويسمون ذلك : الشَّبه المعنوى .

وبُنيتْ أسماء الأفعال لأنها لايؤثر فيها عامل لفظى ، وهى مؤثرة فى غيرها ، بسبب نيابتها عن الفعل ، فأشبهت إنَّ التى معناها أحقق ، ولكنْ التى معناها استدرك ، ويسمونه : الشَّبه الاستعمالى .

وبُنيتْ الأسماء الموصولة ، وحيث وإذْ وإذا ؛ لافتقارها فى تحصيل عين المراد بها إلى ضميمة جملة ، كما أن الحرف لايتحصل معناه المراد إلا بضميمة ، ويسمونهُ الشَّبه الافتقارى .

وبنى العدد المركب وما أشبهه ؛ لتضمنه معنى حرف العطف ، وبُنِيتْ قبلُ وبعدُ وقبيلهما ؛ لتضمنها معنى أل التعريفية .

وأثبت بعض النحويين مُوجبًا للبناء ، وسماه : الشبه اللفظى ، وجعل المبنى به لفظ لدى وعلى وعن والكاف . حيث استعملت على وما بعدها أسماء ، ولا ترد لفظة : إلى بمعنى النعمة مفرد الآلاء ؛ لكونها مقصورة كالفتى والعصا ، فكما تقول : فتاك وفتى بالألف والتنوين . تقول : ألاك وإلى فلم تشبه إلى الحرفية بخلاف لدى فإنها لاتنون ، وإذا أضفتها قلت : لديك ولدينا ، كما تقول : عَلَيْك وعليْنا .

* * *

أصناف المعرب

الاسم المفرد وجمع التكسير المنصرفان الصحيحا الآخر ، يرفعان بضمة ظاهرة ، وينصبان بفتحة ظاهرة ، ويخفضان بكسرة ظاهرة ، وغير المنصرفين يخفضان بفتحة ظاهرة نيابة عن الكسرة .

والمعتلان بالألف تقدر فيهما الحركات الثلاث لامتناع تحريك الألف .

والمعتلان بالياء المكسور ماقبلها يقدّر فيهما ماعدا الفتحة لثقل تحريكها بغيرها .

والمعتلان غير المنصرفين تقدر فيهما الحركتان إلا فتحة النصب فى المنقوص. ويقال مخفوض بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة .

المضاف إلى ياء المتكلم : تقدر فيه الحركات الثلاث ؛ لاشتغال آخره بالكسرة المجلوبة لمناسبة الياء قبل جعل ذلك المضاف جزء كلام ، فتعذرت ولم تمكن حركات الإعراب .

وتقدّر الحركات أيضا فى الجمل المجعولة أعلامًا ، وفى الأعداد المركبة المسمى بها ؛ إذا حكيتها ولم تعربها لفظًا لجواز الأمرين فيها .

أبوك وأخوك وحموها وفوه وذو جاه ، مخرجة من حكم المفردات ، فهى معربة بالواو رفعا نيابة عن الضمة ، وبالألف نصبًا نيابة عن الفتحة ، وبالياء خفضًا نيابة عن الكسرة بشروط أن لا تصغر ، ولا تجمع ولا تضاف للياء ، ولا تثنى ولا تقطع عن الإضافة ، وإلا أعربت بالحركات أو بإعراب المثنى .

المثنى : إعرابه حرفان ألفٌ مكسورٌ مابعدها نيابةً عن الضمة ، وياء ساكنة مفتوح ماقبلها مكسور مابعدها نيابة عن الفتحة والكسرة ، وأُلحق به اثنان واثنتان ، وكلا وكلتا مضافتين لضمير وإلا فهما من المقصور .

جمع المذكر السالم : إعرابه حرفان واو مضموم ما قبلها مفتوح مابعدها نيابة عن الضمة ، وياء ساكنة سكونًا مرسلا مكسور ماقبلها مفتوح مابعدها نيابة عن الفتحة والكسرة .

وأُلحق به باب عشرين وأُلُو جاه ، وما شذُّوا بجمعه على هذه الصيغة ، كأَرضين وسنين وبابه من جمع كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوض عنها تاء التأْنيث ، كعِضِين وعِزِين ، وما سُمِّى به من ذلك .

جمع المؤنث السالم : تنوب فيه الكسرة عن الفتحة ، فإعرابه حركتان .

الفعل المضارع المعرب له أربعة أحوال : الأُولى أن يكون صحيح الآخر غير متصل بأَحد الضمائر الثلاثة التى هى : واو الجماعة ، وأَلف الاثنين ، وياء المخاطبة ،

وإعرابه إذن رفع بضمة ظاهرة ، ونصب بفتحة ظاهرة ، وجزم بسكون .

الحالة الثانية : أَن يكون معتل الآخر بالأَلف ، فيرفع بضمة مقدّرة ، وينصب بفتحة مقدّرة ، ويجزم بحذف الأَلف نيابة عن السكون .

الحالة الثالثة : أَن يكون معتل الآخر بالواو أَو الياء ، فيرفع بضمة مقدّرة لثقل تحريكهما بها ، وينصب بفتحة ظاهرة لخفته ، ويجزم بحذفها نيابة عن السكون.

الحالة الرابعة : أَن يتصل بأَحد الضمائر الثلاثة ، فيرفع بالنون نيابة عن الضمة ، وينصب ويجزم بحذفها نيابة عن الفتحة والسكون ، وهذه فائدة تلك النون .

هذا ولقائلٍ أَن يقول : إنكم قلتم ان الغرض من الإعراب تمييز المعانى المتواردة على الكلمة ، وكيف يحصل ذلك مع نيابة حركة عن حركة ، وحرف واحد عن حركتين ، ومع كون الإعراب تقديريًا ؟ .

فيقالُ له : إن الإِنسان ينشأ خالى الذهن مطبوعًا فيه حب المعرفة ، لكن فى أَوّل أَمره يكون مشغولا بالمحسوسات ، فرحًا بالاطلاع عليها ، طالبًا لمعرفة أَسمائها دون أَن يسرى فى المعقولات ، فينبغى كما تقتضى الحكمة أَن يكون تعريفه فى هذه الحالة بأُمور ظاهرة وعلامات محسوسة .

فإذا انتقل عن هذه الحالة ، وتراسخت عنده المعانى ، وصار موكولا إلى تعقله ، أُحيل فى المعرفة على إدراك ارتباط الكلمات فى التراكيب ، واستغنى بذلك عن العلامات الظاهرة والتمييز بها .

القسم الثانى فى الجملة الاسمية

الجملة الاسمية : هى المصدرة بالاسم . ويقال لأحد جزأيها : مبتدأ ؛ وللجزء الآخر : خبر . نحو : العلم نافع ، والأدب حسن .

فالعلم والأدب مبتدءان ، ونافع وحسن خبران .

المبتدأ قسمان : مبتدأ حقيقةً وصورةً ، ومبتدأ صورة فعل حقيقةً .

ويسمى القسم الأول : المبتدأ ذا الخبر ، ويسمى القسم الثانى : المبتدأ ذا المرفوع المغنى عن الخبر .

بيان المبتدإ ذى الخبر : هو اسم ظاهر صريح أو مؤوّل ، أو ضمير يلحظ العقل معناه أوّلا ؛ ليحكم عليه بحال من أحواله ، أو بحال من أحوال متعلقه .

فالاسم الصريح نحو : زَيدٌ قائمٌ ، والزيدان قائمان ، والزيدون قائمون ، والرجال قُوَّمٌ ، وهندٌ قائمةٌ ، والهندان قائمتان ، والهندات قائماتٌ ، والهنود قُوَّمٌ ، والفتى حاضر ، وغلامى شاهد ، والقاضى حاكم .

والاسم المؤوّل نحوُ [قوله تعالى] : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لكم﴾ . [سورة البقرة : ١٨٤] . ومَا تقرأ العلم حسنٌ ، ومُعْتَقِدى أَنَّك فاضلُ .

وأما الضمير ، فهو : أنا قائم ، ونحن قائمان وقائمون ، وأَنتَ قائم ، وأَنتِ قائمة ، وأنتما قائمان أو قائمتان ، وأنتم قائمون ، وأنتن قائمات ، وهو قائم ، وهي قائمة ، وهما قائمان أو قائمتان ، وهم قائمون ، وهن قائمات .

وهذه الضمائر تسمى : ضمائر الرفع المنفصلة ؛ لأنها لا تقع إلا مبتدأ أو فاعلا أو نائبًا عن الفاعل والكل مرفوع .

وفى اللغة العربية ضمير يسمى : ضمير الشأن أو القصة ، وهو ضمير غائب أو غائبة لا يتقدّم له مرجع ، بل يكون عبارةً عن مضمون جملة تذكر بعده وتسمى : مفسرة الضمير .

وذلك إنما يستعمل فى الأخبار الخطيرة نحو : هو الله أحد . فلفظ هو ضمير غائب لم يتقدّم له مرجع ، بل هو عبارة عن مضمون الجملة بعده وهى : الله أحد . فهى مفسرته ، ونحو : هى النفسُ ما حملتها تتحمل .

يُؤتى بهذا الضمير مذكرا ويسمى : ضمير الشأن إن كان عمدة الجملة بعده مذكرًا ، ويُؤتى به مؤنثًا ويسمى : ضمير القصة إن كان عمدتها مؤنثًا .

فالمبتدأ ذو الخَبَرَ : اسم صريح ظاهر أو اسم مؤوّل ، أو ضمير معتاد ، أو ضمير شأن . وهذا القسم يجب أن يطابقه المرفوع الذى بعده ، وهو خبره إفرادا وتثنية وجمعًا وتأنيثًا وتذكيرًا ، كما سبق فى الأمثلة ، فلا يجوز أن يقال : الزيدان قائم مثلا ، بل قائمان .

* * *

بيان المبتدأ ذى المرفوع المغنى عن الخبر

هو كل اسم فاعل أو اسم مفعول ولو تأويلا نُفِى أو اسْتُفْهِم عنه نحو : ما قائم الزيدان ، وما مَضْروبٌ العمران ، وأذاهب أخوك ، وهل أسدٌ هُو ، ولا مؤدّب غُلامَاك ، وغير ضائع عمل مخلص .

و : غَيْرُ مَأْسُوفٍ عـلى زَمَـــنٍ   يَنْقَضِى بالهَمِّ وَالمِحَــنِ

و : غَيْرُ لاهٍ عِداك فاطْرِح اللهو   وَلا تَغْتَرِرْ بعارض سَلَمِ

ولا قائمٌ إلا زيدٌ . وهذا القسم يقال فى إعرابه : الوصف مبتدأ والمرفوع بعده فاعله أغنى عن الخبر ونائب فاعله كذلك مالم يخرج إلى باب آخر ، والاسمى بالاسم الذى له فى ذلك الباب ، لكن إذا كان النافى اسما جعل هو المبتدأ وأضيف للوصف . وشرط تعين هذا الإعراب فى هذا القسم : أن لايشتمل الوصف على علامة تثنية ، أو علامة جمع ؛ لأن الوصف حينئذ عومل لفظه معاملة الفعل ، فأُسند للمثنى والجمع ، وهو بصورة واحدة . كما أن معناه معنى الفعل ، إذ عرفت أنه فعل حقيقة واسم صورة ، فلا يصح أن يكون خبرًا مقدمًا والمرفوع مبتدأ مؤخرًا ؛ لعدم التطابق الواجب بين المبتدإ ذى الخبر وخبره ، فلو طابق الوصف المرفوع فى التثنية والجمع على حد المثنى ، تعيّن أن يكون الوصف خبرا مقدّمًا والمرفوع مبتدأ مؤخرًا ؛ لوجود شرطه وهو التطابق ، ولعدم إجراء لفظ الوصف مجرى الفعل ، حيث كان فيه علامة التثنية ، وعلامة

الجمع ، إذ الفعل يجب تجريده من العلامتين عند إسناده لغير المفرد ، وفى غير موضعى تعين أحد الإعرابين يجوز كلاهما .

فللوصف المنفى أو المستفهم عنه مع المرفوع بعده ثلاث حالات : تعيّن الابتداء والفاعلية ، وتعيّن الخبرية والابتداء ، وجواز الأمرين .

فلو جاء الوصف بعد المرفوع ، أو لم يكن منفيًا ولا مستفهما عنه وجب المطابقة بينه وبين المرفوع ، وكان من القسم الأول .

واعلم أن من تراكيب هذا القسم كلمة التوحيد ، كما أشار إليه الزمخشرى حيث قال : الأصل الله إلٰه فقدّم وأخّر . وبيانه أن مثل هذا التركيب يقال له : عبارة القصر والتخصيص . ومفاده حكم إجمالى يتفصل إلى حكمين : إثبات ، ونفى . فنقول : لا إلٰه إلا الله . أصله : اللهُ إلٰهٌ ، وغيرهُ ليس بإلٰه ، فإذا أردت تحويله إلى عبارة الاستثناء قلت : لاشىء إلهٌ إلا اللهُ ، أو لا إله شىء إلا اللهُ . على أن يكون التركيب من القسم الأول ، أومن القسم الثانى ، لكن الموجود معنا فى عبارة القصر : لا إلٰه . فتعين أن يكون من القسم الثانى ، فالمحذوف المستثنى منه هو المرفوع بكلمة إلٰه . وذلك أنه ملحوظ فى معناها الفاعل بالقدرة عن إرادته التابعة لعلمه ، فهو مثل : لا أسد إلّا زيدٌ . فالمعنى لا فاعل شىء من الأشياء الموجودة إلا الله ، فيكون هدمًا قريبًا لمعتقدات الباطل .

* * *

بيـــان الخبر

الخبر : ما يلحظ العقل معناه ثانيًا ليحكم به على المبتدإ ، أو ليفسره ويبين المراد به .

وهو قسمان : خَبَرٌ حقيقى ، وخبر سببى .

فالحقيقى : مايكون حالا من أحوال المبتدإ المنتسبة له نسبة الفاعلية ، أو نسبة المفعولية أو مُبَيِّنًا لحقيقته نحو : زيدٌ قائمٌ ومُكْرِمٌ ، وزيدٌ أكرَمَ أو أَكْرَمُ وأكْرَمَهُ عَمْرٌو . وهذا القنديلُ ذهبٌ .

والسببى : ما يكون حالا من أحوال شىء له تعلق بالمبتدإ فيكون الخبر منتسبًا لذلك المتعلق ، لكن لكون الحالِ حال متعلقٍ بالمبتدإ يُخْبَرُ بها عنه ، نحو : زيدٌ قائم أبوه ، وركبت فرسه ، وجلس فى داره . ثم الخبر يكون مفردًا جامدًا غير مؤوّل بمشتق ، فلا يكون مشتملا على ضمير نحو : هذا القنديل زجاج ، وهذا الخاتم حديد . ويكون مفردًا مشتقًا فيكون مشتملا على ضمير مستتر يعود للمبتدإ إن لم يرفع ظاهرًا ، ولا ضميرًا منفصلا نحو : زيد قائم . تلحظ فى قائم معنى هو ، وهند قائمة . تلحظ معنى هى ، والزيدان قائمان . تلحظ معنى هما وهكذا .

ويكون مفردًا جامدًا مؤوّلا بمشتق ، فيشتمل على ضمير كذلك نحو : زيد أسد ، وعمرو ذئب ، وخالد سيف ، إذ المعنى شجاع يشبه الأسد ، وختّال يشبه الذئب ، وصارم ماض يشبه السيف . ويكون : جملة فعلية ماضوية ، أو مضارعية أو أمرية ، وجملة اسمية ، ولابدّ أن تشتمل على ضمير المبتدإ ليربطها به ويعين أنها خبره ، ويكون مذكورًا أو محذوفًا يدل الكلام عليه نحو : زيد جاء ، وعمرو ذهب

أبوه ، وخالد يتكلم ، وبكر اضربه ، وحسنٌ غلامُه ظريف ، والسمن منوان بدرهم .
أي : منوان منه ، ويدل الكلام عليه .

والمذكور : مستتر وبارز ، كما رأيت . فالخبر : مفرد أو جملة . وجميع المشتقات إن كان الملحوظ فيها للمعنى الوصفي ، لا تكون إلا أخبارًا أو مبتدآت صورية . وإذا كان الملحوظ فيها الموصوف كانت مبتدآت حقيقية ، وكانت أخبارًا فنحو : زيد ضارب . معناه يضرب أو سيضرب ، فضارب بهذا المعنى لايكون مبتدأ حقيقيًا ؛ لأن الملحوظ فيه المعنى الوصفي ، فهو بمنزلة الفعل الذي لا يكون إلا مسندًا ، ونحو : ضارب زيد هو ضارب عمرو معناه الشخص الذي ضرب زيدًا هو الشخص الذي ضرب عمرًا ، فضارب هنا مبتدأ حقيقي وخبر ؛ لأن الملحوظ فيه الموصوف ، فهو بمنزلة الموصول الذي يكون مسندًا ومسندا إليه ، ونحو : السفر الحميد في يوم الاثنين ، والسير الرفيق في الأرض السهلة ، وزيد في الدار وعمرو عند خالد . من كل اسم من أسماء الأعيان الجواهر ، أو أسماء المعاني الأعراض أخبر عنه بالكون والحصول من غير اعتبار حال خاصة في مكان أو زمان مختصين جملة تامة مركبة من مبتدإ وخبر ؛ لكن اللغة التزمت أن تحذف منها شيئًا ؛ لأنه يقرب جدًا فهمه من نفس الكلام ، فنحو : زيد في الدار . على معنى زيد حاصل أو كائن أو ثابت ، إلى غير ذلك من الأفعال العامة أو حصل أو كان ، أو يحصل أو يكون حسبمًا تريد من الأزمنة ، فإذا لاحظت حاصل ونحوه كان من قبيل الخبر المفرد ، وإذا لاحظت حصل أو يحصل كان من قبيل الخبر الجملة ، لكن ليس لك أن تنطق به ، بل عليك أن تلاحظه فقط ، لكن أسماء الأعيان الجواهر لايفيد الإخبار عنها بالكون والحصول في الأزمنة مثلا إذا قلت : زيد يوم الخميس أو عَمْروٌ في شهر العيد . لم يكن مفيدًا فائدة مطلوبة ، فيكون كلامًا غير مُعتد به . نعم : قد يفيد كما تقول للناسي أو الغاوي : نحن في شهر رمضان . لكن الفائدة حينئذ ليست من مجرد الإخبار بالكون في الزمان ، بل مما يستتبعه الكلام ، إذْ معنى : نحن في شهر رمضان . تذكّر فلا تأكل ولا تشرب ، أو احترم الشهر المعظم ، فلا تفسق ولا تفجر ، واعتبر

مثل ذلك . وقد تكون الأعيان مرتبطة بالأزمنة تحدث وتزول متجددة فتشبه المعانى ؛ التى وضعها وفطرتها على التجدد والتقضى بالارتباط بالأزمنة التى شأنها ذلك ، فيكون الإخبار عنها بالحصول فى الزمن مفيدًا ، كما تقول : الهلال الليلة . أى يكون ، والورد فى شهر من السنة . أى يحصل ، والرطب شهرين . ومنه : اليوم خمر وغدًا أمر . فاسم المعنى يخبر عنه بالكون فى المكان ، ويخبر عنه بالكون فى الزمان . واسم العين يخبر عنه بالكون فى المكان ، ولا يخبر عنه بالكون فى الزمان إلا حيث الإفادة كما رأيت والاعتماد على حصول الفائدة ، فمتى حصلت كان الكلام مُعْتَدًّا به ، ومتى لم تحصل كان من لغو القول . وإذا توالى مبتدآن مذكران أو مؤنثان ، وأخبر عن ثانيهما بحال أوّلهما بحيث تكون الحال منتسبة للأوّل نسبة قوية كنسبة الفاعلية ، ومنتسبة للثانى نسبة ضعيفة كنسبة المفعولية ، فتكون الحال حال الأوّل وصفته بسبب قوّة نسبتها إليه ويصح الإخبار بها عن الثانى ؛ لكونها منتسبة إليه نحو : أزيدٌ عمرو ضاربه . أو ضربه أو يضربه ، لا فرق بين الفعل وغيره . ونحو : هند دعد ضاربتها أو مضروبتها ، فزيد مبتدأ وعمرو مبتدأ ثان ، وكذا هند ودعد ، فإذا أردت أن الضرب حاصل من زيد وهند واقع بعمرو ودعد ، فقد أخبرت عن ثان المبتدأين بحال أوّلهما وهذه إرادتك ونيتك ، لكن الكلام يأبى بظاهره أن يفيد ذلك ، إذ المتبادر للفهم أن يكون الخبر صفة المخبر عنه وحاله ، فيكون القريب للفهم أن فاعل الضرب عمرو ودعد ومفعوله زيد وهند . فالملخص من ذلك أن تأتى بدل الضمير الذى كان واجب الاتصال والاستتار بضمير منفصل مؤخر ؛ لأجل أن يدل ذلك على أن الحال التى أخبر بها عن الثانى ليست له ، بل هى حال الأوّل فتقول : زيد عمرو ضاربه هو وضربه هو ، وهند دعد ضاربتها هى أو ضربتها هى إلى غير ذلك .

فإذا كان المبتدآن مختلفين تذكيرًا وتأنيثًا نحو : هند زيد ضاربته وزيد هند ضاربها ، كنت مستغنيًا عن فصل الضمير لظهور المراد بالاختلاف ، وان الصفة للمبتدإ الأوّل بعلامة التذكير والتأنيث .

وحيث كان الغرض من إعطاء النوع الإنسانى قوّة النطق أن يفيد المتكلم بكلام

سامعه فائدة لم تكن عنده ، كان تكلمه بما يعرف أن مخاطبه عارف به ضائعًا لغوًا لايعتد به نحو : السماء فوقنا ،والأرض تحتنا ، والنار حارة ، والنخل طويلة ، ورجل جاء ، ودار في البلد وهذا الغلام قائم ، وهذا الفرس يأكل ، لمن يبصر ذلك. هذا وقد سبق لك أن الأسماء : إما مُعيِّنةٌ لأشخاص ، وإما مُعيِّنةٌ لأجناس . وأن الأسماء المعيّنة للأجناس إما أن يراد بها أنفس الأجناس ، وإما أن يراد بها جميع أفراد الأجناس ، وإما أن يراد بها بعض منها معين بواسطة عهد أو حضور أو بعض مبهم ، وذلك بحسب الأحكام التي تريد إفادتها .

فأحكام الأشخاص غير أحكام الأجناس ، وأحكام الأجناس غير أحكام جميع الأفراد وهكذا . مثلا : إذا أردت أن تجعل زيدًا مبتدأ كان المحكوم عليه الشخص المسمى بزيد ، وإذن تحكم عليه بحاله التي تعرفها له وتريد أن تفيدها من يجهلها ، فتقول : زيد كاتب ، وعمرو شاعر . وهكذا كل لفظ تريد به شخصا بعينه نحو : هذا الغلام طبيب ، والذى هو قائم بين يديك يتكلم بكثير من الألسنة .

وإذا أردت أن تجعل لفظ الإنسان مثلا مريدًا به نفس الجنس مبتدأ كان المحكوم عليه نفس جنس الإنسان من غير اعتبار أفراده رأسًا ، وإذن تحكم عليه بالأحوال الثابتة للأجناس ، فتقول : الإنسان نوع شريف بفكره ونطقه ، والحيوان منه متفكر ومنه غير متفكر ، فأمثال هذا يكون المراد فيها نفس الجنس ، إذ لا يصح أن تقول : كل فرد من أفراد الإنسان نوع ، ولا بعض الأفراد ولا كل حيوان منه متفكر ، ومنه غير متفكر ، ولا بعض الأفراد .

وإذا أردت أن تجعل اسم الجنس كالإنسان والحيوان والغائب والشاهد مريدًا به جميع الأفراد مبتدأ ، كان المحكوم عليه كل فرد ، فتخبر بالأحوال العامة لكل واحد واحد ، فتقول : الحيوان متنفس متيقظ نائم يصح ويمرض ، إذ يصح أن تقول : كل حيوان كذلك ، وضابط ما يراد به جميع الأفراد صحة وضع كل معه نحو : الغائب والشاهد معلومان لله ، يصح أن تقول : كل غائب وشاهد . وضابط مايراد به نفس الجنس أن لايصح وضع كل معه نحو : النخل منه طويل ، ومنه قصير ، ومنه متوسط . لا يصح أن تقول : كل نخل . وإذا أردت أن تجعل اسم

الجنس مرادًا به واحدًا مًّا مبتدأ ، أخبرت بالأحوال التى تحصل بأى واحد من أفراد الجنس ، كقول عمر حين استُفْتِىَ فى فدية الجرادة على قاتلها فى الحج ، فأفتى بالتصدق بتمرة ؛ فرأى بعض الناس يقلل ذلك تمرة خير من جرادة ؛ فواحد من آحاد جنس التمر يصلح للفدية ، وهو خير من الجرادة .

فتلخص أن المحكوم عليه الذى تجعل اسمه مبتدأ ، هو مايقتضيه الحال من واحد معين أو غير معين ، ومن نفس جنس أو جميع أفراده ، وإنما المدار على حصول الفائدة ، وحيث كان المبتدأ محكوما عليه موصوفًا ، وكان الخبر محكوماً به صفة ، كان المناسب أن يقدم المبتدأ فى النطق ، لكن أجازت اللغة تقديم الخبر فيه حيث لم يحصل اختلال، فإذا حصل اختلال بتقديم الخبر وجب تأخيره وإلزامه موضعه، وإذا حصل اختلال بتقديم المبتدإ وجب تأخيره وإزالته عن موضعه، والاختلال الذى يحصل من ذلك فساد فى المعنى الذى تريد أن تفيده ، وقد استقريت المواضع التى يحصل فيها فساد المعنى بتأخير المبتدإ عن الخبر فوجدت خمسة ، والمواضع التى يحصل فيها فساد المعنى بتأخير الخبر عن المبتدإ فوجدت خمسة أيضا ، فأحوال المبتدإ مع الخبر ثلاثة : جواز التقديم والتأخير ، وجوب التقديم ، وجوب التأخير .

* * *

الأوّل : كل جملة مركبة من كلمتين تصلح كل منهما ؛ لأن تكون مبتدأ ولأن تكون خبرا ، فلا يتعين المبتدأ لكونه مبتدأ ولا يتعين الخبر لكونه خبرًا ، إلّا بالرتبة بجعل المبتدإ أولا فى اللفظ والخبر آخرا فيه ، حتى يتبين كون الأوّل محكوما عليه والثانى محكوما به ، فيفيد التركيب المعنى المراد ، فلو عكست لتبادر إلى الفهم بحسب هذا الأصل المقرر أن المقدم مبتدأ محكوم عليه ، والمؤخر خبر محكوم به ويفيد التركيب حينئذ معنى غير المقصود مثلا تخاطب إنسانا بقولك : عدوي حبيبك . فهذا القول جملة مركبة من كلمتين تصلح كل منهما لكونها مبتدأ وكونها خبرا فعدوى مبتدأ أو حبيبك خبره ، ولو قلت : حبيبك عدوى كان حبيبك مبتدأ وعدوي خبرا . ولكل من التركيبين معنى يخالف معنى الآخر ، فمعنى قولك : عدوى حبيبك أن الشخص الذى أعاديه تحبه أنت فأنت عدوى ؛ لأن محب العدو عدوّ . فالخلاصة : أنك تريد بهذا التركيب أن ترمى مخاطبك ، الذى يدعى حبك والصداقة لك بالكذب فى دعواه واتصافه بضدها .

ومعنى حبيبك عدوى : أن الشخص الذى تحبه أنت أعاديه أنا فأنا أبغضك وأكرهك ؛ فخلاصة الأمر من هذا التركيب : أن المتكلم يريد أن يبعد المخاطب عن نفسه ويصدّه عن وداده ويعرفه أنه مكروه له ؛ فهذان معنيان مختلفان كل منهما مخصوص بتركيب من التركيبتين ، ولا يستفاد أحدهما إلّا بتعيين المحكوم عليه وتعين المحكوم به ، وذلك لا يحصل إلّا بتقديم المبتدإ وتأْخير الخبر فوجبا ، فلو نطقت بأحد التركيبتين مريدًا به معنى التركيب الآخر كنت مخطئا إذ لم تفد مرادك لمخاطبك .

وهذا المعنى هو الذى يعبر عنه النحويون بالإلباس ، الذى يجب اجتنابه فالإلباس فى الكلام كونه يتبادر منه خلاف المراد به ، ونظير : عدوى حبيبك . أفضل منى أفضل منك . حيث تريد الاستعلاء على مخاطبك ، وأفضل منك أفضل منى . حيث تريد الاستدناء عنه ، فإذا لم تصلح كل من الكلمتين لأن تكون مبتد أو لأن تكون خبرا ، بل تتعين إحداهما لأحدهما ، والأخرى للآخر ، لم يجب التقديم والتأخير ، بل كان على أصل الجواز مثلا إذا أردت أن تلحق صغيرا معلوما أنه الصغير بكبير معلوم أنه الكبير على وجه التشبيه بإسقاط أداة التشبيه المبالغة فى الإلحاق ، كما تقول : أبو يوسف أبو حنيفة على معنى أن أبا يوسف التلميذ مثل أبى حنيفة الشيخ ، فتسقط لفظة مثل وتجعل الكلام مبتدأ وخبرا بلا واسطة ، فتقول : أبو يوسف أبو حنيفة . فيعلم أن المحكوم عليه بالمشابهة والملحوق هو : أبو يوسف ، فهو متعين لكونه مبتدأ فلو قدّم أو أخّر لم يختلف المعنى ، ومن هذا قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

الموضع الثانى :

كل جملة يكون خبر مبتدئها جملة فعلية فاعل فعلها ضمير مستتر . نحو كل إنسان لايبلغ حقيقة الشكر . فيجب فى مثل هذه الجملة تقديم المبتدإ ، إذ لو أخرته لتبادر كونه فاعلا ويختلف المعنى ، إذ معنى كل إنسان لا يبلغ نفى البلوغ عن جميع أفراد الانسان ، ومعنى لا يبلغ كل إنسان نفى الكون للكل ؛ فيحتمل النفى عن الجميع ، ويحتمل النفى عن البعض والاثبات للبعض ، ويتعين الحمل عليه مالم تقم قرينة على خلافه ؛ لأنه القدر المتيقن ، وتلك العبارة يعدها المنطقى من أسوار الجزئية ؛ لأنه لايعتبر غير المتقين ، والغرض النص على نفى البلوغ عن الجميع ، وذلك على جعل كل إنسان مبتدأ فيجب تقديمه لذلك ، فلو كان فاعل الفعل اسما ظاهرا أو ضميرا بارزا نحو : زيد قام أبوه ، وزيد قاما أخواه ، وزيد قاموا إخوانه . جاز تأخير المبتدإ إذ لا يتبادر كونه فاعلاً لاستيفاء الفعل فاعله ظاهرا .

الموضع الثالث :

كل جملة تريد أن تقصر معنى مبتدئها على معنى خبرها ، ويسمى قصر الموصوف

على الصفة ردًا على من زعم اتصافه بغير المذكور ويسمى : قصر قلب ، أو زعم اتصافه بالمذكور وغيره ويسمى : قصر إفراد ، أو قطعًا لشك من تردد فى اتصافه بالمذكور وغيره ويسمى : قصر تعيين . والقصر حكم إجمالى يتضمن حكمين أحدهما : إثبات المذكور . والثانى : نفى غيره . نحو إنما زيد كاتب . معناه زيد مقصور على الاتصاف بالكتابة ليس متصفًا بغيرها لا وحده ولا معها ، وما زيد إلا شاعر أى مقصور على الاتصاف بالشعر ، فلو أخرت المبتدأ فقلت : إنما قائم زيد لتبادر كونه من قصر معنى الخبر على معنى المبتدإ ، ويسمى : قصر الصفة على الموصوف ، فيكون المعنى أن القيام ثابت لزيد لا لعمرو وحده أو مع زيد ، فلو كان مرادك هذا المعنى كان التركيب من المواضع التى يجب فيها تقديم الخبر كما سيأتى .

الموضع الرابع :

كل جملة أجريت مبتدأها مجرى الشرط وخبرها مجرى الجزاء ، فأدخلت الفاء بينهما . وذلك إذا كان المبتدأ اسمًا موصولاً بجملة استقبالية أو موصوفا به أو مضافا لأحدهما ، أو نكرة موصوفة بجملة استقبالية ، أو مضافا إليها . نحو : الذى يدلّنى على مطلوبى فله دينار ، والرجل الذى يطيع الله فله الجنة ، وغلام الذى يعقل الأمور فهو مؤدب ، ورجل يصدقنى أو كل رجل يصدقنى فهو حقيق بالثناء ، إذ المعنى فى هذه التراكيب هو المعنى الذى يقصد بالجملة الشرطية كأنك قلت : إن دلنى أحد على مطلوبى فله دينار .

الموضع الخامس :

كل جملة يكون مبتدؤها كلمة يجب تصديرها فى جملتها وهى : كلمات الاستفهام ، وكلمات الشرط ، وضمير الشأن ، ومبتدآت الأمثال ، والمبتدأ الذى تدخل عليه لام التأكيد التى تسمى لام الابتداء يفيد بها المتكلم جزمه بمضمون الخبر . نحو : من يكره الحق استفهاما ، ومن تكرمه أكرمه شرطا ، وهو الله أحد ضمير الشأن ، وطوبى لك والشرط أملك عليك أم لك . من الأمثال ، وتقديم المبتدإ فى هذا المواضع التزام لغوى لافرارًا من فساد معنى إلا فى ضمير الشأن .

مواضع تقديم الخبر خمسة أيضا

الموضع الأوّل :

كل جملة يكون مع مبتدئها ضمير يعود على شيء في الخبر. نحو : في الدّار صاحبها .

ونحـو :

للفتى عقل يعيش بـه حيث تهدى سـاقه قدمه

لئلا يلزم وجود ضمير غائب ، لم يسبق مبينه فينفر السامع .

الموضع الثاني :

كل جملة يكون الخبر فيها واجب التصدير . نحو : أين زيد ، وكيف عمرو ومن أى باب دخولك ؟ .

الموضع الثالث :

كل جملة تريد أن تقصر معنى خبرها على معنى مبتدئها نحو : إنما شاعر زيد ، وما لنا إلّا الإسلام .

الموضع الرابع :

كل جملة تكون مثل : لكل نبإٍ مستقرّ ، وفي كل أرض سعد .

الموضع الخامس :

كل جملة يكون مبتدؤها أنَّ وصلتها نحو : عندى أنك فاضل ، ومرادى أنك تتعلم . إذ لا يتعين كون أن وصلتها مبتدأ إلاّ بتأخيرها ، وتقديم الخبر ، وحيث كان الكلام منبئاً عن أحد الجزأين : لو حذف جاز حذفه ، وكان أولى من ذكره . مثلا إذا سألك سائل فقال : من عندك ؟ فجوابك : زيد أو عمرو بالشخص

الذى يكون عندك ؛ فزيد فى جوابك مبتدأ لم ينطق له بخبر ، والكلام المكون جواب سؤال منبىء عن الخبر المحذوف ،إذ السائل المخاطب يفهم أنك نويت : زيد عندى . والمدار فى الكلام على فهم المخاطب مراد المتكلم ، وإذا سألك سائل بكيف زيد الذى معناه : أصحيح زيد أو مريض ؟ مثلا فجوابك صحيح ؛ فصحيح خبر لم تنطق بمبتدئه ، والتقدير : زيد صحيح ، والمخاطب يفهم ذلك ، فالعمدة فى الحذف أن يفهم المخاطب المحذوف بسبب دليل يدل عليه .

وفى أربعة مواضع يجب حذف المبتدإ فيكون النطق به خطأ ، وفى أربعة مواضع يجب حذف الخبر ، فيكون النطق به خطأ أيضاً .

* * *

مواضع وجوب حذف المبتدأ

الموضع الأوّل :

الأوصاف المذكورة لغرض المدح أوالذم أو الترحم إذا رفعت . نحو ، زرت زيدا الولى ، وارفق بخالد المسكين ، فهو على تقدير : هو الولى وهو المسكين. وتمام القول فى ذلك يأتى فى باب النعت .

الموضع الثانى :

كل تركيب يكون كقولك : فى ذمتى لأفعلن كذ . على معنى اليمين ، فقولك : فى ذمتى خبر لمبتدإ واجب الحذف تقديره : فى ذمتى يمين أو قسم أو حلف ؛ كما تلحظ ونظيره : فى ضمانى وفى عنقى لأفعلن كذا على ذلك المعنى .

الموضع الثالث :

كل تركيب يكون كقولك : نعم الرجل عمرو ، وبئس الإنسان خالد. تمدح بنعم وتذم ببئس معبرًا عن الممدوح والمذموم أوّلاً باسمه العام ، ثم تعبر عنه باسمه الخاص على نية مبتدإ يكون الاسم الخاص خبرًا عنه ، فقولك : نعم الرجل . جملة تامة يفهم منها المخاطب أنك تمدح شخصاً معينًا وعبرت عنه باسمه العام ، فنفسه تتشوق لذكر اسمه الخاص كأنه يقول : من هو ذلك الرجل تمدحه فتقول : زيد على تقدير : هو زيد ، فهذا المبتدأ لا ينطق به .

الموضع الرابع :

نحو قولك : سمع وطاعة جوابًا لمن يأمرك بأوامر من كل مصدر يصح وضع الفعل موضعه ؛ لأن المقصود هو المعنى الفعلى ، إذ معنى قولك : سمع وطاعة أسمع قولك وأطيع

أمرك . فمن يقول : سمع وطاعة ينوى أمرى وحالى وشأنى سمع وطاعة ، فيجب حذف هذا المبتدأ .

كيفية وقوع هذا فى المحاورة :

يقول لك إنسان تعظمه وتعتبره : افعل كذا وافعل ولا تفعل كذا . يأمرك وينهاك فتقول : امتثال لأمرك واجتناب عن نهيك تعنى حالى أو صفتى امتثال واجتناب يصح أن تضع موضعه ، أمتثل أمرك وأجتنب نهيك .

* * *

مواضع وجوب حذف الخبر .

الموضع الأول :

كل تركيب تبدؤه بلفظ : لعمرك أو لعمر الله أو لأيمن الله . وهذان اللفظان مستعملان في القسم لا يستعملان في غيره ، فإذا قلت : لعمرك لأتبعن رأيك . فمعناه لعمرك قسمي ويميني ، فلفظ قسمي خبر مبتدؤه لعمرك وعمر بفتح العين وبضمها مدة الحياة لكن لم يقع في الحلف إلا المفتوح ، وكذلك لأيمن الله لأقتدين بك ، فهو على ذلك المعنى فالخبر محذوف وجوبًا .

الموضع الثاني :

كل تركيب يكون كقولك : كل إنسان وعمله ، وكل عامل ونيته ، وكل شخص وحرفته . فإن معناه كل شخص وحرفته مصطحبان ، والواو الواقعة في التركيب تفيد معنى مصطحبان الذي هو الخبر المحذوف من قولك : كل شخص وحرفته الذي هو المبتدأ المذكور ، فلما كانت الواو تفيد المعية والمصاحبة قطعا وهو معنى الخبر وجب حذفه .

الموضع الثالث :

كل تركيب يكون كقولك : نصحى الاخوان قابلين ، وأخذى المال حلالاً ، وأكمل ما يكون الإنسان متقيا ربه ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، إذ المعنى : نصحى الاخوان إذا وجدتهم قابلين ، وأكمل ما يكون الإنسان إذا استمر متقيا ، وهكذا . وضابط هذا الموضع أن يكون المبتدأ مصدرا صريحًا أو مؤولاً عاملاً في اسم يعود عليه الضمير من الخبر المحذوف ، أو اسم تفضيل مضافًا إلى مصدر . كذلك فلفظ إذا المقدر في هذا التركيب هو الخبر حذف وجوبا لانفهام الكلام بدونه ، إذ معناه نصحى الاخوان حاصل في وقت وجد أنهم قابلين للنصح ، فهذا المعنى منفهم بلا تأمل ولا بعد

من قولك : نصحي الاخوان قابلين ، كأنك قلت : نصحي : الاخوان في حال قبولهم وهو غير خفي .

الموضع الرابع :

كل تركيب يكون كقوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) [سورة البقرة : ٢٥١] . وهي التراكيب المفتتحة بلولا ، التي وضعتها اللغة لتفيد انتفاء مضمون جملة بسبب ثبوت مضمون جملة أخرى ، وتسمى : لولا الامتناعية . ويقول النحويون : لولا لامتناع الجواب لوجود الشرط ؛ فلابد بعدها من جملتين ينتفي مضمون ثانيتهما بسبب ثبوت مضمون أولاهما ، وتسمى الجملة الأولى : جملة الشرط . والثانية : جملة الجواب والجزاء . لكن الجملة الأولى يجب أن تكون جملة اسمية مركبة من مبتدإ يذكر ، وخبر يحذف وجوبا إذا كان وصفاً من الأوصاف العامة التي هي : الكون والوجود ، والثبوت والحصول . فمعنى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) : لولا الدفع موجود وحاصل وثابت فيما بين الناس لفسدت الأرض . فانتفاء فساد الأرض لثبوت وجود الدفع ؛ فلو كان سبب انتفاء الجواب ثبوت صفة خاصة ؛ كما في قولك : لولا زيد يكرم عمراً ويعظمه لأهانه الناس واحتقروه ، فلفظ يكرم ويعظم خبر عن زيد لايفهم إلا بذكره وجب ذكره ، ولم يصح حذفه إلا إذا دل عليه دليل ، وتحرير هذا الموضع الذي يجب فيه حذف الخبر هو حيث يكون سبب انتفاء مضمون الجواب مجرد الكون والحصول فلو قلت : لولا زيد لهلك عمر ، وفهم المخاطب بسرعة أن المعنى : لولا زيد موجود . فمتى كان خبر المبتدأ الواقع بعد لولا هذه كونا عاما لم يلفظ ، ومتى كان كوناً خاصاً فإن كان لو حذف فهم صح حذفه وإلا وجب ذكره ؛ وبتأمل المثالين يظهر الحال ويتعدد الخبر ، فيكون اثنين وأكثر والمبتدأ واحد في اللفظ وهو على نوعين .

النوع الأول :

أن يكون المبتدأ الواحد في اللفظ واحداً في المعنى أيضا ، وتعدد خبره يكون على ثلاثة أنواع : —

النوع الأوّل :

أن تخبر عنه بوصفين ممتزجين قام منهما وصف ثالث فيجوز أن تخبر بالوصفين وأن تخبر بذلك الوصف كقولك : الرمان حلو حامض والرمان مز ؛ فالحلاوة والحموضة وصفان ممتزجان قام منهما وصف واحد يسمى : المزوزة . فلك أن تقول : حلو حامض . ولك أن تقول : مز . ونظيره : هذا الماء حار بارد . أي فاتر . وهذا الفرس أبيض أسود . أي أكهب ، ولا يصح أن تدخل بين الوصفين الممتزجين واوا ؛ فلا تقول : حلو وحامض إلا إذا أثبت الأمر المتوسط بنفي الضدين ، كما تقول : هذا الرمان لا حلو ولا حامض .

النوع الثاني :

أن تخبر بوصفين متجاورين متميزين ، كقولك : هذا الفرس أبيض أسود . أي أبلق ، وهذا يصح بواو وبدونها ، فتقول : أبيض وأسود ، وأبيض أسود .

النوع الثالث :

أن تخبر بأوصاف لا امتزاج فيها ولا تجاور ، كقولك : الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ومفاخرات .

النوع الثاني :

أن يتعدد المبتدأ معنى وهو واحد لفظا ، وتعدد الخبر فيه يكون على نوعين :ـ

النوع الأوّل :

أن يكون الوصف مشتركاً بين الجميع كقولك : غلاما زيد شاعران كاتبان صانعان أو شاعران وكاتبان وصانعان ، فهو كالواحد لفظا ومعنى .

النوع الثاني :

أن يكون لكل واحد وصف يخصه فتجب الواو كقولك : أبناؤك كاتب وشاعر وتاجر ، فجميع هذه الأخبار التي فيها التعدد يقال فيها : خبر أوّل وخبر ثانٍ وخبر ثالث وهكذا إن لم تكن الواو ، فإن كانت الواو قيل للأوّل خبر ، وللباقي معطوفات وللواو حرف عطف كما يبين في التوابع ، وإن كانت الكل أخبارا بحسب المعنى .

وقد يكون لفظ الخبر هو لفظ المبتدإ ، حيث يراد التعظيم أو التحقير كقول الراجز : أنا أبو النجم وشعري شعري .

وطريق التعظيم أن المتكلم بمثل هذا الكلام يخيل أنه لما ذكر المبتدأ ليصفه بجمائل صفاته تحير ؛ لكثرة تواردها عليه مع كونه ظاهر الشرف والكمال ، فهو يقول : لا حاجة لذكر صفاته لاستغنائه بظهور كماله واضطرار المطلع عليه بالاعتراف له بكمال رتبته في بابه ويقول الناس : العالم عالم ، والجاهل جاهل . وقال الشاعرْ :

السبْع سبْع وإن كَلَّتْ مخالبهُ   والكلبُ كلبُ وإن طوّقته ذَهبًا

ويحتمل أن يكون من هذا القبيل قول الله جل ذكره : (والسَّابِقُونَ السَّابِقُوَن أُوْلَئِكَ المقَرَّبُون) [سورة الواقعة : ١٠و١١] ونظيره من باب الشرطية ، قوله عليه الصلاة والسلام : « فَمن كانتْ هجْرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » .

هذا ؛ واعلم أن للمبتدإ والخبر أربع أحوال :ـ

الحالة الأُولى :

أن تنطق بهما مجردين وحكمهما حينئذ رفعهما لفظاً أو تقديرًا أو محلاً ، ولا يفيد التركيب إلا مجرّد الحكم بوقوع النسبة .

الحالة الثانية :

أن تقرن بهما كان أو إحدى أخواتها ، وحكمهما حينئذ رفع المبتدإ ، ونصب الخبر ويتغير الاسم فيقال : للمبتدإ اسم كان أو إحدى أخواتها ، وللخبر خبر كان أو إحدى أخواتها ، ويفيد التركيب الحكم بوقوع النسبة ، مع ما لتلك الألفاظ من المعاني المراد بها بيان زمان النسبة وبعض أحوالها .

الحالة الثالثة :

أن تقرن بهما أحد الأحرف الثمانية التي هي : إنَّ وأنَّ وأخواتهما ، وحكمهما إذن نصب

المبتدإ ورفع الخبر ، ويقال للمبتدإ اسم إن مثلا ، وللخبر خبرها ، ويفيد التركيب الحكم بوقوع النسبة مقترنا بمعانى تلك الكلمات .

الحالة الرابعة :

أن تقرن بهما كلمة ظن أو إحدى أخواتها ، وحكمهما حينئذ النصب ، ويقال للمبتدإ : مفعول أوّل ، وللخبر : مفعول ثانى . ويفيد التركيب الحكم بوقوع النسبة على وجه الظّن أو اليقين ، ولكون تلك الكلمات فى الأبواب الثلاثة تغير حكم المبتدإ والخبر واسمهما يسمونها : نواسخ الابتداء . من النسخ بمعنى الإبطال والإزالة .

* * *

كان وأخواتها إلّا كاد وصواحبها تدخل على جملة الابتداء كيف كانت لكن لا يقع الأمر هنا خبرًا ، وكذلك لا يقع الماضي خبرًا لصار وليس وأفعال الاستمرار ، وذلك لأن صار دالة على الانتقال والتّحول إلى صفة لها استمرار ودوام نحو : صار زيد أسدًا وشجاعًا ويصنع المعروف ، وهذا هو المانع من وقوعه خبرًا لأفعال الاستمرار ، وكذلك لا يقع خبرًا لما دام ، إلا إذا كان ذا أثر مستمر . نحو : واجب عليك أن تفعل كيت وكيت ما دمت أعطيت به عهدك والتزمت فعله .

وفيما عدا ذلك يقع خبرًا لتحقيق الحصول أو الدلالة على تقادمه ، فتقول : كان زيد قائمًا ، وأصله زيد قائم ، وكان الزيدان قائمين ، وأصله الزيدان قائمان ، وكان الزيدون قائمين ، وأصله الزيدون قائمون ، وكان أن تصوموا رمضان خيرا ؛ والأصل : أن تصوموا رمضان خير . على تأويل : صومكم رمضان خير . وكان ما تحفظ العلم حسنا وأصله ما تحفظ العلم حسن ، على تأويل : حفظك العلم حسن . وكان الله أحدا والأصل هو الله أحد ، على أن المبتدأ ضمير الشأن مفسرًا بالجملة بعده ، وأضحيت وأمسيت مرشدًا ، والأصل أنا مرشد . فحين دخل العامل عليه جئت بضمير الرفع المتصل بدل ضمير الرفع المنفصل ، إذ لا يصح الفصل مع إمكان الوصل . وكذلك بقية الضمائر ومع الاتصال يستتر ، وليس له لفظ في كان وكانت ويكون وهند تكون وأكون ونكون وتكون وكن وكان زيد يقوم أبوه ، وكان زيد أبوه قائم .

وقال زهير :

وكان طوى كَشحًا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدّم

وقال آخر :

وكنَّا حسِبنا كلَّ بيضاء شحمةً عشيّة لاقينا جُذامَ وحميرا

فى الخبر الجملة ، وكان زيد فى الدار ، وكان زيد عندك فى الخبر المحتمل أن يكون جملة ، وأن يكون مفردًا . واعلم أن تركيب كنت أفعل ، وأكون أفعل ، وكن افعل ، وهو نادر للدلالة على تكرر الفعل والتحاقه بالعادات أمرًا بذلك أو إخبارا عنه ، وطريق ذلك أن الفعل القابل للاستمرار حين يعلق بالكون المستمر يدل على إرادة الاستمرار ، فمعنى قول الشاعر :

قد كنتُ أحجُو أباعمرو أخَاثِقَةٍ حتَّى أَلَمت بِنا يومًا ملِمَّـــاتُ

أن حسبانه اخوّة أبى عمرو وصداقته ، أمر مستمر إلى أن أظهرت الشدة فساد طويته وتمويه أخوته ، ومعنى قول الآخر :

وكونى بالمكَارِمِ ذكريـنى

ليكن تذكيرك إياى بالمكارم فعلا مستمرًا وعادة دائمة ، ولو قال لها : ذكرينى . لكفى لامتثال أمره التذكير مرة واحدة .

وتقول : إن دام هذا الطالب كما أرى فى الاجتهاد وتحفظ الأحكام الأصلية فسيكون يفهم فى عويصات المسائل ، وخبر كان لكونه أحد المنصوبات التى ستقف على عددها عند مرور أبوابها عليك ، يكون تارة ضميرًا من ضمائر النصب المنفصلة التى هى : إياى وإياك وإياه وفروعها ، وتارة ضميرًا من الضمائر المتصلة المشتركة بين النصب والخفض . قال الشاعر :

ببذلٍ وحِلْمٍ سَادَ فى قومه الفتى وكونك إيّاه عليك يسيــر

وقال صلى الله عليه وسلم لعمر حين همَّ بقتل ابن صائد ، الذى ظهر فى عهد الرسالة من اليهود على صورة المسيخ الدجال ، الذى أنذرته الأنبياء أممها ، وكان يتحدث ببعض المغيبات إن يكُنه فَلنْ تُسلَّط عليه وإلا يكُنه فلا خيرَ لَكَ فى قتله . ولا تدخل هذه الأفعال على جمل يجب حذف مبتدآتها ، ولا على مبتدآت ملازمة للابتدائية نحو : ما التعجبية . ونحو : سلام عليك . ومبتدآت الأمثال ويجوز فى هذا

الباب تقديم الأخبار على الأسماء ، ويجب إن كان مع الاسم ضمير يعود على شيء في الخبر أو اقترن بإلا لفظًا أو تقديرًا ، أو كان نكرة والخبر ظرف ، أو كان أن وصلتها ، ويمتنع إذا كان مقصورًا عليه ، ويجوز تقديم الأخبار على أنفس الأفعال إلا دام وزال وصواحبها لامتناع الفصل بين هذه الأفعال والأدوات التي يلزم أن تكون معها وإلا ليس على الأفصح ، ويمتنع تقديمها على ما النافية وحدها أو مع هذه الأفعال ، ويجب تقديمها إن كانت من المتصدرات ، ويمتنع تقديم الأسماء على الأفعال ، كما يمتنع الفصل بينهما بغير الظرف والجار والمجرور من معمولات الخبر ، واختصت كان بورودها زائدة لا يفاد بها غير التوكيد ، وملغاة لإفادة الزمن بلا عمل ؛ فالأولى كقول الشاعر :

سراة بني أبي بكر تسامى على كان المسومة الجياد

والثانية نحو قولك : ما كان أصح علم من تقدم ، ولا أرى موجبًا لإلغائها في مثل هذا ، ويكون اسمها ضميرًا عائداً على ما ، والجملة بعد خبر ، والتعجب من الأمور الماضية ، وفي مثل : ما أحسن تقريرك وأقوى اجتهادك من الأمور الحاضرة ، واختصت كان أيضا بجواز حذفها مع اسمها ويبقى خبرها وهو جيد ، أو مع خبرها وهو رديء ، واشتهر الحذف مع لو ، ومع أن كقوله عليه الصلاة والسلام : « التمس ولو خاتماً من حديد » . أي ولو كان الملتمس خاتماً ، وكقوله : « لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة » . أي ولو كانت الهدية فرسن .

وكقول الشاعر :

قد قِيلَ ما قِيلَ إنْ صِدْقاً وإن كَذبا فما اعتذارك من قَوْل إذا قيلا

ومنه العبارة ذات الأوجه كقوله : « كل امرىء مجزى بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » . أي إن كان عمله خيرًا فجزاؤه خير ، وهو أرجح الأوجه . والثاني وهو رديئها : رفع الأول ونصب الثاني . أي إن كان في عمله خير ، فهو يجزى خيراً وكان رديئا ؛ لأن فيه حذف الخبر مع كان وكثرة الحذف من الجزاء ، ولأن فيه ضعفا بحسب المعنى لأن ؛ الغرض إن كان عمله خيرًا لا إن كان بعضه وبعضه ورفعهما يلي الرديء ، ونصبهما يلي الجيد ، وإنما يجوز رفع الأول حيث يمكن تقدير الخبر وإلا وجب النصب

نحو : أنا ماض مع زيد إلى مقصده إن راكباً فراكب ، وإنما شياً فماش . وعلى هذه المسألة بنى أبو محمد الحريرى مقامته الرابعة والعشرين الموسومة بالمقامة النحوية ، ورأيت إيرادها فى هذا الموضع ملتمسا من الطلبة أن يُنعموا أنظارهم فى كيفية سياقها ، وتحيل البلغاء على إيراد المسائل العلمية ، فى الأساليب الأدبية ، عسى أن يلمحوا الغاية التى لها يُعنى من يكد نفسه ، ويتحامل على قواه ويصرف من نفيس عمره فى تعلم الفنون المتعلقة باللغة العربية وهى :

« حكَى الحارثُ بْنُ همَّام قالَ : عاشَرْتُ بقَطِيعةِ الرَّبيع[1] فى إبَّانِ الرَّبيع[2] فِتيةً وُجُوهُهُمْ أبْلَجُ مِن أنوارِه[3] وأخلاقُهمْ أبْهَجُ[4] مِن أزهارِه * وألفاظُهُمْ أرَقُّ مِن نَسِيمِ أسْحارِه[5] * فاجْتَلَيتُ[6] * منهُمْ ما يُزرِى[7] * على الرَّبيعِ الزَّاهِر[8] ويُغْنى عن رنَّات المزَاهِر[9] * وكُنا تقَاسمْنَا[10] على حِفظِ الوِداد * وحَظْر الاسْتِبداد[11] وأن لا يتفَرَّد أحدُنا بالْتِذاذِ[12] * ولا يستَأثِر[13] ولوْ برذَاذ[14] فأجْمَعْنا[15] فى يوْمٍ سَما دَجْنُه[16] * ونَما[17] حُسْنُه * وحكَم بالاصْطِباح[18] مُزنُه[19] على أنْ نلتَهى بالخرج *

(١) محلة معروفة ببغداد .

(٢) أى وقته وهو أحد فصول السنة .

(٣) أى أضوأ من أزهار الربيع فإن الأنوار جمع نور بالفتح بمعنى النوار وهو الزهر .

(٤) أى أحسن .

(٥) جمع سحر بالتحريك وهو آخر الليل .

(٦) فنظرت .

(٧) زرى عليه عابه .

(٨) كثير الزهر .

(٩) أى أصواتها ، والمزاهر جمع المزهر ، وهو العود الذى يضرب للطرب .

(١٠) أى تحالفنا .

(١١) استبد بالشئ اختص به وحظره منعه ، والمراد : اننا منعنا أن يستقل أحد منا برأيه .

(١٢) أى بلذة .

(١٣) أى لايفضل نفسه على أصحابه باختصاصه بشئ .

(١٤) أى بشئ قليل تافه والرذاذ فى الأصل المطر الضعيف .

(١٥) أى عزمنا .

(١٦) أى ارتفع غيمه .

(١٧) أى زاد .

(١٨) هو الشرب فى وقت الصباح .

(١٩) أى سحابه .

* اعتمدنا فى تحقيق هذه المقامة على الطبعة الثالثة التى أصدرها الحلبى فى عام ١٩٥٠ باشراف لجنة من العلماء .

إلى بعضِ المُرُوجِ (١) * لِنُسرِّحَ النَّواظِرَ (٢) * فى الرِّياضِ النَّواضِرِ (٣) * ونَصقُلَ (٤) الخواطِرَ (٥) * بِشَيْمِ المواطِرِ (٦) * فَبرزنا ونحنُ كالشُّهورِ عِدّةً (٧) * وكَنَدْمانَىْ جَذِيمةَ (٨) مَودّةً * إلى حديقةٍ (٩) أخَذَتْ زُخْرُفَها (١٠) وازَّينَت (١١) * وتنوَّعتْ أزاهيرُها وتلوَّنَتْ * ومعنا الكُمَيْتُ الشَّمُوسُ (١٢) * والسُّقاةُ الشُّمُوسُ * والشَّادِى (١٣) الذى يُطْرِبُ السَّامِعَ ويُلْهِيه * ويَقْرِى (١٤) كُلَّ سمْعٍ ما يشْتَهِيه * فَلَمَّا اطْمأَنَّ (١٥) بِنا الجُلُوسُ * ودارتْ عَلَيْنا الكُؤُوسُ * وغَلَّ (١٦) علَيْنا ذِمْرٌ (١٧) * عليهِ طِمرٌ (١٨) فتجهَّمناهُ (١٩) تَجهُّمَ الغيلِ

---

(١) جمع مرج وهو محل مرعى الدواب ، ومرج الدابة أرسلها ترعى .

(٢) أى لنتزه العيون .

(٣) جمع الناضرة والنضرة بالضم الحسن والرونق .

(٤) أى نجلو .

(٥) أى القلوب .

(٦) أى برؤية السحب المطرة .

(٧) أى خرجنا ونحن اثنا عشر شخصا .

(٨) جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وندماناه أى نديماه وهما مالك وعقيل ابنا فالج ، وفيهما يقول أبو فراس :

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا   نديما صفاء مالك وعقيل

وقصتهما أن جذيمة التزم عمرو بن عدى بن أخته وأحله محل ولده فاستهوته الجن أى ذهبت به ، فطلبه فى الآفاق فلم يجده ، ولا وقع له على خبر ، ثم أن مالكا وعقيلا نزلا منزلا وهما متوجهان إلى جذيمة فوجدا عمرا فضماه إليهما وأكرماه وقدما به على خاله جذيمة فسر به سرورا عظيما وقال لهما : تمنيا . فسألاه أن يكونا نديميه ما عاش وعاشا فنادماه أربعين سنة ما أعادا عليه حديثا ، فضرب بهما المثل فى الوفاق .

(٩) أى بستان .

(١٠) أى تكاملت فى حسنها .

(١١) أى وتزينت .

(١٢) الكميت : من أسماء الخمر ، وهو من الخيل ما فى لونه كتة وهى حمرة يعلوها قتوه ، والشموس من الخيل الذى يمنع ظهره من الركوب ، وهو ترشيح للاستعارة عند علماء البيان . ويحكى أن أحد الظرفاء روى فى وجهه أثر جراحة ، فقيل له فى ذلك فقال : جمح بى الكميت ، فقال سائله : لو قرنت به الأشهب لما جمح بك يعنى الماء .

(١٣) المغنى .

(١٤) أى يضيف ، وهو يتعدى إلى مفعولين .

(١٥) أى سكن وقـر .

(١٦) أى دخل ، والواغل فى الشراب كالوارش فى الطعام ، وهو الذى يدخل على القوم من غير أن يدعى .

(١٧) بكسر الذال أى شجاع .

(١٨) ثوب خلق .

(١٩) استقبلناه بوجه كريه لأنه يقال تجهمه كلح فى وجهه ، وقيل : أغلظ له فى القول .

الشِّيبِ[1] * ووجدنا صفو يومِنا[2] قدْ شِيب[3] * ألا أنَّهُ سلَّم تَسْليم أولى الفَهم * وجلس يَفُضُّ لطَائِم النَّثْر والنَّظْم[4] * ونَحْنُ نَنْزَوِى[5] مِنَ انبِساطِه * ونَنْبَرِى[6] لِطَىٍّ بِساطِهِ[7] * إلى أنْ غَنَّى شادِينا[8] المُغْرِبِ[9] * ومُغَرِّدُنا[10] المُطْرِبِ *

إلَامَ[11] سُعادُ[12] لاتَصِلِينَ حَبْلِى ولا تأْوِينَ لِى[13] مِمَّـا أُلاقِى

صَبرْتُ عليْكِ حتَّى عِيلَ[14] صَبْرِى وكَادتْ تَبْلُغ الرُّوحُ التَّراقِى[15]

وها أنا قَدْ عزمْتُ على انتِصافِ[16] أُساقِى[17] فيهِ خِلِّى[18] مايُساقِى

فإنْ وَصــلاً ألَذُّ بِهِ[19] فَوصْلٌ وإنْ صَرْماً[20] فَصَرْمٌ كالطَّلاقِ

---

(١) أى : كتجهم الغيد للشيب ، والغيد جمع الغيداء وهى الفتاة الناعمة ، والشيب بالكسر الشيوخ جمع الأشيب أى ذى الشيب .

(٢) صفاء يومنا وأنسه .

(٣) أى : قد خلط بالكدر .

(٤) الفض الكسر والتفريق يقال : فضضته فانفض فرقته فتفرق ، وفضضت الكتاب أزلت ختمه ، وفض البكر أزال بكارتها ، واللطائم جمع اللطيمة وهي المسك بالكسر . وقيل : وعاء العطر ، والمراد أنه أخذ يتحدث فى نفسه بما يشابه اللطائم من الكلام المنثور والمنظوم .

(٥) أى : نتقبض .

(٦) أى : نعترض .

(٧) كناية عن إزعاجه وإخراجه .

(٨) أى : مغنينا .

(٩) أى : الذى يأتى بالغريب من الإنشاد، وفى نسخة المعرب بالعين المهملة، وهو الذى يأتى الكلام الذى لا لحن فيه .

(١٠) أى : مطربنا بصوته الحسن الرفيع .

(١١) أى : إلى متى وأصله إلى ما حذفت ألفها فى الاستفهام ، وفى التنزيل : (عم يتساءلون) .

(١٢) أى : ياسعاد ، على حذف ياء النداء .

(١٣) أى : ترأفين بى وترحمينى .

(١٤) أى : غلب وقل .

(١٥) جمع ترقوة ، وهى أعلى عظام الصدر قرب العنق .

(١٦) أى : انتصار الحق .

(١٧) أى : أجازى .

(١٨) أى : صديقى .

(١٩) أى : أتلذذ به .

(٢٠) أى : قطعا وهجرا .

قال : فاستفهمنا العابثَ بالمثانِى [1] * لِمَ نَصبَ الوصلَ الأوّلَ ، ورفَعَ الثانِى * فأقسمَ بتُربةِ أبويه * لقدْ نطقَ بِما اختارهُ سِيبويْه * فتشعّبت [2] حينئذٍ آراءُ الجمْع * فى تجْوِيزِ النّصْبِ والرَّفع * فقالت فِرْقةٌ : رفعُهما هُو الصّواب * وقالتْ طائفةٌ : لايجُوزُ فيهما إلّا الانتِصاب * واستبْهم [3] على آخَرِينَ الجواب * واستعر [4] بينهم الاضطِخاب [5] * وذلك الواغل [6] يُبدى ابتسامَ ذى معرفه * وإن لم يفُهْ [7] بِبِنْتِ شَفَه [8] * حتى إذا سكنَتِ الزَّماجِر [9] * وصَمتَ [10] المزْجُورُ والزّاجِر * قالَ : يا قوْم أنا أُنبّئكمْ [11] بِتأْويلِه * وأُميّزُ صحِيح القوْلِ مِنْ علِيلهِ [12] * إنّهُ ليجُوز رفعُ الوصْليْنِ ونَصْبُهُما * والمُغايرةُ فى الإعْرابِ بيْنهُما * وذلك بِحسبِ اختِلافِ الإضمار * وتقْدِيرِ المحْذُوفِ فى هذ المِضْمار [13] * قالَ فَفَرطَ [14] مِنَ الجماعةِ إفْراطٌ [15] فى مُماراتِهِ [16] * وانْخِراطٌ [17]

(١) أى : اللاعب بها والمحرك لها ، وهى أوتار العود لكونها مثنى .
(٢) أى : تفرقت واختلفت .
(٣) أى : واستغلق ، وباب مبهم مغلق .
(٤) أى : التهب واشتد .
(٥) الصياح واختلاط الأصوات .
(٦) الداخل بلا دعوة .
(٧) أى : لم ينطق .
(٨) يقال للكلمة : بنت الشفة .
(٩) الزماجر : الأصوات جمع زمجرة ، وهى فى الأصل صوت الأسد .
(١٠) سكت .
(١١) أى : أخبركم وأعلمكم .
(١٢) أى : فاسده .
(١٣) أى : الميدان وهو فى الأصل محل الحرب ، والمراد هنا الاختلاف الحاصل .
(١٤) أى : فسبق .
(١٥) تجاوز عن الحد .
(١٦) أى : مجادلته .
(١٧) أى : سرعة واندفاع يقال : انخرط الفرس فى سيره إذا لج ، وفرس خروط أى : حرون جموح .

إلى مُباراتِهِ [1] *فقَالَ : أمّا إذْ دعَوْتُمْ نَزَالِ [2] * وتَلَبَّبْتُمْ [3] لِلنِّضالِ [4] * فَما كَلِمةٌ هِيَ إنْ شِئْتُمْ حرْفٌ محْبُوبٌ * أو اسْمٌ لِما فِيهِ حرْفٌ حلُوبٌ * وأيُّ اسْمٍ يتَردَّدُ بيْنَ فَرْدٍ حازِمٍ [5] * وجمْعٍ مُلازِمٍ * وأيَّةُ هاءٍ إذَا الْتَحقَتْ أماطَتِ [6] الثِّقَلَ * وأطْلَقَتِ المُعْتَقَلَ * وأيْنَ تَدْخُلُ السِّينُ فَتَعْزِلُ العامِلَ * مِن غَيْرِ أنْ تُجامِلَ * وما مَنْصُوبٌ أبدًا على الظَّرْفِ * لا يخْفِضُهُ سِوى حرْفٍ * وأيُّ مُضافٍ أخَلَّ مِنْ عُرى الإضافَةِ بِعُرْوه * واختَلَفَ حُكْمُهُ بيْنَ مساءِ وغُدْوه [7] * وما العامِلُ الذِى يتَّصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِه * ويعْمَلُ معْكُوسُهُ [8] مِثْلَ عملِه *وأيُّ عامِلٍ نائِبُهُ أرْحبُ [9] منهُ وكْرًا [10] * وأعْظَمُ مكْرًا * وأكْثَرُ للهِ تَعالى ذِكْرًا * وفى أيِّ موْطِنٍ يلْبَسُ الذُّكْرانُ * بَراقِعَ النِّسْوانِ * وتَبْرُزُ ربّاتُ الحِجالِ [11] * بِعمائِمِ الرِّجالِ * وأيْنَ يجِبُ حِفْظُ المراتِبِ * على المضروبِ والضاربِ * وما اسْمٌ لا يُعْرَفُ إلَّا باسْتِضافَةِ كَلِمتَيْنِ * أوْ الاقْتِصارِ منهُ على حَرْفَينِ * وفى وضْعِهِ الأوَّلِ الْتِزامٌ * وفى الثَّانى إلْزامٌ . * وما وصْفٌ إذا أُرْدِفَ بالنُّونِ * نَقَصَ صاحِبُهُ فى العُيُونِ * وقُوِّمَ بالدُّونِ * وخرجَ مِنَ الزَّبُونِ [12] * وتَعَرَّضَ لِلْهُونِ * فَهذِهِ ثِنتا عشرةَ مسْألَةً وفْقَ عددِكُمْ *وزِنَةَ لَددِكُمْ [13] *ولوْ زِدْتُمْ زِدْنا *وإنْ عُدْتُمْ

---

(١) أى إلى معارضته ومحاذاته فى الجرى ، وفى نسخة : فى سلك مباراته .

(٢) مبنى على الكسر بمعنى أنزل يقال فى الحرب : نزال نزال أى لينزل كل قرن إلى قرنه .

(٣) أى تحزمتم وتشمرتم ، والتلبب جمع الثوب على اللبة .

(٤) هو الترامى بالسهام كأنه يقول : إذا أردتم المجادلة والمقاومة وتصديق خبرى فما كلمة الخ ، وسيأتى تفسير هذه المسائل فى آخر هذه المقامة .

(٥) أى : ضابط .

(٦) أى : أزالت .

(٧) بكرة النهار .

(٨) أى : مقلوبة .

(٩) أى : أوسع .

(١٠) أى : بيتا ، والوكر فى الأصل بيت الطائر .

(١١) أى : صاحبات الحجال وهن النساء ، والحجال بالكسر جمع الحجل (كذا فى الأصل) وهو الخلخال .

(١٢) أى : من جملة الأغبياء واللام فيه للجنس ، ولهذا أدخل من التبعيضية عليه كما فى قوله * كأن سرداحا من السرداح * . فكأن قائلا قال : إذا أردف الضيف . بالنون فمن أى جنس يكون ، ومن أى جملة يخرج فقيل من جملة الحمق والأغبياء .

(١٣) أى : وزن خصومتكم الشديدة .

عُدْنَا * قالَ المُخْبِرُ بِهذِهِ الحِكايةِ فَوردَعلَيْنَا مِن أحاجِيهِ اللَّاتى هالَتْ[1] *لَمَّا انهالَتْ[2] * ما حارتْ [3] لهُ الأَفْكارُ [4] وحالَتْ[5] * فَلَمَّا أعْجزَنَا العومُ فى بحْرِه * واسْتَسْلَمتْ[6] تَمائمُنا [7] لِسِحْرِه [8] * عدلْنَا[9] مِنَ استِثْقال الرُّؤيةِ إلى اسْتِنْزَال الرِّوايةِ [10] عنه * ومِنْ بغْى التَّبرُّم بِهِ [11] إلى ابْتِغاء [12] التَّعلُّمِ منه * فَقالَ : والذِى نَزَّلَ النَّحْوَ فى الكَلامِ * منْزِلَةَ المِلْحِ فى الطَّعامِ * وحجبَهُ[13] عنْ بصائر الطَّغامِ [14] * لا أَنلْتُكُمْ[15] مراما [16] * ولا شَفَيْتُ لَكُمْ غَراما * أوْ تُخَوِّلَنى [17] كُلُّ يد * ويخْتَصَّنى كُلٌّ مِنْكُمْ بيد [18] فَلَمْ يبْقَ فى الجماعةِ إلَّامنْ أَذْعنَ[19] لِحُكْمِه * ونَبذَ[20] إلَيْهِ خَبْأَةَ كُمِّه[21] فَلَمَّا حصلَتْ تَحْتَ وكائِه [22] * أَضْرمَ [23] شُعْلَةَ ذَكائِهِ [24] * فَكَشَفَ حِينَئِذٍ عنْ

---

(١) من الهول ، وهو ما يروع .

(٢) انصبت وانسكبت .

(٣) أى : تحيرت .

(٤) العقول .

(٥) من الحيال مصدر الحائل ضد الحامل ، وحالت الناقة حيالا ضربها الفحل فلم تحمل .

(٦) أى : انقادت .

(٧) جمع : تميمة وهى العوذة .

(٨) المرادبه : ما لطف وعذب من كلامه البليغ .

(٩) أى : انقلبنا ورجعنا .

(١٠) أى : طلب نزول الرواية .

(١١) الضجر منه .

(١٢) طلب .

(١٣) منعه وستره .

(١٤) السفلة الأرذال من الناس .

(١٥) أعطيتكم وبلغتكم .

(١٦) أى : مطلبا .

(١٧) خوله أعطاه بلامنة .

(١٨) اليد : النعمة والعطاء لأنه يعطى باليد .

(١٩) انقاد .

(٢٠) طرح ورمى .

(٢١) أى : مخبأ كمه وهو كناية عما يعطيه المعطى من العطايا .

(٢٢) الوكاء : خيط يربط به .

(٢٣) أى : أوقد .

(٢٤) أى : دقة فطنته .

أسرارِ ألغازه [1] * وبدائعِ إعجازه [2] * ماجلا [3] بهِ صدأ الأذهان [4] * وجلّى [5]
مطلِعهُ بنورِ البُرْهان [6] * قالَ الرَّاوي : فَهِمْنا [7] * حِينَ فَهِمْنَا [8] * وعَجِبْنا * إذْ
أجِبْنَا * ونَدِمْنا [9] * على ما نَدَّ مِنَّا [10] * وأخذْنا نَعْتَذرُ إليهِ اعتِذَارَ الأكْياس [11] * ونُعْرِضُ
عليهِ ارْتِضَاعَ الكاس [12] * فقالَ : مَأْرَبٌ لا حَفَاوَةٌ [13] * ومَشْرَبٌ لم يَبْقَ لهُ عِنْدي
حَلاوَةٌ [14] * فأطَلْنا مُرَاوَدَتَه [15] * ووالَيْنا مُعاوَدَتَه * فَشَمَخَ بأَنْفِهِ [16] صَلَفًا [17] * ونَأى
بجَانبِه [18] أَنَفًا [19] * وأنشدَ :

نَهانيَ الشَّيْبُ عَمَّا فيه أفْرَاحي   فكَيْفَ أجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ والرَّاحِ [20]

---

(1) أي : أحاجيه واللغز في الأصل جحر اليربوع بين القاصعاء والنافقاء يحفره مستقيما إلى أسفل ، ثم يعدل به عن يمينه وشماله ليخفى مكانه .
(2) أي : تعجيزه البديع وهو من الكلام الذي لم يسبق إليه .
(3) صقل .
(4) أي : دنس العقول والصدأ في الأصل ما يركب الحديد .
(5) أي : كشف .
(6) الحجة .
(7) أي : فتحيرنا من هام يهيم .
(8) من الفهم وهذا من باب التجنيس المركب الذي يسمى المرفو
(9) من الندم .
(10) أي : ما فرط وانفلت منا من غير تأمل .
(11) أهل الفطنة والعقول جمع كيس بتشديد الياء .
(12) أي شرب الخمر .
(13) المأرب والمأربة بمعنى الأربة ، وهي الحاجة وهذا مثل من أمثال العرب ، والمعنى : إنما حملك على ذلك حاجة إلى لاحفاوة بي . أي تلطف وتكرم .
(14) أي : اللذة .
(15) أي : كررنا عليه عرض الشرب وتابعنا معاودة تناله في ذلك .
(16) أي : رفع أنفه تكبرا .
(17) الصلف : مجاوزة القدر والادعاء فوق ذلك ، وصلفت المرأة لم تحظ عند زوجها .
(18) أي : بعد جانبه .
(19) استنكافا وحمية .
(20) الأولى الخمر ، والثاني جمع الراحة ، وهي الكف .

وهَلْ يَجُوزُ اصْطِباحِي[١] مِنْ مُعَتَّقَةٍ[٢] وقَــدْ أنارَ مَشِيبُ الرَّأْسِ اصْبَاحِي[٣]
آلَيْتُ[٤] لاخامَرَتْنِي[٥] الخَمْرُ ماعَلِقَتْ رُوحي بِجِسْمِي وأَلْفَاظِي بِإِفْصاحِي[٦]
ولا اكْتَسَمْتُ[٧] لي بكاساتِ السُّلافِ[٨] يدٌ ولا أَجلْتُ قِـداحِي[٩] بيْنَ أَقداحِ[١٠]
ولاصرفْتُ إلى صِرْفٍ[١١] مُشَعْشَعهٍ[١٢] همّي[١٣] ولا رُحْتُ مُرتاحًا إلى راحِ[١٤]
ولا نَظَمْــتُ على مَشْمُولَةٍ أبدًا شَمْلِي[١٥] ولا اخْتَرْتُ نَدْمانًا سِوَى الصَّاحِي[١٦]
محا المَشيبُ مِراحِي[١٧] حينَ خطّ[١٨] على رأسي فأَبْغِضْ به[١٩] مِن كاتِبٍ ماحي
ولاحَ[٢٠] يلْحي[٢١] على جرْي العِنَانَ إلى مَلْهًى[٢٢] فَسُحْقًا[٢٣] لهُ مِنْ لائحٍ لاحِي[٢٤]

---

(١) أى : شربي أول النهار .

(٢) من خمر قديمة .

(٣) يعني أن بياض المشيب الذي هو وصف الشيوخ ،قد أنار إصباحي . أى قد وضح فى رأسي وغير لون شعرى من السواد إلى البياض ، فكيف مع ذلك يليق أن أشرب الخمر ؟ .

(٤) أى : حلفت .

(٥) أى : لاخالطتني وسترت عقلي .

(٦) أى : مدة تعلق روحي بجسمي ،ومدة تعلق كلامي بالفصاحة .

(٧) أى : لبست،والمعنى : لامست .

(٨) ما سال من العنب قبل أن يعصر ، وقد يقال : سلاف وسلافة .

(٩) أى : أدرت سهام قمارى .

(١٠) أى : بين أقداح الشراب .

(١١) هى : الخالصة غير المشوبة .

(١٢) بدل من صرف وكلاهما من أسماء الخمر . يقال : شعشعت الشراب مزجته . ولم يرد أنها تكون صرفا مشعشعة فى آن واحد ، بل تكون صرفا ثم تشعشع .

(١٣) أى : اهتمامى وهو مفعول صرفت .

(١٤) أى : ولا ذهبت بالعشى فرحا طربا إلى شرب الراح وهى الخمر .

(١٥) المشمولة : من أسماء الخمر يعني : ولا جمعت شملي فى شرب الخمر .

(١٦) الندمان : بالفتح بمعنى النديم أى لم أختر نديما غير الصاحي . أى : الذى ليس بسكران .

(١٧) المراح : بالكسر الطرب واللهو .

(١٨) أى : كتب .

(١٩) أى : ما أبغضه .

(٢٠) أى : ظهر .

(٢١) أى : يلوم .

(٢٢) أى : سعيى وتعمقى فى الملاهى .

(٢٣) أى : بعدا .

(٢٤) أى : ظاهر لائم .

ولوْ لَهوْتُ وفَوْدِي[1] شَائِبٌ لَخَبا[2]   بيْنَ المصابيحِ[3] من غَسّان[4] مِصْباحِي

قَوْمٌ سجاياهُم[5] تَوْقيرُ[6] ضَيْفِهِمُ   والشَّيْبُ ضَيْفٌ لهُ التوْقِيرُ يا صاحِ[7]

قالَ : ثم إنّهُ انْسابَ[8] انْسِيابَ الأَيْمِ[9] وأَجْفَلَ[10] إجْفالَ الغَيْمِ[11] * فعلِمْتُ أنّهُ بِسراجُ سَرُوج * وبدْرُ الأدبِ الذِي يجْتابُ البرُوج[12] * وكان قُصارانا[13] التَّحرُّقَ[14] لِبُعْدِهِ * والتفَرُّقَ مِنْ بعْدِهِ .

***

(1) جانب رأسى .

(2) أى : لخمد وطفئ .

(3) جمع المصباح وهو الكوكب .

(4) قبيلته .

(5) وفى نسخة : سجياتهم . أى : عاداتهم وأخلاقهم .

(6) تعظيم .

(7) أى : ياصاحبى .

(8) أى : جرى .

(9) الحية .

(10) جرى وأسرع .

(11) السحاب الخالى من المطر .

(12) يقطع المنازل قال :

الشمس بجتاب السماء فسريدة   وأبو بنات النعش فيها راكد

وفى الصحاح : جبت البلاد أجوبها واجتبتها قطعتها ، واجتبت القميص لبسته ، وبروج السماء اثنا عشر برجا ، وهى منازل الشمس والقمر والكواكب .

(13) أى : آخر أمرنا وغايتنا .

(14) أى : التوجع .

أما صدر البيت الأخير من الأُغنية ، الذى هو : (فإن وصلا ألذ به فوصل) فإنه نظير قولهم : المرء مجزى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وهذه المسألة أودعها سيبويه كتابه وجوز فى إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها : أن تنصب خيرا الأول وترفع الثانى ، وتنصب شرا الأول وترفع الثانى ، ويكون تقديره : إن كان عمله خيرا فجزاؤه خير ، وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر ، فتنصب الأول على أنه خبر كان ، وترفع الثانى على أنه خبر مبتدأ محذوف وقد حذفت فى هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذى هو أن على تقديرهما ، وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه؛لأنه كثيرا ما يقع بعدها * والوجه الثانى : أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام : إن كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا ، وإن كان عمله شرًا فهو يجزى شراً ؛ فينتصب الأول على أنه خبر كان وينتصب الثانى انتصاب المفعول به * والوجه الثالث : أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام : إن كان فى عمله خير فجزاؤه خير. فيرتفع خبر الأول على أنه اسم كان ، ويرتفع خبر الثانى على ما بين فى شرح الوجه الأول . وقد يجوز أن يرتفع خبر الأوّل على أنه فاعل كان ، وتجعل كان المقدّرة ههنا هى التامة التى تأتى بمعنى حدث ووقع فلاتحتاج إلى خبر ،كقوله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) ويكون التقدير فى المسألة : إن كان خير فجزاؤه خير. أى إن حدث خير فجزاؤه خير * والوجه الرابع وهو أضعفها :أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه فى الوجه الثالث ، وتنصب الثانى على ما بين ذكره فى الوجه الثانى ويكون التقدير : إن كان فى عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التقدير : والمقدرات المحذوفات فيه يجرى إعراب البيت الذى غنى به . ومما ينتظم فى هذا السلك قولهم :المرء مقتول بما قتل به إن سيفا فسيف وإن خنجرًا فخنجر .

(وأما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب) فهي نَعَم إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف ، وإن عنيت بها الإبل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل وفي الإبل الحرف ،وهي الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف ، وقيل : إنها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل . (وأما الاسم المتردّد بين فرد حازم وجمع ملازم)فهو سراويل . قال بعضهم : هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد .وكنى عن ضمه الخصر بأنه حازم . وقال آخرون : بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل ، فهو على هذا القول جمع . ومعنى قوله : ملازم . أي لا ينصرف ، وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع ، وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدّد أو حرفان أوثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بأنه لا نظير له في الاسماء الآحاد وقد كنى في هذه الأحجية عما لاينصرف بالملازم ، كما كنى في التي قبلها عما ينصرف بالملازم (وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل) فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدّم ذكره كقولك : صيارفة وصياقلة . فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به ؛ لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد ، نحو : رفاهية وكراهية . فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة . وقد كنى في هذه الأحجية عما لاينصرف بالمعتقل ، كما كنى في التي قبلها عمّا لاينصرف بالملازم . (وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل) فهي التي تدخل على الفعل المستقبل ، وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب ، فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة . وذلك كقولة تعالى : (علم أن سيكون منكم مرضى) وتقديره : علم أنه سيكون . (وأما المنصوب على الظرف الذي لايخفضه سوى حرف) فهو عندئذ لايجره غير من خاصة . وقول العامة : ذهبت إلى عنده . لحن.

(وأما المضاف الذي أخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة) فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة ، وكل مايأتي بعدها مجرور بها إلا غدوة ؛ فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ، ثم نوّنتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة ؛ لا أنها من نوع المجرات التي لا تنصرف . وعند بعض النحويين أن لدن . بمعنى

عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على ماهو فى ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ، ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك (وأما العامل الذى يتصل آخره بأوّله ويعمل معكوسه مثل عمله) فهو يا ومعكوسها . أى وكلتاهما من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيان ، وإن كانت يا أجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أنه ينادى بأى القريب فقط كالهمزة (وأما العامل الذى نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا) فهو باء القسم وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك: أُقسم بالله. ولدخولها أيضا على المضمر كقولك : بك لأفعلنّ . وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنهما جميعا من حروف الشفة ، ثم لتقارب معنيهما ؛ لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان . ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالأقسام ، ولهذا ألغز بأنها أكثر لله تعالى ذكرا . ثم ان الواو أكثر موطنا من الباء لأن الباء لاتدخل إلا على الاسم ، ولا تعمل غير الجر ، والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم ، وتارة بإضمار ربّ ، وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر (وأما الموطن الذى يلبس فيه الذكران براقع النسوان ، وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال) فهو أوّل مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى :(سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام) والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك : قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث ، حتى انقلب كل منهما فى ضد قالبه وبرز فى بزة صاحبه (وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب) فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما أو فى أحدهما ؛ وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الاشارة نحو : ذاك وهذا . فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل منهما فى رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره (وأما الاسم الذى لايفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين) فهو مهما وفيها قولان :أحدهما أنها مركبة من مه التى هى بمعنى اكفف ومن ما والقول الثانى وهو الصحيح : أن الأصل

فيها ما ، فزيدت عليها ما أخرى ، كما تزاد ما على أن فصار لفظها ماما ، فثقل عليهم توالى كلمتين بلفظ واحد ؛ فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهما . ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلاّ بإيراد كلمتين بعدها كقولك: مهما تفعل أفعل ، وتكون حينئذ ملتزما للفعل ، وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التى بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته أن يكف (وأما الوصف الذى إذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون) فهو ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن ، وهو الذى يتبع الضيف ويتنزل فى النقد منزلة الزيف . وحيث أوردنا هذه المقامة طلبًا لتلك الفائدة فمن اللازم لإتمامها أن نلمح بكيفية شرحها ، ونذكر ما إليه أشار الحريرى -رحمه الله تعالى- من قصة ندمانى جذيمة ، وما يحسن إلحاقه بحفظها مما يكون حلية من حلى الرجال العلماء . فنقول : المعاشرة المخالطة واشتقاقه من لفظ العشرة آخر أولى مراتب العدد . وذلك أنه كان من عادات العرب أن القوم الذين يجتمعون فى معيشة أن يجلسوا على الجفان عشرة عشرة يقال : عشرت القوم . من باب نصر ، أى كملتهم عشرة بكونى معهم. كما يقال : تسعتهم وثمنتهم إلى غير ذلك ، ومنه جاءت المفاعلة والتفاعل. وقطيعة الربيع ناحية عند غربية بغداد كان أقطعها أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء من بنى العباس وزيره أبا الفضل الربيع ، فبنى فيها وبنى الناس معه فصارت قرية كبيرة ، وإليه نسبت يقال : أقطع السلطان بعض رعيته أرض كذا . أى ملكه إياها لينتفع بها كيف شاء وتورث عنه دون مقابل . وكان الموضع المحيط بجامع أحمد بن طولون يسمى بالقطائع ؛ لإنه كان إذ ذاك فضاء فملكه ذاك الوالى لبعض الناس ، فبنوا فيه وصار بلدًا كما تراه فى وقتنا هذا من العمارة الاسماعيلية . والبلج : الوضوح والظهور ، ومنه الحقُّ أبلج. والأنوار جمع نور بفتح النون ، وهو الأبيض من الأزهار ، وخصت الأزهار بغير الأبيض ويقال : زرى عليه من باب ضرب أى عابه وأزرى به من المهموز أى نقصه ، وكان غير لائق به . والمزهر كمنبر : عود الضرب المطرب . والإجماع على الأمر العزم والتصميم. وأما قصة جذيمة وندمانيه واسمهما : مالك وعقيل ، فهى أن جذيمة هذا كان ملك أيام الطوائف بشاطىء الفرات وما والاه إلى السوادستين سنة .

قال ابن الكلبي : جذيمة أوّل من ملك قضاعة بالحيرة وأوّل من حذا النعال وأدلج من الملوك ورفع له الشمع . وكان من أفضل ملوك العرب رأياً وأظهرهم حزماً ، وهو أوّل من استجمع الملك له بأرض العراق وغزا بالجيوش وكان به برص فكنّت العرب عن البرص إعظاماً . فقالت له : جذيمة الوضاح ، وجذيمة الأبرش. وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم ، فصادف حسان بن تبع قد أغار عليهما فانصرف جذيمة ، وصادفت خيول تبع سرية له فقتلوهم ؛ فبلغ الخبر جذيمة فقال :

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالاتُ
في فتون أنت كالؤهم من بلايا غزوة ماتوا
ليت شعري ما أماتهمْ نحن أسرينا وهم باتُوا

وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين وسمّاهما : الضيزنين. ومكانهما بالحيرة معروف وغزا إياداً بعين أباغ ، فبعثوا قوماً منهم سرقوا منهم الضيزنين ، وأصبحوا بهما في إياد فأرسلوا إليه أن صنميك أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا ، فأعطنا عهداً أن لا تغزونا ونردهما إليك ففعل وكان بلغه : أن غلاماً من لخم يسمى عدى بن نصر . مقيم في أخواله من إياد ، وله ظرف ولب وأنه لحسن أن ينادم الملك ويقوم بمجلسه ؛ فاشترط على إياد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر. وكان له جمال وظرف ، فدفعوه إليه معهما فضمه إلى نفسه ، وكان ينادمه فتعشقته رقاش أخت جذيمة فبعثت إليه : إذا سقيت أخي واستنشى فاخطبني لك ، وأشهد عليه ففعل ، فلما طرب جذيمة خطبها ، فأنعم عليه وأشهد عليه ، فقال له : عرس بأهلك ففعل ، وأصبح على جذيمة مضرجا بالطيب ، فقال له : ما هذه الآثار؟ . فقال : آثار العرس . قال : وأي عرس ؟ قال : عرس رقاش. فأكب جذيمة على الأرض ، وفرّ عدى ، وطلبه جذيمة فلم يدركه وقيل : ظفر به ، وقال لرقاش :

حدّثيني رقاش لا تكذبيني أبحرٍّ زنيتِ أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبدٍ أم بدونٍ فأنت أهل لدون

فقالت له :

أنت زوّجتني وما كنت أدري فأتاني النساء للتزيين

ذاك من شربك المدامة صِرْفًا   وتماديك فى الصبا والمجون

فحبسها فى قصرها فاشتملت على حمل ، فأتت بغلام وسمته عمرا ، وربته حتى ترعرع فجملته وأعطرته وألبسته كسوة مثله ، ثم أزارته خاله فأعجب به وأُلقيت عليه محبته. وخرج جذيمة فى سنة قد أكمأت وبسط له فى روضة وعمرو مع غلة يجتنون الكمأة فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم يقول :

هذا جناى وخياره فيه   إذ كل جان يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحل منه بمكان ، ثم إن الجن استهوته فطلب زمانا وأرسل فيه فى الآفاق فلم يجد له خبرا ، ثم إن عمرا أوفى على مالك وعقيل ابنى فارج بن مالك بن كعب ابن قيس بن حمير بن قضاعة ، وقد نزلا منزلاً ، وهما متوجهان إلى خاله جذيمة ، ومعهما قينة يقال لها : أم عمرو ، وهى تغنيهما وتسقيهما ، فرأت عمرا وقد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فاحتقرته ، فرمت إليه بكراع من طعامهما وناولتهما وأوكأت زقها ، ولم تناول عمرا شيئاً ؛ فقال لها عمرو :

صددت الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذى لا تصبحينا

فما شرب الشراب كمثل عمرو   وما نالَ المكارم فأصبحينا

فلا تنكرى عمرا فإنى   أنا ابن عدى حقا فاعرفينا

وخالى لا أبالكِ ذو المعالى   جذيمةُ كيف ويْحكِ تُنكرينا

فقالا له : من أنت يافتى ؟ قال : أنا عمرو بن عدى فضماه إليهما وغسلا رأسه وأخذا من شعره وقلما أظفاره وألبساه بعض الثياب التى كانت معهما ، وقالا : ما كنا نهدى جذيمة أنفس من ابن أخته ، ثم وردا به على جذيمة فسر به سرورا شديدا . وقال لهما : تمنيا فسألاه أن يكونا نديميه ما عاش وعاشا ، فنادماه أربعين سنة ما أعادا عليه حديثا فضرب بهما المثل فى تأكيد الألفة . وقال متمم بن نويرة فى مالك أخيه حين قتله

خالد بن الوليد فى غزوة أهل الرِّدة ، وكان متمم أخوه أحد الصحابة ، ولما قتل مالك أخوه جزع جزعًا شديدًا ، وأكثر من قول الشعر فى ذلك ، وقال له يومًا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : ليت أخى زيدًا قيل فى رثائه مثل ما تقول فى مالك أخيك ! فقال : لو علمت أن مالكا مات على الإسلام كزيد أخيك مارثيته. والبيتان الموردان فى هذا الموضع من قصيدة طويلة :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرّقنا كأنى ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وقال أبو خراش الهذلى يرثى أخاه :

تقول أراه بعد عروة لاهياً   وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أن قدتناسيت عهده   ولكن صبرى يا أميم جميل

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا   خليلا صفاء مالك وعقيل

وغزا جذيمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة الصميدع العمليقى من العماليق وهم قوم من حمير ، وكان ملك الجزيرة وملك الحضر ، وهى مدينة قديمة بين دجلة والفرات ، فهزم جذيمة جيوش عمرو وقتله ومزّق جموعه ، وقال فى ذلك شاعرهم :

كأنَّ عمر بن برق لم يكن ملكاً   ولم تكن حوله الرايات تختفق

لاقى جذيمة فى شعواء مشعلة   فيها حراشف بالنيران ترتشق

فملكت بعده الزباء ابنة واسمها نائلة . قال ابن الكلبي : ولم يكن فى عصر الزباء أجمل منها جمالاً ، وأكمل منها كمالاً ، وكان لها شعر إذا مشت يتدلى وراءها وإذا نشرته جلّلها فسميت الزباء ، لكثرة شعرها ، فجمعت خيل أبيها ، وغزت بالجيوش من حواليها من الملوك فذللتهم فضرب بها المثل ، فقيل : أعز من الزباء . واشتهر عنها علوّ الهمة وسموّ القدرة ، وقوة المنعة ، ومضاء العزم ، وبذل الأموال ، فلما استحكم ملكها أرادت أن تغزو جذيمة ، لتدرك فيه ثأر أبيها ، فنهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت : لا طاقة لك به ،ولكن ابنى أمرك فيه على المكر والحيل ، فبعثت إلى جذيمة تخطبه

على نفسها ليتصل ملكه بملكها فيصيرا بذلك أعز الملوك ، وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه فى الظفر بها ، فأخبر أرباب دولته بمخاطبتها إياه ، فكلهم أشار عليه أن يتزوجها إلاّ قصير بن سعد بن عمرو ، وكان لبيباً عاقلاً له عزم وحزم ، وكان خازنه وعميد دولته ، فإنه قال له : هذا رأى فاتر لأن الزباء قتلت أباها والدّم لاينام ، ولك فى بنات الملوك الأكفاء متسع ، فقال له الملك : إن النفس إلى ما تحب توّاقة ، وإن كان القدر قد جرى بشىء فلا مفرّ عنه ، وكتبت إليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح . وقالت له : لولا أن السعى فى مثل هذا بالرجال أجمل ، ولهم ألزم لسرت إليك . وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والأموال والذهب هدية سنية ، فلما وصلت أبهجته ، وحسب أن ذلك لفرط رغبتها فيه ، فشاور قومه وابن أخته عمرا فشجعوه على المسير إليها ، واستخلف عمرًا على ملكه ، وسار فى خواصه حتى نزلوا بالفرضة فشاور خواصه وقصيرًا فى الجملة ، فأشاروا عليه بالمسير إلاّ قصيرًا فإنه قال: أيها الملك كل عزم لايؤيد بحزم فآخره إلى فساد ، ولولا أن الأمور تجرى على المقدور لعزمت على الملك أن لا يفعل ! .

فقال جذيمة : الرأى مع الجماعة . فقال قصير : أرى القدر سابق الحذر ، ولا يطاع لقصير رأى ! . فلما قرب من ديارها أرسل إليها يعلمها بموضعه فأظهرت السرور به ، وأخرجت له هدايا وأنواعا من الأطعمة والأشربة ، فقال لقصير : كيف ترى ؟ فقال قصير : من لم ينظر فى العواقب لم يأمن المصائب ، فاستدرك الأمر قبل فوته وارجع فإن فى يديك بقية تستدرك بها الصواب ، وإن كنت لابدّ فاعلاً فإن القوم إن تلقوك غدًا يجىء قوم ويذهب قوم فالأمر فى يديك ، وإن تلقوك صفين فإذا توسطتهم ، وأحدقوا بك فقد ملكوك ، وهذه العصا - وهى فرس لجذيمة - تسبق الطير فسأعرضها لك فاركبها لتسلم عليها فإنه لا يشق غبارها . فأرسلها مثلا ، فلما كان غد لقوه صفين ، فلما توسطهم انقضوا عليه ، فقال لقصير : صدقتَ فما الرأى ؟ فقال له : قد تركت الرأى وهذه العصا اركبها . فشغله الأمر عنها ، فلما رأى قصير الجيوش تسير بجذيمة أعطى العصا عنانها ، فهوت به هوىّ الريح فتطاول إليه جذيمة ينظره ،

فقال : ويل له جذيمة ، فجرت به إلى غروب الشمس . قال الأصمعى – رحمه الله تعالى – لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ، ثم وقفت فبالت ؛ فبنى على الموضع برج يسمى برج العصا . وأشرفت الزباء من قصرها تنظر إلى جذيمة – وهو يساق – فقالت : ما أحسنك من عروس يزف إلىّ ! فدخلوا به إليها وحولها ألف وصيفة لاتشبه واحدة صاحبتها فى خلْقٍ ولا زِىّ ، وهى بينهنّ كالقمر حفت به النجوم ، فأمرت بالأنطاع فبُسطتْ وقالت للوصائف : خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن ، فأجلسته على الانطاع ففعلن به ذلك ، ثم كشفت له عن شعرتها فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها ، فقالت له : ياجذيمة أشوار ذات عروس ؟ قال : بل شوار بظراء تفلة ، وأمر غدر قد بلغ المدى . فقالت : والله ما ذاك من عدم المواسى ، ولكنها شيمة أناسى ، ثم أمرت به فسقى الخمر حتى أخذت فيه ، وكانت الملوك لاتضرب الأعناق إلا فى الحرب ، ثم أمرت أن تقطع رواهشه ، وقالت : تحفظن بدمه لأنه إن قطرت من دمه قطرة فى غير الطست طلب بدمه ، فجرى دمه فى طست ذهب ؛ فلما ضعفت يدا سقطتا فقطرت على النطع من دمه قطرات ، فقالت : لاتضيعوا دم الملوك . فقال لها : لا يحزنك دم ضيعه أهله . فذهبت مثلاً .

فقالت : إنَّ دماء الملوك شفاء من الكلب ، ووالله ما وفّى دمك ، ولا شفى قتلك ، ثم أمرت به فدفن .

وكان عمرو بن عدى يخرج كل يوم لبعض الحيرة يستطلع أمر خاله ؛ فنظر يوماً إلى فارس قد أقبل ، فأشرف عليه قصير ، فقال له : ما وراءك . فقال له : سعى القدر بالملك إلى حتفه فاطلب بثأره ، فقال عمرو : وأى ثأْر يطلب من الزباء ، وهى أمنع من عقاب الجوّ ؟ فقال قصير : والله لا أنام عن طلب دمه ما لاح نجم ، فاجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى وإياها . فقال عمرو : ما أنت لذلك بأهلٍ وقد علمت نصحك لخالى . فقال : خل عنى إذا فجدع أنفه فلحق بالزباء ، فقالت : ماجاء بك ؟ فأشار بظهره ، وأنفه . فقالت العرب : لأمر مَّا جدع قصير أنفه . فقالت : يا قصير وبيننا دم خطير ! فقال ياابنة الملوك العظام لا ثأْر ولا قود ، ولقد أتيت فيه ما يأْتى مثلك

فى مثله ، وقد جئتك مستجيرًا بك من عمرو ، فإنه علم أنى أشرت على خاله بالمجىء إليك ، فجدع أنفى وأذنى وأوجع ظهرى ، وحال بينى وبين مالى وولدى ؛ فاستجرت بك لعلمى أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك .

فقالت له : أهلاً وسهلاً ، وكان يبلغها من رأيه وحزمه فاختصته وأنزلته واصطفته ، فلما وثقت به أخذت تستشيره فى أمورها ، فقال لها يومًا : إن عمرًا يطلبك بخاله ، والرأى أن تتخذى نفقاً لعلّك تحتاجين إليه . فقالت له : إنى قد اتخذته تحت سريرى ، وخرجت به تحت سرير أختى . وكان الفرات يشق بين قصريهما ، فأظهر لها السرور ، ثم قال لها : إنّ لى بالعراق أموالاً كثيرة تصلح للملوك ، فإن جهزتنى بالمال للتجارة توصلت به إلى أخذ تلك الذخائر ونقلها إليك فجهزته ، فاحتال حتى وصل إلى عمرو فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والأسلحة فرجع بها ، فلما تحققت نصحه أرسلته إلى العراق ثالث سفرة ، ليضرب لها باعدة من السلاح ويشترى لها خيلاً وعبيداً لتجهز جيشًا إلى من حواليها من الملوك ، فمشى فيما أمرته به وتوصل إلى عمرو ، وقال : قد أصبت الفرصة من الزباء . فقال عمرو : قل أسمع ومر أفعل ، فأنت طبيب هذه القرحة . فقال : الرجال والمال . فقال : حكمك فيما عندى مسلط . فعمد إلى ألفى رجل من أهل القتال وجعلهم فى غرائر سود ، وجعل سلاحهم السيوف والحجف ، وجعل رؤوس الغرائر مربوطة من داخلها وجعل عمرا فى الحملة وساق الخيل والعبيد ، فلما قاربها بعث إليها البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به ، فسألت عن العير : أين نزل ؟ فقيل لها : بالغوير . وكانت تنظره من غير طريق الغوير ، فقالت : عسى الغُويرُ أبؤسًا .

وتقدّم قصير فدخل عليها يسرها ، فرقيت سطحا عاليًا لتنظر مجىء الإبل ، فنظرت قوائمها تسوخ فى الأرض لما عليها من الأثقال ، فقالت : ياقصير :

ما لِلجمـــال مشيُها وئيـــدًا ... أجنْـدلًا يحمِلْـن أمْ حـديدا

أم صرفـانا باردًا شـديدًا ... أم الرجـالُ جُثَّما قُعـــودًا

وكانت قالت لجواريها : إنى أرى الموت الأحمر فى الغرائر السود . فذهبت مثلا ، فدخلت الجمال المدينة ، فجس بواب بمخصرة فى يده غرارة على آخر بعير فأصابت

المخصرة خاصرة رجل فضرط ، فصاح الشر الشر ، فأظهروا علامة كانت بينهم فحلّوا رؤوس الجوالق فخرج منها ألفا دارع بألفى سيف ، فصاحوا يالثأر الملك المقتول غدرًا ! وهربت الزباء تطلب النفق إلى تحت الفرات ، فسبق عمرو إلى بابه مع قصير ، وكانت صورة عمرو مصورة فى جانبيها ، فعندما رأته عرفته ، وكانت جعلت تحت فص خاتمها سم ساعة ، فمصّت الفص وقالت : بيدى لا بيد عمرو . فسقطت وعمرو وقصير يضربانها بالسيف ، فماتت بين السم والسيف ، فاستباحوا بلدها بما فيه ، واستولى عمرو على مملكتها ، واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه ، وتوارثها بنوه واحدًا واحدًا إلى النعمان ابن المنذر – وهو الذى أدرك زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى – وهو آخرهم – وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام ، وقال ابن دريد :

لقد سما عمرو إلى أوتاره فاختط منها كل عالى المنتمى

واستنزل الزباء قسرًا وهى من عقاب لوحِ الجوّ أعلى منتهى

هذا وتجويز الحريرى : أن يكون المحذوف كان التامة ، التى بمعنى حدث والمرفوع فاعلها ردّه العلماء بعدم انسياق الفهم لها ، حيث لم يكن معتادًا حذفها ، ولكان موضع آخر كثر حذفها فيه وتعويض كلمة : ما التأكيدية . عنها كقول الشاعر :

أبا خُراشة أما أنتَ ذا نَفَر فإنَّ قَوْمِى لم تأكلْهم الضَّبُع

الأصل : أن كنت . مثل قوله تعالى : (أن كان ذا مال) [سورة القلم : ١٤] . فحذفت كان وحلت ما محلها ، وانفصل الضمير ، وحل البيت : يا أبا خراشة لأجل ان كنت ذا نفرٍ ، وصاحب عشيرة يحمونك ويدافعون عنك جزت حدك وتعديت طورك وأدللت علىّ ، كأنك ظننتنى فريدًا لست ذا عشيرة مثل عشيرتك ؛ فاكفف من غربك والزم أدبك وقف عند حدك ، فإن قومى الذين عرفتهم لم تأكلهم الضبع ، والمراد بالضبع الحيوان المعروف أو السّنة المجدبة ؛ إذ كان من عاداتهم أن يتركوا القتلى فى الحروب ، حتى تأكلهم السباع . قال عليه الصلاة والسلام حين قتل حمزة عمه رضى الله عنه : « لولا أن تجد صفية – وهى أخت حمزة – لتركته حتى يُحشر من أجواف السباع وحواصل الطيور » .

وقال الشنفرى :

فلا تَقْبرُونِى إنَّ قبرى مُحرَّمٌ عليكُم ولكن أبشرى أم عامِرِ
إذا حملوا رأسى وفى الرأس أكثرى وغودر عنـد الملتقى ثم سائِرِى
هنالك لا أرجو حياةً تسرُّنى سجيس الليالى مبسلاً بالجرائر

وأم عامر كنية الضبع . فكأنه قال: فإن قومى لم تفنهم الحروب حتى أكلتهم السباع ، أو فإن قومى لم تتتابع عليهم أيام قحط وجدب حتى أفناهم الجوع . ومن الضبع بمعنى السنة قول أبى العلاء المعرى :

إذا الضبع الشهباء حلَّت بساحتى نضوت عليها كل موارة الضبع

واختصت أيضا كان :

بجواز حذف نون مضارعها حيث يجزم ، ولم يتصل به ساكن ، ولا ضمير

وأفعال هذا الباب من الألفاظ المشتركة فتستعمل تامة مقصودة المعانى بالإفادة ، كما تقول لصاحبك : أمسيت . أى دخلت فى المساء ، إلا فتىءَ وليس وزال ، التى مُضارعها يزال .

وأثبت النحويون إعمال أربعة أحرف من حروف النفى إعمال ليس وهى : ما ، وإن ، ولا ، ولات .

أما كلمة ما ، فنسبوا إعمالها لأهل الحجاز ، فيقال : ما حجازية ، ويقال عند إهمالها : تميمية . وباللغتين ورد قوله تعالى : (ما هذا بشرًا) [سرة يوسف: ٣١] . بنصب بشر ورفعه ، وألطف الشاعر فى قوله :

ومهفهف الأعطافِ قُلتُ له انتَسِبْ فَأجاب ما قَتــلُ المحبِ حــرام

يقول : انه انتسب إلى تميم حيث تكلم بلغتهم ، ولكن إعمالها مشروط. بأربعة شروط.

الأوّل : ألاّ تصحبها إن مثل : ما إن الحق خاف .

الثانى : ألاّ ينتقض نفيها بالأمثل : ما أنت إلاّ مجتهد فبالغ أو متوان فمحروم

لأن إعمالها إنما هو بجهة نفيها . ولذلك إذا استدركت أو أضربت بعد منصوبها بإثبات مخالفه رفعت ، وكان المرفوع جزء جملة حذف صدرها . مثل : ما زيد كاتبا لكن شاعر أو بل شاعر . أى لكن هو أو بل هو .

الثالث : أن لا يتقدم معمول الخبر على المبتدإ أو ليس ظرفًا ولا صاحبه .

الرابع : أن لا يتقدم الخبر على المبتدإ ولذلك حكموا بغلط التميمى ، وهو أبو فراس همام بن غالب المشهور بالفرزدق ، حيث أراد أن يتكلم بلغة ممدوحه الحجازى ، فقال :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلَهمُ بشرُ

فنصب لفظ : مثل ، والصواب رفعه بذلك الشرط . وأما كلمة : إن فنسبوا إعمالها لأهل عالية نجد خاصة . قال شاعرهم :

إن هو مُستوليًا على أحدٍ إلّا على أضعفِ المجانين

ومن كلام بعضهم : إن أحد خيرًا من أحدٍ إلاّ بالعافية . ولقلة من أعملها حكم النحويون بقلة إعمالها .

وأما لا ولات بزيادة التاء ، فلم ينسبوا إعمالها لأحد ، غير أنهم نقلوا اختصاص لات بالعمل فى أسماء الأزمنة ، كالحين والوقت والمدة والأوان ، وأنه يلزم حذف أحد معموليها وحذف المرفوع أكثر كقوله تعالى : (ولاتَ حين مناص) [سورة ص:٣] . تقديره : ولات الحينُ حين مناص . وأثبت الكوفية : أن بعض العرب يجرُّ بها على اختصاصها بأسماء الأزمنة ، وشاهدهم على ذلك قول أبى فراس :

طلبوا صُلْحنا ولات أوانٍ فأجبنا أن ليس حينَ بقاءُ

وهى عندهم حينئذ مثل : رب ولعل . وجرى على ذلك أبو الطيب حيث كانت الكوفة منشأه ، وبها تأدب فقال :

لقد تَصبَّرتُ حتى لات مصطبر والآن أقحم حتى لاتَ مقتحِمِ

وتفسير البيت تصبرت إلى زمن غير زمن اصطبار ، والآن أقحم إلى زمن غير زمن اقتحام ، ويظهر أنهم حكموا بإسميتها وتصرفها تصرف كلمة غير ، فيكون التقدير في قول أبي فراس : طلبوا صلحنا وغير أوان صلح أوان طلبهم . وقد نصّوا على إسمية لا في نحو : جئت بلا زاد. وأما لا فقال البصرية : إنها تعمل بشروط ما في النكرات لا غير كقوله :

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرض باقيًا ولَا وزرٌ مما قضى الله واقيًا

وأثبت الكوفية إعمالها في المعارف ، وعليه قول أبي الطيب :

إذ الجودُ لم يُرزَقْ خَلاصًا من الأذى فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا

وإنما تعرضت في هذا الموضع لحكاية نقل الكوفيين ؛ ليعرفه الطلبة في كلام أبي الطيب المتنبي حيث يَرِبُهم عند قراءته اللازمة لطلبة العلم ؛ ليعرفوا تفاوت الأقوال في البلاغة ، وحسن السياق واختيار العبارات ؛ إذ كان ذلك هو الطريق لمعرفة إعجاز القرآن .

وأما كاد وأخواتها ، فإنها تختص من بين الجمل الابتدائية بجملة يكون خبرها فعلاً مضارعًا رافعاً لضمير المبتدإ ، مثل : وإن كادُوا لَيفْتِنُونَكَ . وإن يكَادُ الَّذِين كَفَرُوا ليزلقونَك . وما كَادُوا يفْعلُون .

وأما نحو :

فأبت إلى فهم وما كدت آيباً وكَمْ مِثلُهَا فارقتُها وهي تَصْفِرُ

ونحـو :

أكثرتُ في العذْلِ مِلِحًا دائمًا لا تُكْثِرنْ إني عسيْتُ صـائِما

ونحو : عسى الغوير أبْؤُسا .

فمحكوم بندرته وعدم جواز استعمال مثله ، لكن يجب اقتران خبر : حرًا ، واخلَولق . بكلمة إن مثل :اخلولقت السماء أن تمطر. وهو الأكثر في خبر : عسى ، وأوشك .وفي خبر : كاد وكرب الأكثر التجرّد منها ؛ فمن الكثير قول العرب :كاد المنتعل يكون راكبًا ، وكاد العروس يكون ملكاً ، وكاد الحريص يكون عبدًا ، وكاد سيء الخلق يكون سبعًا ، وكاد الفقر يكون كفرًا ، وكاد البيان يكون سِحرًا ، وكاد النعام يكون طيرًا ،

وكاد البخيل يكون كلبا .

ومن القليل ما وقع فى بعض المروى عنه صلى الله عليه وسلم : « كاد الحليم أن يكون نبيًا . وكاد الفقر أن يكون كفرًا . وكاد الحسد أن يسبق القدر » .

ويجب التجرد فى أخبار أفعال الشروع ، ولعسى واخلولق وأوشك استعمال آخر ، وهو : أن يُؤْتَي بعد الأفعال بأن ومدخولها . ويقال : أن وما دخلت عليه سدّت مسد الاسم والخبر نحو : عسى أن ينجلى الحق ، وأوشك أن يحسن التحصيل . وحينئذ يكون لك فى إعرابه وجهان :

الأوّل : أن تقول أن وما دخلت عليه فى موضع الاسم والخبر وسادّة مسدّهما .

والثانى : أن تقول خبر مقدم واسم مؤخر .

وبناء على الأوّل تقول : عسى أن يقوم الزيدان ، وعسى أن يقوم الزيدون ، وعسى أن تقوم الهندات ، وعسى أن تظهر الشمس ، وعسى أن يظهر الشمس ، والزيدان عسى أن يقوما ، والزيدون عسى أن يقوموا ، والهندات عسى أن يقمن ، وهند عسى أن تقوم .

وبناء على الثانى تقول : عسى أن يقوما الزيدان ، وعسى أن يقوموا الزيدون ، وعسى أن يقمن الهندات ، وعسى أن تظهر الشمس لاغير ، والزيدان عسيا أن يقوما . والزيدون عسوْا أن يقوموا ، والهندات عسيْن أن يقمن ، وهند عست أن تقوم .

وبعض العرب يكْسر سين عسى ، عند إسناده للضمائر البارزة ، وبه قرأ نافع .

* * *

إن وأخواتها

بيان الأحرف (الثمانية) التي تنصب المبتدأ، ويقال له اسمها وترفع الخبر ويقال له خبرها، وهي: إنَّ، وأنَّ، ولكن، وكأنَّ، ولعل، وليت، ولا، وإلاّ.

الأحرف الستة الأول يمتنع تقديم أخبارها على الأسماء ما لم تكن ظروفاً أو صواحبها، ولنفرد كل حرف بالكلام عليه فنقول:

الكلام على إنَّ: تكون في جملة مستأنفة، وجملة صلة، وجملة جواب القسم، وجملة حكيت بقول، وجملة أخبر بها عن اسم عين، وجملة أضيفت لها حيث، وجملة وقعت حالاً، وجملة وقعت بعد حتى الابتدائية، وهي التي لا يقصد فيها معنى الغاية، بل يقصد فيها معنى السببية. كقولك: أصلح زيد أحواله حتى إن الناس متفقون على شكره. وتصحبها لام الابتداء فتزحلق عن موضعها الذي كان لها، حيث كان اسم إنَّ مبتدأ إلى خبر ان فتدخل عليه وعلى معموله المتقدم عليه، وعلى الفصل في نحو: إن زيداً لهو المنطلق، وإن هندا لهي المنطلقة. تقريباً للام من موضعها حسب الإمكان، فلو تأخر الاسم عن المبتدإ صحبته ولم تصحب الخبر لزوال المنكر، الذي هو اجتماع مؤكدين حرفين شبيهين بالزائد في الكلام.

وإذا كان خبر إن منفياً، أو فعلا ماضياً متصرفًا خاليًا من قد، امتنعت اللام وتخفف إن بحذف النون الثانية، وببقائها حرفين متحرك وساكن فيزول اختصاصها بالاسم، وتدخل على الفعل، ويكثر إهمالها مع وجود الاسم بلصقها، وحينئذٍ تلزم اللام معها لرفع اشتباهها بأن النافية، فلو تعينت بدون اللام لم تلزم كقوله:

إن الحق لا يخفى على ذى بصيرة. وقوله:

أنا ابنُ أُباةُ الضَّيم من آل مالِك   وإنْ مالكٌ كانتْ كرام المعادن

إذ لا يحتمل الكلام النافية لظهور فساد المعنى ، وإذا دخلت على الفعل فأكثر ما يكون فعلا ماضيا ناسخا نحو : إن كاد ليصدّنا . إن وجدنا أكثرهم لفاسقين . إن كانت لكبيرة . ودونه أن يكون فعلا مضارعا ناسخا نحو : إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك. وإن نظنك لمن الكاذبين . و ونه أن يكون فعلا ماضيا غير ناسخ نحو ، إن قتلتُ لمُسلمًا .

واختلفوا في صحة القياس عليه . ودونه : أن يكون فعلا مضارعا غير ناسخ نحو : إنْ يزينك لَنَفسُك ، وإن يشِينك لِهِيَة .

وأجمعوا على امتناع القياس عليه ، والسِّر في ذلك أن وضعها على الاختصاص بالجملة الاسمية ، فحاولت اللغة عند تخفيفها أن لا يزول اختصاصها بالمرة ،فأصحبوها النواسخ التي هي مصاحبة دائما لجملة المبتدإ والخبر فكأنها لم تزل عمالها *

(الكلام على أن) * هي من الموصلات الحرفية كما سبق ، فالجملة بعدها مفرد مطلوب لإتمام الكلام أومتعلق من متعلقاته . وذلك المفرد مصدر يؤخذ من خبرها ، ويضاف لاسمها إن كان الخبر مشتقًا ونفس الخبر مصحوبا بياء النسب ، التي تسمى ياء المصدرية ، وتاء التأنيث إن كان الخبر جامدا فتقول في نحو : بلغني أن زيدا قائم . تقديره بلغني قيام زيد ، وفي نحو : بلغني أن زيدا أسد . تقديره بلغني أسدية زيد أي كونه أسدا . وتقع فاعلا كما مرّ ومفعولا نحو :علمت أنَّ زيدا كاتب . ومجرورا نحو : قصدتك أنك فاضل . أي لأنك ، وتثاب في الآخرة بأنك تعمل الخير في الدنيا ، ولأجل أنك مستقيم أحبك الناس . ومبتدأ نحو : يعجبني أنَّ زيدا مدرك .

وخبر المبتدإ هو اسم معنى غير قول ولا يكون خبر انَّ صادقا عليه ، بحيث يكون من أفراده وإلا كان موضع المكسورة نحو : زيد إنه فاضل . في الإخبار عن اسم العين ،وقولى أنه مستقيم ، واعتقادى أنه حق ، وخبر زيد أنه صادق . فالاعتقاد فرد من أفراد الحق ، وخبر زيد فرد من أفراد الصادق ، فلا يصح اعتقادى حقيقته ، ولا خبر زيد صدقه . والمثال الجامع للشروط حال زيد أنه يقول الحق ، ومعتقدى أنه شاعر . تقول : حاله قول الحق ، ومعتقدى شعره .

وتقع معطوفة على تلك الأشياء ، فالحاصل أن جملتها بالنسبة لأجزاء الكلام غير مقصودة الجملية ، وإن كانت جملتيها بحسب المعنى مقصودة ، إذ مركز التوكيد والتقوية هو نسبة الخبر للمبتدإ ، حتى أنه ليس معنى قول من يقول : أعجبني أن زيدا قائم . على تقدير : أعجبني قيام زيد أن نفس القيام ، الذى هو الانتصاب هوالذى أعجبه من حيث سرعته أو مهلته مثلا ، بل معناه أن الذى أعجبه صدور القيام وحصوله من زيد ، وهذا هو معنى الجملة .

وتخفف أن فلا يزل اختصاصها ، لكنها تلزم حالاً هى أن اسمها لايذكر ، وهو ضمير شأن إن لم يكن المحل صالحًا لضميرعادة ، وأن خبرها يجب أن يكون جملة : اسميةأوفعلية فعلها جامد ، أودعاء ، أومنفى ، أو مبتدأ بقد ، أو مبتدأ بالسين أو سوف أو لو نحو : علمت أن زيد قائم ، وبلغنى أن نعم زيد . والخَامِسة أن غضب الله عليهـا . أيحْسبُ أن لنْ يقْدِر عليه أحد. وعلم أن سيكون .

واعـلمْ فَعلـم المسرء ينفعـه　　　أن سوْف يأْتى كُلُّ ما قـدرا

وسرنى أن قد قام زيد . وأن لواستقامُوا على الطريقة .

وهنالك أربعة مواضع يجوز فيها على اختلاف الملاحظة أن تأْتى بالمفتوحة ، وأن تأْتى بالمكسورة .

الأوَّل : حيث يقع التركيب بعد إذا الفجائية . كقوله :

وكنتُ أرى زيدًا كَما قِيلَ سيدا　　　إذا أنَّه عبد القَفَـا واللهْـازِم

معنى البيت : كان يخيل لى سيادة زيد وفق المشهور عنه ، فلما اختبرته وجدته مبذول الهمة فى تسمين بدنه ، فهو عبد شهواته لايحتمل مكاره السيادة اللازمة لمن أراد الشرف والرآسة والتقدم على الغير . قال العربى :

ببذلٍ وحلم ساد فى قومه الفتى　　　وكَوْنُكَ إيَّـاهُ عليك يسيـر

وقال أبو الطيب :

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلُّهم　　الجودُ يُفقر والإقـدامُ قتّال

فإن الواقعة بعد إذا يجوز فتحها على أن المذكور أحد ركني الجملة ، والآخر محذوف . والتقدير : فإذا عبوديته لقفاه ولها ذمه هي الواقع ، ويجوز الكسر على أن المذكور الجملة بتمامها .

الثاني : إذا وقعت بعد قسم ، وليس معها لام نحو : أحلف أو أقسم بالله أن اليقين خير من الظن ، فإذا كان التقدير : أحلف على أن اليقين خَيْرٌ . فَتَحْتَ أن وتكون حذفت الجارّ .

الثالث : إذا وقعت بعد فاء جواب الشرط . نحو : (مَنْ عَمِلَ منكُم سوءا بِجَهالةٍ ثم تَاب من بعده وأصلح فأنه غفورٌ رحيمٌ) . الفتح على تقدير : فمغفرته له ورحمته إياه واقعتان حسبما ما تفضل بكتابته على نفسه جل ذكره .

الرابع : حيث يكون خبرها يمكن أن يؤخذ منه ما يصدق على المبتدإ . نحو : أوّل كلامي وآخره أنّي أشكرُ اللهَ على تَواتِرِ نَعْمائِه .

فالكسر على أن المقصود أوّل الكلام وآخره هذا اللفظ ، والفتح على أن التقدير : أوّل الكلام وآخره شكر الله . وأما كأن فإنها إذا خففت لم تهمل ويكون اسمها مذكوراً ومحذوفاً ، واسما ظاهرا وضميرًا ، وإذا كان خبرها مضارعًا غلب كونه منفيًا نحو : كأنّ لم تغنَ بالأمس . وإذا كان ماضيًا كان مقترنًا بقد . نحو : كأن قد ألما . ووقُوعه مذكورًا . نحو :

ويوماً تُوافِينَا بوجـهٍ مقسَّمٍ　　كأنْ ظبية تعطو إلى وَارِقِ السَّلم

وأما لكن فإنها إذا خففت أهملتْ في الفصيح ، وأما ليت ولعل ؛ فإنهما لا يخففان . وهذه الأحرف الستة تعقبها ما فيزول اختصاصها بالاسم ، وتدخل على الفعل فيجوز إعمالها حينئذ وإهمالها حيث تدخل على الاسم إلاّ ليت فلا يزول اختصاصها ، ولذلك كان إعمالها أكثر من إهمالها بل أوجبه بعضهم ، ودخولها على الفعل نحو : زيد كأنما ينظر بعيني أسد . ونحو : إنما رأيته وهو ساكت . إلاّ أن ، ولكن ، وأن إذا أتيت بعد استكمال جملتها

من الاسم والخبر باسم يشارك اسمها فى حكمه ، جاز لك عطفه عليه وجاز لك رفعه بالابتداء ، والخبر محذوف لدلالة السابق ، أو بالعطف على الضمير المستتر فى خبر إن ، وحينئذ لا بدّ من الفصل بينه وبين حامل الضمير ، كما ستقف عليه عند القول فى النواسخ نحو : إن زيدا قائم وعمرو . أى كذلك ، وإن زيدا قائم هو وعمرو .

(الكلام على لا) إذا أردت أن تنص على انتفاء شىء عن جنس شىء ، بحيث يكون الانتفاء عن جميع أفراده جئت بلا وتسمى : لا التبرئة ، ولا النافية للجنس . ونصبت بها الاسم لفظا إن كان مضافا أو رفع فاعلا ، ويسمى هذا وما بعده : شبيها بالمضاف أو نصب مفعولا أو تعلق به ظرف نحو : لا غلام خدمة عند زيد ، ولا ظريفا طبعه مذموم ، ولا قارئا علما محروم ، ولا رفيقا بالناس مشتوم ، ولا واقفا عند حده مزيف . ونصبته محلا وبنيته على الفتح إن كان غير ذلك . نحو : لا رجل قائل ما تقول . وعلى الياء فى نحو : لا رجلين ولا غافلين . وعلى الكسر فى نحو : لا ذا كرات . نيابة عن الفتحة .

وشاع فى تركيب لا هذه ترك اللفظ بالخبر لانفهامه . ومنه قول القارىء : لا أحد بعد قراءته ، ومن أصدق من الله حديثا ، وقوله تعالى : (لا مساس) ، وربما أريد بتركيبها الذى هو من الخبريات النهى ، فيصير من الانشائيات مثل : هذا ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، ولا بأس باستيفاء القول فى لا فى هذا الموضع .

قد عرفت أنها من أحرف النفى ، لكنها ذات أحوال مختلفة ، فإذا دخلت على المضارع لم تعمل شيئا ، ولك تكرارها وعدمه حسب حاجتك نحو : لا يمَسُّهُ إلا المُطَّهرُون . ونحو : لا أقسِمُ بيوم القيامةِ ، ولا أقسم بالنفس اللوَّامة .

وإذا دخلت على الفعل الماضى ، فإن كانت للدعاء فكذلك نحو : لازال طالب الخير يجده ، ولا برح باغى الشر يهديه الله ويصرفه عنه .

وإن كانت للاخبار وجب تكرارها نحو : (فلا صدَّقَ ولا صلَّى) ولا راح ولا جاء وإذا دخلت على الجملة الاسمية ، فإن كانت أجزاؤها نكرات ولم تفصل من المبتدإ أعملتها عمل إن حيث تريد النص على النفى عن الجنس وأعملتها عمل ليس حيث تريد النفى عن الواحد . نحو : لا رجل يقول ذلك ، بل جميع أهل المدينة . ونحو :

لا رجل يقول ذلك ، ولا رجلان بل جميع الناس . وإذاوردت عاملة هذا العمل ، ولا قرينة على مراد وجب الحمل على النفى عن الجنس ، إذ هو الظاهر ولا مقتضى للعدول عنه .

فإذا كانت أجزاء الجملة معارف أو نكرات ، وفصلت لا من المبتدإ لم تعمل شيئًا ، ولزم تكرارها نحو : لا فيها غول ولا هُم عنها يُنزفُون . ونحو : لا زيد فى الحق ولا عمرو .

وتجىء مكررة مع الأوصاف إما لإثبات الوسط . نحو : لا حار ولا بارد ؛ أى فاتر . ولا حلو ولا حامض. أى مز . وإما لغير ذلك نحو : لا ظليل ولا يغنى من اللهب .

(الكلام على إلا) : هى من النواسخ إذا كانت بمعنى لكن وجاء بعدها ما ليس من جنس ما قبلها ، بشرط أن يتوّهم شمول الحكم له حتى يصح الاستدراك . وإذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها ، وحكم عليه بغير نقيض الحكم السابق . نحو : خرج أهل البلد للنزهة إلا حمارًا . على معنى لكن حمارًا لم يخرج وبقى فى البلد ، فإن الكلام السابق يوهم أنه لم يبق حيوان من المستعملات فى الركوب ، حيث كان الخروج عامًا لأهل البلد ، ونحو [قوله تعالى] : (لَّستَ عليْهم بِمسيطرٍ * إلاَّ من تولَّى وكفر * فيعذبهُ اللهُ العذابَ الأكبرَ) [سورة الغاشية : ٢٢ ـ ٢٤] . على معنى لست عليهم بمحافظ تلجؤهم إلى الدخول فى الدين ، لكن المتولى الكافر يعذبه الله ، والكلام السابق على إلا ربما أوهم إهمالهم هذا . وقد رأيت تأخير الكلام على مفعولى الأفعال الإدراكية ، والأفعال التصييرية اللذين عرفت أنهما النوع الثالث من النواسخ إلى باب المفعول به ؛ ليكون الكلام آخذًا بعضه بحجز بعض .

• • •

القسم الثالث فى الجملة الفعلية

عرفت أن الجملة الفعلية : هى المصدّرة بالفعل .

(الكلام على الفاعل ونائبه) : الفاعل يرفعه فعل المعلوم بما تضمنه من المعنى ، الذى تنسبه إليه على وجه طلبه منه ، أو الاخبار بصدورد عنه ؛ فجميع ما دل دلالة فعل المعلوم يرفع الفاعل ؛ فيرفعه المصدر ، والأفعال ، واسم الفاعل ، والصفة ، واسم التفضيل ، والمصغر لالتحاقه بالصفات ، والمنسوب إذ لاحظت فى معناه منتسب ، والظروف المستقرة بما فيها من معانى الأفعال نحو : أعجبتنى كتابة العلم زيدٌ وحرصُه على الفائدة ، ونُعْم ما يصنعُ فأكرموه ، فإنه عالى الهمةِ حسنُ الصُّنع ، ولم أر رجلاً أجمل به الاكرام منه بطالب العلم ، وما فى ذلك شك ، وهل عند أحد فيه ريبة ؟ وكلٌ مُحمدّى الطريقة مصدّق بذلك ، وهل مَسيكين إلا من يجهل قيمة أعماله ؟ .

ويكون الفاعل اسما ظاهرًا ، ويكون ضميرًا مستترا . أى ملحوظا ليس له لفظ ، وبارزا ومتصلا ومنفصلا يكون ضميرا مستترا فى أمر الواحد ، وفى مضارع المتكلم الحاكى عن نفسه وحده ، والحاكى عن نفسه وغيره وفى مضارع المخاطب الواحد ، وفى فعل التعجب ، وفى أفعال الاستثناء ، وفى اسم التفضيل غير نحو ما فى المثال السابق .

ويكون ضميرا بارزا فى غير ذلك ، وفى غير أفعال الغيبة ، ويكون ضميرا بارزا تارة واسما ظاهرا تارة فى أفعال الغيبة غير فعل الغائب الواحد والغائبة الواحدة ، وفيهما يكون اسما ظاهرا تارة وضميرا مستترا تارة ، وبسبب كون الفاعل فى هذين الموضعين تارة يكون ضميرا مستترا ، وتارة يكون اسما ظاهرا ، تسمع المعربين يقولون فى نحو :

زيد عرف الفاعل فيه ضمير مستتر جوازا ، فالجواز صفة مجموع كونه ضميرا مستترا لما عرفت أن كونه ضميرا غير لازم ، وفى المواضع التى لا يكون الفاعل فيها إلا ضميرا مستترا نحو : أكرم زيدا يقولون : الفاعل ضمير مستتر وجوباً على معنى أنه لايكون غير ضمير البتة .

ويكون ضميرا منفصلا إذا حصر فيه الفعل بما و إلاّ أو بإنما ، أو فصل بأداة التفصيل أوحذف فعله . الأمثلة لذلك :أعرف أعرف نعرف تعرف. ما أعرف زيدا ،عرف القوم ما خلا زيدا . وما عداه وحاشاه وليس ولا يكون ، وهو أعرف من عمرو. وعرفت وعرفنا ، وعرفت وعرفت وعرفتما وعرفتم وعرفتن وتعرفين وتعرفان وتعرفون وتعرفن . واعرفى واعرفا واعرفوا واعرفن وعرف ، ويعرف الرجلان ، والرجلان عرفا ويعرفان. وعرفت وتعرف المرأتان، والمرأتان عرفتا وتعرفان ، وعرف ويعرف الرجال ، والرجال عرفوا ويعرفون ، وعرفت وتعرف النساء والنساء عرفن ،ويعرفن وعرف. ويعرف الرجل والرجل عرف ، ويعرف وعرفت وتعرف المرأة ، والمرأة عرفت وتعرف ، وما عرف إلاّ أنت ، وإنما عرف هو ، ويقرأ إما أنا وإما أنت ، ويقول إنسان : من قرأ . فتقول : أنا . على ملاحظة قرأت فحذفت الفعل اتكالا على فهمه بقرينة السؤال وفصلت الضمير . ومما سلف تعرف أن الفعل متى أسند إلى الأسماء الظاهرة كان على صورة فعل الغائب الواحد دائما ، فلا تقول : عرفا الزيدان ، ولا عرفوا الرجال ، ولا عرفن النساء ، بل تقول : عرف الزيدان ، وعرف الرجال ، وعرفت النساء ، كما تقول : عرف زيد ، وعرفت هند. وهنالك لغة رديئة يسميها النحويون لغة : أكلونى البراغيث . تلحق الفعل الألف والواو والنون أحرفا تدل بها على الاثنينية والجمعية ،وذلك المثال المسموع من أهل تلك اللغة المشهور عنهم ، والأوصاف الملحوظة ملاحظة الأفعال لها حكمها ،ولذلك تقول كما عرفت : أقائم الزيدان، وما قائم العمرون ، كما تقول: أقائم زيد وماقائم عمرو . فالتركيب مبتدأ صورى وفاعل ، وإذا قلت : أقائمان الزيدان ، وما قائمون العمرون ، فالتركيب خبر مقدّم ومبتدأ مؤخر ، والوصف ومرفوعه غير جملة إلاّ فى مثل هذا التركيب . وإذا كان الفاعل متصلاً بالفعل ، وكان ضمير أنثى حقيقة ، أو اعتبارًا ، أو اسمًا ظاهرًا لأنثى حقيقة ، أو جمع مؤنث سالم لم يجر مجرى جمع التكسير ، وليس مفرده اسم ذكر وجب لأجله تأنيث الفعل ؛ فتأتى مع الماضى بتاء التأنيث الساكنة وتفتتح المضارع بالتاء ، فتقول : هند كتبتْ وتكتبُ ، والشمس

طلعتْ وتَطلعُ ، وقرآت وتَقرأ عمرة . وإذا فصل أو كان اسماً ظاهرًا لأُنثى اعتبارًا ، أوكان جمع غير مذكر سالم وغير مؤنث، لم يجر مجرى المكسر وليست آحاده ذكوراً ، جاز التأنيث على ملاحظة معنى الجماعة فى الجموع ، والتذكير على ملاحظة معنى الجمع فيها .

وأما جمع المذكر السالم فيجب معه تذكير الفعل ، وقد سلف حكم جمع المؤنث السالم والأحسن التأنيث مع الإناث إلاّ فى نحو : وقال نسوة فى المدينة . والأحسن التذكير فى نحو : ما قام إلا هند . وإنما كتب عمرة ونعم المرأة هند . ويحذف الفعل جوازًا فى نحو : قول المرأة إلا حظية فلا ألية . معناه الا تتفق وتحصل حالة أحظى بها فلا آلو أى أقصر فى أمور النساء ، وكلام هذه المرأة تخبر به أنها عاملة بقول الشاعر :

علَى المرءِ أنْ يسعى لِما فيه نَفعهُ ويقضى إلهُ الخلق ما كانَ قَاضِيًا

وفى رواية : وليس عليه أن يساعده الدهر .

وفى ثالثه : وليس عليه أن تتم المطالب .

ومن حذف الفعل جوازًا قول الحارث بن نهيك :

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعُ لِخصُومة ومُختبِط ممَّا تُطيح الطوائحُ

أمر ببكاء يزيد ولم يذكر الباكى ، فإن الفعل فى : ليبك يزيد . فعل مجهول . فاقتضى الحال السؤال عنه ، فكأنه قيل : من يبكيه ؟ فقال : يبكيه ضارع . فحذف الفعل اعتمادًا على السؤال المقدّر .

ويحذف وجوبًا فى نحو : وإن أحد من المشركين استجارك . وهل زيد كتب ؟ من كل تركيب ذكر فيه مفسر مع ما يختص بالفعل ، ولا يحذف الفاعل أصلاً ويحذفان معًا ، ومنه الحذف مع أحرف الجواب نحو : هل قام زيد؟ فتقول : نعم أولا . أى قام زيد أو لم يقم . ولا يجوز تقديم الفاعل على الفعل . وأما نائب الفاعل فيرفعه فعل المجهول واسم المفعول ، ومنه المنسوب إذا لاحظت معنى المنسوب والمعزوّ والمعنى وينوب عن الفاعل المفعول به ، والمصدر الذى لم يلازم النصب . نحو : الليلة قرأت قراءة جيدة . والمصادر الملازمة للنصب نحو : معاذَ اللهِ ، سبحانَ اللهِ . غير قابلة لذلك . وينوب عنه أيضا الظروف المتصرفة . نحو : تصدّق الليلة على غنى ، تصدق الليلة على سارق ، تصدّق الليلة على بغى

ومثل الظرف الجار والمجرور نحو: بيع واشترى فى المسجد، وقرىء فى الأسواق، وإذا كان الفعل ذا مفعولين فالأفصح إنابة أوّلهما. ويجوز إنابة الثانى مع وجود الأوّل إذا لم يلزم لبس نحو: كسيت جبة زيدًا. ولا يجوز: أعطى سالم غانما؛ لأنه يتبادر أن سالمًا هو الآخذ وغانما هو المأخوذ. والقصد خلاف ذلك؛ فالواجب: أعطى غانم سالمًا ليفهم سامعك مرادك حسب الغرض من الكلام.

وإلى هنا عرفت الأنواع المرفوعة من نوع الاسم، وهى ستة: المبتدأ، والخبر، واسم باب كان، وخبر باب إن، والفاعل ونائبه، والمنصوبات منه عشرة أنواع، مضى منها اثنان هما خبر باب كان، واسم باب أن وبقيته ثمانية وهى: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمستثنى، والحال، والتمييز.

* * *

المفعول به: هو اسم الشيء الذي تعلق به الفعل على وجه التأثير فيه، ويكون صريحًا نحو: نقشت الخاتم، وكتبت الكتاب، وبريت القلم. ومؤوّلاً نحو: أودّلو تحفظ العلم. فلو موصول حرفي يؤوّل صلته بمصدر هو المفعول به؛ فالتقدير: أودّ حفظك العلم. ونحو: أسألك أن تجتهد في التعلم. تقديره: أسألك الاجتهاد. ونحو: بلغت زيدًا أنك مجتهد. تقديره: بلغت زيدًا اجتهادك. ونحو: أشكرما تكرم زيدا تقديره: أشكر إكرامك. ويكون ظاهرًا كما مرّ، وضميرًا متصلا وهو النوع المشترك بين مواضع النصب نحو: غلامي أعجبني ومواضع الخفض. ومنفصلاً وهو النوع المختص بمواضع النصب نحو [قوله تعالى]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]. ويكون واحدًا واثنين وثلاثة كما عرفت، المفعول الواحد يكون لكل فعل لايكفي في حصوله فاعله، بل يحتاج في حصوله لغير فاعله وهو المتعدّي والمتجاوز، فإن كفى في حصوله شيء واحد مع الفاعل فهو المتعدّي لواحد نحو: قرأت القرآن، وحفظت المسائل، وفهمت ما نطقت به حين سمعته. فإذا كان المفعول الواحد ضميرًا وجب أن يؤتى به متصلاً بعامله إلاّ إذا قدمته عليه أو حصرت فيه الفعل، أو فصلته بإما، أو حذفت عامله، فإنه يجب أن يؤتى به منفصلا في هذه المواضع.

(المتصل): أكرمني وأكرمنا وأكرمكَ وأكرمكِ وأكرمكما وأكرمكم وأكرمكنّ وأكرمه وأكرمها وأكرمهما وأكرمهم وأكرمهنّ.

(والمنفصل للتقديم): إياي اكرم زيدُ، وإيانا وإياكَ وإياكِ وإياكما وإياكم وإياكنّ وزيد إياه أكرم، وهند إياها أكرمتُ، وإياهما وإياهم وإياهنّ.

(المنفصل للقصر): زيد ما أكرم إلا إياي، وإنما أكرم إياي وهلم.

(المنفصل للتفصيل بإما) نحو : أنا وزيد لا نجتمع فادع إما إياى وإما إياه .

(المنفصل لحذف العامل) : إياك وأفعال الأراذل تحذيراً ، ونحو : من ذكر عمرو بخير ، فتقول فى جوابه : إياك ، والأصل ذكرك . والأصل فى سابقه : أحذرك ، فلما حذف العامل لم يجد الضمير ما يتصل به فانفصل ضرورة .

المفعولان اللذان يطلبهما بابا أعطى وظن . . ولمفعولى كل من البابين مسائل تتعلق بهما يتعين إيرادها هنا .

* * *

مفعولا باب أعطى

قد عرفت أن المفعولين لباب أعطى يسمى أحدهما : مفعولاً أوّل وضابطه أن يكون له فاعلية فى المعنى . ويسمى الآخر : مفعولا ثانيًا وضابطه أن لايكون له فاعلية فى المعنى ، بل له المفعولية الخالصة ، والذى يجب أن تعرفه هنا أنه يكثر حذفهما ، ويكون الفعل منزلاً منزلة الأفعال اللازمة حيث يكون الغرض الإخبار بنفس الفعل ، كقولك : الله هو الذى يعطى ويمنع . كما يكثر حذف المفعول الواحد ، ويكون فعله كذلك نحو : هو الذى يحيي ويميت ، ويضحك ويبكى ، ويغنى ويفقر . فهذه الأفعال منزلة منزلة الأفعال اللازمة ، إذ الغرض الإخبار بحصولها أنفسها وذلك مفيد كما رأيت ، ويجوز حذف أحدهما من غير دلالة عليه ، فيكون الفعل منزلا منزلة المتعدّى لواحد حيث لا يتعلق الغرض بذكر المحذوف كقولك : أعطى زيد عمرًا حيث لا يقصد الإخبار بالشيء الذى أعطاه ، وكقولك : أعطى زيد دراهم ودنانير حيث لا تقصد الإخبار بالأشخاص الذين أعطاهم ، ويسمى هذا الحذف ، الحذف اقتصاراً .

وأما حذف أى لفظ من الكلام اعتمادًا على دليل يدل عليه ، فيكون المحذوف ملحوظاً غاية الأمر أنك استغنيت عن ذكره بسبب كونه مفهوما من الدليل الذى يدل عليه ، فإنه يسمى : الحذف اختصارا ، وهو جائز فى المفاعيل وغيرها . وإذا كان المفعولان ضميرين فإن كانا من جنس واحد كقولك لعبدك : ملّكتكَ إيّاكَ . فيقول العبد : سيدى ملكنى إياى . فتخبر أنت عن ذلك فتقول : عبدى ملّكته إياه . وجب فصل الثانى فلا يصح : مَلّكتكك ولا ملكنىّ ولاملكتهوه ؛ للقبح الظاهر فى غير ضميرى الغيبة ، وفيهما يخف الوصل خفة مّا سيما عند اختلافهما تذكيرًا وتأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا ؛ فالأفصح فيهما الفصل ، وجاء الوصل قال :

وقد جعلت نفسى تطيب لضغمة   لضغمهما ها يقرع العظم نابه

وإن لم يكونا من جنس واحد جاز لك فى الذى تجعله ثانيا فى اللفظ أن تأتى به منفصلا وأن تأتى به متصلا نحو : أنلزمكموها . لكن لا يجوز أن تأتى به متصلا إلا إذا كان سابقه أخص منه ، والمراد بالأخص من الضمائر الأعرف والأبعد عن الاحتمال والاشتباه ، فالأخص ضمير المتكلم إذ لا شبهة فيمن يقول : أنا . أنه يقصد شخصه وأنزل منه ضمير المخاطب ، إذ لو كان بين يديك اثنان وخاطبت أحدهما بأنت حصل اشتباه فى مرادك منهما ، ولذلك تحتاج فى رفعه إلى التوجه إليه والإشارة حسبما يحتاج لتعيينه ، فأنزل الضمائر ضمير الغيبة لأنك تعتمد فى تعيين المراد به مرجعه ، وربما خفى المرجع بسبب كونه التزاميا أو تضمنيا أومختلطا بأشياء تصلح أن تكون مرجعا حتى أنه قد يوجب السؤال ، فالمرجع الالتزامى كقوله تعالى : (حتَّى تَوارتْ بالحجابِ) [سورة ص : ٣٢]

وكقول لبيد :

حتى إذا ألقت يدا فى كافر   وأجنَّ عوراتِ الثغور ظلامُها

والتضمين كقوله تعالى : (اعدِلُوا هو أقربُ للتَّقوى) (سورة المائدة : ٨] وتقول : زيد خَزَنَ مالاً وصرف مالاً ، ولو كان صرفه فى وجوه برّ لكان له خيرا . فتقول : الدرهم أعطيتكه وأعطيتك إياه مخيرا ، فإذا قلت : الدرهم أعطيتَه . وجب الفصل فتقول : إياك والمعروف سألته إياك ، والجبة كسوتها إياك . فمتى قدمت الأخص جاز لك فى المؤخر الفصل والوصل ، ومتى أخرته وجب فصله ، كما أنه يجوز الفصل فى خبر كان وأخواتها إذا وقع ضميرا وكان الاسم ضميرا ، كقولك : الصديق الخصيص كنتَهَ وكنت إياه ، والعدوّ البغيض زيد كانه وكان إياه . وكمفعولى أعطى إذا كانا ضميرين مفعولا ظن وأخواتها ، ولمفعولى ظن وأخواتها مسائل تتعلق بهما .

(الأولى) : مفعولا باب ظَنَّ أصلُهما المبتدأ والخبر كما سبق ، وجميع صور المبتدإ والخبر ، والمبتدأ ذى المرفوع ومرفوعه تقع بعد الأفعال الإدراكية ، التى هى ظن وأخواتها ،

فتقول : ظننت زيدا قائما ، وظننتُه قام ، وظننتُه يقوم ، وظننته أبوه قائم ، وظننته فى الدار ، وظننته عندك ، وظننته الأمر غير هين على زيد .

لكن الضمائر المنفصلة المرفوعة تصير ضمائر متصلة منصوبة ؛ لأنك تجعل المبتدأ والخبر مفعولين لهذه الأفعال ، ونحو : أظن زيدا أن تكرمه يكرمك ، وأظن ما مستقيم الزيدان ، وعلمت أراض أخواك . وحيث كان مفاد هذا التركيب أن ظنك أو علمك تعلق بوقوع نسبة أمر لأمر فى زمن ما لم يمكن جعل الجملة ، التى يكون خبرها طلبا متعلقا للظن أو العلم إلاّ على التأويل .

مثلا إذا قلت : زيد وسكت، قال سامعك: ماله ، فإذا قلت : اضربه ، أو لاتهنه ؛ أو هل رضى أبوه عنه . حصلت الإفادة وانقطع تشوّف السامع دون تأويل وإعمال فكر بخلاف ما إذا قلت: ظننت زيدا ، فإن سامعك يقول : ظننته ماذا ؟ فإذا قلت : اكرمه . رجع السامع بفكره إلى التركيب واستبان أن مرادك بقولك : ظنت زيدا اكرمه ، ظننت زيدا بسبب كونه مستقيم الأحوال حسن السيرة ، طيب السريرة مستحقاً لأن تؤمر بإكرامه ، فحاصله أن معنى كلامك: ظننت زيدا خيرا ، ثم تبينت خلاف ذلك .

(الثانية) : هذه الأفعال تتعلق فى الحقيقة بنسبة الخبر للمبتدإ ؛ لأنك تفيد أن أمرا مظنون لك وأن أمرا معلوم لك ، فإذا قلت : علمت زيدا قائماً ، فليس غرضك أن تفيد كون شخص زيد معلوماً لك ، ولا أن معنى القائم وهو شىء منسوب له القيام معلوم ذلك ، ولكن تريد أن تفيد أن ثبوت القائم لزيد أمر معلوم لك ؛ فالموصوف بالمعلومية هو ثبوت الخبر للمبتدإ أو انتفاؤه عنه ، فهو المفعول فى الحقيقة لكن لما لم يمكن إبراز النسبة إلاّ بالتركيب أورد التركيب ، وجعل النصب الذى هو علامة المفعولية على المبتدإ والخبر اللذين هما الطرفان للنسبة ؛ إذ النسبة هى الارتباط بين الشيئين على وجه ثبوت الثانى للأوّل أو انتفائه عنه .

(الثالثة) : إذا قدمت الجزءين على الأفعال أو وسطت الأفعال بينهما ، جاز لك أن

تنصبهما مفعولين وأن ترفعهما مبتدأ وخبرا فتقول : زيدا أظن قائما ، أوزيد أظن قائم وزيدا قائمًا أظن ، أوزيد قائم أظن ، وتسمى الأفعال عند الرفع : ملغاة .

(الرابعة) :إذا كانت جملة المبتدإ والخبر مصدرة بما النافية ، أوبأن النافية ، أو بلا النافية ،أو مصدرة بقسم ، أومصدرة باستفهام ، أو مشتملة على لام الابتداء مصدرة فيها ، أو مزحلقة لوجود أنَّ فى صدر الجملة ، وجب رفع الجزءين مبتدأ وخبرا . ويقال : إن الجملة فى محل نصب مشتملة على مفعولى ظن .

مثلا : كماإذا كانت الجملة شرطية ، وحينئذ تسمى الأفعال : معلقة عن العمل حيث لم يكن لها تسلُّط على لفظ ما بعدها بالنصب نحو : علمت ما زيد قائم ، وأظن لا زيد قائم ولا عمرو ، وأرى أن الأيام إلَّا مخلفةً ما وعدت ، وعلمت والله لزيد قائم ، وعلمت أعندك زيد أم عمرو ، وعلمت هل زيد فى الدار ، وتظن أى الرجلين أفضل ، وأنا ظانٌّ أو عالم لزيد قائم ، واعلم أن زيدًا القائم .

فإذا وقعت أن بعد علم ولا لام معها وجب فتحها ، وحينئذ يقال : أن وصلتها فى تأويل مفرد مصدر ساد مسد مفعولى نحو : علمت أن الله على كل شئ قدير . والتقدير : علمت قدرة الله على كل شئ ونحو : علمت إن يقم زيد يقم عمرو ، وتعلم مهما يرد الله يكن . فلا يكون المفعول جملة إلَّا فى باب ظن ، وقد عرفت أن المفعول فى الحقيقة هو النسبة ، فجعل الجملة مفعولا مشى مع الظاهر .

(المسألة الخامسة) يندر حذف المفعولين أو أحدهما فى هذا الباب اقتصارا ؛ لعدم الفائدة فى الإخبار بأن عندك ظنا أو علما غالبا ، فإذا قلت : أظن أو أعلم تفيد أن عندك ظنا أو علما لم يكن مسموعا منك ، بخلاف : زيد يعطى ويتفضل ؛ فإن له فائدة ظاهرة ، ومن النادر قولهم : من يسمع يخل . وهو مفيد وتقول مثلا : خلق الإنسان يعلم ويظن ويتخيل ويشك ويتوهم فكيف تكلفنى ترك ماهو خاصة نوعى فيكون مفيدا كذلك ، وقد عرفت أن الاعتماد فى جميع الكلام على حصول الفائدة التى لم تكن عند المخاطب وإلَّا كان لغوا .

(تكملة) القول يتعلق باللفظ فيكون مفعوله اللفظ المحكى بعده مفادا أنه المنطوق به، فتقول: قلت كلمة. أى هذا اللفظ أو لفظاً آخر عبرت عنه بالكلمة كزيد أو عمرو ، وقلت : زيدا . أى هذا اللفظ وقلت: زيد قائم وهكذا فالمفعول به للقول وما تصرف منه هو الألفاظ ، والمفعول به لباب ظن هو النسبة ، والمفعول به لبقية الأفعال هو الأشياء التى تعلقت بها الأفعال على وجه التأثير فيها .

وحيث عرفت أن معنى الفعل منسوب يلحظ أوّلاً ، ونسبة تلحظ ثانياً، ومنسوب إليه يلحظ ثالثاً ، وكانت نسبة الفعل إلى فاعله سابقة فى التعقل عن نسبته إلى مفعوله ونسبته إلى مفعوله الأوّل كذلك ، فالمناسب أن يكون اللفظ على هذا الترتيب تقول : كتب زيد كتابا ، وأعطى بكر أباه دارا ، ولكن تارة يقتضى الحال خلاف ذلك .

أما الفاعل فلا يتقدّم على الفعل أصلا ، وأما غيره فإن كان كلمة لها صدر الكلام وجب تقديمه نحو: ما تكتب ومن تخاطب ومن تكرم أكرم ومن تهن إن زيدا وإن غيره أهن ، وإن كان الفاعل ضميرا أو كان هو والمفعول غير ظاهرى الإعراب ، أو كان المفعول مقصورا عليه فعل الفاعل وجب تأخير المفعول عن الفاعل نحو: أكرمت زائرا الآن تقديمه عليه يوجب فصله مع إمكان وصله وهو ممتنع ، ومنه تفهم أن الغرض عدم تقديمه على الفاعل فقط ، والفصل بينه وبين الفعل فيتقدّم على الفعل حيث لا مانع ونحو : أساء ذلك هذا ، وأكرم عيسى موسى ، فإنه لا يتميز الفاعل من المفعول إلا بالموضع لصلاحية كل لأن يكون فاعلا ، ولأن يكون مفعولا ، ولا ظهور للإعراب ، فلو تعين كل لكل بغير الموضع لم يلزم ذلك نحو : أكل الكمثرى هذا الفتى ، وسبق عيسى موسى بألف سنة ونحو: إنما قصد زيد دارك. أى قصد دارك ولم يقصد دار غيرك .

وأجاز النحويون هنا أن يتقدم المقصور عليه بإلا معها نحو :ما قصد الإدراك زيد فإنه لا يعرف المقصور عليه بإنما إلا بالموضع ، بخلاف المقصور عليه بما وإلا ، وإذا كان المفعول ضميرا أو كان الفاعل مقصورا عليه بإنما ، أو كان مع الفاعل ضمير مرجعه المفعول وجب تقديم المفعول على الفاعل نحو: أكرمنى زيد وإنما أهان عمرا زيد ، وزان الشجر نوره ، واجعل المفعول الأوّل فاعلا ، واعمل فكرك فى قياسهما على الفاعل والمفعول ، لتستخرج

أحكامهما نحو : أعطيتك عبدا ، وأعطى زيدا سالما غانما ، وإنما كسى زيد عمرا جبة ، وإنما كسى بكر جبة خالدا ، وهكذا .

وقد سمعت غير مرة أن كل لفظ يفهم معناه دون ذكره لدلالة قرينة لفظية أو حالية عليه جاز لك حذفه كما قال : وحذف ما يعلم جائز . وسمعت أيضا أن بعض الألفاظ يجب حذفه وبعضها يجب ذكره ، فيجب ذكر المفعول به كغيره إذا كان جوابا أو مقصورا عليه أو متعجبا من صفته مالم يكن فى معطوف كقولك : أكتب . جواباً لمن يسألك : ماذا تكتب ؟ ولا أقصد إلّا إبانة الحق ، وما أحسن زيدا وأجمل :

ويجب حذف ناصب المفعول به فى خمسة مواضع بإنابة شىء عنه وبدونها .

(الموضع الأوّل) تراكيب معدودة مسموعة وهى الأمثال ، وما جرى مجراها من ذلك قوله تعالى : (انتهوا خيرا لكم) [سورة النساء : ١٧١] أى : انتهوا عن التثليث وائتوا خيرا . ومثله قولهم : حسبك خيرا . وقول أبى الأسود : وراءك أوسع لك . والقرينة ذكر ما يؤمر به ملائمته وموافقته عقب النهى عن غيره . ومنها قولهم : امرأً ونفسه . أى : دع امرأً ونفسه أو مع نفسه نهيا عن التعرّض بالنصيحة لغير قابل . وربما استعقبت شرا . وفى الحديث : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » . ولبعض الشعراء :

لا ترجع الأنفسُ عن غَيِّها مالم يكن مِنْها لها زاجِرُ

ولآخـر

إذا ما هديْتَ امرأً مخطِئا أضلَّ السبيلَ إلى قصدِه
ولم تَره سامِعاً قابِلا فحسنُ له المشىُ فى ضِدّه

أى إن اضطررت لذلك ، ومن جرَّب عرف ، ولأبى الطيب :

إنمـا تنجح المقالةُ فى المر ء إذا صادفت هوى فى الفُؤاد

ومنها قولهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً . أى : لقيت أهلاً لا أجانب وصادفتَ مكانًا سهلاً وحللت موضع رحب . أى سعة . رحبت دارك . أى : كانت رحْبة بسكون الحاء ، وصف المؤنث من رحب فهو رحب ، من الباب الخامس . ومنها قولهم : هذا ولا زعماتُك .

تقوله إذا رميت مخاطبك بحكاية الأكاذيب عند سماعكما خبرًا عليه سيما الصدق أى: هذا أقبل وأصدق وأزعم، ولا أسمع زعماتك ولا أقبلها ولا أعتبرها. وقدّر ما يناسب الحال. ومنها قولهم: عذِيركَ مِن فُلانٍ وعذِيرِى منه. تقوله لمن أساء شخصا يظهر أنه لا يستحق الإساءة عتابا أو يستحق ثناء. أى: اذكر عذرك أو عاذرك. أى: الحال التى بها تعذر أو أعلم أنا عذرك أو الحال التى بها تعذر.

ومنها قولهم: الكلاب على البقر. أصله فى الصيد وهو مورد المثل، وتقوله لإرشاد صاحبك إلى متاركة الناس وأعمالهم. ومنها قول العربى لغيره: أهلك والليل. أى: ائت أهلك مع الليل، أو ائت أهلك نهارًا راسبق الليل؛ فإن الليل تنتشر فيه السباع والحشرات واللصوص.

ومنها قولهم: عمرك الله. بنصب الكلمتين أى: سألت الله تعميرك ومدّ أيامك. بحذف زيادتى المصدر وهذا أنموذج ينبهك على التقادير المناسبة فيما يرد عليك من الأمثال وما يجرى مجراها، فإنك مطالب بما فيه زيادة منفعتك من الاطلاع على أمثال العرب وغيرهم، حيث كانت الأمثال أحرار الكلام ومستقر البلاغة وينابيع الحكم، منها تستفيد وبها تتأدب وعليها تعتمد.

(الموضع الثانى): تراكيب النداء بضم أوّله على أنه مصدر صوتى، وبكسره على أنه مصدر مفاعلة، فالمنادى مفعول به لا يذكر ناصبه مع إقامة أحرف النداء مقامه غير أن له أحوالاً بحسبها تختلف أحكامه.

الحالة الأولى: أن يكون مفردًا معرفة فراده، وتعرفه اللذين عرفتهما منادا مطلوب الإقبال فقط، وحكمه فى هذه الحالة البناء على ما يرفع به لو كان معربًا، فيبنى على الضم الظاهر فى نحو: يا زيد ويا رجل، والمقدّر فى نحو: يا هذا، ويا أنت، ويا إياك على لغة من قال: يا إياك قد كفيتك، ويا سيبويه ويا فتى ويا قاضى؛ لامتناع ظهوره أو ثقله. وعلى الألف فى المثنى، وعلى الواو فى جمع المذكر السالم، وهو فى موضع نصب لكونه مفعولا به لفعل ملتزم الحذف تقديره: دعوت بلفظ الماضى؛ لأنه صار إنشاء والمعهود نقله إلى الإنشاء هو الماضى كبعت واشتريت. نعم: إذا كان المنادى علماً موصوفاً بابن أو ابنة

متصلين به مضافين لعلم أبيه أو أمه جاز لك ضم المنادى وفتحه ، وهو المختار للتخفيف ولهذه العلة يحذف تنوينه وألف ابن وابنة من الخط إن لم تكن أوّل سطر .

وقوله : * جارية من قيس ابن ثعلبة * شاذ .

وإذا كان مكرراً والثانى مضاف . كقول الشاعر :

يا تيمُ تيم عدِى لا أبالكُم ... لا يلْقينَّكمُ فِى سوْءة عُمَر

وقول الآخر :

يا زيدُ زيد اليعملات الذبل ... تطاول الليل عليك فانزل

جاز لك ضمه لكونه من المنادى ذى الحالة ، التى نحن فى إبانة حكم صاحبها ، وجاز لك نصبه إغضاء عن الثانى وكأنه غير موجود ،فيكون المنادى حينئذٍ ليس من المنادى ذى الحالة التى نحن فى إبانة حكمها ، وعليه تقول : يا غلامان غلامى صاحبِى ، أو ياغلامى غلامى صاحبِى ، ويا زيدون زيدى اليعملات ، ويا زيدى زيدى اليعملات .

وإذا أردت أن تنادى بالاسم المفتتح بأل ، وجب أن تفصل بينه وبين حرف النداء بكلمتى : أيها فى المذكر ، وأيتها فى المؤنث . فكلمة أى اسم مبهم بمعنى شىء فسر بالمنادى ، فالمفتتح بأل هو المنادى فى الحقيقة ، لكن الصناعة تلزمك أن تقول :إن كلمة أى هى المنادى المبنى على الضم فى موضع نصب ، وها حرف تنبيه وما بعدها صفة ليس لها حكم تابع المنادى ، الذى يرد عليك تفصيل أحكامه عند الكلام على التوابع ، ومثل أى فى هذا اسم الإشارة ، وربما جمع بينهما نحو : يا أيها الإنسان ما غرَّك ، يا أيتها النفس المطمئنة ، يا أيها الذى ، يا أيهذا الرجل ، يا أيتها المرأة . ولبعضهم :

أيتها النفسُ إليه اذهبِى ... فحبه المشهور مِن مذْهبِى
مُفضض الثغر له نقطة ... مسكية فى خَده المذَهبِ
أيأسنِى التوبة فى حُبِــه ... طلوعُه شَمسا من المغرب

وأجازت ضرورة الشعر أن يجمع الشاعر بين يا وأل ، فلا يجوز فى الكلام إلّا إذا

كان المنادى جملة جعلت علمًا نحو : يا المنطلق زيد ، وإلاَّ إذا كان لفظ الجلالة فتقول : يا أَللهُ . بقطع الهمزة على الأفصح ، والأحسن : اللهم . بتعويض الشديدة عن يا ولمكان التعويض شذَّ جمعهما فى الشعر كقوله :

إنى إذَا ما حدثٌ أَلمَّا ... أَقولُ يا لَّلهُمَّ يا لَّلهم

ولضرورة الشعر ينون هذا المنادى ، وهو باقٍ على ضم بنائه فى أصح القولين .

(الحالة الثانية) أن لا يكون المنادى مطلوب الإقبال فقط ، بل يكون مع طلب إقباله مستغاثًا مطلوبًا أن يكون غوثًا منقذا من شدة ويذكر بعده صاحب الشدة . وتارة يكون هو المستغيث وتارة يكون غيره ، أو يذكر بعده نفس الشدة وحينئذ يسمى المنادى : مستغاثا ، وصاحب الشدة : مستغاثا لأجله ، والشدة : مستغاثا منه . وحكمه حينئذ أن يخفض بلام مفتوحة لأن المنادى واقع موقع كاف الخطاب الضمير ، ومع الضمائر تفتح اللام وهى لام الاختصاص متعلقة بالفعل المقدر وإن كان متعديا لضعفه بالحذف ، ويخفض المستغاث لأجله بلام مكسورة كما يخفض بها المعطوف إلاَّ إذا كررت يا لكونه مستغاثًا مستقلا فتفتح معه اللام وتخفض المستغاث منه بمن نحو : يالزيد لعمرو ، ويا لبكر لى ويا لهشام ولخالد ويا لهشام ويا لخالد ، ويا لخالد من جور الأحكام ، ولك أن تحذف لام المستغاث وتعوض عنها بعد آخره ألفا نحو : يا زيدًا لعمرو ، ومثل المستغاث المهدّد والمتعجب منه فى كيفه أو كمه نحو :

يالَبكرٍ أنشرُوا لى كُلَيبًا ... يا لَبكرٍ أينَ أينَ الفرارُ

فى التهديد وكقول العربى حيث ينتهى إلى ماءٍ كثير ، نمير صافٍ وعشب كثير ريان ناضر : يا للماء ويا للعشب ، ومنه : يا عجبًا . وكثيرًا ما يغلط . القارىء ، فيقول : يا عجبا . بالتنوين فحكم المهدد والمتعجب منه حكم المستغاث .

(الحالة الثالثة) : أن لا يكون المنادى مفردا معرفا ، بل إمّا أن يكون مضافا وما يضارعه ، وإما أن يكون نكرة وحكمه حينئـــذ النصب لفظا أو تقديرا نحو : يا أخافهم ، ويا فتى الفتيان . والمراد بما يضارع المضاف ثلاثة أشياء أحدها الاسم العامل نحو : ياحسنا وجهه ، ويا محسنا أعماله ، ويا بصيرا بأمره والثانى الاسم الموصوف بجملة أو ظرف كقوله :

أعبدًا حلَّ فى شُعبى غَريبا ... أَلُؤما لا أَبالكَ واغترابا

وكقـوله :

أَيا شاعرًا لا شاعر اليوم مثلَه ... جرير ولكن فى كليب تواضعُ

وكقـوله :

أدارًا بحزْوى هجت للعين عبرةً ... فماءُ الهوى يرْفَضُ أَو يترقرق

الثالث : العدد المشتمل على العطف كاحد وعشرين واثنين وعشرين ، وكل ذلك يستعمل فى معين وفى غير معين ويظهر ذلك فى الأوصاف ؛ فعلى الأوّل تقول : يا غلام خدمة الماهر ، ويا حسنًا وجهه المحسن ، ويا ثلاثة وثلاثين الأذكياء ، وعلى الثانى تقول : ماهرًا ومحسنًا وأذكياء .

غير أن الموصوف بجملة أو ظرف لا يوصف بعد بالمعرفة ، كأنهم استنكروا صفة المعرفة بعد صفة النكرة ، والصحيح جواز نداء النكرات وهى مالا يقصد بها معين موصوفة وغير موصوفة نحو : يا غافلين . وقد ترادفت المذكرات ، ونحو : يا رجلاً يرجو رحمة ربه ويخاف غضبه .

هذا : ومن المنادى أسماء الأشياء التى يتوجع منها أو يتفجع عليها ، ويسمى نداؤها : ندبة ، ويسمى المنادى : مندوبا . ولا يندب إلاَّ معرفة بالعلَمية أو بالإضافة إلى معين أو بصلة مشهورة فيما بين الناس نحو : وازيد . بضم آخره متفجعًا عليه ونحوه : واكبيرالبلد ، واعظيم الكرماء ، واغلامى واغلامك واغلامك إلى آخر الضمائر ، وامن حفر بئر زمزم . ندبة لعبدالمطلب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لكونه اشتهر فى ذلك الأوان بمضمون هذه الصلة ، وامن وضع علم النحو لأبى الأسود الدئلى لاشتهاره بذلك . وامن بنى القاهرة . ندبة لجوهر القائد مملوك المعز لدين الله أول ملوك الفواطم بمصر لذلك ، ولك أن تزيد بعد ما تنطق به فى الندبة ألفا ، وتحذف لأجلها ما قبلها من تنوين أو ألف فنحو : واموسى . يحتمل أن تكون الألف آخر المندوب ، أو زائدة وآخره محذوف وتقلب ضمة المضموم وكسرة المكسور فتحة لأجل الألف التى تزيدها وتسميها : ألف الندبة إلا إذا كانت الضمة مميزة شيئًا من شيء فإنك تزيد بعدها عوض الألف واوا

نحو : واغلامهو . فالضمة تميز ضمير المذكر من ضمير المؤنث ، فلو زدت ألفًا وقلت : واغلامها . لالتبس بضمير الأُنثى ، وإلاَّ إذا كانت الكسرة مميزة شيئًا من شيء فإنك تزيد بعدها ياء ، نحو : واغلامكي . خطابًا لأُنثى فإنك لو قلت : واغلامك . لالتبس بخطاب الذكر . ولك أن تزيد وقفًا هاء سكت ،فتقول : وازيداه ، واغلامكيه ، واغلامهوه.

ولك أن تأتي بالمندوب مجرَّدًا من المدّ والهاء كما رأيت .

* * *

الترخيم (١)

وقد حذفت العرب تخفيفاً من آخر المنادى غير المندوب، وغير المستغاث، وغير ذي الإضافة وشبهها، وغير ذي التركيب الإسنادي، وسماه النحويون: ترخيماً.

فإذا كان المنادى مختوماً بتاء التأنيث رخم بحذفها فقط، وإذا لم يكن مختوماً بها حذف آخره إن كان علماً زائداً على ثلاثة أحرف، كياسعا في سعاد ويحذف مع الآخر ما قبله إن كان ألفاً زائدة أو واواً قبلها ضمة، أو ياء قبلها كسرة وكانت الأحرف الثلاثة مسبوقة بثلاثة أحرف نحو: يا مرْوُ في مروان، وياسلم في سلمان، ويا أسمُ في أسماء، ويا مسك في مسكين. علما كمسكين الدارى، ويا منص في منصور.

وإن كان المنادى مركباً مزجياً رخم بحذف عجزه. نحو: يا بعل في بعلبك، ويا معدى في: يا معديكرب. وإذا حذفت من المنادى ما حذفت ترخيماً؛ فلك فيما بقى وجهان:

الأوّل: أن تبقيه على صورته قبل الحذف فيكون المحذوف ملحوظاً بحالته ويسمى لغة من ينتظر. أي: ينتظر المحذوف.

الوجه الثاني: أن تجعله منادى مستقلاً وتقطع النظر عن المحذوف، فتضم آخر ما بقى معك ويسمى: لغة من لا ينتظر. وإذا حصل بعدم الانتظار اشتباه وجب الانتظار، فإذا رخمت نحو: مسلمة، وجب أن تقول: يا مَسلم بفتح الميم، إذ لو ضممت لاشتبه بنداء من اسمه مسلم بلا تاء. وقد عاملت لغة من لا ينتظر ما بقى معاملة الأسماء التامة؛ فأعطته ما يستحقه حسبما أفادتك القواعد الصرفية مثلا: إذا ناديت ثمود ورخمته لزم أن يكون اسماً آخره واو قبلها ضمة، وقدعرفت أنه غير موجود في اللغة، فوجب لذلك قلب الواو ياء وإبدال الضمة كسرة، فتقول: ياثمى. ويصير من المنقوص. وإذا ناديت نحو: حلاوة وهداية قلت: يا حلاء، ويا هداء بإبدال

(١) هذا العنوان من عندنا ولم يرد بالأصل. (المحقق)

الواو والياء همزة ، كما عرفت فى نظائره : كسماء وشراء ، ومن استحضر ما عرفت لم يصعب عليه اعتبار ما يلزم ، وبعض الأسماء لا تستعمل فى الكلام إلا منادى ، وهى : نومان ، فتقول : يا نومان . سبًّا بالكسل والبلادة والوخامة ، ولُؤمان بضم أوّله ، وملأمان بفتحة سبًّا بقوّة اللؤم ، وملكعان كملأمان سبًّا بالرخاوة ، ومكذبان ومخبثان ، ومكرمان ومطيبان مدحًا بهما . فهذه الأسماء لاتستعمل فى غير النداء ولا يقاس عليها ، كما أن فل كناية عن ذكر ، وفلة كناية عن أنثى مختصان بالنداء ، ولا يستعملان فى غير شعر ، ولك أن تحوّل كل اسم فاعل ثلاثى يدل على معنى يسب به إلى وزن فعال ، ويختص بالنداء فى سب الإناث ، فتقول : يا خَباثِ مُحوَّلاً عن خبيثةً ، ويا فَجار مُحوَّلاً عن فاجرة ، ويا غدَار مُحوّلاً عن غادرة . وليس لك أن تُحوّل فى سب الذكور . وقد ورد التحويل فى سبهم إلى وزن فعل ، فتقتصر على ما ورد منه نحو : يا غُدَر ، ويا لكع ، ويا فُسق ، مضيًا بالحكم مع الكثرة والقلة . وقد ورد حذف يا نحو : آزر أتتخذ أصناما . فى قراءة ضم الراء ، ونحو : يوسف أعرض ، يوسف أيها الصديق .

(الموضع الثالث) : تراكيب يقال لها : تراكيب الاختصاص . وهى كل تركيب مشتمل على اسم يذكر فى أثناء جملة أو بعدها ، لتبيين الموضع الذى يخص به حكم الجملة . ويكون مطابقاً للمحكوم عليه فيها كقوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » . فلفظة : معاشر . اسم ذكر فى أثناء جملة لبيان الموضع المخصوص بحكم الجملة الذى هو ثبوت عدم الإرث ، وكون المتروك صدقة المعبر عنه بنحن ، وهو مطابق للمحكوم عليه ، وهو نحن والفعل الناصب المحذوف وجوباً : أخص معاشر الأنبياء ، ونظيره قولهم : نحنُ العُرْبَ أَقْرى الناسِ للضَّيْفِ . وفى ذكر هذا الاسم رفع بهامة فى نحن ، وقد يكون لمجرّد التعاظم نحو : أنا فتى الفتيان أكرم الضيوف وأستعمل السيوف ، وكونه بعد ضمير متكلم أكثر من كونه بعد ضمير خطاب . وقد يؤتى بلفظ : أى وأية مفسرًا باسم هو المختص فى الحقيقة فيلزمهما الضم ، ويقال : انهما فى محل نصب والجملة الاختصاصية جملة اعتراضية فائدتها ما سبق أو حالية .

(الموضع الرابع) : تراكيب الإغراء والتحذير ، ويسمى : المفعول فيها مُغْرى به ،

أو محذرًا منه نحو : الغزال الغزال . ونحو : سهمك والغزال . ونحو :إن لم تكذب فشأنك ومدح الناس إغراء . على تقدير : أطلب الغزال وخذ شأنك ، واطلب الغزال وانظر شأنك ، وقل مدح الناس ونحو : الأسد الأسد ورأسك والسيف تحذيرًا . على تقدير احذر الأسد وقِ رأسك وتجنب السيف . لكن شرط وجوب حذف الفعل تكرار الاسم ، أو العطف كما رأيت إلّا إذا ذكرت فى عبارة التحذير لفظة : إياك ، فإنه يجب الحذف بلا شرط . نحو : إياك الجدل فى غير حق .

وإياك إيّاك المِراء فإنه إلى الشّرِّ دعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ

وإياك وفعل الأراذل ، وإياكم أن تعتمدوا على غير الله . على تقدير : إياك احذر الجدل ، وإياك احذر ، وتجنب فعل الأراذل .

الموضع الخامس : تراكيب الاشتغال وصورتها أن تذكر اسما تأتى بعده بفعل ، أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول متصلا به ، أو منفصلا عنه ، وتشغله بضمير ذلك الاسم ، أو بما يشتمل على ضميره ، وحينئذ يسمى : المحذوف المضمر . على شريطة التفسير ، ويسمى المذكور من الفعل وصاحبيه : مفسرًا . ولمكان التفسير ، وجب حذف المفسر لذكر المفسر ، إذ لا يجتمع العوض والمعوّض ، لكن يلزم فى الأوصاف المستعملة فى هذه التراكيب أن تكون معتمدة على مبتدإ يذكر قبل المفعول المحذوف ناصبه أو بعده ، أو على نفى ، أو استفهام . نحو : زيد هندا مكرمها ، وعمرًا أنت محسن إليه ، وما زيدا صاحبه أخواه ، وأزيدا مربيه أبواه . فكل ذلك صحيح لو وضعت فيه الفعل موضع الأوصاف لم يكن الحكم مختلفًا . تقول : زيد هندا يكرمها . وهكذا ، بخلاف إذا لم يعتمد الوصف فإنه لا يجوز استعماله فى هذه التراكيب ، كما يجوز استعمال الفعل ، تقول : زيدًا يكرمه أصحابه . ولا تقول : زيدا مكرمه أصحابه . هذا والمضمر على شريطة التفسير إن أمكن تقديره من مادّة المفسر فذاك ، وإلّا قدّرت ما يناسبه ويدل عليه ، فتقول فى نحو : طريق الحق سلكتها . التقدير : سلكت طريق الحق . وفى نحو : مذهب الخير أنت رافع مناره . التقدير :أوضحتُ وبينت مذهب الخير .

وفى نحو : زيدا اشتريت غلامه بايعت أولابست زيدا . وفى نحو : زيد مررت به إلى الحاكم أذهبت زيدًا ، وباعتبارك هذه الأمثلة لا يصعب على ذوقك ، ولا يبعد عن إدراكك تقدير ما يناسب فى نحو : زيدًا ضربت عمرًا وأخاه ، وشتمت رجالاً يصحبونه .

هذا واعلم أن هذا الاسم الذى نحن فى إبانة كونه مفعولاً واجباً حذف عامله ، لا يلزم أن يكون كذلك إلّا فى بعض التراكيب . ولذلك تنقسم التراكيب المشتملة على هذا الاسم أربعة أقسام : قسم يتعين فيه نصب الاسم المذكور ، وقسم يترجح فيه النصب ، وقسم يستوى فيه النصب والرفع بالابتداء ، وقسم يترجح فيه الرفع .

القسم الأوّل : كل تركيب وقع فيه الاسم بعد ما يختص بالفعل كأدوات الشرط والتحضيض وهل . نحو : إن زيدًا أكرمته أكرمك ، وهلا زيدًا تكرمه ، وهل زيدًا اختبرته .

القسم الثانى : كل تركيب وقع فيه الاسم بعد ما يغلب صحبته للفعل كهمزة الاستفهام . نحو : أزيدًا أكرمته . وحيث أجلس حيث زيدًا وجدته ، أوقبل فعل ذى طلب نحو : زيدًا أكرمه وعمرا لا تهنه ، أو عطف ذلك التركيب على جملة فعلية نحو : (خَلَقَ الإنسانَ من نُّطفةٍ فإذا هوخصِيمٌ مُّبينٌ ۝ والأنعامَ خلَقَها لكُم) [سورة النحل : ٤و٥] أو كان نصب الاسم الواقع فيه يعين المقصود ، والرفع يحتمل غيره . نحو : (إنَّا كُلَّ شىءٍ خَلَقْنَاهُ بقَدرٍ) [سورة القمر : ٤٩] ، فإن المقصود الحكم بأن خلق كل شىء بقدر لا أن الأشياء المخلوقة بقدر .

القسم الثالث: كل تركيب وقع بعد جملة اسمية ، والخبر فيها جملة فعلية نحو : زيد كرمت شمائله ، والإحسان تحققته منه .

القسم الرابع : ما عدا تلك التراكيب ، ولما كان المفعول فى غير الموضع الأوّل مختصاً بأحكام مفصلة فى مسائل ترجم النحويون لكل جملة متناسبة من تلك المسائل ، فقالوا : باب النداء ، وباب الاختصاص ، وباب الاغراء والتحذير ، وباب الاشتغال .

المفعول المطلق[1]

مصدر يُذكر بعد مشتقٍ يكون ناصباً له لأحد أغراض ثلاثة : توكيد معنى ناصبه ؛ ليفيد أن معناه هو المراد باللفظ ، وليس المراد معنى آخرعبر عنه بلفظه مبالغة . نحو قولك : ضربت زيدًا ضربًا ، وأنا مهينه إهانة . فلفظ ضربًا مصدر أكدت به معنى ضرب ؛ لتفيد أن الحاصل منك ضرب زيد لأنواع من أنواع الأذية كالشتم عبرت عنه بالضرب مبالغة .

وبيان نوعه : نحو : ضربت زيدًا ضربًا شديدًا أو ضعيفاً ، وتكلم عمرو تكلما حسنًا ، وسار سيرا طويلاً .

أو بيان عدد : نحو : وثبت وثبة ، وقام قومة ، وتكلم زيد تكلمين تكلما أعجب وتكلما لم يعجب ، وشرب بكر شربات .

وينوب عن المصدر أشياء فتسمى : مفعولاً مطلقاً بالنيابة ، وهى أربعة عشر لفظة ، كل أو بعض مضافتين إليه . نحو : اجتهد زيد كل الاجتهاد ، وتوانى عمرو بعض التوانى .

وذلك لبيان النوع إذ المعنى : اجتهادًا كاملاً وتوانيًا قليلاً ، والإشارة إليه نحو :زجرته ذلك الزجر فلم يفد فيه لبيان النوع أيضاً ، إذْ المعنى : الزجر الشديد الذى اطلعت عليه . وعدده نحو :مررت به عشرين مرة ، وأداة السؤال عن عدده نحو : كم مرة مررت به . والسؤال عن نوعه كأى وصف وصفت زيدا على معنى أوصفًا حسنًا وصفت زيدا أم وصفا غير حسن ، ومصدر فعل غير فاعله على التشبيه به بعد حذفه ، وحذف أداة التشبيه نحو : قرأ زيد قراءة العلماء . على تقدير قراءة مثل قراءة العلماء ، ومصدر فعل فيه معنى فعله نحو : فرح زيد بكذا جذلا ، إذ الجذل الفرح الشديد ، وسكت صمتا

(1) هذا العنوان من عندنا ولم يرد بالأصل . (المحقق)

إذ الصمت السكوت المقصود لخيرية السكوت ، واسم عين من مادة الفعل . نحو : أنبتكم من الأرض نباتًا . واسم بمعناه يقال له : اسم المصدر . نحو : أعطى زيد عطاء . بمعنى اعطاء ، وضميره نحو : أعجبني القول الذي قلته . أي النطق الذي نطقته وصفته . نحو : سرت طويلا . أي سيرا ، ولبثنا قليلا أي لبثا والته نحو : ضربته سوطا أو عصوين . وفى هذا مع بيان آلة الفعل بيان عدده ، أليس المعنى : ضربته ضربة بسوط وضربتين بعصا ، وألفاظ وضعت لبيان أنواع أفعال نحو : رجع القهقرى . أي بظهره إلى خلف ، وقعد القرفصاء ، واشتمل الصماء ، واعتم القفداء . أي التف بثوبه : ولم يرسل من عمامته شيئًا ، وهذه الثلاثة ممدودة وعدا الجمزى والمرطى والبشكى . أي عدوًا شديدا ، ومشى الحمار حيدى . أي ملتويا إلى يمين مرة وإلى شمال مرة فى ألفاظ أخر ، ولأبي الطيب :

ألا كلّ ماشيةِ الخيزلى فِدا كُلّ ماشيةِ الهيْدبا

فالهيْدبا : نوع من مشى الإبل . والخيزَلى : نوع من مشى النساء . يقول : ترك الهزل وأخذ فى الجد ، فهو يفدّى النّوق بالنساء . والمصدر المؤكد تكرير للفعل ، فمن قال : ضربت ضربًا . كأنه قال : ضربت ضربت . ولذلك لا يثنى ولا يجمع بخلاف المبين للنوع ، والمبين للعدد . تقول : سرت سيرى الغاوى والراشد . ويحذف ناصب المفعول المطلق إذا دلّ عليه دليل ، ويجب حذفه إذا أقيم المصدر مقامه فى الطلب نحو : قراءة للعلم . أي اقرأ العلم فهو بدل الفعل . ولذلك يؤكد ويبين نوعه وعدده ، فتقول : ضربًا زيدًا ضربا وضرب تأديب وضربات . وإذا كان بعد استفهام توبيخي نحو : أتَوانيًا وقد جدّ النّاس ! أي : أتتوانى .

وإذا فصل بإما . نحو : (فإمّا منًّا بعدُ وإمّا فِداءً) [سورة محمد : ٤] أي فإما تمنون وإما يفدون ، وإذا كرّر وكان عامله خبرًا عن اسم لا يكون المصدر خبرًا عنه إلا مجازًا ، وإذا كان مقصورًا عليه كذلك . نحو : أنت سيرا سيرا . أي تسير وما أنت إلا سيرا ، وإنما أنت سيرة الحكماء وإنك حفظًا حفظًا ويجوز أن يكون منه : ما كنت إلا اشتغالا بالخير وما وجدتك إلا حرصًا على الفائدة وابتهاجًا بالنادرة ، كما يجوز أن يكون محدثًا به ،

خبرًا فى الأوّل ومفعولاً به فى الثانى ، كما لو رفعت المصدر فى سابقه. وإذا كان بعد جملة مشتملة على معناه قطعًا ويسمى حينئذ : مؤكدًا لنفسه نحو :إليه مرجعكم جميعاً وعد الله . فوعد الله مفعول مطلق محذوف العامل وجوبًا يسمى : مؤكدًا لنفسه لكونه واقعًا بعد جملة تضمنت معنى الوعد قطعًا ، وهى : إليه مرجعكم ، فإنها إخبار بأن الله سيحيى الخلق ويعيدهم ويرجعون إلى حسابه وهو وعد منه ، ونحو : لزيد على ألف إقرارًا . وإذا كان بعد جملة متضمنة معناه لا حتمًا ويسمى : مؤكدًا لغيره . نحو : أنا ناصح لك صدقًا ، فإن أنا ناصح لك خبر يحتمل الصدق. وإذا كان واقعًا بعد مصدر فى جملة تامة على معنى التشبيه نحو : لزيد صوت حمارٍ . وإذا بين فاعل فعله أو مفعوله بذكره بعده مضافًا إليه أو مجرورًا بلام نحو : بعدا لزيد. أى بعد زيد بعدًا ، وحكم الله. أى حكم الله حكمًا ، وسقيًا لك ، ورعيًا لك . الأصل : سقاك الله سقيًا ، ورعاك وحفظك ورعايتك كذلك ، فيحذف وجوبًا فى تسعة مواضع ، وجوازًا فى غيرها إذا دلَّ عليه دليل ، كما إذا قيل لك : أضربت زيدًا فتقول : ضربًا .كما يجوز حذف المصدر كذلك ، كأن يقال لك : هل ضربت زيدًا ضرب التأديب على ما صدر منه فتقول : ضربته. أى ضربته ضرب التأديب . كما يحذف هو وعامله لو أجبت بنعم أو لا ، ويتقدّم المفعول المطلق ويتأخر حسب الاقتضاء حيث لا مانع .

واعلم أن الفعل من حيث الحدث يتضمن معنيين : معنى مشترك بين جميع الأفعال ويعبر عنه بالإيجاد والإيقاع والفعل إلى غير ذلك ، ومعنى خاص يتعلّق به ذلك المعنى ألاترى أنك تفهم من قولنا ; ضرب زيد ، وقام عمرو أوجد زيد ضربًا وأوقع عمرو قيامًا ؛ فالمعنى الخاص هو المفعول . ولذلك سمى الدال عليه : مفعولاً دون تقييد بفيه أو معه كما هو الحال فى كل ما يسمى مفعولاً . ويوضح لك ذلك أنه ربما اعتبر المعنى العام فى الفعل المتعدى ، فلزم كقوله تعالى : ﴿ وهُزِّى إليكِ بجذعِ النَّخلةِ ﴾ [سورة مريم :٢٥] . أى أوجدى الهز به وأوقعيه فيه ، وقول العربى : يجرح فى عراقيبها نصْلى

أى : بفعل الجرح بها .

* * *

المفعول لأجله

هو اسم يذكر لبيان العلّة الباعثة على الفعل أو الغرض المترتب عليه، وهو ما يكون متقدمًا فى التصور وتصوره باعث على الفعل ومتأخرًا فى الوجود نحو : أكرمتك لإكرامك إياى ، أو أكرمتك لتشكرنى .

وإنما ينصب إذا كان مصدرًا وقته ووقت فعله واحد وفاعلهما كذلك نحو : قام زيدٌ إجلالاً لعمرو . فمتى تخلّف شرط من الشروط الثلاثة لم ينصب . نحو : سافر زيد للشتاء ، فليس مصدرًا ، وأكرمت عمرًا لإكرامه إياى ، فليس الفاعل واحدا . وأكرمت زيدا اليوم لإهانتى له أمس . فليس الوقت واحدا .

ومنه : أزور زيدًا من أجل لطافته ، ودخلت امرأة النار فى هرّة حبستها ، لاهى أطعمتها ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش الأرض. أى : بسبب هرة . ويجوز فى المستوفى للشروط أن لاينصب ، فتقول : قام زيد لإجلال عمرو ، فليس المفعول لأجله من المنصوبات وجوبا.

* * *

ويسمى : ظرفا . لاشتماله على الفعل وإحاطته به اشتمال الظروف على مظروفاتها وإحاطتها بها . قد سلف لك أن جميع الألفاظ التى يربطها بالأفعال حروف الإضافة تسمى : مفعولا به غير صريح ، ومفعولا به بواسطة . ويقال حينئذ للأفعال : انها متعدية إليها بالواسطة فى مقابلة المفعول به الصريح ؛ فعلى هذا تقول فى نحو : أنا جالس هنا لانتظار زيد ، وخرجت للنزهة فى يوم الجمعة ، وجلست فى مجلس فلان أحدثه ويحدثنى أن لفظ لانتظار ، ولفظ فى يوم ، ولفظ فى مجلس منصوبة الموضع ، لكونها مفاعيل غير صريحه ، لكن اضطرد حذف الخافض فى بعض المواضع والتزم فى بعضها ، ومن تلك المواضع المفعول لأجله ، والمفعول فيه . وتراكيب أنَّ بفتح النون المشددة ، وأنْ بسكون النون ؛ وتلك المواضع هى التى يكون حذف حرف الإضافة فيها قياسيا مطرداً حسبما تقرر فى باب حروف الإضافة ، فاتضح لك أن المفعول لأجله ، والمفعول فيه منتظمان فى المفعول به ، لكن الاضطراد حذف الخافض منهما والتزامه فى بعضهما جعلهما النحويون نوعين مستقلين من أنواع المنصوبات ، وترجموا لمسائلهما نظير ما فعلوا فى النداء وما معه . هذا : والذى علينا أن نعرفه فى هذا الموضع : أن حذف الخافض وانتصاب المخفوض على الظرفية مطرد فى جميع أسماء الأزمنة ، فنذكر بعد ما فيه معنى الفعل لتعيين الزمن الذى وقع فيه الفعل نوعًا مًّا من التعيين نحو : سرت شهرًا ، وأقمت سنة إلى غير ذلك من أسماء الأزمنة ، وما أضيف إليها مما يفيد الاستغراق أو التبعيض نحو : انتظرتك كلَّ اليوم ويومًا وبعض آخر وأكثر النهار . وأما أسماء الأمكنة فما كان منها لمحدود ذى صورة قارّ فى موقعه كالمدينة والبلد والدار والطريق ، فلا يطرد فيها ذلك إلا مع : دخلت وسكنتُ ونزلت . تقول : دخلت دار زيد ، وسكنت مصر ، ونزلت بغداد . ويطرد فى غير ذلك كأسماء الجهات التى هى فوق وتحت وأمام وقدام ووراء وخلف ويمنة ويسرة ويمين ويسار . وأسماءالمقدَّرات : كفرسخ

وميل وشبر ، وكأسماء الأمكنة التي سبق لك أنها من المشتقات على تفصيل فيها حاصله : أن أسماء الأمكنة المشتقة من الأفعال إن كانت مأخوذةً من أفعال دالة على الاستقرار والكون في مكان ، فإنها كما تنصب بأفعالها تنصب بما تضمن ذلك المعنى . نحو : جلست مجلس زيد ، وأقمت مجلسه . وهكذا ، كالمكان والمقام والمسكن والموقف والمقيل والمبيت ، وإن لم تكن على هذا الحد لم تنصب إلاّ بأفعالها . ومن المسموع فلا يقاس عليه نصب أسماء الأمكنة الدالة على القرب أو البعد نحو : زيدٌ منكَ مزجر الكلب ومناط الثريا ، ومقعد الخاتن ومقعد القابلة ومعقد الإزار . ثم إن بعض الظروف لم تستعمل إلاّ منصوبة أو مخفوضة بإلى أو حتى أو بإلى فقط . نحو : متى وإلى متى وإلى أين أو مخفوضة بمن التي هي للابتداء أو الظرفية نيابة عن في حسبما يقتضيه ذوقك وينساق إليه فهمك . نحو : لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ . أي في الزمن السابق وفي الزمن اللاحق ونحو : هبْ لي من لدُنك . وعلمْناهُ من لدنا . وخرجوا من عندك .

وهذه الظروف التي هذا شأنها تسمى : ظروفًا غير متصرفة . وما عداها يسمى ظروفًا متصرفة . فمعنى كونها متصرفة أنها تخرج عن الظرفية ، وما أُلحق بها لا أنَّ وصف التصرف ثابت لها مع كونها ظروفًا . تقول : يوم الجمعة يوم مبارك . على الابتداء والإخبار ولا ظرفية .

وينوب عن أسماء الأزمنة مصادر ، فتنصب بدلها نحو : آتيك خُفوق النجم ، وطُلوع الشمس وقُدوم الحاج . أي وقت خفوق وطلوع وقدوم . ومن المصادر النائبة عن اسم زمن فيكون منصوبًا على الظرفية بالنيابة المصدر المؤوّل ملاحظة من مشتق بسابك ما التي تسمى : مصدرية ظرفية نحو : أنا منتظرك ما دام هذا النجم فهو على تأويل دوام هذا النجم ، فدوام منصوب على الظرفية بالنيابة . والأصل : وقت دوام . ومنه : ريثما في نحو قولك : انتظرني ريثما تقرأ سورة وسطى . إذ ريث مصدر : راث . بمعنى بطؤ وما التي بعدها مصدرية فقط ، والتقدير : ريث قراءة على معنى وقت بطء قراءة .

وقلَّ إنابةُ المصدر عن ظرف المكان نحو : جريت رَمْيةَ نَشَّابة . أي مسافة رميها . وفي الحديث : « أقطع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الزبير حُضْر فرسه » : أي : مسافة حُضْرِها . والحُضْر : بضم فسكون العدْو وأُريد به في الحديث : العدوُ خَبسة نَفَس

هو اسم الشيء الذى فعل الفعل بمعيته وصحبته ومقارنته ، يذكر مسبوقًا بواوٍ بعد الفعل المنبه على أنه حصل ووقع بمقارنته تقول : سرتُ والجبلَ حتى وصلت لأقصى الصعيد فمعناه : أنك فعلت السير والجبل مقارن ومصاحب لك طول سيرك . وتقول لمن سألك عن موضع : امشِ وهذَا الطريق لا تنحرف لا يمنةً ولا يسرةً تصل إلى مقصودك . ثم المفعول معه : تارة يكون مشاركًا فى الفعل ، وتارة لا يكون مشاركا فيه . غاية الأمر أنه مصاحب المفاعل حالة الفعل فى الوجود والموضع ، ومن حيث إن المفعول معه يكون مشاركا تارة وغير مشارك تارة ، فمتى كان مشاركًا كان عطفه على الفاعل أفصح وأرجح ، إلاَّ إذا أضعف العطف مضعف ، كما إذا كان لفظ الفاعل ضميرًا متصلاً لم يفصل بينه وبين الواو بفاصل ، نحو : سرت وزيد وزيدًا إلى بلد كذا ، فإن النصب على كونه مفعولا معه أرجح ، وذلك لأن الضمير المرفوع المتصل لا يعطف عليه إلاَّ إذا وجد فاصل بينه وبين الواو ، فإذن يكون العطف أرجح فى نحو : سرت أنا وزيدٌ ، وفى نحو : سرت إلى بلد كذا وزيد ، وأرجحية العطف لكونه نصًا فى المشاركة فى الفعل ، إذ قد عرفت أن المفعول معه تارة يكون مشاركًا ، وتارة يكون غير مشارك فلا نص فيه على المشاركة ، ومتى لم يكن المفعول معه مشاركا وجب نصبه وامتنع العطف نحو : سرت والطريقَ . فالطريق غير سائر ، ومتى كان الفعل من الأفعال الاشتراكية ، التى لا تحصل إلا من اثنين فصاعدا ، امتنع المفعول معه ووجب العطف كاختصم زيدٌ وعمروٌ ، واصطف خالدٌ وبكرٌ ورجل ، إذ وضع الباب على أن يكون الفاعل يستقل بالفعل .

وهذه الأفعال لا يمكن استقلال الواحد بها ، وكما أنك تنبه على مقارنة فاعلية الفعل

للمفعول معه تنبه على مقارنة مفعولية الفعل به نحو :علفتها تبنًا وماء . حيث يكون الماء حاضرًا وقت العلف لا مسقيًا وإلاّ كان نصب الماء على تقدير : وسقيتها .

كقول الشاعر :

وعلفتُها تبنًا وماءً بـاردًا حتى غدت همّالةً عيناها

وقوله :

إذا ما الغانياتُ برزنَ يومًا وزجّجنَ الحواجب والعيُونا

أي : كحلن العيون .

ونصبت العرب المفعول معه بفعل محذوف وجوبًا بعد (كيف ، وما) الاستفهاميتين .

فقالوا : كيف أنتَ وقصعةً مِنْ ثريد . الأصلُ :كيف تكون وقصعةً ؟.فكيف خبر مقدم لتكون واسمه ضمير المخاطب المتصل المستتر ، فلما حذف الفعل برز الضمير وانفصل كما هو العادة ، ومعنى العبارة : أقادرًا تكون على التهام القصعة أم عاجزًا عنه؟ أجاب بعضهم فقال :آكلها وأقول هل من مزيد . فذلك حطمة لهمة ، ونحو : ما أنت وهذا ! لمن يتعرض لما لا خبرة له به. أي : ما تكون وهذا فعل به ما ذكر .

* * *

وهو اسم شيء ثنى وصرف عنه حكم شامل له بأداة مخصوصة نحو : خرج أهل البلد إلّا زيدًا . فزيدًا اسم شخص صرف عنه حكم ورد على أهل البلد الشامل لمسمى زيدوهو الخروج ، وإنما يجب نصبه إذا كان بعد كلام مثبت تام كالمثال ، أو كان مع كلام منفى تام وقدم على المستثنى منه نحو : ما خرج إلاّ زيدًا أهل البلد . فلو لم يكن متقدمًا على المستثنى منه لم يجب نصبه ، بل جاز لك فيه أمران : أن تنصبه مستثنى ، وأن تجعله تابعًا للمستثنى منه فى إعرابه . ويسمى حينئذ : بدلاً . كما ستعرف فى شرح التوابع فإذا لم يكن الكلام تامًا بأن حذف المستثنى منه قام المستثنى مقامه وعومل بما يقتضيه العامل ، فإن كان المستثنى منه مرفوعًا رفعت المستثنى لقيامه مقامه . نحو : ما قام أحد إلا زيد . فتقول : ما قام إلا زيد . وإذا كان منصوبًا نصبت المستثنى نحو : ا رأيت أحدًا إلا زيدا . فتقول : ما رأيت إلا زيدًا فتنصبه على أنه مفعول به ، وإذا كان مجرورًا جررت المستثنى ونقلت إليه الخافض نحو : ما مررت بأحد إلا زيد أوزيدًا . فتقول : مامررت إلا بزيد وهذه عبارة القصر

ويقال لهذا النوع من الاستثناء : الاستثناء المفرّغ . يعنى : الاستثناء الذى فرغ فيه العامل عن الاشتغال بالمستثنى منه ، وشغل بالمستثنى لعلمك أنه أقيم مقامه . وأكثر ما يكون التفريغ فى النفى ؛ لأن أكثر الإثباتات لا يصح فيها التفريغ مثلا إذا قلت : رأيت إلا زيدًا كان معناه رأيت كل أحد إلا زيدا . وهوفاسد بخلاف قولك : ما رأيت إلا زيدًا . فإن معناه : ما رأيت أحدًا إلا زيدًا . وهو صحيح لإمكانه والتفريغ الصحيح فى الإثبات ، نحو : قرأت إلاّ سورة الرعد . فإن معناه : قرأت كل القرآن إلاّ سورة الرعد . وهو صحيح ، وضابطه أن يكون ثبوت الفعل لكل أفراد جنس المستثنى ممكنًا ،

ويكون الاستثناء بحرف هو إلاَّ وباسمين هما : غير وسوى ، وبأربعة أفعال هى : ليس وخلا وعدا وحاشا ، وبكلمة مركبة من فعل وحرف هى : لا يكون ، فإذا كان الاستثناء بغير وسوى كان المستثنى مجروراً دائما بالإضافة ، وكان حكم المستثنى بإلا من وجوب نصب وجواز نصب واتباع ، ومعاملة بما يقتضيه العامل ثابتًا لكلمتى غير وسوى ، وإذا كان الاستثناء بليس كان المستثنى منصوبًا أبدا على أنه خبر لليس ، واسمها ضمير مستتر وجوبًا يعود على بعض الشامل للمستثنى ، فإذا قلت : خرج أهل البلد ليس زيدًا . فهو على إضمار ضمير فى ليس يعود على بعض أهل البلد ، فالمعنى : ليس بعض أهل البلد المحكوم لهم بالخروج زيدًا . ومثل ليس لا يكون ، وإذا كان الإستثناء بخلا وعدا فإن أتيت قبلهما بما المصدرية وجب نصب المستثنى على أنه مفعول به للفعلين ، وفاعلهما ضمير مستتر وجوبًا يعود على بعض الشامل ، كما فى ليس ولا يكون ، وإن لم تأت بما المصدرية جاز لك نصب المستثنى على ما سبق ، وجاز جره بخلا وعدا على أنهما حرفا جر لأنهما يستعملان فعلين ويستعملان حرفين ، كما أن حاشا كذلك . فيجوز نصب مستثناها وجره على الرعايتين ، فالمستثنى ليس من المنصوبات دائمًا ، وبعضه من أنواع المنصوبات السابقة خلا أن عباراته ملحوظ . فيها معنى إلَّا مخصوصة بحال لم تكن مقصورة عليه فى غير الاستثناء .

هذا : وقد وردت إلَّا مكررة ، فإن كان المستثنى متعددًا فى اللفظ واحدًا فى المعنى بأن عبرت عن شىء باسمين من أسمائه نحو : إلَّا الفتى إلَّا العلى ، وإلا أبا حفص إلا عمر . كانت إلَّا الثانية مؤكدة للأولى تأكيدًا لفظيًا وكان الاستثناء واحدًا ، وإذا كان متعددًا لفظاً ومعنى ، كانت الاستثناءات متعددة أيضا ، وكانت إلا مؤسسة .

وتفصيل القول حينئذ : أنه إذا كان الاستثناء مفرغاً فإذا كانت الاستثناءات من مستثنى منه واحد أعطيت العامل واحدًا من المستثنيات ، والأرجح الأوّل ونصب الباقى نحو : ما أقبل إلاَّ زيد إلا عمرًا إلا بكرًا . وإذا كان لكل مستثنى مستثنى منه على حدة تعين إعطاء الأوّل للعامل ونصبت الباقى نحو : لا تكرم إلا الحكماء إلا الفسقة منهم إلا التائب إلا من لا تؤثر التوبة فى جنايته .

وإذا لم يكن مفرّغا ، فإن تقدّمت المستثنيات وجب نصبها بحكم ما سلف ، وإن تأخرت فإن كان الكلام إيجابياً وجب النصب كما سلف أيضا ، وإن كان سلبياً تخيرت في واحد بين اتباعه للمستثنى منه وهو الأرجح وبين نصبه ، ونصبت الباقي إذا كان المستثنى منه واحداً وها هنا تركيب وقع فيه اختلاف انبني عليه الاختلاف في حكم شرعي وهو نحو قولك في الإقرار له : على عشرة إلاّ أربعة إلاّ ثلاثة .

فبعض الفقهاء يقول : الاستثناءان من العشرة ، فيكون المقرّبه ثلاثة ؛ لأنه أخرج الأربعة والثلاثة ، وهي سبعة من العشرة فيبقى ثلاثة تكون هي المقرّبه .

وبعضهم يقول : إن استثناء كل مما قبله فيكون المقرّبه تسعة .

وبعضهم يقول : إن التركيب محتمل فيرجع لاستفسار المقرّ . وكل ذلك إذا أمكن الأمران وإلا كان استثناء كل مما قبله ، فلو قال المقرّ له : على عشرة إلا تسعة إلا ثمانية وهكذا إلى الواحد . كان المقرّ بخمسة على رأى من يقول بالاحتمال ، ومن يقول : إنّ استثناء كل مما قبله ، وباطل لاغٍ عند غيرهم .

* * *

الحال

وهو اسم أو ما يقع موقعه من جملة ، يذكر لبيان الهيئة ، التى يكون عليها الفاعل حال فاعليته للفعل أو المفعول حال مفعوليته له ، ويكون الفعل مقيد الحصول بها نحو :جاء زيد راكبا . فراكبا اسم ذكر لبيان هيئة زيد الفاعل للمجىء التى هو عليها حالة فاعليته للمجىء ، ونحو : أكرم زيدًا مجتهدًا فى طلب العلم . فمجتهدا اسم ذكر لبيان هيئة زيد المفعول التى هو عليها حال المفعولية ، وأفادت أن إكرامه لا يحصل إلاّ حالة اجتهاده ؛ فحصول الفعل مقيد بوجود الاجتهاد فلو قلت : أكرم زيدًا ولم تزد. كان المعنى أنَّ إكرامك له يحصل مطلقًا غير مقيد بشىء .

وللحال صاحب هو المتصف بها ، وعامل هو رافع صاحبها أو ناصبه مثلا ، وأكثر ما يكون صاحب الحال معرفة ، ويكون نكرة إن سبق بنفى أو نهى أو استفهام أو وصف أو تقدمت عليه الحال ؛فالمعرفة نحو : جئتك زائرًا . فصاحب الحال تاء المتكلم وهو معرفة والنكرة نحو قولك : ما جاء رجل ماشيًا ولا راكبا ، ولا يغتب أحدٌ أحدًا محتقرًا إثم الغيبة ، وأعقل الناس رجل مسلم عاملاً بعلمه داعيًا لدينه لاطفا بحزبه. وقوله : لميَّة موحِشًا طَلَلُ .

ولا يكون صاحب الحال مضافًا إليه إلاّ إذا كان المضاف جزءًا منه ، أو مثل الجزء نحو : خذ بيد المظلوم مستغيثًا بك ، ونحو : أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا . وإلا إذا كان المضاف عاملا فيه عمل الفعل ، ولو بالتأويل وملاحظة المعنى نحو : أنا مكرّم زيد باذلاً همته فيما يعنى ونحو : أنت حسن الوجه نافعًا للناس ، ونحو قولك وقد رأيت رسم باب كبير لدار صغيرة : هذا باب الدار كبيرة. على معنى هذا يناسب الدار كبيرة ، وعامل الحال : كل ما فيه رائحة الفعل ملاحظة كحرف التنبيه ، واسم الإشارة ، وأداة

التشبيه وحرف التمني وما عدا الفعل وفروعه يُسمى: عاملاً معنويًا ؛ لأنه إنما عمل بالمعنى الفعلى الملحوظ معه نحو: هذا بعلى شيخا. أى أنبهكم لرؤيته فى تلك الحال أو أشير إليه فيها لأجل أن تتحققوا إمكان بشراكم، ونحو: كأنَّ زيدًا جبل مزاحمًا شدائد الأُمـور.

ويحذف عامل الحال وجوبًا فى أربعة مواضع:

الأوَّل: إذا كانت مؤكدة لمعنى جملة وسيأتى.

الثانى: إذا كانت سادَّة مسدَّ خبر حذف وجوبًا وسبق.

الثالث: إذا كانت لبيان زيادة أو نقص، نحو: هذا يساوى ألف درهم فصاعدًا أو فنازلاً. أى: فيذهب العدد صاعدًا، وللصاحب بهاء الدين زهير.

لَعَـنَ اللـهُ صـاعِـدا وأبـاهُ فصـاعِـدا
وبنيـهِ فنَـازِلاً واحـدًا ثـم واحِـدا

الرابع: إذا وقعت فى التوبيخ بالاستفهام نحو: أعاصيًا وقد أطاع الناس! . أى أتبقى عاصياً ومنه: أتميميًا مرة وقيسيا أخرى؟ . وفى غير ذلك يكون كبقية الألفاظ التى يجوز حذفها اعتمادا على القرائن. ويجوز تقديم الحال على صاحبها، وعلى عاملها إن كان فعلاً متصرفًا أو اسْم فاعل، أو اسم مفعول، لاغير إلا إذا كان العامل اسم تفضيل وكان المفضل والمفضل عليه كل منهما صاحب حال، أو شيئا واحدًا فضل على نفسه باعتبار حالين؛ فالأوَّل كقولك: زيد منفردًا أنفع من عمرو مصطحبًا جيشًا؛ فمنفردا ومصطحبًا حالان، الأولى لزيد والثانية لعمرو، والعامل فيهما لفظ أنفع الذى هو اسم تفضيل وقدمت أولى الحالين عليه.

والثانى كقولك: هذا البلح بسرًا أطيب منه رطباً. فبسرًا ورطباً حالان للبلح، والعامل فيهما لفظ أطيب، الذى هو اسم تفضيل، وقدمت الأولى عليه، والمفضل والمفضل عليه هو البلح باعتبار كونه بسرا وباعتبار كونه رطبًا، وتعدد الحال وصاحبها واحد نحو: جاء زيد راكبًا لابسًا أحسن ثيابه متقلدًا سلاحه، وتتعدد وصاحبها متعدد

فإذا كانت من لفظ واحد ثنيت وجمعت بحسب الحال نحو : لقيت زيدا راكبين ، ولقيت العلماء متذاكرين . فإن لم يكونا من لفظ واحد ، بل اختلفا فى ذاتهما أو بحسب ما يتعلق بهما أتيت بكل من الحالين على حدة نحو : لقيت راكبا زيدا ماشيا ، ولقيت زيدا راكبا ماشيا . وفى هذا تكون الحال الأولى للاسم الثانى ، والحال الثانية للاسم الأوّل ، أو بالعكس حسبما تعطيه القرائن ، ونحو: لقيت راكبا حمارا زيدا راكبا فرسا ، ورأيت زيدا راكبا حمارا راكب فرسا . كذلك وإذا لم يفهم معنى الحال من لفظ من الألفاظ المذكورة معها سميت : حالاً مؤسسة . وإذا فهم معناها من عاملها سميت : مؤكدة لعاملها نحو: (ولا تعْثَوْا فى الأرض مفسدين) فإن العثوّ معناه : الإفساد ، فلفظ مفسدين حال مؤكدة للفظ تعثوا الذى هو عاملها ، وإذا فهم معناها من صاحبها سميت : مؤكدة لصاحبها نحو (لآمنَ منْ فى الأرض كلهم جميعًا) فجميعا حالٌ صاحبها لفظ من الموصول بلفظ فى الأرض المؤكد بكلهم فهم منه معنى الإحاطة والشمول والعموم ، وأفيد هذا المعنى بلفظ جميعا فهى حال مؤكدة لصاحبها ، وتكون مؤكدة لمعنى تضمنته جملة اسمية منعقدة من اسمين جامدين وتسمى : مؤكدة الجملة نحو : زيد أبوك شفوقا عليك وعمرو أخوك مساعدا لك ، وذلك حيث تكون الجملة معطية معنى الحال التزامًا حسبما تحكم به العادة وهذه الحال فى بابها نظيرة المصدر المؤكد لنفسه فى بابه ، وهذا من مواضع وجوب حذف عامل الحال كما سبق الوعد به ، وتقديره : خلقه الله وأودعه طباعه وأظهر نتائجها شفوقًا عليك ، وأثبت بعض العلماء للحال عاملا غير ما سلف ، وهو نسبة الخبر للمبتدإ وثبوته له وبه ردّ منع سيبويه مجىء الحال من المبتدإ معللا ذلك بعدم ما تكون الحال قيدا له ، فإنها حينئذ تكون قيدا للمعنى الفعلى ، الذى يشم من نسبة الخبر للمبتدإ والردّ غير صحيح لأن الحال تكون حينئذ من ضمير المبتدإ المحمول لذلك الفعل الملحوظ . وعلى هذا تكون الحال المؤكدة للجملة المذكورة ليست محذوفة العامل ، وإذا كانت الحال من الأوصاف الثابتة لصاحبها دائما سميت : حالاً لازمة ، وحينئذ لاتفيد تقييد العامل ، إذ معنى تقييده أنه يحصل ويوجد وقت وجودها ، وينتفى حصوله وقت انتفائها وعدمها ، والحال اللازمة ليس لها انتفاء نحو: سألت الله عالما بحال السائلين . فالعلم صفة ثابتة دائما لله تعالى الذى هو صاحب الحال وليست مقيدة لحصول السؤال ، فإنك لاتلحظ أنك تسأله

فى حال ثبوت العلم له دون حال انتفائه عنه ، فإنه لا ينتفى ومن اللازمة نحو : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها ، واليربوع رجليه أطول من يديه .

وإذا كانت من الأوصاف التى تثبت حينا ، وتنتفى حينا كركوبك ومشيك وقعودك سميت : حالاً منتقلة . وهذه هى التى يقصدبها تقييد العامل ، فإذا قلت : اضرب زيدا مسيئا فمعناه : أطلب منك ضرب زيد فى حال كونه مسيئا ، فإذا انتفت إساءته وصار محسنا فلا أطلب منك ضربه .

ولا تكون الحال إلّا نكرة ، فإذا جاءت معرفة فى اللفظ فهى نكرة بحسب المعنى الملحوظ نحو : جاء زيد وحده . فلفظ وحده حال وهو معرفة بإضافته للضمير ، لكن معناه : جاء زيد منفردا فهو نكرة بحسب الملاحظة إذا لغرض من الحال بيان هيئة صاحبها وصفته ، وذلك يحصل بلفظ النكرة فلا غرض فى التعريف. ومنه قولهم : أقبلت الخيل بداد . كفجار علم جنس للتبدّد . أى متبدّدة غير مجتمعة ، وقولهم : أرسلها العراك . أى معتركة . وهذا من تراكيب وردت عنهم مشتملة على مصدر منصوب يتبادر من فحوى الكلام أنهم اعتبروه حالاً نحو : طلع بغتة ، وأقبل ركضا . وبذلك قال بعض النحويين حاكما بشذوذه غير مجيز القياس عليه ، وأجازه بعض . ومنهم من جعله مفعولاً مطلقًا أى طلوع بغتة : ومجيء ركض .

وأكثر ما تكون الحال من المشتقات صراحة حيث عرفت أنها وصف ، وجاءت مشتقة بالتأويل والملاحظة كما جاء أخوها الخبر كذلك نحو : بيع البر أردبًا بدينار أى : مسعرا وكلمته فاه إلى فىّ أى مشافهة ، وبعه كذا يدًا بيد ، أى مناقدة ، وكر زيدٌ أسدًا أى مشبها .

ثم ان الحال تكون مفردة كما رأيت ، وتكون جملة خبرية اسمية ، أو فعلية ماضية ، أو مضارعية مثبتة أو نافية ولا بدّ لها من رابط يربطها بصاحبها ، ورابطها إما ضمير يعود على صاحبها ، أو واو تفتتح بها الجملة نحو : جاء زيد يتبسم . فيتبسم جملة فعلية مضارعية حال من زيد مرتبطة بالضمير المستتر فى الفعل العائد على زيد ونحو : جئتك والشمس طالعة . فالشمس طالعة جملة اسمية حال من ضمير المتكلم ، أو من ضمير المخاطب مرتبطة بالواو الداخلة عليها ، ويكون الرابط الواو وحدها إن لم يكن فى الجملة

ضمير كما رأيت ،ويكون الرابط الضمير وحده كما رأيت أيضا ،وقد يجتمعان نحو : جاء زيد وهو ضاحك السن . لكن تمتنع الواو ويجب الاقتصار فى الربط على الضمير فى ستة مواضع :

الأوّل : إذا كانت جملة الحال مؤكدة لمضمون جملة نحو : هو الحق لا شك فيه ، و : ذلكَ الكتابُ لا ريْبَ فيه هُدًى للمُتَّقِينَ .

الثانى : إذا كانت الجملة ماضوية عطف فيها بأَوْ التعميمية نحو : لأُكرمنّ زيدًا أحسن أو أساء . معناه : متصفًا بأى صفة .

الثالث : إذا وقعت بعد عاطف نحو : بياتًا أو هم قائلون .

الرابع : إذا كان مضارعها منفيًا بما نحو : عَهِدْتُك ما تصبو .

الخامس : إذا كان مضارعها مثبتًا نحو : جاء زيد يتبسم .

السادس : إذا كان مضارعها منفيًا بلا نحو : وما لنا لا نؤمن . وتتعين الواو لربط المضارع المسبوق بقد نحو : لِمَ تُؤْذونَنِى وقد تعلمُون .

* * *

اسم يذكره المتكلم ليبين به عين مراده من اسم سابق يصلح لأن يراد به أشياء كثيرة ، وهو على نوعين :

النوع الأوّل : أن يذكر الاسم الصالح لأن يراد به أشياء كثيرة أوّلاً ، ثم يذكر الاسم الذى نسميه تمييزا لذلك الغرض .

النوع الثانى : أن يلاحظ الاسم الصالح للأشياء أوّلاً ولا يلفظ ، ثم يذكر التمييز لذلك الغرض .

شرح النوع الأوّل : أسماء الكيل والوزن والعدد والمساحة مثلا تذكر ، فيعلم شىء مّا مكيل أو موزون أو معدود أو ممسوح . فإذا قلت : عندى أردب ، أو عندى قنطار أو عندى ذراع ، أو عندى عشرة . فمعناه : عندى مكيل أردب ، وموزون قنطار ، وممسوح ذراع ، ومعدود عشرة ؛ فمكيل أردب يصلح لأن يراد به قمح مكيل أردب أو شعير أو رز إلى غير ذلك من الأشياء التى اعتاد الناس كيلها . وكذلك موزون قنطار يصلح أن يراد به عسل موزون قنطار ، أو سمن أو زيت إلى غير ذلك من الأشياء التى اعتاد الناس وزنها وهكذا فى الممسوح والمعدود ، وحينئذ علمت أن هذه الأسماء لا تفيد مخاطبك مرادك منها فصارت مبهمة .أى : مبهمًا مرادك غير متعين فى ضمن الأشياء التى تصلح لإرادتها هذه الأسماء ؛ فتذكر اسم الشىء الذى تريده ويسمى : تمييزا . لتفيد مخاطبك مرادك ، فتقول : عندى أردب برا ، أو قنطار عسلاً ، وذراع قماشًا ، وعشرة عبيد فبرًا ومثله هو الذى يسمى : تمييزا ؛ لأنه ميز مرادك من الأشياء التى كان مختلطا بها ، لكن تمييز الكيل والوزن والمساحة لا يجب نصبه بل يجوز ، ويجوز جره بإضافة اسم الكيل وغيره إليه ، ويجوز جره بكلمة من ، فلك فيه ثلاثة أوجه تقول : عندى أردب برًا. بالنصب ،

وعندي أردب بربجرٍّ الإضافة ، وعندي أردب من بر . بجر من فليس تمييز ، هذه الأسماء من المنصوب وجوبًا .

وأما تمييز العدد : فتمييز ثلاثة إلى عشرة ، وتمييز مائة سواء كانت وحدها أو مركبة مع ثلاثة إلى تسعة أو مثناة ، وتمييز ألف يجب جرها ، إلّا أن تمييز الثلاثة إلى العشرة يكون بلفظ جمع ، وتمييز المائة والألف بلفظ مفرد ، وتمييز أحد عشر إلى تسعة عشر ، وتمييز عشرين إلى تسعة وتسعين يجب نصبهما ، فليس تمييز العدد منصوبًا كُليا ، بلْ هو على هذا التفصيل .

تقول : عندي ثلاثة أبواب. بجر إضافة اسم العدد إلى اسم المعدود ، وهكذا أربعة عبيد ، وعشرة أسياف ، ومائة درهم ، ومائتا دينار ، وثلاث مائة عبد ، وألف رجل ، وأحد عشر بيتا ، وعشرين دارا ، وتسع وتسعون نعجة .

فلو قلت : عندي عشرون ألف رأس من الغنم . فألف تمييز لعشرين منصوب وجوبًا ورأس تمييز لألف مجرور وجوبًا ، وثلاث مائة سنين. طريق أخرى غير طريق التمييز ، سلكت لزيادة التعجب من هذه الحادثة الغريبة على معنى : أردت بالعدد سنين ، لا أياماً ولا شهورًا .

شرح النوع الثاني التمييز : هو أن تلحظ اسما صالحًا لأن يراد به أشياء كثيرة ولا تلفظه ، ولكن تكون هذه الأشياء الكثيرة متعلقة بشيء فتذكر ذلك الشيء ، الذى له تلك الأشياء انتسابًا وتعلقا به ناسبًا إليه أمرًا بحسب الظاهر ، وفى الملاحظة والاعتبار هو منسوب للاسم المبهم الملحوظ ، ثم تذكر اسم مرادك بعد تمييزا مثال ذلك أن تقول : طاب زيد. فلفظ طاب يدل على حصول الطيب ، الذى هو مقابل الرداءة ، أو الطيب الذى هو مقابل التفالة قاصداً أن شيئًا من الأشياء المنتسبة لزيد هو الموصوف بالطيب ، لكن لم تذكر لفظ الشيء ، ونسبت طاب إلى زيد ، فالتقدير : طاب شيء من الأشياء المتعلقة بزيد ، وزيد يتعلق به رائحته ونفسه وأهله وغلمانه ودوره ودوابه إلى غير ذلك ، ومرادك شيء من تلك الأشياء بعينه ، فتذكره بعد زيد تمييزا فتقول : طاب زيد رائحة ، أي : عطرت ولم تخبث ، وخبث الرائحة هو معنى التفالة ، أو طاب زيد دارا ،

أو طاب غلامًا أو أبا . إلى غير ذلك من الأشياء المتعلقة به وتريد أن تصفها بالطيب .

ومنه . زيد أعلى الناس منزلة . ومنه : ما أكرم زيدًا صاحبًا . حيث تريد مدح صاحبه دونه . ومنه : لله زيدٌ فروسية أو فارسًا . وبعضهم يعرب : فارساً . حالاً ، وهو ظاهر كما إذا أردت مدح زيد بقولك : ما أكرمه صاحباً . فتعرب : صاحباً . حالاً . قال جرير :

لا تطلُبنَّ خُؤولَـةَ فى تَغلُبٍ فالزّنجُ أكـرمُ منهُم أخوالاً

فأخوالا يعرب حالاً لا تمييزًا ، فإنك تمدح الزنج وخؤولتهم ، ولا تريد أن تمدح أخوالهم حتى تكون أردت شيئًا ينسب للزنج ، ثم بينته بعد كما هو شأن التمييز ، ومنه : ضربت زيدا ظهرًا وبطنا .

وما يكون مفسر الفاعل يسمى : تمييز الفاعل ، وما يكون مفسر المفعول يسمى : تمييز المفعول . وهذا النوع من التمييز منصوب وجوبا ، وناصب التمييز الاسم المفسر به .

والنحويون يسمون النوع الأوّل : تمييز المفرد .ويسمون النوع الثانى : تمييز النسبة وتمييز الجملة ، لأن البهامة بحسب الظاهر فى نسبة الفعل التى هى روح الجملة .

وتحقيق القول أن التمييز مفسر لمفرد مبهم دائما ،غاية الأمر أنه ملفوظ أو ملحوظ ، ولا يكون التمييز إلّا نكرة ، ولا يتقدم على عامل المفسر هذا ، وإذا جرى ذكر العدد فى هذا الموضع ، فلا بأس أن نلخص لك بقية أحكامه فنقول :

اعلم أن الواحد والاثنين لا يميزان ، فلا تقول : واحد رجل مثلاً استغناء بإفادة لفظ رجل وامرأة الوحدة . ولفظ رجلين وامرأتين الاثنينية بخلاف نحو : رجال . فلا دلالة له على عدد بعينه ، فيذكر العدد المقصود ويميز بالمعدود ، وأنه قد خولف بألفاظ العدد من ثلاثة إلى عشرة مفردة أو مركبة طريق التأنيث والتذكير ، إذ قد عرفت أن بعض الألفاظ المشتركة بين الإناث والذكور تلحقها التاء عند إرادة الأنثى ، وفى العدد المذكور التاء مع المذكر ، والعبرة فى التأنيث والتذكير باللفظ فتقول : ثلاثة أشخاص . وأنت تُريد إناثا ، وثلاث أنفس . وأنت تريد ذكورا . وقد جاء اعتبارا لمعنى .

قال عمر بن أبى ربيعة :

وكان مجنى دُون منْ كُنْتُ أتَّقى ثلاثُ شخوص كاعبان ومُعْصِرُ

والأفصح : ثلاثة أشخاص: كما عرفت وإذا تعدد التمييز وكان مذكرا ومؤنثا ، فإن

فصلت بينه وبين العدد بكلمة بين ، أو بكلمة من فى غير يوم وليلة ، أو كان المذكر عاقلا ، فالعبرة بالمذكر تقول : ملكت خمسة بين عبد وجارية ، أو بين جارية وعبد ، ومن عبد وجارية وعكسه .

وتقول : لقيت خمسة عشر امرأة ورجلا . وإذا لم تفصل ولم يكن المذكر عاقلا فالعبرة بالسابق ، وإن كان المميز يومًا وليلة فالعبرة بالليلة ، فإن اعتبار التاريخ عند العرب بالليالى . قال تعالى : (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أربعةَ أشْهُرٍ وعَشْرًا) [سورة البقرة : ٢٣٤] وفى الحادى والثانى والثالث ترجع للأصل فتقول : المسألة الحادية عشرة ، والباب الرابع عشر . وموازن فاعل هذا تارة يستعمل اسم فاعل ويضاف لما يليه من الدرجة فى العدد أو ينصبه فتقول : خرجت إلى الجهة الفلانية عاشر تسعة رجال ، أو عاشرا تسعة رجال . وتارة يستعمل لفظا دالا على الواحد من العدد فيضاف له فقط ، فيقال : خرج فلان رابع أربعة ، وجاء خامس خمسة . أى : بعض أربعة وبعض خمسة .

وإذا أردت تعريف العدد ولم يكن مضافا أدخلت عليه أل ، فتقول : هات الخمسة عشر درهما . وإذا كان مضافا فالفصيح إدخال أل على المضاف إليه .

قال الشاعر فى يزيد بن المهلب :

ما زَالَ مُذْ عقَدتْ يداهُ إزارهُ　　فسما فأدرك خمسةَ الأشبارِ

يُدنى كتائب مِن كتائب تَلْتَقى　　فِى كلِّ مُعتَركِ العِجاج مُثَار

وبعض العرب يدخل أل على الجزأين فى المضاف والمركب هذا وتقول : أعطيت فلانا كذا أو كذا كذا أو كذا ، وكذا كناية عن عدد فتميزه بمميز تنصبه أو تخفضه بمن فتقول : كذا درهما ومن درهم ، ومثل كذا فى هـذا الحكم كلمة كأين وكم الخبرية ، التى يفاد بها التكثير نحو : كم يدلى عندك . تارة تستعمل كالعشرة فتميز بجمع مخفوض بالإضافة ، وتارة تستعمل كالمائة . وكم الاستفهامية نحو : كم كتابا ملكت . يجب نصب تمييزها إلا إذا خفضت هى بحرف نحو : بكم درهما اشتريت هذا . فإنه حينئذ يجوز خفضه بالإضافة وإلا إذا فصلت ، فيجوز جره بمن نحو : (سَلْ بنى إسْرائِيلَ كَمْ آتيناهُم مِّنْ آية) . [سورة البقرة : ٢١١] .

* * *

المضاف إليه : هو الاسم الصريح أو المُأوَّل المخفوض بأحد حروف الإضافة ملفوظًا أو ملحوظًا .

فالأوّل : تتميم الكلام عليه أن المخفوض بمذ ومنذ ، لا يكون إلا اسم وقت ظاهرا .

والمخفوض برب لا يكون إلا نكرة ، والمخفوض بالكاف والواو وحتى لا يكون إلاّ ظاهرًا والتاء مختصة بلفظ الجلالة ولفظ رب ، ومثل قول الشاعر :

رُبَّهُ فتيةً دعوتُ إلى مَا يُورِثُ المجدَ دَائِبًا فأَجَابُوا

وقول الراجز (العجاج)

فَــلا تَرى بعْلاً ولَا حلَائِلاً كَهُو ولا كَهُنَّ إلّا حاظِلاً

شاذ . وبعض العرب يخفض بمتى ، وهى عندهم بمعنى مِنْ قال شاعرهم :

شرِبْنَ بماء البحرِ ثمَّ تَرفَّعت متى لججٍ خُضْرٍ لهُن نَئِيجُ(١)

وبعض آخر يخفض بلعل . قال شاعرهم :

فقلتُ ادْعُ أُخرَى وارفع الصوتَ جهرةً لعـــلَّ أَبِى المغـــوارِ منكَ قَـــريبُ

ولعل فى هذه اللغة مثل رب المخفوض بها جزء الكلام الواقع بعدها فهو معرب اللفظ والمحل بإعرابين مختلفين ، وقد ورد : لولا أنا ، ولولاى ، ولولا نحن ، ولولانا إلى آخر الضمائر .

وعرفت أن هذا النوع من الضمائر مشترك بين النصب والخفض نحو : غلامك أكرمك . فقال سيبويه : إنَّ لولا إذن مثل رب . وقال آخرون : هو من إنابة ضمير عن ضمير

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، والنئيج : المر السريع مع الصوت

كالإنابة في قولهم : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . وإذا اتصلت ما برب والكاف عملاً ولم يعملا ، وإذا لم يعملا دخلا على الجملتين وتسمى حينئذ كلمة ما الزائدة : كافة مهيئة لكفهما عن العمل وتهيئتهما للدخول على الجمل ، كما تسمى بهذا الاسم إذا أبطلت عمل إن وأخواتها .

(النوع الثانى من المضاف) : هو المخفوض بحرف يلحظ ولا يلفظ أصلا ، وذلك الحرف هو لام الملك وشبهه نحو : غلام زيد . أى : الغلام المملوك لزيد ونحو سرج الفرس ، وبرذعة الحمار . والغرضُ من الإضافة تعيين المضاف بإضافته إلى معين إن كان المضاف إليه من المعارف وتخصيصه بإضافته إلى مخصوص إن كان المضاف إليه من النكرات ؛ فالأوّل كقولك : هذا غلامى وغلامنا وغلامك . إلى آخر الضمائر ؛ فالمراد بغلام تعين بإضافته إلى الضمير الذى مدلوله متعين وهكذا بقية المعارف ، والثانى كقولك : هذا غلام رجل . فمدلول غلام صار مخصوصًا بإضافته إلى مخصوص وهو جنس الرجل فإنك لو قلت : غلام . يتناول غلام الرجل وغلام المرأة ، فلما أضفته تخصص بأحد الجنسين . وبعض الإضافات قد تكون بين مظروف وظرف ، فيتخيل أنها على معنى فى كقولك : سير الليل مبروك ، ونوم الظهر مذموم. فمعناه الحقيقى السيرالمنسوب لليل بسبب وقوعه فيه ، والنوم المنسوب للظهر بذلك ، وبعضها يكون بين شيء وجنسه الذى اتخذ منه ، فيتخيل أنها على معنى من كقولك : خاتم ذهب ، وباب ساج ، وثوب حرير فمعناه : خاتم منسوب للذهب بسبب كونه متخذا منه وهكذا . وهذا النوع من الإضافة يسمى : إضافة بيانية ، وضابطها أن يكون المضاف إليه جنسا للمضاف ، وهنالك إضافة تسمى بالإضافة للبيان نحو : شجر الأراك . وضابطها أن يكون المضاف إليه نوعاً من المضاف ، فالنسبة فى الإضافة البيانية العموم والخصوص من وجه ، وفى الإضافة للبيان العموم والخصوص المطلقان ، وتسمى هذه الإضافة : إضافة معنوية . وثم إضافة تسمى : إضافة لفظية ، وهى إضافة اسم الفاعل ، أو اسم المفعول ، أو الصفة المشبهة ، لمعمول من معمولاتها فيكون المضاف إليه متعلقا بالمضاف تعلق الفاعلية له أو المفعولية به ، ويكون المضاف متعلقا بالمضاف إليه تعلق الحصول منه أو الوقوع به كقولك : أنا راكب الفرس غداً ، ومسابقِ الفُرْسان ، وزيد عظيم الأَملِ فيك ، وهو مروع القلب .

فلفظ راكب اسم فاعل تعلق بالفرس تعلق الوقوع به ، ولفظ الفرس متعلق براكب تعلق المفعولية إذ يصح أن تقول : أنا راكب الفرس بنصب الفرس على المفعولية .

وكذلك مسابق الفرسان ، وزيد عظيمُ أملهُ . برفع الأمل فاعلا ، ومروع قلبه برفع القلب نائب فاعل فليست هذه الإضافة حقيقية ، ولذلك سميت : لفظية . وفائدتها التخفيف بحذف تنوين الوصف المفرد ، ونون المثنى والجمع على حدّه ، ولا يستفيد المضاف بها تعينا وهو ظاهر ، ولا اختصاصا لأنه حاصل بتعلق الفاعلية أو المفعولية كما يظهر لك عند الرجوع للأصل من نصب المفعول ورفع الفاعل . ثم إن الإضافة توجب حذف تنوين المضاف وحذف نونه إن كان مثنى أو جمع مذكر سالم ، وتمنع أن تدخل أل على المضاف ، لكن المضاف فى الإضافة اللفظية يجوز أن تدخل عليه أل إن كان مثنى أو جمع مذكر سالم بلا شرط ، وإن كان غيرهما فجوازه مشروط بكونه مضافاً إلى مافيه أل أو مضافا إلى مضاف لما فيه أل نحو : هذان الراكبا فرس ، والطّالعو جبل ، والحسن الوجه ، والضّارب رأْس الجانى . ثم إن المضافَ كما يكتسب التعين من المضاف إليه المعرفة بسبب إضافته إليه ، والتخصص من المضاف إليه النكرة بسبب إضافته إليه يكتسب الظرفية منه إذا كان ظرفا بسبب إضافته إليه نحو : أجيئك كل حين وبعض الأحيان وذات يوم وذات ليلة وقت كل مقام لزيد ، وجلست بعض مجالس عمرو ويكتسب المفعولية المطلقة إذا أُضيف لمصدر يكون لولا المضاف مفعولا مطلقا نحو : مشيت كل مشى وقرأت أحسن القراءة ، ووقفت بعض الوقوف ، ويكون مدلول لفظة كل فى مثل هذا جميع أفراد جنس ما أُضيفت إليه ، ومعنى بعض بعض أفراده ومعنى أحسن ومثله من كل اسم تفضيل الفرد الزائد من أفراد ما أُضيف إليه فى الصفة المدلول عليها بلفظه ، وكذلك يكتسب وجوب تصدره فى الجملة إن كان المضاف إليه من الأُمور التى يجب تصدرها كالمضاف لاسم استفهام أو اسم شرط نحو : غلام من صحبت وكتاب أى شخص استعرت ، وغلام من تكوم أكرم ، وكذلك يكتسب منه التأْنيث إن كان المضاف مذكر أو المضاف إليه مؤنثا ، ويكتسب التذكير إن كان بالعكس ، ولكن شرط هذين الاكتسابين أن يكون المضاف بحيث لو حذف لبقى الحكم له صحة ، أما إذا لو حذف فسد الحكم امتنع هذان الاكتسابان صورة الصحة قولك : إنارة العقل مكسوف بطوع

هوى الإنارة . مؤنث مضاف للعقل المذكر اكتسب المؤنث من المضاف إليه التذكير .

ولذلك قلت : مكسوف ولم تقل : مكسوفة والشرط حاصل فإنك لو حذفت لفظ الإنارة وقلت : العقل مكسوف بطوع هوى . بقى الحكم صحيحًا ونظيره :

رُؤيَــة الفكر ما يؤول له الأمــر معين على اجتناب التوانى

وقولك : قطعت بعض أصابع زيد . وقوله تعالى : (يوم تجدُ كل نفس) – [سورة آل عمران : ٣٠] صورة الفساد . قولك : جاءت فتاة زيد . لا يصح أن تقول : جاء فتاة زيد . لامتناع الاكتساب فيه ، إذ لو حذفت لفظ الفتاة المضاف لفسد الحكم ، فإن المجىء لم يتعلق بزيد أصلاً بخلاف القطع فى : قطعت بعض الأصابع مثلاً ، فإن القطع الواقع على البعض واقع على الأصابع فى الجملة ، فلو قلت : قطعت الأصابع بمعنى أن القطع تعلق بالأصابع ، وحصل فيها من غير ملاحظة العموم كان الحكم صحيحًا .

ثم إن من الأسماء أسماء تقتضى بطبيعة معناها أن تكون مضافة فلازمت الإضافة وهى لفظ (كل وبعض) وربما حذف ما أضيفا إليه ملحوظًا ، ولفظة وحد ولا تضاف إلاَّ إلى ضمير كوحدى ووحدك ووحده ، ومثل وحدك لبيك تثنية لب محذوف زوائد التلبية فى الجواب ، وسعديك ودواليك فى الدعاء بالسعد والدولة ، وحنانيك فى الاستعطاف قال الشاعر :

أَبا مُنذر أفنيت فاستبق بعضَنَا حنَانَيك بعضُ الشَّر أهونُ من بعضِ

وهذا ذيك فى طلب الإسراع ، ولفظة حيث من أسماء الأمكنة ، ولفظة إذ من أسماء الزمن الماضى ، ولا يضافان إلا إلى جملة ، وكثر تعويض التنوين عنها مع إذ ، ولفظة إذا من أسماء الزمن المستقبل ولا تضاف إلاَّ إلى جملة فعلية ، ويعوّض عنها التنوين أيضا ولفظة لدن ، وتضاف لمفرد وجملة نحو : من لدنا ، ونحو :

صريعُ غــوانٍ راقهُــنَّ ورقتَــهُ لدُنَّ شبَّ حتى شاب سودُ الذوائِب

ونصبوا بها غدوة تمييزًا ولفظة عِند ولفظة مع ، ولا يضافان إلاَّ لمفرد ، وتسكن عين مع ، وإذا وليها ساكن كسرت أو فتحت ، وتنصب حالاً نحو : أقبلنا معًا فلا تضاف .

ولفظة : كِلاَ وكِلْتَا ، ولا يضافان إلّا للفظ يدل على اثنين أو اثنتين نحو : كلا الرجلين، وكلتا المرأتين ، وكلاهُما وكلتاهما .

ولفظة : أى ولا تضاف إلا لما يلحظ فيه التعدد ؛ لأن المقصود منها كيف استعملت واحد من آحاد ما تضاف إليه ، لكن إذا استعملتها موصولة وجب أن تضاف لمعرفة نحو : يعجبنى أيّهم هو يتقى الله. على معنى الذى منهم هو يتقى الله ، وإذا كانت صفة أو حالاً وجب إضافتها إلى نكرة نحو : زيدٌ رجلٌ . أى رجل . وهذا زيدٌ . أى إنسان .

وإذا كانت استفهامية أو شرطية جاز إضافتها إلى معرفة وإلى نكرة نحو : أىُّ الرجال عندك ، وأىُّ رجل عندكَ . نحو : أىَّ الرجال تكرم أكرم . وأىَّ رجل تكرمْ أكرمْ .

ولفظة : غير ، وقبل ، وبعد ، وتحت ، وفوق ، وأمام ، وقدّام ، ووراء ، وخلف ، وأسفل ، ودون ، وأوّل ، ومن عل . ولهذه الألفاظ أربعة أحوال :

الأول : إضافتها لفظًا كما هو مقتضى طبيعة معناها .

الثانى : أن يحذف ما أُضيفت إليه ملحوظ اللفظ ، فتبقى على صورتها عند وجوده .

الثالث : أن يحذف غير ملحوظ أصلاً . وتكون الكلمات مستعملة نكرات ، فتعرب حسب الاقتضاء .

الرابع : أن تستعمل معارف ملحوظا فيها تعين المدلول ، فتكون متضمنة معنى أل كما سبق فى قسم المعرب والمبنى تقول : جاء زيد قبل عمرو ، وجاء زيد وجاء عمرو بعد . أى بعده بنص بها كما كانت ونحو :

فَساغَ لِيَ الشرابُ وكنتُ قبلاً

أى فى زمن سابق ونحو : لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ . أى السابق واللاحق وحينئذ تبنى على الضم وتسمى الظروف غايات ، لأنها صارت إذن غايات بعد أن كان الغاية غيرها .

ثم كثيرا يحذف المضاف فيقوم المضاف إليه مقامه فى وظيفته من الكلام ويحذف المضاف إليه ويبقى المضاف على صورته بشرط أن يعطف عليه لفظ مضاف لمثل ماحذف منه نحو قولك : قطعوا يد ورجل القاطع . فالأصل يد القاطع ورجله ، فحذف المضاف إليه ليد ، فلم يبق مرجع للضمير فى رجل فجىء بالاسم الظاهر ، فدل على المحذوف من

الأول ، ثم لا يفصل المضاف من المضاف إليه إلاَّ بمعمول المضاف ، فإنه يجوز والأحسن تركه كقولك : زيد معطى درهمًا عمرو ، والأحسن : معطى عمرو درهمًا .

ثم المضاف لياء المتكلم إن كان آخره صحيحا أو ملحقا به وجب كسره ، وجاز لك فتح الياء وتسكينها كغلامي وغلاميَّ ، ودلوى ودلويَّ ، وظبي وظبيَّ .

وإن كان آخره ألفًا بقيت الألف بصورتها ، وتعين فتح الياء كفتايَ وعصايَ وغلامايَ

وإن كان آخره ياء ساكنة وجب ابقاؤها بصورتها وإدغامها في ياء المتكلم مفتوحة وجوبا كغلاميَّ وزيديَّ جمع مذكر سالم .

وإذا كان آخره ياء مشددة جاز إبقاؤها بصورتها مع إسكان الياء ، وجاز حذف ثانية اليائين مع فتح ياء المتكلم كقولك : هذا بني مصغرًا وبنى ، وهذا كُرسيْ وكرسى .

وإن كان آخره واوا وهو جمع المذكر السالم ، إذا كان بالواو وجب قلب واوه ياء وإدغامها في ياء المتكلم ، فإن كان ما قبل الواو ضمة أبدلت كسرة ، وإن كان فتحة بقيت نحو : هؤلاء زَيْدِيَّ ، وهم مصطفيَّ . بفتح الفاء وكسر الدال .

وإذا كان المضاف لياء المتكلم منادى صحيحاً أو ملحقا به جاز لك إبقاء الياء ساكنة ومفتوحة ، وحذفها وقلبها ألفا وفتح ما قبلها لاجلها ، وحذف الألف وإبقاء الفتحة نحو يا غلامي وغلامى وغلام بالكسر ، وغلاما وغلام بالفتح .

ونحو : يابُنَى . محتمل ، وجاز في خصوص لفظة أب ولفظة أُم حذف الياء وتعويض تاءمنها فتقول : يا أبت ، ويا أمتِ . مكان أبي وأمي ، فلا يجوز أن تجمع بينهما ، ولك فتح التاء على أن المحذوف المعوّض عنه هو الألف المنقلبة عن ياء المتكلم ولك كسرها بناء على أن المحذوف الياء . والتزمت العرب في : يا ابن أمّ ، وابنة أمّ ، وابن عم ، وابنة عم حذف ياء المتكلم دون إبدالها ألفًا ، فيبقى ماقبلها مكسورًا وبعد إبدالها ألفًا فيبقى مفتوحًا .

* * *

الممنوع من الصرف

هذا : وقد عرفت أن الأسماء التى لا تنصرف أى لا تنون تنوين التمكين الذى يسمى : صرفًا . تخفض بالفتحة نيابة عن الكسرة إلا إذا أضيفت أو عرفت بأل ، فإنها حينئذٍ تخفض بالكسرة ، وهذه أنواع مالا ينصرف وهى : كل جمع لا نظير له فى الآحاد . والمنقوص من هـذا النوع نحو : دواع وسوار تحذف ياؤه فى حالتى الرفع والخفض ، ويعوّض عنها تنوين يقال له : تنوين العوض .

وكل مؤنث بإحدى الألفين ، وكل وصف يوازن فعلان بفتح الفاء بشرط أن يكون مؤنثه على وزن فعلى كسكران سكرى ، وكل وصف أتى على زنة خاصة بالفعل أو غالبة فيه ، ولم يؤنث بالتاء ، وكان أصلى الوصفية .وكل وصف معدول عن أصل كموْحد وأحاد إلى آخر ما ورد ، وآخر المعدول عن الآخر إذ قد عرفت أن اسم التفضيل لا يثنى ولا يجمع إلا حيث يعرف ، فإذا قلت بنساء آخر كان حقه بنساء آخر. أى : أشدَّ تأخرًا .

وكل علم مركب تركيبًا مزجيًا بغيرويه ، وكل علم زيد فى آخره ألف ونون كحسان وعفان . من الحس والعفة لا من الحسن والعفونة .

وكل علم مؤنث بالتاء ، وكل أعلام الإناث ، وكل علم أعجمى غير ثلاثى ساكن الوسط ، وكل علم جاء على زنة تخص الفعل أو تغلب فيه ، وكل علم آخره ألف الحاق ، وكل علم معدول عن أصل : كعمر المعدول به عن عامر . وذلك لأنه جرت العادة أن يسموا عامرًا تفاؤلاً بالعمارة ، ثم يعدل به لتلك الصيغة ولفظ سحر الذى أردت به سحر يومك وقطام ، وما أشبهه مما لا ينصرف في لغة تميم .

ومبنية على الكسر فى لغة الحجاز كما سلف .

وإذا نُكِّرت الأَعلام صرفت ، وكذا إذا صغرت ما لم تخرج إلى نوع آخر من أنواع مالا ينصرف كأَعور إذا صغرته قلت : أعيور فيوازن أبيطر .

وينوّن مالاينصرف لضرورة الشعر ويسمى التنوين : تنوين الضرورة . وللتناسب نحو : سلاسلاً وأَغلالاً . ويسمى : تنوين التناسب .

وإذا نوّن مالا ينصرف للضرورة خفض بالكسرة .

* * *

هذا : ومما سلف لك عرفت أن الألفاظ العاملة عمل الأفعال من المصدر وغيره ، قد يضاف لبعض معمولاته مثلا تقول : يعجبنى حفظ زيد لطائف الأشعار . بإضافة حفظ لزيد وبدونها وينوّن وحفظ لطائف الأشعار زيد ، وتقول : معط عمرًا درهمًا ، ومعطى عمرو درهمًا ، ومعطى درهم عمرًا . غير أن للصفة المشبهة أحكامًا نحتاج لتفصيلها .

وحاصله أنك إذا أجريت صفة شيء على صاحبه إخبارًا بها عنه أو نعتًا له بها نحو : زيد حسن الوجه وهو رجل سليم القلب ، فالحسن والسلامة صفتا الوجه والقلب أجريتهما على صاحبيهما إخبارًا فى الأوّل ونعتًا فى الثانى ، فقد نطقت بتركيب يجوز أن يكون على صورٍ شتى . والضبط أن تقول أن الصفة إما أن تكون بأل أو بدونها ، واسم موضع الصفة بأل أو بدونها مضافًا إلى ضمير صاحبه أولا ، واسم موضع الصفة مرفوع أو منصوب أو مخفوض ، فهذه ثمانى عشرة صورة منها : صورتان باطلتان هما : الحسن وجهه ، والحسن وجه . بخفض الوجه فيهما . ومنها ثلاث ممتنعة فى السعة وهى : الحسن وجهه ، وحسن وجهه بالنصب ، وحسن وجهه بالخفض . ومنها صورتان غير قبيحتين وهما : الحسن الوجه وحسن الوجه بالنصب فيهما على التشبيه بالمفعول به . ومنها صورتان قبيحتان وهما : الحسن الوجه ، وحسن الوجه بالرفع فيهما . ومنها صورتان أقبح من هاتين ، وهما : الحسن وجه ، وحسن وجه بالرفع فيهما . ومنها صورة متوسطة وهى : حسن وجه بالجرّ . وما عدا ذلك فصيح جيد سائر الاستعمال ، وهى : الحسن وجهُهُ بالرفع ، والحسنُ الوجه بجرِّ الإضافة ، والحسن وجهًا بنصب التمييز ، الأولى

أصل والثنتان فرعاها ، وحسن وجهه ، وحسن الوجه ، وحسن وجهًا كذلك .

ومتى رفعت الصفة اسم موضعها لم يكن فيها ضمير صاحبه ، فهي تطابق اسم الموضع تقول : هند حسن وجهها ، وزيد حسنة أخلاقه . ومتى لم ترفعه كانت مشتملة على ضمير صاحبه ، فهي تطابقه نحو : هند الحسنة وجها ، والوجه ، وزيد حسن أخلاقًا والأخلاق .

* * *

بيان عوامل معرب الأفعال

معرب الأفعال كما سلف لك هو المضارع ؛ فيكون مرفوعًا حيث يتجرَّد من ناصبٍ وجازمٍ ، ويكون منصوبًا إذا دخل عليه ناصب ومجزومًا إذا دخل عليه جازم .

بيان نواصبه

هي : لنْ والفعل معها لا يكون إلاَّ مستقبلاً ، ولذلك يقال فيها انها حرف نفى ونصب واستقبال .

وإذن بشرط تصدرها واستقبال منصوبها واتصاله بها ، ولا يضر الفصل بقسم أو نداء . وكى مسبوقة باللام وغير مسبوقة .

ولأنْ ثلاثة أحوال : وجوب ذكرها ، ووجوب حذفها ، وجواز الأَمرين .

فيجب ذكرها إذا توسطت بين اللام ولا نحو : لئلاَّ يعلمَ أهلُ الكتاب . ويجب حذفها بعدلام الجحود وهو أشد الإنكار ، وتكون مسبوقة بما كان أو لم يكن مثلا نحو : لم يكن الله لِيغفر لهم . وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . وأفادت العبارة الجحد بسبب أنه قد نفى الفعل بنفى الاستعداد له ، فمن يقول : ما كنت لأَكتم علمًا . يريد : أني لم أكن مستعدًا لذلك ، ولم يكن من الأَحوال الكونية التى تدخل تحت الاستطاعة ، وبعد أو التى تفسر بإلى أن إذا وقعت بعد فعل له امتداد وبقاء ، وبإلا أن إذا وقعت بعد غير ممتد نحو :

لأَسْتَسْهِلَنَّ الصعبَ أَوْ أُدْرِكَ المُنَى ... فما انقادتِ الآمالُ إلَّا لِصابر

فاستسهال الصعب أمر يمتدّ مع الأَزمنة فتفسر أو بإلى أن ، ونحو : لأَقتلن المرتَد أو يتوب . فالقتل ليس له امتداد فتفسر أو بإلا أن . وبعد حتى الغائية الخافضة

فما بعدها مستقبل لما قبلها لا الإبتدائية ، التى تفيد السببية وما بعدها حالى نحو : وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم . أى : إلى تبين الخيط . والابتدائية كقولك وأنت داخل مكة : سرتُ اللّيالى ذوات العدد حتى أدخل مكة . أى : فها أنا ذا أدخلها .

وبعد فاء تفيد سببية سابقها للاحقها فتسمى : فاء السببية . وبعد واو تفيد تعلق الحكم بالجمع بين أمرين فتسمى : واو المعية . ولا يستعملان إلا بعد نفى أو طلب ، من : أمر ونهى واستفهام وتمنّ وعَرض وحض كقوله :

يا ابن الكِرام ألَا تدْنُو فتُبصر ما   قدْ حدّثُوك فما راءٍ كمن سمِعا

وقوله : لا تعن بالجفاء وتمدح عمرًا .

وإذا حذفت الفاء بعد الطلب جزمت الفعل بأن التى يتضمن الكلام معناها مثلا تقول: أعطنى ما سألتك فتجدْنى مسارعًا إلى هواك . تحذف الفاء فيصير : أعطنى تجدنى فمعناه : أن تعطنى .

وهذه الكلمات التى هى : الواو والفاء وأو . هى أحرف العطف لكن عطفها يعتمد ملاحظة المعنى ؛ فالمعطوف عليه مصدر ملحوظ من الفعل السابق فقولك : لأطلبن أو أبلغ المنى . تأويله : ليكن منى طلب أو بلوغ . ويجوز حذف أن باقية العمل بعد لام التعليل ، وبعد عاطف على اسم نحو : أزورك لتزورنى أو لأن تزورنى ونحو :

ولبُسْ عبـــاءةٍ وتقرّعينى   أحبّ إلىّ من لبس الشُّفُوف

ونحو حال الفقراء وأبلغ المجد خبر ؛ فإذا حذفت أن فى غير هـذا وجب رفع الفعل . قال :

ألا أيهّا الزّاجرى أحْضرُ الوغى   وأن أشهد اللّذاتِ هل أنت مُخلدى

أى : أن أحضر . فحذف ورفع .

* * *

هى : لم ، ولما ، ولا الناهية ، ولام الأمر ، وإن الشرطية وما تضمن معناها من الأسماء وإذ ما . فلم تجزم المضارع وتنفى حصوله فى الأوقات الماضية فيخرج عن أصل وضعه .

ولذلك تسمعهم يقولون : لم حرف نفى وجزم وقلب ، وبينها وبين لمّا فرق ، وذلك أنَّ لمّا ينسحب نفيها على حال التكلم ، ولا تستعمل إلاَّ مع منتظر الحصول ، فهى مقابلة لقد فى الإثبات مثلاً تكون منتظرًا إقامة الصلاة خارج المسجد بحيث يسمعك بعض من فيه ، فتقول : هل أقاموا الصلاة . فيجيبك لما يقيموها ، فإذا أقاموها أجابك بقد أقاموها .

ولذلك يقال : قد حرف توقع . أى : تصحب المتوقع المنتظر ، والفعل الماضى مع أن فى موضع جزم يظهر ذلك فى العطف عليه تقول : إن أرضاك زيد ويسع فى أغراضك وجب إكرامه ؛ لأن الماضى إذن مستقبل فى المعنى فللماضى حالة إعراب .

* * *

بيان التوابع

خمسة أشياء من أجزاء التركيب تسمى توابع ؛ لأنها تكون دائما تابعة فى إعرابها لما قبلها ، فيكون متبوعًا لها وهى : النعت ، والتوكيد ، وعطف البيان ، وعطف النسق ، والبدل . والنعت ينقسم باعتبار الغرض منه أربعة أقسام :

القسم الأوّل : نعت يكون الغرض منه تعيين متبوعه وتمييزه عن سائر ما عداه ، فإن كان متبوعه نوعًا من الأنواع سمى النعت : معرفا ووصفًا كاشفًا كقولك : الإنسان الحيوان الناطق نوع شرفه الله تعالى بالعقل ، وصرفه فيما على الأرض ، فقولك : الحيوان الناطق نعتٌ للإنسان يميزه عن سائر الأنواع ، فهو معرف له ووصف كاشف عن حقيقته . وهذا النوع من النعت يصح أن تضع بينه وبين منعوته كلمة أى ، وهى حرف تفسير لكون النعت مفسرًا ومبينًا ومفصلاً لمجمل فتقول : الإنسان . أى الحيوان الناطق . وضابط هذا أن يكون النعت أمرًا مشتركاً بين سائر أشخاص نوع منفردة به بحيث يعين جميع الأشخاص ويعرفها لمن اطلع عليه ويميزها من غيرها ، والغالب فيه أن يؤتى به على صورة خبر لمبتدإ هو المنعوت ، فيقال : الإنسان حيوان ناطق . حيث يكون الغرض مجرّد التعريف .

القسم الثانى : نعت يكون الغرض منه تعيين شخص أو جماعة أشخاص ، وتمييزه من مشارك فى اسم أو فى اسم ووصف مثلاً ويسمى : نعتاً مقيدًا نحو : جاءنى زيد التاجر . حيث يكون فى معلومك على ما فهم المتكلم أشخاص كلهم مسمّون بزيد إلا أن زيدًا منهم عالم ، وزيدا آخر تاجر ، وزيدًا آخر زارع ، فتقول : زيد التاجر . تمييزًا له من مشاركيه فى الاسم مقيدًا له بوصفه . وتقول : جاءنى زيد التاجر العالم . حيث يكون ،

ثم زيد تاجر فقط ، وزيد عالم فقط ، وزيد تاجر عالم. فيتعدد النعت بسبب حاجة التمييز حتى يحصل .

القسم الثالث : نعت يذكر لغرض مدح منعوته بفضيلة ، أو ذمه برذيلة ، وإنما يكون ذلك إذا كان المنعوت متعينا متميزًا بدون النعت ؛ لأجل أن ينصرف ذهن المخاطب إلى أن الغرض هو المدح أو الذم ، كقوله تعالى : (وامرأته حمَّالةَ الحَطَب) [سورة المسد : ٤] فامرأة أبي لهب – أحد أعمامه صلى الله عليه وسلم – معلوم أنها أم جميل أخت أبي جهل ، فلم تكن مفتقرة إلى التعيين والتمييز ، فعلمنا أن ذكر حمالة الحطب نعت إنما هو لذمها بذلك ، والحطب الذى كانت تحمله هو حطب شائك كانت تلمه ، ثم تلقيه وتفرقه فى مسالك النبي – صلى الله عليه وسلم – تؤذيه بذلك . وكقولك : جاءنا والى البلد الهمام . ونظير ذلك الأوصاف التى تذكر للترحم والتعطف نحو : اللهم إني عبدك المسكين الضعيف .

القسم الرابع : نعت يذكر لغرض تأكيد معنى يتضمنه متبوعه كقولهم : أبْعد من أمسِ الدابر ، وأقربُ من الغدِ المقبلِ .

وجميع أقسام النعت تفيد معنى فى المتبوع ، لكن ليست إفادته هي الغرض بتبعيته دائمًا لما عرفت .

وينقسم باعتبار كونه صفة لمتبوعه أو صفة لشيء من متعلقات متبوعه إلى قسمين :

القسم الأوّل يسمى : نعتًا حقيقيًا .

القسم الثانى يسمى : نعتا سببيًا ؛ لأن وصف الغير إنما جعل وصفًا للمنعوت فى الكلام بسبب كون صاحب الوصف منتسبًا ومرتبطًا بالمنعوت .

فالأول كقولك : زيد العالم . فالعلم صفة زيد حقيقة . والثانى كقولك : زيد العالم أبوه . فالعلم صفة للأب ونعت بها زيد لكون الأب من متعلقات زيد فليس العلم صفة زيد بل صفة أبيه ، لكن من حيث كونه صفة أبيه حصل لزيد صفة وهى كونه عالم الأب ، وللأول حكم وهو : أنه يجب أن يكون موافقًا لمتبوعه فى إعرابه : رفعًا ونصبًا وجرا ، وفى تعريفه وتنكيره ، وفى إفراده وتثنيته وجمعه ، وفى تذكيره وتأنيثه .

ومن هنا سمى : تابعا ، فلا توصف معرفة بنكرة ولا بالعكس ، ولا مفرد بغيره فتقول

زيد الفاضل ، ورجل صالح ، والزيدان الفاضلان ، ورجلان فاضلان، والزيدون الفاضلون ورجال فضلاء ، وهند الفاضلة ، وامرأة فاضلة إلى غير ذلك .

فيقال فيه : أنه يتبع منعوته فى أربعة أشياء من عشرة هى : الرفع والنصب والجر ، والتعريف والتنكير ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث .

وللثانى حكم : وهو أن يجب أن يوافق متبوعه فى إعرابه ، وفى تعريفه وتنكيره فقط . وأمّا تذكيره وتأنيثه، وإفراده وتثنيته وجمعه فبحسب ما بعده ، وهو صاحب الوصف المذكور حقيقة ، فيقال : أنه تابع لمنعوته فى شيئين من خمسة هى : الرفع والنصب والجر ، والتعريف والتنكير فتقول : زيد القائمة أمّه ، وهند القائم أبوها ، ورجل ذاهبةٌ جاريته ، ولكون الوصف الرافع للفاعل أو نائبه فى الحقيقة فعلا تجرّده من علامتى : التثنية والجمع. وإن اكتنفته التثنية مثلا تقول : رأيت الزيدين الكاتب أبواهما . على معنى اللذين يكتب أبواهما ، فلا تقل الكاتبين ، ولا اللذين يكتبان .لكن إنما يجب اتباع النعت منعوته فى إعرابه إذا لم يتعين بدون النعت .

فإذا تعين بدونه جاز لك الاتباع ، وجاز لك قطع النعت بإعراب وحده ، تجعله بذلك جملة مستقلة مشتملة على ذكر وصف من أوصاف شىء سبق فى جملة أخرى.

وإذا كان الغرض : المدح أو الذّم أو التّرحم ، وجب حذف صدر الجملة التى فيها الوصف كقولك : جاءنى زيد السّهل الطّباع الحميد الخصال . بنصب السهل والحميد على نية اذكر السهل وأمدحه ، وكقولك : رأيت زيد المسكين ترحما أو الخبيث الشّقى ذمّا . على تقدير هو فمن أذكر إلى آخره ، ومن هو إلى آخره جملة مستقلة حذف منها الفعل والفاعل أو المبتدأ ذكرت لغرض : المدح أو الذم أو الترحم. وإذا لم يكن الغرض ذلك لم يجب حذف صدر الجملة كما تقول : زارنى اليوم أمير البلد المتصرف فى أمور الناس وأنفسهم مخاطبًا من يجترىء عليك ، تريد بذلك التّهويل عليه وإزاحة غفلته فلك أن تذكر صدر الجملة فتقول : أعنى المتصرف أو هو المتصرف ، وينقسم إلى مفرد وجملة. لكن لا يوصف بالجمل إلّا النكرة ، فلو وقعت جمل الأوصاف بعد المعارف أعربت أحوالاً ، وإذا وقعت بعد معرفة فيها تنكير أو نكرة مخصصة جاز لك الأمران

كقولك : جاءنى رجل يقرأُ العلم .فجملة يقرأ صفة لرجل النكرة ، وجاءنى زيد يتكلم بما يعجب . فيتكلم حال من زيد المعرفة .

وكقولك : ادخل السوق يباع فيه اللحم فاشتر كذا . حيث لم يكن بينك وبين مخاطبك معهودية سوق بعينه ، بل الغرض من التعريف الإشارة إلى الماهية المتعينة المتحققة فى آحادها ، فمعناه : ادخل واحدا من تلك الاحاد المتساوية الإقدام فى استحقاق اسم السوق فهو معرفة فى اللفظ نكرة فى المعنى ؛ فإن راعيت اللفظ جعلت الجملة حالاً ، وإن راعيت المعنى جعلتها صفة .

وكقولك : رأيت رجلاً صالحًا يأْمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فرجلا نكرة مخصصة بالصفة ، فلك فى الجملة أن تجعلها صفة ثانية ، فيكون التقدير : رجلا صالحا آمرًا ناهيًا ، أى جامعا بين الأَوصاف الثلاثة ، وأن تجعلها حالاً فيكون المعنى : رأيتُ رجلا متصفًا بالصَّلاح فى حال أمره ونهيه .

وإن تعدد النعت لمتعدد ؛ فإن كان النعت أوصافًا متخالفةً ، وجب ذكر كل نعتٍ على حدة بعطف اللاحق على السابق كقولك : جاءنى الزيدون العالم والتاجر والصانع .

وإن كانت من جنس ثنيت وجمعت ، فتقول : الزيدان الفاضلان ، والزيدون الفاضلون ، والهندات الفاضلات .

وإذا تفرق المنعوت بهذا النعت فى جملتين ؛ فإن اتفق عاملاهما لفظًا ومعنى جاز لك الاتباع وجاز لك القطع بشرطه نحو : جاءنى زيد وجاءنى عمرو العالمان . بالاتباع والعاملين بالقطع على تقدير اذكر العالمين فإن اختلف العاملان لفظًا نحو : جاء وأتى أو معنى نحو : تكلم أى نطق ، وتكلم أى تجرج ، وجب القطع كقولك : تكلم فأَفصح زيد ، وتكلم فسال دمه عمرو الشجاعين ، وجاء زيد وأتى عمرو الفاضلين . كما إذا كان أحد المنعوتين مرفوعا والآخر منصوبا مثلا لتعذر الاتباع إذن ، وما سمعت فى تعدد الخبر تجريه بعينه فى الحال وفى النعت حيث كان الغرض العام فى الأَنواع الثلاثة : هو إثبات الأَوصاف ونسبتها إلى موصوفاتها بيد أن اختلاف الأَغراض الخاصة أوجب اختلاف الكيفيات والمغايرة بين

الألقاب فكما تقول : هذا الرُّمان حلو حامض أو لا حلو ولا حامض . إلى آخره تقول : آكل الرُّمان حلوا حامضا ، واشتريت فرسًا أبيض أسود .

وقد جاء الإخبار والنعت والتقييد الحالى بالمصدر مبالغةً فى تحقيق الوصف للموصوف نحو : هذا الرجل صِدْقٌ ، وهذان الرجلان عدْلٌ . بإفراد المصدر وتذكيره على معنى أنه تكوّن من العدل وليس شيئًا آخر وراءه .

قالت الخنساء فى صفة ناقة فقدت ولدها ، فهى لاتزال تقبل وتدبر فى البحث عنه . « فإنما هى إقبالٌ وإدبارٌ » وليس على التأويل ولا تقدير مضاف كما قيل ؛ إذ هو خروج عن الغرض ولعل حكم النحويين بشذوذ وقوع المصدر حالاً من جهة إحداثه كيفية فى التركيب ، وإلّا فهو مجازسائغ مسموع نوع العلاقة كما هو شرط المجاز على ما أوضح أهل البيان. ولا يتقدم النعت على المنعوت فإذا تقدّم نعت النكرة جعل حالا ، وإذا تقدّم نعت المعرفة جعل المنعوت عطف بيان وخرج إذن عن كونه نعتًا ، ولا يفصل بين النعت والمنعوت بأجنبى عنهما نحو : إنَّ رجلا على أبيه مجترئًا ولأُمه مهينًا لرجل سوء ، وإنَّ مكرما أباه راحمًا له بارًا بأُمه لرجل خير وبر . فنحو قولك : قراءة زيدلا تعجبنى الدرج لا يصح بل يجب قراءة زيد الدرج لا تعجبنى ؛ لأن خبر المبتدإ ليس متعلقًا بمعنى المصدرفهو أجنبى من النعت والمنعوت ، ويكثر حذف المنعوت فيقوم النعت مقامه ، وربما التزم حيث اشتهرت الصفة لموصوفها كما فى قوله تعالى : (وحَمَلْناهُ على ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ) [سورة القمر : ١٣] أى سفينة ذات ألواح ومسامير ، فلا تذكر الموصوف فى مثله ، وكقوله : (أنِ اعمل سابغاتٍ) [سورة سبأ : ١١] أى : دروعًا سابغاتٍ .

وها هنا نكتة بلاغية ، وهى الاقتصار فى العبارة على موضع العجب كأن الكلام يناديك : انظر أيها الإنسان هداية مولاك ، الذى ألهمك هذه الأعمال ، حتى استخرجت من الخشب والحديد هذا الشكل ، الذى سلكت به البحور كما تسلك فى البرور وكيف وصلت إلى الآنة الحديد ، حتى صار كشمع تُصوّر منه ما شئت ، وتعمل منه ما تعمل من الكتان وشبهه ثيابا سابغة تقيك البأس ، فلو قال : سفينة ودروعًا لمضى

الذهن وما اعتاد، فلم يتأمل فى حسن صنع الله الذى أتقن كل شىء، وفى كل شىء عجب.

ولا يحذف منعوت الجملة إلاَّ إذا كان بعضًا من مجرور بمن أوفى نحو: القوم منهم ظعن ومنهم أقام. أى منهم فريق ظعن، ومنهم فريق أقام. والناس فيهم اجتهد فى تحصيل العلم، وفيهم كسل واتبع الهوى. أى: فيهم جمعٌ اجتهد، وجمعٌ كسل.

ويقل حذف النعت نحو: رأيت زيدا الصالح وعمرا. ومن العجب اجتماعهما تريد: وعمرا الفاسق. بدلالة الحال، واشعار المقال.

* * *

التوكيد

لفظ يذكر بعد ذكره أوّلاً ويسمى : توكيدًا لفظيًا . كقولك : قام قام زيد . فى تأكيد المحكوم به زيد ، وكقولك : قام زيد زيد . فى توكيد المحكوم عليه ، وكقولك : قام زيد قام زيد . فى توكيد الحكم ، وتوكيد الضمائر المنفصلة بإعادة ألفاظها نحو : أنت أنت فى قوله :

لم يبقَ عِندى ما يباعُ بدرهمٍ   وكفاكَ شاهد منْظرى عن مخبرى
إلاَّ صبابةَ ماء وجهٍ صنتها   من أن تباع وأنت أنتَ المشترى

ونَحنُ نحنُ الساعون فى حاجتك ، وإياك إياك قصدت .

والضمائر المتصلة تؤكد بإعادة ألفاظها مع ما اتصلت به نحو :أكرمت أكرمت زيدًا ، أوله له توجهت . أو بضمير رفع منفصل نحو : كنت أنت وكنا نحن وأنا نحن وإنى أنا ، وحيث يؤكد منصوبًا أو مخفوضا فهو من وضع ضمير مكان ضمير ، ولا يؤكد من الحروف إلاَّ أحرف الجواب كقوله :

نعم نعم محضتهم صِدق الولاء تطوّلا
فما رعوا عهدًا ولا مودَّة ولا ولا

وبقية الحروف تعادُ مع ما اتصلت به نحو : لزيد لزيد قصدت. وقوله :

فلا واللهِ لا يلقى لما بى   ولا للما بِهِم أبدًا دواءُ

وقوله :

لَا لَا أبوحُ بحبِّ بثنةَ إنها   أخذتْ علىَّ مواثقًا وعُهودا

من الشذوذ بمكان أولفظ مخصوص يلاقى لفظا ذكر أوّلاً فى المعنى . ويسمى : توكيدًا

معنويًا . وألفاظه : النفس والعين ، وكلا وكلتا وكل وأجمع وجمعاء وأجمعون وجمع نحو : جاء زيد نفسه ، ومررت بعمرو عينيه ، وجاء الزيدون أنفسهم ، ورأيت العمرين أنفسهم ، ومررت بهند عينها ، وبالهندات أعينهن ، وجاء الزيدان أنفسهما ، أو أعينهما بجمع التأكيدوهو الأفصح ، ويجوز : الزيدان نفساهما وعيناهما بالتثنية ونفسهما وعينهما بالإفراد ، ولابدّ من اتصال النفس والعين بضميرالمؤكد المطابق له تذكيرًا وتأنيثًا وإفرادًا وتثنية وجمعًا كما رأيت ولك أن تدخل باء على النفس والعين فتقول : جاءنى زيد بنفسه . وهذا متاعى بعينه ، وتقول : جاء الزيدان كلاهما ، والهندان كلتاهما ، ورأيت الزيدين كليهما ، ومررت بهما كليهما وهكذا .

وتقول : جاء الرجال كلهم وأجمع ، والنساء جمعاء وجمع . والأحسن أن تكون بعد كل ، ولابدّ من اتصال كل وكلا وكلتا بالضمير المطابق ، ولا تؤكد نكرة إلا إذا كانت محدودة بطرفين فتؤكد لإفادة الشمول نحو : انتظرتك يومًا أجمع .

والغرض من التوكيد دفع تَوهّم مخاطبك : أنك سهوت ، أو غلطت ، أو تجوزت عن شيء بذكر متعلقه إذ يجوز أن تقول : جاءنى زيد وكنت تريد أن تقول : جاءنى عمرو ، فسهوت أو غلطت . وتقول : هذا كتابك لنسخة نقلت منه تجوزًا ، ولذلك تقول : هذا كتابك بعينه . وللتوكيد أغراض أخر موضع شرحها علم المعانى كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، فاللفظ المؤكد يكون تابعًا لمؤكده فى إعرابه رفعًا ونصبًا وجرًا وجزمًا إن كان مؤكده معربًا وما سوى النفس والعين لتوكيد الإحاطة والشمول وعموم الحكم ، وقد أكّدوا بلفظ عامة فقالوا : جاء القوم عامتهم . وأكّدوا بجميعا وطرًا وقاطبة وكافة منصوبات على الحال .

* * *

عطف البيان

اسم فيه خصوص يذكر بعد اسم يعم معنى الاسم الذى تذكره بياناً وغيره ، فيكون مبينًا لخصوص مرادك من العام ؛ فالبيان : إمّا شخص من أشخاص اشتمل عليها الأوّل أو جنس من أجناس كذلك ، فيكون المعطوف والمعطوف عليه نكرتين نحو : من شجرة زيتونة ، وجاءنى اليوم إنسان رجل أو إنسان امرأة ، ومعرفتين نحو : قدم صديقك خالد. ومن عطف البيان الاسم الواقع بعد اسم الإشارة المبين جنس المشار إليه ، حيث يكون اشتباه كما إذا كان بين يديك كتاب وقلم فتقول : خذ هذا الكتاب أوخذ هذا القلم . ومنه الأسماء والألقاب الواقعة بعد الكنى نحو : أبو حفص عمر ، وأبو يزيد معاوية ، وأبو الحسن على ، فلولا ما تذكر من البيان لم يعرف مرادك لعموم الاسم الأوّل وشموله للبيان وغيره .

وكل موصوف قدمت عليه صفته صار عطف بيان ، فلو قلت : رأيت زيدا التاجر . كان لفظ التاجر صفة فإذا قلت : رأيت التاجر زيدا. كان عطف بيان ، ويستعمل عطف البيان بكلمة أى التفسيرية فاصلة بينه وبين المعطوف عليه وبدونها تقول : عند زيد عسجد. أى ذهب ، وهذا هو الغضنفر. أى الأسد أو عسجد ذهب والغضنفر الأسد ، وتسمى أى حرف عطف بيانى ، فعطف البيان تابع للمعطوف عليه ، مبينه فى إعرابه وتعريفه وتنكيره ، وهنالك للتفسير والبيان حرف آخر بمنزلة أى غير أنه فى موضعه لازم لا يسوغ حذفه وهو أن التفسيرية ، ولا تقع إلاّ بين جملة مفسرة ومفرد مفسر يذكر ويحذف كقوله تعالى : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۝ أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ [سورة طه : ٣٨ و ٣٩] وقوله : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [سورة المؤمنون : ٢٧] فللتفسير حرفان :

(عطف النسق) : هو تابع بواسطة حرف يجعل الكلمتين شبه خرزتين منتسقتين

أى منتظمتين ، وأحرفه المتفق عليها تسعة وهى : الفاء وثم والواو وحتى وأو وأم ولكن ولا وبل .

وهذه الأحرف وإن سبق القول فيها لا بأس بالتكلم عليها فى هذا الموضع ، لتكون على ثقة من كيفية استعمالها وحفظ أحكامها فتقول :

(الكلام على الفاء) الفاء إن عطفت ماله إعراب على ماله إعراب بأن عطفت مفردًا على مفرد ، أوعطفت جملة واقعة موقع مفرد على جملة مثلها شركت بينهما فى الحكم والإعراب ، مع إفادة الاتصال الزمانى وترتيب اللاحق مع السابق .

فإذا قلت : جاء زيد فعمرو . فمعناه أن زيدا وعمرا اشتركا فى المجىء ،ومجىء عمرو واقع بعد مجىء زيد على الفور ، ولذلك يقال الفاء للترتيب والتعقيب .

وإذا قلت : زيد يحضر أبوه فيسافر أخوه . فجملة : يسافر أخوه ،وجملة : يحضر أبوه واقعتان موقع مفردين ؛ لكونهما خبر المبتدإ ، فالمعنى زيد حاضر أبوه فمسافر أخوه ، فأفادت الفاء الاشتراك والتعقيب والترتيب ، وإذا عطفت مالا إعراب له على مثله ، بأن عطفت جملة ليست واقعة موقع مفرد على مثلها ، أفادت اشتراكهما فى الحصول والترتيب والتعقيب ،وفى عطف الجمل ربما أفيد بها سببية السابق للاحق تقول : جاء زيد فذهب عمرو .

(الكلام على ثم) ثم كالفاء فى التشريك والترتيب ، وعطف المفردات والجمل إلاَّ أنها تفيد المهلة والتراخى وتلحقها التاء فيقال : ثمت . وإذن تختص بعطف الجمل فإذا قلت : جاء زيد ثم عمرو . فمعناه أن زيدا وعمرا اشتركا فى المجىء ، وأن مجىء عمرو بعد مجىء زيد ، ولكن بين المجيئين مدة طالت أو قصرت بحيث لا يحكم العرف معها باتصالهما .

(الكلام على الواو) الواو لإفادة الاشتراك مطلقًا عن التّقييد بترتيب واتصالٍ أو تراخ ، فأىّ واحد حصل ولم يكن الغرض إفادته بخصوصه تستعمل فيه الواو ، فإذا قلت : جاء زيد وعمرو . فمعناه أنهما اشتركا فى المجىء فقط ، ثم تارة يكونان جاءا معاً أومرتبًا باتصال وبدونه ، فالعاطف بالواو غير متعرض لشىء من ذلك .

وتعطف الواو والمفردات والجمل على ما سبق فى الفاء ، ولكون هذه الأحرف الثلاثة

مشركة جامعة بين الشيئين إذا وقعت بين جملتين جعلتهما جملة واحدة ، بحيث متى وقعتا فى المواضع المحتاجة للربط كفى وجود الرابط فى المعطوفة كما إذا وقعتا صلة أو صفة أو حالاً أوخبراً كقولك : الذى أفرح فيفرح زيد . فجملة أفرح ليس فيها ضمير يعود على الذى ولا محذور فى ذلك ؛ لأنها ليست صلة مستقلة بل جزء صلة ؛ لأن الفاء جعلتها وجملة يفرح المشتملة على ضمير الموصول العائد الذى لابد منه لربط الصلة بالموصول جملة واحدة ، فيكون المعنى : الذى يعقب فرحه فرحى ويتسبب عنه زيد ،

فأنت ترى بتبيين المعنى أن الجملتين صارتا جملة واحدة ، وكذا البيان فى نحو قولك : رأيت رجلا يفرح زيد فيغضب ، وقولك : رأيت زيدا يغضب عمرو فيفرح وقولك : زيد يشتدّ الحرب فيزداد إقداماً ، وكقولك : زيد يقعد عمرو ثم يقعد ، وقولك : زيد يجيء عمرو ويذهب والبيان البيان ،ولكون الواو لا تفيد تعقيباً ولاترتيباً ، فتستعمل فى اشتراك المعية والمصاحبة اختصت بالعطف مع الأفعال ، التى لا تحصل إلاَّ من متعدد نحو : اصطف زيد وعمرو ، واختصم بكر وخالد ، وتشاجر هذا وذاك .

ومن ثم اختصت بالوقوع بعد بين نحو : اجلس بين زيد وعمرو .

(الكلام على حتى) حتى كالواو فى إفادة اشتراك الشيئين ، لكن لا تعطف إلّا اسما ظاهرا يكون بعضا من المعطوف عليه أو بمنزلة بعضه ، ولا بد أن يكون بين أبعاض المعطوف عليه ترتب عقلى فى الوجود أو الشرف والخسة ؛ ليكون المعطوف بحتى غاية للمعطوف عليه كقولك : سرت الليلة حتى آخرها . فالليلة ذات أجزاء ترتبت عقلا فى الوجود والآخر بعضها وغايتها ، فمعناه سرت الليلة وآخرها أيضا . وكقولك : مات الناس حتى الأنبياء . فالناس أشخاص مرتبة فى الشرف والأنبياء غايتهم فيه ، وكقولك : قدم الحجاج حتى المشاة ، وأعجبتنى الجارية حتى حديثها ؛ فالحديث ليس بعض الجارية لكنه بمنزلته لشدّة الاتصال ، وما بعد حتى مشارك ما قبلها فى الحكم كما رأيت .

(الكلام على أو) أو لإفادة أحد الأمرين ، فإذا قلت : جاءزيد أوعمرو . فمعناه : أن أحد الشخصين ثبت له المجيء ولم يجتمعا فيه ، فإذا وقعت بين أمرين لا يجتمعان عقلاً أو شرعًا سميت : أوالتخييرية ؛ لكونها للتخيير بين الشيئين كقولك : اجعل هذا

الثوب أسود أو أحمر . وتزوّج هندا أو أختها : فالسّواد والحمرة لا يجتمعان عقلاً ؛ وهند وأختها لا يجتمعان شرعًا ؛ وإذا وقعت بين أمرين يجتمعان سميت : أو الإباحية نحو : جالس العلماء أو الحكماء ولاتجالس الجهال . فمعناه : حظر مجالسة الجهال ، وإباحة مجالسة العلماء والحكماء ، وإذا وقفت بين أقسام شيء سميت التقسيمية .

وتصلح مكانها الواو نحو : الكلمة اسم أو فعل أو حرف يصح اسم وفعل ويستعملها الشاك والمشكك ، وتكون أو للإضراب والإعراض نحو : صلتك أقاربك حسنة . أوواجبة أعرضت عن إثبات الحسن إلى إثبات الوجوب وهو معنى بل الآتي بيانها .

وقد سلف لك أنها تكون قائمة مقام إلى أن أوإلا أن .

(الكلام على أم) أم حرف يستعمله المسوّى بين أمرين بكلمة سواء ، ويقع بين جملتين لفظامفردين لحظا ويأتى فى صدر جملتها همزة تسمى :همزةالتسوية ، وتحذف تارة نحو : سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم . تقديره : إنذارك وعدم إنذارك سواء . أى : متساويان .

فالجملتان اللتان تكتنفان أم هذه ، منسبكتان فى الملاحظة بمصدرين مبتدأ ومعطوف عليه مخبر عنهما بسواء ، فأمْ في هذا الاستعمال بمعنى الواو . وقد ورد التركيب مصرحًا فيه بالمسوّى بينهما مفردين والعطف بالواو . قالت بثينة العذرية :

سواءٌ علَيْنَا يا جميلُ ابنُ معْمر إذَا متَّ بأساء الحياةِ ولِينُها

وتقول : سواء كان لى زيد أم كان على . فلا تذكر الهمزة وتقديره : كوْنُ زَيدٍ لِي وكونهُ على سواءٌ . أى لا ينفع ولا يضر ، ويستعملها طالب التصوّر بهمزة الاستفهام على ما سلف بيانه . ولذلك تسمى أم فى هذين الاستعمالين : أم المتصلة وأم المعادلة ؛ لأنها كما رأيت لا تقع إلّا بين شيئين لابدّ منهما فشيئآها بمنزلة العِدْلين . أى : شِقَّى الحمْل .

وهى فى الاستعمال الثانى كأوفى كونها لأحد الشيئين إلاّ أن أو لا تصح فى موضعها لأنك إذا قلت :أزيد قائم أو عمرو . فمعناه :هل أحد الشخصين قائم ،فتكون لم تعلم حصول أمروجهلت تعينه ، فهوطلب لأصل النسبة فجوابه : نعم أولا . فإذا أجبت بنعم كان المعنى : قام أحد الشخصين ، وإذا أجبت بلا كان معناه : لم يقم أحد الشخصين .

ومتى أجبت بنعم علمت بوقوع النسبة من أحد الشخصين ، وحينئذ فلك أن تطلب تعيينه فتسأل بالهمزة وأم المتصلة فتقول : أزيد قام أم عمرو . أو من القائم منهما . والمعنى المعنى ، فيقال بتعيين أحد الشخصين فتقول : زيد إن كان الفاعل ، وتقول عمرو إن كان إيَّاه . فالسؤال بالهمزة وأم لا يكون إلَّا من عالم بأمرٍ وجاهل بآخر . والسؤال بالهمزة وأو لا يكون إلَّا من جاهل محض .

فمرتبة السؤال بالهمزة وأم بعد مرتبة السؤال بالهمزة وأو . وربما يظنُّ ظانٌ أن أحد الأمرين واقع اعتمادًا على إمارة ، ويكون الواقع خلاف ما ظنٌ فيسأل بالهمزة وأم فيجاب بلا ، كما فى حكاية غيلان ذى الرّمة والعجوز التى ساقها فى قوله :

تقــول عجوزٌ مدرجى متروّحا	على بابها من عند أهلى وغاديًا
أذو زَوْجة بالْمصْرِ أمْ ذوُ خُصُومةٍ	أراكَ لَهَا بالبصْرةِ العام ثَاوِيًا
فَقُلت لهـا لا إنَّ أهلِى جيــرةٌ	بمنزلةِ الدَّهْنــا جميعًــا وماليا
وما أنا مذ أبصرتنى فى خصومة	أراجع فيها يا ابنة العم قاضيًا

(الكلام على لكن) لكن حرف يستعمله المستدرك على كلام سبق منه ؛ ليرفع وهما غير صحيح ينشأ من كلامه السابق ، ولا تستعمل إلَّا بعد نفى أو نهى ولا تكون عاطفة إلَّا إذا تجرَّدت من واو تسبقها ؛ فإذا لم يسبقها نفى ولا نهى كانت لمجرّد الاستدراك وسميت :حرف ابتداء ولم تكن عاطفة ، وكذلك إذا سبقت بواو فتكون الواو للعطف وهى لمحض الاستدراك ، فالعاطفة كقولك : ماجاء زيد لكن أخوه ، ولا تضرب زيدا ، لكن أخاه .

(بيان معنى الاستدراك) فيه أنك لما قلت : ما جاء زيد ومن العادة أنه إذا لم يجىء أحد الأخوين لم يجىء الآخر فيتوهَّم السامع عدم مجىء الآخر بمقتضى العادة ، فيستدرك المتكلم ويرفع هذا الوهم ويقول : لكن أخوه . وضابطها أنك تنفى أحد أمرين متلازمين فى العادة فينصرف ذهن المخاطب إلى أن النفى تعلق بالمتلازمين والواقع خلافه ، فيستدرك وترفع الوهم . والابتدائية كقولك : جاء زيد لكن عمرو لم يجىء .

وإذا قلت : ما جاء زيد ولكن عمرو ، فالعاطف الواو فكأنك قلت : وعمرو جاء . أقحمت كلمة لكن لمكان الاستدراك .

(الكلام على لا) لا حرف لنفي حكم ما قبله عمّا بعده ، ولا يقع إلاَّ بعد أمر أو نداء أوخبرمثبت نحو : أكرم زيدا لا عمرًا ونحو : يازيد لا عمرو ، ونحو : جاء زيد لا عمرو .

(الكلام على بل) بل إذا وقعت بعد نفي أو نهي كانت لتقريره وإعطاء ما بعدها خلافه ، فإذا قلت : ما جاء زيد بل عمرو . فمعناه أنَّ انتفاء المجيء عن زيد متقرر ، لكن المجيء ثابت لعمرو ، وكذلك إذا قلت : لاتهن زيدًا بل عمرًا ، وإذا وقعت بعد أمر أو إثبات كانت للإعراض عن السابق ، وتنقل حكمه للاحق ويسمى : إضرابًا إبطاليًا وما قبله يسمى : إضرابًا انتقاليًا نحو : اضرب زيدا بل عمرا. فمعناه : غلطت فى الأمربضرب زيد ومطلوبي ضرب عمرو ،ونحو : جاء زيد بل عمرو . معناه أيضا : إظهار الغلط والتدارك بالصواب وإذا جاء بعد بل جملة لم تكن عاطفة ،وسميت : حرف ابتداء كلكن إذ مابعدهما يكون كلاما مبتدأ ، وتستعمل أو وأم هذا الاستعمال كما سلف ، فتسمى أم : أم المنقطعة وتفسربلفظة بل فقط إن كان بعدها هل نحو : هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوِي الظلماتُ والنُور . فمعناه :بل هل تستوى . وهو انتقال من ضرب مثل إلى ضرب مثل آخر ، وتفسر ببل والهمزة إن لم تكن بعدها هل وكان المعنى على الاستفهام نحو : أم كنتم شهداء إذ حضر . فمعناه : بل أكنتم شهداء . وربما استعملت بل فى التدرج فى النفي أو الإثبات أو الأمر ، ويسمى : الترقى فتقول : ما جاء زيد بل عمرو تعني أنه انتفى مجيء زيد بل انتفى مجيء عمرو ، حيث يكون انتفاء مجيء عمرو أبعد من انتفاء مجيء زيد وتنبه على ذلك كما تقول : ما حضر زيد بل عمرو الذى يحضر كل مأدبة ، وإن لم يدع إليها وتقول : جاء الوزير بل السلطان ، وتقول : أَهِنْ زيدًا بل أباه .والأحسن فى هذا توسيط الواو بين بل ومدخولها فتقول : جاءالوزير بل والسلطان ؛ لذلك الغرض . وأما المختلف في أنه حرف عطف أولا ، فهي كلمة إمَّاالتفصيلية التى تقع مقابلة لإمّا مثلها نحو :المنطلقُ إمَّازيدٌ وإمَّاعمرٌو ، فقيل :إمَّاالثانية حرف عطف . والصحيح أن إما وأختها حرفا تفصيل يفيدان ما تفيده أو. وإن كان بينهما وبينها فرق دقيق

وذلك أن أو للتردّد فى المحمول وهما للتفصيل والسياق مختلف ، والعطف مع إما على الصحيح للواو المصاحبة لها ، وأثبت بعضهم أن كلمة ليس تكون عاطفة ، فتقول : جاء زيد ليس عمرو ، كما تقول : لا عمرو . ويعطف اسم ظاهر على اسم ظاهر نحو : زيد وعمرو . وضمير منفصل على ضمير منفصل نحو : أنا وأنت وإياى وإياك قصد عمرو . ويعطف ظاهر على ضمير وبالعكس نحو : أنا وزيد ذاهبان ، وزيد وأنا مقيمان ، إلاَّ أنه لا يعطف على ضمير مرفوع متصل ، إلاَّ بعد أن تفصل بينه وبين العاطف بضمير منفصل يؤتى به للتوكيد أو بفاصل آخر نحو : سرتُ أنا وزيد ، وسلكت الطريق وعمرو فنحو : سرت وزيد نادر . لايستعمل فينصب ما بعد الواو مفعولاً معه .

وإذا عطفت على ضمير مخفوض ؛ فإن كان المعطوفُ ضميرًا وجب إعادة الخافض نحو : بى وبك وغلامى وغلامك ، وإلاَّ كانت الأفصح .

وكما يعطف الفعل على الفعل فى نحو قولك : لم يطع ويستقم زيد . يجوز أن يعطف الفعل على وصف بمعناه نحو : إنَّ المصدّقين والمُصدِّقاتِ وأقرضُوا الله . فهو على معنى : إن الذين تصدّقوا واللواتى تصدّقن وأقرضوا . وضمير جماعة الذكور فيه عائد على الذكور والإناث بتغليب الأشرف ونحو : زيد راكب فرسه غدًا ويسابق الفرسان . فهو فى معنى زيد يركب ويسابق ، ويجوز عكسه نحو : زيد يركب فرسه غدًا فمسابق ، فلك فى مثل هذا التركيب أربعة أوجه : راكب فمسابق ، يركب فيسابق ، راكب فيسابق ، يركب فمسابق .

وقد يحذف من الكلام اعتمادًا على القرينة الفاء ومعطوفها ، والواو ومعطوفها نحو : اضْرب بعصاكَ الحجر فانفجرتْ . أى فضربه فانفجرت ، ونحو : راكب الناقة طليحان . أى : راكب الناقة والناقة .

وقد يحذف عامل معطوف بالواو ، وتبقى الواو ومعمول المحذوف نحو : تبوَّءُوا الدار والإيمان . أى : وألِفوا الإيمان ؛ لأن الدار تسكن والإيمان لا يسكن ، ويظهر أن لا تقدير ولا حذف فى الآية ، ويكون التبوّؤ متعلقاً بالدار والإيمان ، فإن لفظ الإيمان فى لسان الشرع لا يقتصر فيه على ملاحظة معنى التصديق ، بل يلحظ هو والآثار المترتبة عليه من وقوع الأمن بين الناس وارتفاع المخافات ، التى كانت لا تبرح قائمة إذ ذاك .

ومن الاشتراك فى المنافع والمحافظة على الحقوق وعموم ارتفاق البعض بالبعض ، حتى تكون الأُمّة فى حالة جامعة فهى بمنزلة الأهل بين آباء وأبناء ، فتلك الحالة تعتبر اعتبار الظروف ، فكأنه قيل : جمعتهم ، وأحاطت بهم ، واشتملت عليهم الدار ، وتلك الأحوال ، فهو من عموم المجاز ، ولا يتقدم المعطوف على المعطوف عليه .

* * *

أربعة أقسام : قسم يسمى : بدل الكل من الكل . وتأدب المتأخرون حيث لاحظوا وقوعه فى أسماء الله تعالى ، وتقدّس عن كل وبعض فسموه : البدل المطابق .

وقسم يسمى : بدل البعض من الكل . وقسم يسمى : بدل الاشتمال . وقسم يسمى : بدل الغلط .

البدل المطابق : لفظ يراد به معنى أريد بلفظ سابق نحو : رأيت صديقك خالدا ، وارحم أخاك زيدًا . وسمى : بدل الكل من الكل ؛ لأنه أريد بلفظ البدل كل ما أريد بلفظ المبدل منه .

وأمثلة هذا القسم من البدل تشتبه بأمثلة عطف البيان ، فربما تخيل متخيل أنَّ أحدهما يغنى عن الآخر ، فلا حاجة إلى إثبات تابعين يخص كل منهما باسم ، وهو تخيل غير صحيح ؛ لأن بين عطف البيان وبين هذا القسم من البدل فرقين : فرقًا معنويًا ، وفرقًا صناعيًا .

أما الفرق المعنوى : فهو أن عطف البيان إنما يذكر لبيان المراد من المعطوف عليه فحسب .

وأما البدل : فإنه يذكر لبيان خصوصية بمعناه اقتضت الحكم السابق المربوط بالمبدل منه ربطًا غير قارّ ، بل الغرض منه السلوك به إلى المراد بالبدل ملحوظًا فيه خصوصية . ومن هنا يقول النحوى : أن البدل تابع هو المقصود بالحكم ، فلا يكون المبدل منه مقصودًا به بل يقول فى نية الطرح . ويقول أيضًا أنه على نية تكرار العامل ، فمن ينطق بالبدل مع المبدل منه ، نطق بجملتين ، غاية الأمر أنه حذف من الجملة الثانية بعضها اعتمادًا على ذكر مثله فى الجملة السابقة .

وبيان ذلك أنك إذا قلت : توسل إلى زيد بحبيبه خالد . فإن كنت لاحظت أن التوسل إلى زيد وإفادته ما ترجوه منه ، يحصل بتوسط الحبيب من جهة كونه حبيبًا لا من جهة خصوصية في شخص خالد ، حتى لو كان حبيبه غير خالد كنت آمرًا بالتوسل به وكان مفيدًا ، كان لفظ خالد عطف بيان تعلم به مخاطبك الشخص الذى أردته بلفظ الحبيب الذى هو المعطوف عليه ، فإذا كان التوسل لخصوصية فى خالد بأن يكون أعز الأحبة ، فلا يفيد التوسل إلاَّ به ، إذْ ليس مجرّد المحبة كافيًا فى ذلك ، كان لفظ خالد بدلاً كأنك قلت : توسل إليه بخصوص خالدًا الذى لا يفيد التوسل إلاَّ به ، فكان لفظ الحبيب كأنه لم يذكر .

وربما أفاد البدل كشفًا وبيانًا لكنه غير مقصود به . وكذلك تقول : ارحم أخاك زيدا المسكين الضعيف العاجز . تجعلُ علة طلب رحمته كونُه خصوص زيد بمسكنته وضعفه وعجزه كأنك تقول : لو لم يكن زيد أخاك لكان ينبغى أن يرحم .

وبتأمل هذا يعرف أن البدل هو المقصود بالحكم ، وأنه على نية تكرار العامل ، وأنه لا يغنى عنه عطف البيان .

وأما الفرق الصناعى : فهو أنك تضيف لفظًا مصدّرا بأل إلى لفظ كذلك فتجوز الإضافة كقولك : رأيت الحسنَ الوجهِ . فإذا اتبعت المضاف إليه بلفظ خال من أل كقوله :

أنا ابنُ التاركِ البكرى بشرٍ   عليــه الطيرُ ترقبــهُ وُقُــوعاً

تعين فى ذلك التابع الخالى من أل كونه عطف بيان ، ولا يجوز أن يكون بدلاً ؛ لأنه يلزم حينئذ إضافة ما فيه أل ، إلى خال منها إذ هو على نية تكرار العامل كما عرفت وهو غير جائز ، فلفظ بشرٍ عطف بيان للمراد بلفظ البكرى .

وتقول : يا رجلُ . نداء لمقصود العين موجها إليه الكلام ، والمنادى الذى هذا شأنه وليس مضافًا ولا شبيها به يبنى على الضم كما سبق . وهو فى محل نصب ، فإذا عطفت عليه بيانا جاز لك نصبه رعاية للمحل ، وجاز لك رفعه رعاية للفظ كما ستعرفه فى تفصيل تابع المنادى ، فإذا جعلته بدلاً وجب ضمه بناء لكونه منادى مستقلاً فتقول على العطف : يارجلُ خالدًا بالرفع وخالدا بالنصب على الرعايتين ، وعلى البدل : يا رجلُ

خالد بالضم بلا تنوين كأنك قلت : يا رجل يا خالد . وسيأتي لهذا مزيد بيان . ومن هذا القسم من البدل بدل التفصيل كقولك : جاء الرجال زيد وعمرو وبكر .

بدل البعض من الكل : لفظ يكون المراد به بعض المراد بلفظ المبدل منه نحو : قرأ زيد الكتاب أكثره ، وسرينا الليل معظمه ، ولم يفهم زيد العلم شيئاً منه . وهذا البدل يجب أن يصحبه ضمير المبدل منه كما رأيت ونحو : رأيت الرجلين أكبرهما .

ولا يستعمل هذا البدل بلاغة إلّا حيث يكون البعض هو المعتبر حتى كأنه الكل ، وتقريبه أن إنساناً يقول لصاحبه : فلان شرب الماء . فيقول له صاحبه : أشربه كله ؟ فيقول : أكثره . فلما كان المشروب أكثر الماء ساغ للمخبر أن يقول : شرب فلان الماء . كأن الباقي عدم بعد الذاهب .

بدل الاشتمال : لفظ يكون المراد منه شيئا له تعلق وارتباط بالمراد من لفظ المبدل منه : كأوصافه ، ومملوكاته ، وأهله ، ومظروفاته . نحو : أعجبني زيد كلامه ، ونفعني بكر علمهُ ، وطاب خالد أبُوه ونحو : لا يجوز يوم العيد صيامٌ فيه . وهذا البدل أيضا يجب أن يصحبه ضمير المبدل منه ، ولا يستعمل بلاغة إلا حيث يكون معنى البدل كان المبدل منه ليس شيئًا وراءه فمن يقول: أعجبني زيد كلامه كأنه يقول: ليس زيد شيئًا وراء كلامه .

بدل الغلط : لفظ يذكر لإفادة أن ذكر المبدل منه كان غلطًا أو سهوًا نحو : جاء زيد خالد ، وخذ الكتاب الفرس . واستعماله ببل أحسن .

ويستعمل هذا النوع من البدل عند تغير النية ، ويسمى : بدل البداء ، مثلا إذا أمرت خادمك بإحضار الحمار ، ثم تغيرت نيتك إلى الفرس فقلت : أحضر الحمار الفرس . فهو بدل . البداء . أي الظهور ؛ لأنه ظهر لك ما لم يكن ظاهراً ، ولا يبدل اسم ظاهر من ضمير متكلم ، ولا من ضمير مخاطب إلاّ حيث ينبه به على الإحاطة والشمول كقولك : يا بني عذرةَ إنَّ العشقَ فيكُم أوّلكم وآخركم ، وإننا كِبارنا وصِغارنا راغبون إلى الله .

ويبدل الاسم الظاهر من ضمير الغائب بدل كل ، ومنه ومن غيره بدل بعض واشتمال وغلط نحو : انتفعت به زيد ، وأعجبتني كلامُك .

وإذا أردت أن تبدل من اسم شرط أو اسم استفهام ، وجب أن تذكر مع البدل من اسم الشرط كلمة أن ، ومع البدل من اسم الاستفهام همزته ، تقول : من عندك أزيدٌ أم عمروٌ ، وما تريد أذهابًا أم بقاءً ، ومن ذا تطلبُ أزيدًا أم عمرًا أو أزيدٌ أم عمروٌ وهكذا . ومن يأتك إن زيدٌ وإن عمروٌ فأكرمه ، وما تفعل إن خيراً وإن شرًا تُجزَ به .

ويبدل الفعل من الفعل نحو: أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام وبنين ، ونحو: نعبد الله نصلى ونصوم ونرجُو ثوابه ونخَاف عقابه .

فهذه التوابع يكون إعرابها إعرابُ متبوعاتها ، والعامل فى متبوعاتها هو العامل فيها إلاّ البدل ، لكن لكل من تابعى المنادى واسم لا التبرئة تفصيل ؛ لأن فيهما نوع مخالفة ،

فلابدّ من إيراده ، فنقول :

تابع المنادى إن كان بدلاً أو معطوفًا عطف نسق لم يصدر بأل كان كمنادى مستقل لكون البدل على نية تكرار العامل ، ولنيابة العاطف عن حرف النداء فيبنى على مايرفع به إن كان مقصود العين غير مضاف ولا شبيه به ، وينصب إن كان أحدهما سواء كان المنادى متبوعه مبنياً أو منصوبا ، نحو : يا غلامُ بشرُ ، ويا أبا عبدالله بشرُ ويازيدُ وعمرُو ، ويا أبا الفضل وعمرُو .

وإن كان التابع غير بدل وغير معطوف كذلك ، فإن كان نعت أىّ أو اسم إشارة كان مبنياً على ما يرفع به نحو : يا أيُّهاالرجلُ ، ويا أيّتها المرأةُ ، ويا أيها الرجلان . ويا أيها المؤمنون ، ويا هذا الانسانُ ، وياتانِ المرأتانِ ، ويا هؤلاء الفاضلُون .

فإن لم يكن نعتًا لأى ولا اسم اشارة ، فإن كان متبوعه منصوبًا كان منصوبًا ، وإن كان متبوعه مبنيًا ، فإن كان مضافًا وجب نصبه إلا إذا كان المضاف نعتًا مصدّرا بأل ، فإنه يجوز رفعه رعاية للفظ ونصبه رعاية للمحل .

كما أن بقية التوابع إذا لم تضف كذلك فى جواز الوجهين نحو : يازيد حسن الوجه ، نعتا . ويازيد نفسك ، توكيدا . ويا زيد أبا عمرو ، عطف بيان . ويا زيدُ الحسنُ

الوجه بالرفع ، أو الحسن الوجه بالنصب نعتًا مصدرا بأل ، ويا تميم أجمعون أو أجمعين توكيدا ، أو يا غلامُ بشرٌ أو بشرًا . عطف بيان ، ويا زيدُ والظريفُ الطباع أو والظريف الطباع معطوفًا عطف نسق مصدرا بأل

(تابع اسم لا)

إذا أتبعت المبنى بمتصل به نعتًا أو تأكيدًا أو بيانًا ، جاز لك فتح التابع بناء لتركيبه مع متبوعه ونصبه رعاية لمحل متبوعه ورفعه رعاية لما كان له حيث كان مبتدأ كما ورد فى اللغة . وإذا أتبعته بها منفصلة أو بمعطوف عطف نسق لم تكرر معه لاجاز النصب والرفع دون الفتح لامتناع التركيب إذن ؛ فإن كررت لا مع المعطوف نسقًا جازت فيه الأوجه الثلاثة ، وذلك حيث يكون التابع مفردًا وإلاَّ فهو كالمنفصل ، وتابع المعرب له حكم سائر التوابع والبدل جملة مستقلة .

هذا : ومن التراكيب تركيب ترجم النحويون لبيان أحكامه بالتنازع في العمل هذا موضع بيانه؛ لأنه يتعلّق بما سلف من الأبواب ، فاعلم أنه متى كان تركيب فالبتة يكون مشتملاً على عامل ومعمول وعمل ومقتض لذلك العمل ، وبعضهم قسم النحو أربعة أقسام لذلك ، ونعم ما صنع .

فالعمل هو ما نسميه إعرابًا ومقتضيه طالب التميز من الفاعلية والمفعولية و غيرهما .

والمعمول هو المعرب والعامل هو ما تنسب إليه إيجاد العمل وأحداثه فهو عندهم بمنزلة العلة الفاعلية ، ومن المعقول أنه لا يمكن تأثير مؤثرين فى أثر واحد ؛ فمن ثم إذا وجد عاملان بعدهما معمول وجب أن تعطيه لأحدهما وتقدّر للآخر ، وهذا هو صورة التركيب المذكور . حاصله : أن تذكر عاملين من الأفعال وشبهها فقط ، وتعقبهما بمعمول من المرفوعات أو المنصوبات أو المخفوضات فيكون المعمول لأحدهما ، والثاني أولى به عند البصرية لاتصاله به ، والأوّل عند الكوفية لسبق طلبه .

وعلى ملاحظة ما يروى من أن الصيد لمن قنصه لا لمن أثاره ، فالرأى مع البصرية . فإن كان المعمول فضلة فإن أعملت الثاني أضمرت للأوّل ضميرًا مطابقًا للمعمول المذكور

وحذفته وجوبًا ، وإن أعملت الأوّل أضمرت فى الثانى وذكرته وجوبًا نحو : أكرمتُ وحبوتُ زيدًا . التقدير : أكرمتُه فحذف الضمير على إعمال الثانى ، وتقول : أكرمتُ وحبوتُه زيدا . ذاكرٌ للضمير على إعمال الأوّل ، وتقول : مررتُ وطفتُ بزيدٍ . أى : مررت به ، ومررتُ وطفتُ به بزيد ، وخرج زيدٌ وسافر يوم الجمعةِ . أى : خرج فيه ، وخرج وسافر فيه يوم الجمعة . وعلى هذا القياس وجاءنا دِرامًا يخالف ذلك قال :

إذا كنتَ تُرضيه ويُرضيك صاحبٌ جِهارًا فكن فى الغيبِ أحفظَ للودِّ

فذكر ما الحكم وجوب حذفه . وقال آخر فى صفة سيف،

بُعكاظٍ يُعْشِى النَّاظِرِ ـنَ إذَا هُم لمحُوا شُعاعَه

أى لمحوه فحذف ما الحكم وجوب ذكره ومتى كانَ المعمول عمدة بأن كان فاعلا أو كان مبتدأً أو خبرًا بحسب الأصل بأن كان العوامل من النواسخ وجب الإضمار للمهمل ووجب ذكر الضمير مطلقا مستترا فى مواضع الاستتار ، وبارزا فى مواضع البروز .

تقول : أصبح زيد وأمساه قارئا ، وأصبحه زيد وأمسى قارئا ، وظَنَّنيه زيدٌ وظننتُه أخاً ، وظنَّنى زيدٌ وظَننتُه إياه أخاً .

وعلى هذا القياس وفصل الضمائر ووصلها على ما سلف لك شرحه .

ومتى لم يطابق المفسر مفسره امتنع الإضمار ووجب الإظهار ، وفى هذا التركيب يعود ضمير على متأخر لفظا ورتبة ، وهو أحد مواضع ستة يعود فيها الضمير على المتأخر لفظا ورتبة ، ويقال : إن مرجع الضمير تقدّم حكما ، فأقسام تقدم المرجع ثلاثة : تقدم لفظى ، وتقدم رتبى ، وتقدّم حكمى .

بقية المواضع المذكورة هى : تركيب نعم وبئس ،وتركيب ربه فتى ،وتركيب مررتُ به زيدٌ ، وتركيب ضمير الشأن ، وتركيب نحو قولك * هى النفس ما حملتها تتحمل *

وقولك : هى العرب تقول ما شاءت .

على أن كلمتى : النفس ، والعرب . خبران .

القسم الرابع فى الجملة الشرطية

الجملة الشرطية : هى المصدّرة بأداة شرط حرف أو اسم ضمن معناه ، وقد سلفت . والغرض هنا بيان مفاد الجملة الشرطية ، وما يعمل من الأدوات ، وما لا يعمل إلى غيرذلك من الأحكام المتعلقة بها فنقول : أما مفاد الجملة الشرطية فهو ارتباط وقوع النسبة التى تضمنها جملة الجزاء بوقوع النسبة ، التى تضمنها جملة الشرط على وجه توقفه عليه توقف المسبب على السبب أو المشروط على الشرط .

فوقوع نسبة جملة الشرط سبب أو شرط لوقوع نسبة الجزاء .

فالنسبة التى يتعلق بها الحكم فى الجملة الشرطية مستقرّها بين جملتى الشرط والجزاء . وهما طرفاها فهما بمنزلة المحمول ، والموضوع فى الجملة الخبرية فلا حكم فيهما إلا أنه إذا كان الجواب طلبًا ، فإنه يكون موضع الحكم ، والشرط قيد لمسنده

وهذا هو المذهب الأخير الذى انحط عليه رأى المحققين بعد اختلاف أطيلت فيه الاعتراضات والأجوبة ، فكان بعض العلماء المتقدمين على أن الحكم فى الجزاء والشرط قيد لمسنده .

وبعض المتوسطين كالشريف الجرجانى وشيعته ، على أن الحكم بين الشرط والجزاء مطلقًا .

وأما العامل من أدوات الشرط فهى حرفان : إنْ ، وإذْ ما . وعشرة أسماء : منْ . وما . وأى . ومهما . ومتى . وأيّان . وأين . وحيثما . وأنّى . وكيفما ، فكيفما منها منصوبةٌ على الحالية أبدا ، وأسماء الأمكنة والأزمنة منها منصوبة على الظرفية ، وغيرها معربة حسب الاقتضاء وناصب المنصوب منها هو فعل الشرط كما يظهر لك بحل

التركيب لإبانة صريح المعنى مثلا إذا قلت : كَيْفَما يُصلِّ الإمامُ يُصلِّ المأْموم . فحله لذلك إنْ يُصلِّ الإمامُ مسرعًا يُصلِّ المأْمُوم مُسْرعًا ومبطئا إن مبطئا ومتوسطا إن متوسطا

وإذا قلت : أَين تجلس أجلس . فحله إن تجلس داخل المسجد أَجلسْ داخله ، وخارجه إن خارجه . وإن قلت : ما تصنع أَصنع . فحله إن تصنع معروفا أَصنعه ومنكرا إن منكرا وغير الحال والظروف كما يكون منصوبا مثل ما رأيت يكون مرفوعا ومخفوضا نحو : منْ تَزُرْه أَزُرْه ، وحله كل شخص إن تزره أزره مبتدأ ، والجملة الشرطية خبر ونحو : غلامُ أَيِّهم تُكْرِمْهُ أُكرِمْه ، وحله غلام كل شخص إن تكرمه أُكرمه . ونحو : بِمنْ تثقْ أَثِقْ ، وحله إن تثق بزيد أَثقْ به وبعمرو إن بعمرو . وهكذا من أعمل الفكر ينل ما يطلبه .

هذا وأما الشرط والجزاء فتارة يكونان مضارعين ، وتارة ماضيين ، وتارة يكون الشرط ماضيا والجزاء مضارعا ، وتارة يكون الشرط مضارعا والجزاء ماضيا وهو قليل ؛ وتارة يكون الجزاء جملة . والأَوّل هو الأَصل لموافقته مقتضى تعليق ماليس حاصلا على مثله وظرف الحصولين المستقبل . ولذلك يكون الماضى الواقع شرطا هو ماض فى اللفظ فقط أوقع موقع المضارع لغرض يبين فى علم المعانى .

الأمثلة : إنْ تَعُودُوا نَعُدْ . إنْ عدتُم عدْنَا (منْ كان يُريد حرثَ الآخرةِ نَزِدْ له فى حَرْثِه) وقال عليه الصلاة والسلام : « منْ يَقُمْ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِر له » وقالت أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « إن أَبا بكرٍ رجلٌ أَسيفٌ متَى يقُمْ مقَامك رق»

وقال العـربى

من يَكِدْنى بسىءٍ كنــتُ منــهُ ... كالشَّجَـا بين حلقهِ والوريدِ

وآخـر

إن تَصْرِمُونا وَصَلْناكُم وإن تَصِلُوا ... ملأْتمُوا أنفس الأَعداء إرْهَـابا

وآخـر

إنْ يَسْمعُوا سُبَّةً طَارُوا بها فَرحًا ... مِنِّى وما عَلِموا مِنْ صالحٍ دَفنُوا

وآخـر

إنْ يَعْلموا الخيْرَ أخْفَوهُ وإنْ سَمِعُوا ... شَرًّا أَذَاعُوا وإنْ لَم يَسْمعُوا كَذَبُوا

وحكم الشَّرْطِ والجزاء الجزم لفظا أو محلا ، ولا إعراب للماضى كما عرفت فى غير هذا الموضع . لكن إذا كان الشرط ماضيا جاز رفع الجزاء المضارع .

قال زهير يمدح هرم بن سنان :

وإنْ أتاهُ خليلٌ يـوم مسغبةٍ ... يقـولُ لا غائِبٌ مالى ولا حـرِمُ

وإذا كانت جملة الجزاء : جملة اسمية ، أو طلبية ، أو مصدرة بفعل جامد ، أو بقدولومقدرة ، أو بما النافية أو بلن أو بالسين أو بسوف ، كانت كما يحكم به الوجدان آبية عن الربط الشرطى ، فأوجبت اللغة مساعدة الأداة بفاء السببية الملاقية لها معنى ، وأجازت ذلك حيث يكون مضارع الجزاء منفيا بلا ، وحيث يكون ماضيها مقصودا به الوعد أو الوعيد ولا تجوز الفاء فى غير ذلك ، وما ورد على خلافه مؤوّل بتقدير ما يجعل الجملة من مواضع الفاء نحو : (ومن عادَ فينتقمُ اللهُ منهُ) [سورة المائدة : ٩٥] تقديره :فهو. ينتقم. وحذف الفاء حيث وجدت ضرورة كقوله « مَنْ يفْعل الحسناتِ اللهُ يشكُرها »

وقد ورد بعد انْ خاصَّة إقامة إذا الفجائية مقام الفاء ، حيث يكون الجواب جملة اسمية غير طلبية ولا مصدّرة بأن المؤكدة ولا بأداة نفىٍ نحو ،(وإن تُصبهم سيئةٌ بما قدّمت أيديهم إذا هُم يَقْنَطُونَ) [سورة الروم : ٣٦] وقد ورد الربط بإذا مكان الفاء وبهما معا بعد إذا من الأدوات غير العاملة نحو : (حتى إذا فُتِحتْ يأْجُوجُ ومأْجُوج وهُم مِّن كُلِّ حدبٍ يَنسِلُونَ « واقتربَ الوعدُ الحقُّ فإذَا هِيَ شَاخِصةٌ أبصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) . [سورة الأنبياء : ٩٦و٩٧]

وإذا جئت بعد الجزاء بمضارع مسبوق بفاء أو واو جاز لك جزمه على العطف ورفعه على الاستئناف ونصبه بأن مضمرة بعد واو المعية وفاء السببية ، ويزاد هذا على مواضعهما السالفة وبثلاثة الأوجه يروى قوله :

فإن يَهْلِكْ أبُـو قَابُوس يَهْلِكْ ... ربيـعُ النَاسِ والبلد الحرامُ

ونأخـذ بعده بذِنَـابِ عيْشٍ ... أجبِّ الظهر ليس له سنَـامُ

الذناب ككتاب ، والسنام كسحاب ، وإذا وسطته لم يجز الرفع ويجوز حذف الجزاء نحو : (فإن اسْتطعْتَ أن تَبتغِيَ نفقًا) [سورة الأنعام : ٣٥] . أى : فافعل ونحو : (ولو أنَّ قُرآناً سُيِّرتْ به الجِبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّم به الموتَىٰ) [سورة الرعد : ٣١] أى : لكان ويجب إذا كان الشرط ماضياً ولو معنى وتقدّم على الأداة أو اكتنفها ما يصلح أن يكون جوابا أو تقدمها قسم لم يصحبه طالب خبر نحو : أجلس إنْ جلس زيدٌ أو إن لم يجلس ، وأنا إن لم يجلس جالس ،ونحو : أحلف إن خرج زيدٌ لأخرجنَّ .

قال تعالى : (وإنْ أطَعْتمُوهُمْ إنَّكُم لمشرِكُونَ)[سورة الأنعام : ١٢١] فإن تأخر القسم أو صحبه طالب خبر لم يكن الجواب محذوفاً .

وإذا توالى شرطان فإذا عطفت بالواو كان الجواب المذكور لهما معًا ، وإذا عطفت بأو أجبت أحدهما وأضمرت للآخر نحو : إن زارك زيد أو إن زارتك هند فأكرمه أو فأكرمها ، وفى نحو : إن جاء زيد فإن جاء عمروفأكرمه . الجواب الفاء ومدخولها ، وإذا لم تعطف فالجواب للأوّل ، وجواب الثانى مقدّر بجملة قائمة من الشرط الأوّل وجوابه كقولك :

إنْ تَستغيثُوا بِنا إنْ تُدعَروا تَجدُوا ... مِنّا معاقِل عِزّ زَانَها كَرَمُ

فالتقدير : إن تذعروا فإن تستغيثوا بنا تجدوا . وحذف كل الشرط قليل جدًّا كقوله :

مَتَى تُؤخذُوا قسراً بظِنَّةِ عامر ... ولا ينجُ فِى الصفادِ يزيدُ

تقديره : متى تثقفوا فعل مجهول أى: توجدوا ، و الظِنة بكسر الظاء : التهمة والصفاد جمع صفد ، واحد الأصفاد وهو القيد ، وحذف بعضه كثير كقوله :

فَطَلِّقْهَا فلسْتَ لها بكُفءٍ ... وإلاَّ يعلُ مِفْرقك الحُسامُ

أى : وإلّا تطلقها وقول الناس : إمالا . أى : افعل هذا إن لا تفعل ذلك ونحو : وإن أحد من المشركين استجارك . وإن خيراً فخير . وقد تسلف أن كلمة ان مقدرة مع الطلب الذى جزمت ما يدل على الحاصل المرتب على امتثاله

القسم الخامس في بيان الجمل الإنشائية ، والجمل التى لها محل من الإعراب ، والجمل التى لا محل لها منه .

عرفت أن المركب التام إن كان حكايةً عمّا له وقوع وحصول ، فهو الخبر والقضية ، وإن لم يكن كذلك ، فهو الإنشاء .

فالخبر : مركب تام مفيد بهيئته التركيبية الحكم بثبوت أمر لأمر أو انتفائه عنه ، نحو : زيد قائم ، وقام زيد ، ويقوم عمرو ، وما قام عمرو ، وليس خالد بقائم . ويسمى هذا النوع من الخبر خبرًا حمليًا أو مركبًا تامًا يفيد استلزام وقوع نسبة وقوع نسبة أخرى وهو الخبر الشرطى .

فالخبر : إما حملى ، وإما شرطى . وأما الجملة التى يسميها أهل المنطق : الشرطية المنفصلة . فى مقابلة : الشرطية المتصلة . السابقة ، فهى عند النحويين داخلة فى الحملية ؛ فإن قولك : الشىء إما أن يكون ، وإما أن لا يكون بمنزلة قولك : الشىء كائن أو غير كائن ، فهو مبتدأ أو خبر .

وبين هذين التركيبين من جهة التَّعقل فرق دقيق ، وذلك أن الحكم فى الأوّل بالعناد والتنافر بين وقوعى النسبتين .

ولذلك تلاحظ أنه فى تقدير شرطيتين متصلتين يستلزمهما ، وهما إن كان الشىء كائنًا لم يكن غير كائن ، وإن كان غير كائن لم يكن كائنًا . وبهذه الملاحظة سميت المنفصلة شرطية ، والحكم فى الثانى بثبوت أحد الأمرين فحسب وليس للملاحظة عمل بعد ذلك ، ويسمى عندهم المحمول المردّد .

والإنشاء : هو الأمر . نحو : أكرم زيدًا . والنهى نحو : لا تُهن عمرًا . والتَّمنى نحو : ليت الحبيب حاضرٌ ، والحضُّ نحو : هلَّا أو ألَا أو لَولا أو لوْ ما تفعل

أو فعلت ، وهو فى المستقبل بمعنى ينبغى أن تفعل ، وفى الماضى بمعنى ما كان ينبغى أن تفعل . قيل : وهو طلب لتدارك ما يمكن تداركه ، ويستعمله الزاجر لأنَّ الحضّ كما عرفت يكون بشدّة وعنف ، والعرض نحو : ألا تفعل ، ويستعمله المستعطف الخاضع ، وذلك أن أصله الاستفهام ، فهو طلب لرأى المخاطب ، ولذلك صُدِّر بأداة النفى فكأنّه قال : هل الأحسن بقاء الشيء على الانتفاء ، والمقصود أن الأحسن كونه وحصوله ، ولذلك يرتب عليه السبب فى الحكم بحسنه كقوله :

يا ابْنَ الكِرام ِ ألا تَدْنُو فتُبْصِر ما قَدْ حـدَّثُوك فَما راءٍ كمنْ سمِعا

والاستفهام وسبق تفصيله . والتعجب نحو : لله أنت ، ولله درك .

وله صيغتان مشهورتان يبحث النحوى عنهما .

إحداهما : فعل ثلاثى مهموزٌ يقبل معناه الشدّة والضعف مسبوق بكلمة ما التى معناها شىء عظيم ، وهى مبتدأ وفاعل الفعل المذكور ضمير واجب الاستتار يعود على ما نحو : ما أحسن زيدًا ، وما أجمل عمرًا ، وما ألطف خالدًا .

ما أقدر اللهُ أن يُدْنِى على سخَطٍ من داره الحزن ممن داره صول

معناه شىء عظيم صير الله قادرًا ، وشىء عظيم صير زيدًا جميلاً . نقل هذا التركيب من هذا المعنى الخبرى المشروح لإنشاء التعجب من قوّة الوصف وشدّته ، وكيفية السلوك للانتقال هى : أن المتكلم لمّا جعل حسن زيد حسنًا خارجا عن العادة جعل له موجدًا مبهمًا غير معلوم غير الموجد الذى علم أنه يخلق الأوصاف ، ولذلك يجعل بعض النحويين كلمة ما فيه استفهامية ، وهذه المعانى محالة فى أنفسها باطلة . ألا ترى أن قدرة الله جلَّ وعز ليست بإيجاد موجد ، ولا بتَصْيِيرِ مُصيِّر حتى يقال : ما أقدر الله بذلك المعنى ، بل معناه : أتعجب من قوّة قدرة الله تعالى ، وهو معنى صحيح .

الصيغة الثانية : فعل ثلاثى مهموز بهمزة الصيرورة محمول من صورة الماضى إلى صورة الأمر نحو : أنعِمْ بزيدٍ وأكْرِمْ بهِ ، وأحْسِنْ بخالدٍ وأظْرِفْ بهِ . أصله : أحسن زيد أى : صار ذا حسن . يتكلم بهذا المتكلم المتعجب مع من يعلم حسن زيد ، فلا يحتاج لأن يخبر به فيعلم المخاطبون أنه متعجب ، والباء بعده زائدة والاسم بعدها فى محل رفع هو الفاعل .

يقال : أَحْسِنْ بزيدٍ . فعل ماض تعجبي جيء به على صورة الأَمر ، والفعل الثلاثي الذى تهمزه ليصير فعلاً تعجبيًا هو فعل من باب كرمُ بالأَصالة مثل : حسنُ من الحسن ونَعم من النَّعْمة بفتح فسكون أى الترف ، أوبالتحويل كضرُب وفقُه المحوّلين عن ضرَب وفقَه بفتح عينهما .

ولك كما سلف ويأْتى أن تستعمل أفعال هذا الباب للتعجب ، وأَن تهمزها لتحصيل تينك الصيغتين . والفعل المتعدّى يصير بتحويله لازمًا كما هو شأن الباب .

وإذا أَردت أَن تذكر مفعوله أَو صلته إليه بلام التَّعدية ، وليس لها موضع سواه تقول : ضرب زيد لعمرو ، وفقه لمسائل الكلام .

ثم إن فعل التعجب لا يصاغ إلاَّ مما يُصاغ منه اسم التفضيل ، وما توصَّلْتَ به إلى التفضيل حيث تمتنع الصيغة تتوصل به إلى التعجب والبيان البيان .

ومن الإنشاء : نعم للمدح وبئس للذمّ ، وما جرى مجراهما من كل فعل ثلاثى على فعُل بضم العين حيث يراد به المدح ، والتعجبمن قوّة الوصف فى صاحبه ، وهذا الفعل الذى يمدح به أو يذم يرفع فاعلاً مفتتحا بأَل أَو مضافًا لمفتتح بها نحو : نِعم المُتّقى ربُه ، ونِعْم عُقْبى الدار ، وبئس القرين . أَو ضمير واجب الاستتار مذكر ، ولك تأْنيثه مع المؤنث كماسلف مفرد دائمًا ، ويفسرباسم يذكر بعده منصوبًا على التمييز ، وهذا الاسم النكرة الذى يجعل تمييزًا مفسرًا للضمير ، هوالذى يجعل فاعلا مفتتحًا باللام أومضافا لمفتتح بها ، ومعنى هذا الاسم : هو الشيء الذي يقع المدح أو الذم من جهته ولأَجله وهواسم جنس ، والشخص المعين الذي سيق الكلام لمدحه أو ذمه فرد لذلك الجنس فيذكر قبل أو بعد مبتدإ والجملة خبره .

وقيل : إذا تأَخر كان خبر المبتدإ واجب الحذف ، والجملة منه ومن المحذوف مستأْنفة مبنية على سؤال يلزم نفس المخاطب نحو : زيدٌ نِعْم الرجلُ ونحو : نِعْم الفارسُ عمْرو فعمرو على القول الثانى خبرلهو مقدّر كأَن المخاطب لما سمع المتكلم يقول : نعم الفارس . سأَل : من هو؟ فقال المتكلم : عمْرو . أى هو عمرو ، ويقع بعد هذه الأفعال كلمة ما نحو : نعم مايصنع زيد . فإن لاحظت أن المعنى نعم الشيء الذي يصنعه زيد على كون ما موصولة كانت فاعلا .

وإن لاحظتَ أن المعنى : نعم شيئا يصنعه زيدٌ . على كونها نكرة موصوفة بالجملة كانت تمييزا والفاعل الضمير المستتر ، وعلى كل يذكر المقصود بالمدح أو الذم مثلا تقول : نعم ما يصنع زيدٌ تكلمه فى موضع الكلام ، وصمته فى موضع الصمت .

والأفعال التى تستعمل فى المدح والذم هى : نِعْم وبئس وساء وحَبَّ ، وسائر الأفعال الثلاثية الآتية على فعُل بضم العين وضعًا أو تحويلاً ، فيقال : شرف الرجل زيدٌ ، ونبُه المرءُ خالدٌ ، وظَرُفت المرأة دعدٌ ، وطابتِ الفتاةُ هندٌ . وأصله طَوُبَ بواو مضمومة قلبت ألفا . وقالوا : حبذا مدحًا ولا حبذا ذمًّا . فجعلوا الفاعل اسم إشارة مذكرا مفرداً دائماً كما أفردوا الضمير الفاعل دائمًا فيقال : حبذا زيد والزيدان والزيدون وحبذا هند ، كما يقال : نعم رجلين ورجال ، وقالوا : حَبَّ الرجلُ زيدٌ ، وحُبتِ المرأةُ هندٌ . بضم الحاء ، وحب بزيد عالما ، وحب بهند عفيفة .

والاسم الخاص الذى سيق له المدح أو الذم يسمى : المخصوص بالمدح أو الذم .

ومن الإنشاء صيغ العقود والحلول نحو : بعت واشتريت وحبست وسبلت وفسخت وطلقت وأنت طالق وأنت حر ، إذ لا يقصد بها الحكاية .

ومن الإنشاء الدعاء نحو : أصلح الله حالك ، وأطال بقاءك ، ولا زلتَ مع الحق .

ولنْ تَزالُوا كذلِكُم ثم لا زلـ ـتُ لكُم خالدًا خُلود الجِبالِ

لعدم قصد الحكاية أيضًا .

وأما الجمل التى لا يخرج الكلام عنها ، ومنها : ماله محل من الإعراب . ومنها : ما لا محل له منه فهى خمس عشرة جملة : سبع لها محل من الإعراب ، وثمان لا محل لها .

فذوات المحل : جملةُ الخبرِ عمَّا لهُ خبرٌ من مبتدإ وناسخ ، وجملة المفعول فى باب ظن إذا وقعت مفعولا ثانيا ، أو سادّة مسد المفعولين حيث يعلق الفعل عن نصب الأجزاء بإحدى المعلقات ، وبقية الأفعال الإدراكية التى لم تعامل معاملة ظنّ ؛ لعدم استحقاقها ذلك بحسب معناها يدخلها التعليق .

فالجملة بعدها بمفعول نحو : ذكرت أقام زيد أم لم يقم ، وشككت هل قال ما نسبوا له ، وانظر إلى العظام كيف ننْشِزُها .

وفى هذا وجه آخر : وهو أن كيف اسم لم يضمن معنى الهمزة فهو المفعول ، وهذه

(أرِنِي كيْف تُحْيِي الْمَوْتى). وجملة الحال، وجملة النعت، والجملة المضاف إليها، وجملة الجزاء المفتتحة بالفاء، والجملة المعطوفة على إحدى هذه الجمل كلها في محل إعراب لأنها واقعة موقع مفردات، وذلك ضابطها لو ذكرت لكانت معربة لفظًا مثلا: زيد أبوه قائم.

زيد مبتدأ وأبوه مبتدأ وقائم خبر المبتدإ الثاني، والجملة في محل رفع خبر المبتدإ الأوّل واقعة موقع قائم الأب، فلفظ قائم يكون خبرا مرفوعا بضمة ظاهرة وعليه القياس.

والتي لا محل لها: جملة فعل الشرط، وجملة جزاء الشرط التي لم تصحبها فاء، وجملة جواب القسم، وجملة الصلة لاسم أو حرف، وصلة الاسم جملة خبرية ضرورة كونها مسبوقة لتعيين المراد بسبب عهد المخاطب وسبق شعوره بحصول مضمونها، ويجب أن تشتمل كما هو شأن جميع الجمل المتعلقة بغيرها تعلقًا شديدًا على رابط بمعنى الموصول ويسمى: العائد. ويجب كونه مطابقا للموصول في الإفراد وفرعيه، والتذكير وفرعه إلاَّ في الموصولات المشتركة، فيجوز فيها اعتبار اللفظ، فيفرد ويذكر ويكون مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضًا، ويجوز حذفه مرفوعا إن لم يكن فاعلاً وطالت الصلة في غير أيّ لدفع البشاعة ومنصوبا بفعل أو وصف تامين ومخفوضا بمضاف وصف أو حرف، وشرط الحذف تعينه بحيث يكون عين المراد بيننا، والفصيح في صلة أل كونها وصفاً جارياً مجرى الفعل.

وفي الصلة والعائد تلطف (شرف الدين ابن عنين) حيث كان مريضاً وخاطب سلطان ديار الشام في وقته (عيسى المعظم الأيوبي) بقوله،

انظر إليّ بعينِ موْلى لم يزلْ ... يُولِي الندى وتلاف قبْل تلافِي

أنا كالّذي أحتاجُ ما يحتاجُه ... فاغنم ثوابي والجـزاء الـوافِي

وأحسن السلطان ــ رحم الله الجميع ــ جوابه، حيث زاره بنفسه ومعه بدرة دنانير، وقال: هذه الصلة وأنا العائد.

وجملة التفسير، والجملة الاعتراضية، وهي الواقعة بين أجزاء الكلام لغرض من الأغراض التي محل بيانها علم المعاني نحو: زيد والإكرام عادته أكرمني. وتقع بالواو والفاء وبدونهما نحو. (ويَجْعلُونَ للهِ البناتِ سُبْحانَه ولَهُم مَّا يَشْتَهُونَ) [سورة النحل: ٥٧]

والجملة الاستئنافية وهى الواقعة فى افتتاح النطق نحو: زيد قارىء . أو بعد انتهاء الكلام جوابا عن سؤال مقدّر: نحو اكرم زيدا إنه عالم ، أو غير جواب نحو: (جاءَ الحقّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [سورة الاسراء: ٨١]

وأهل البيان يخصون اسم الاستئنافية بالواقعة جوابًا والجملة التابعة لإحدى هذه الجمل؛ فتلخص أن الكلم العربى من حيث يبحث النحوى عنه هو المركبات المتمايزة بالضوابط ، فلا بحث له عن المفرد إلا من حيث كونه جزء كلام .

ولذلك عرّفه بما يكون إعرابه واحدا ، إذ الألفاظُ قبلَ التركيب لا توصف بإعراب ولا بناء، لأنك قد عرفت أن الإعراب والبناء تأثيره مؤثر متحصل مصاحب وعدمه ، وأنه يبحث عن المركبات من جهات خاصة ؛ وهى كون الكلمات التى هى أجزاء التركيب معربة لفظًا وموضعًا إعراباً ظاهراً أو مقدّرا ، أو معربة موضعا مبنية لفظا ، أو مبنية لفظا وموضعا ، وأنها واقعة فى مواضعها التى يقتضيها لها الترتب التعقلى للمعانى أوّلا إلتزاما لذلك ودونه ، وأنها ملفوظة بأسرها أولا .

كذلك والأغراض المترتبة على إيراد التراكيب فى تلك الصور هى مباحث علم المعانى ، ولكون تلك الصور فى نظر صاحب علم المعانى لأغراضٍ لم تكن عنده صورة غير ملتزمة ، والنحوى لما لم يكن باحثاً عن تلك الأغراض ، ورأى التراكيب تارة وتارة أثبت الجواز ؛ فتتبع أجزاء التراكيب بضبطها ضبطاً نوعياً ، وميز كلا باسم مناسب يخصه ، فخرجت له من ذلك أبواب وفصول ، ثم كما تتبع أجزاء التراكيب تتبع أنفس التراكيب بالكيفية التى تتبع بها الأجزاء .

وعلى ذلك تم له فن ضبط به اللغة العربية ضبطاً أصلياً لازما ، إذ به تبقى اللغة التى بها وصل إلينا ديننا محفوظاً محوطاً أن يدخله شائبة تغيير أو زحزحة عن مستقر فرحم الله أولئك المجتهدين فى تأييد هذا الدين المتين ، صلوات الله وتسليماته على من جاء به ، وعلى تابعيه أجمعين .

* * *

وقد جرت عادة النحويين أن يضعوا بابا لاختبار حافظة الطلبة وتمرينهم على

استعمال تلك القوانين ، التى صرفوا لتحصيلها صدرامن نفيس أعمارهم ؛ واحتملوا له بعض الخروج عن مألوف النفوس ، وسموْ الإخبار بالذى والألف واللام . وصورة ذلك أن يسألك سائل : كيف تخبر بأل أو بالذى عن زيد من : مررت بزيد . فتجيبه المرور به لى زيد أو الذى مررت به زيد . وبيان ذلك أن غرض السائل أن يأتى بتركيب مّا ويطلب منك أن تحوّله إلى صورة التركيب الذى تخبر فيه عن الموصولات . وضابطه : أن تأتى بأحد الموصولات حسب الاقتضاء ، وتجعله مبتدأ وتجعل الاسم الذى قيل : كيف تخبر عنه خبرًا عن ذلك المبتدأ بعد أن تضع موضعه ضميرًا مطابقًا يكون خلفاً منه ، فيظهر لك حينئذٍ أن قولهم : أخبر بالذى عن زيد فيه قلب . ووجهه : أخبر عن الذى بزيد ومن التكلف أن تجعل الباء للآلة وأن الإخبار فى الحقيقة عن ذلك الاسم ؛ لأن ذلك التركيب الذى يراد التحويل إليه فى هذا الباب تركيب مقصود جعل فيه المسند إليه من الموصولات لأحد الأغراض المبينة له فى علم المعانى .

فإذا عرفت أن الغرض تأخير اسم من التركيب لتجعله خبرًا ، وأن تضع مكانه ضميرًا وأن تأتى بموصول تصدّره وتجعله مبتدأ أطلقت فكرك فى القواعد التى حفظتها ، فقلت فى نفسك إن تأخير الاسم يوجب أن لا يكون من الأسماء التى يجب تصديرها ، وأنّ رفعه خبرًا يوجب أن لا يكون من الأسماء التى تلزم حالة واحدة ، كالمصادر الملازمة للنصب والظروف غير المتصرفة . وأن لا يكون جزء مركب ذى معنى واحد ، وأن وضع الضمير موضعه يوجب أن لا يكون من أجزاء التراكيب التى يجب أن تكون نكرات أو أسماء ظاهرة ، وأن يكون بحيث يصح وضع الضمير موضعه بأن لا يكون مضافًا ولا موصوفاً ولا مصدراً عاملاً ، إذ الضمير لا يُضاف ولا يُوصف ولا يعمل ، وأن لا يحصل بذلك العمل فساد فى التركيب بحيث لا يكون مفيدًا ، وأن الإتيان بالموصول ليكون مبتدأ يوجب أن تكون الجملة التى يطلب فيها إجراء ذلك صالحة لأن تكون صلة ، وأن يمكن صوغ صلة منها لأل حيث يكون الإخبار عنها فحينئذٍ متى سألك سائل : كيف تخبر عن كذا ؟ وكان : اسم استفهام ، أو اسم شرط ، أو ضمير شأن ، أو مبتدإ أو مثل : معاذ الله وعند ولدى ، أو حالا أو تمييزاً ، أو مخفوضاً برب أو بحتى أو بمذ إلى غير ذلك

مما تمنع القواعد أن يكون عليه التركيب الذى تحوّل إليه المركب الذى يطلب منك تحويله قلت : لا يمكن الإخبار للمانع الذى هو كذا مثلاً يقال لك : أخبر عن الصديق الخصيص والعدوّ والبغيض من قولك : كان زيد الصديق الخصيص والأيام باسمة ، ثم صار العدوّ البغيض وهى كاشرة ، فتقول الذى كأنه أو إياه زيد والأيام باسمة الصديق الخصيص ،ثم الذى صاره أو إياه وهى كاشرة العدوّ البغيض ،ويقال لك :أخبر عن رجل من قولك : رب رجل يعرف فضل العلم والتهذب وحسن السيرة ، فتقول : لا يمكن لأن التركيب يصيرهكذا الذى ربه يعرفه رجل ، فيلزم أن يكون مخفوض رب معرفة وهو غير سائغ .

وعليك بالفكر فى القياس واستخراج ما يمكن فيه ذلك العمل ومالا يمكن ، وقد التزمت شدّة الاختصار فى هذا الموضع إبقاء لفكرك بسطه وتفصيله حسبما تحصل معك من الأحكام ومعرفة العمل فى هذا الباب .

وبعض النحويين أورد هذا الباب عند الكلام على المبتدإ والخبر ، وبعضهم عند الكلام على الموصول مخالفة لوضع المتقدّمين له في هذا الموضع ، ونعم ماصنع المتقدّمون فإن الغرض به كما عرفت اختبار حفظلك لسائر قواعد الفنّ .

(مسألة) كلمتا أى ومن . إذا طلبتَ بهما من المخاطب تعيين مراده بنكرة أو ردها فى كلامه حكيت بالأولى وصلاً ووقفًا صورة تلك النكرة من الإفراد والتذكير وفروعهما وحركت آخرها ، وبالثانية وقفًا فقط فتقول : أى وأية بثلاث الحركات ، وأيان وأيتان وأيين وأيتين وأيات ، حيث تكون النكرة جمعًا لا يصلح أن يوصف بجمع مذكر سالم ، وأيون وأيين حيث تكون النكرة جمع مذكر سالم ، أو جمعا يصلح وصفه به موزعًا ذلك حسبما عرفت ، وتقول : منُو ومنَا ومنِى بثلاث الحركات واشياعها ، ومنَانِ ومَنَيينَ ومنُون ، ومَنَه بفتح النون ومَنْتَان ومَنْتين بسكون النون ومنات ، وأى على إعرابها ومن على بنائها فلواحق الثانية من الحركات والحروف للحكاية اتفاقًا وفى لواحق الأولى خلاف ، وعلى القول بكونها إعرابًا يكون الخافض عند حكاية الخفض محذوفًا ، وعلي القول بكونها

للحكاية فضمة أى مقدّرة لكونها حينئذٍ مبتدأ ، وإذا أورد مخاطبك فى كلامه علمًا مشتركًا وطلبت تعيينه بمن دون أن تقرنها بواو أو فاء وجئت بعدها بلفظ العلم غير متبوع إلاّ بعطف نسق ، أو وصف بابن أو ابنة جاز لك أن تنطق به على صورته فى كلام المخاطب فضمته مقدّرة لكونه مبتدأ أو خبرا ، والأفصح أن تنطق به حسب الاقتضاء .

* * *

خاتمة

- تحصيل علوم العربية
- اختلافه بحسب العصور
- أحسن أنواعه

قد عرفت أن إفادة الكلام ما يراد به مرتبطة بهيئته الصحيحة ، وذلك لا يخص لغة دون لغة ، ولذلك احتاجت كل لغة لوضع فنون لضبط صورها الصحيحة ، وكانت اللغة العربية أشدُّ احتياجا لذلك بسبب الإعراب والبناء وغيرهما ، ولم يكن للعرب خلا عرب اليمن علم بالكتابة ، وإنما دخلت فيهم بعد ورود الإسلام الذى جمع بين الأُمم وأوجب اختلاط الكافة فاحتاج كل لمعرفة كل ، فكتبت العرب أحرفًا دالة على مادّة اللفظ دون صورته لاستغنائهم بصحة لغتهم .

ثم تنبه (الحجاج بن يوسف) فنقط المصحف حيث دخل الاشتباه وحصل اللحن بالسبب الذى سبق شرحه ، وجرى العمل على الكتابة دون شكل يعرّف صور الألفاظ ، فاشتدّت الحاجة لتحصيل طريقة بمعرفتها تضبط صورة اللغة ، ولو اشتملت الكتابة على ما يدل على صور الألفاظ لبقيت لغة العرب صحيحة ، ولم يدخلها كل ذلك التغيير المشهود فى لسان من يتكلم باللغة العربية .

وهم كما سلف أهل مصر ومغربها ، والشأم والحجاز واليمن ، ولم يطل فن النحو هذا الطول .

ولكن لما لم يكن ذلك قامت طائفة من عقلاء الأُمّة مجتهدين ، فى تحصيل الطرق التى تنضبط بها اللغة العربية من كل وجه ؛ فتحصلت العلوم العربية المسماة بالفنون الأدبية نسبة إلى الأدب ، وهو تعويد المتحرك بالإرادة على الحركات المستحسنة الموافقة لما جعل ذلك المتحرك له .

فلا تظنّ أن الأدب كما توهمه الشهرة هو : الأشعار والنوادر والحكايات وما أشبه ذلك ولا أن الأدب خاص بالإنسان ، بل هو كما يقتضيه تعريفه عامّ لكل حى ، فلكل حى

أدب يليق به ، فأدب الإنسان تعوّده الأحوال ، التي يصير بها نافعا لنفسه ولأهل الأرض المنفعة التي يمكنه القيام بها في طائفته المشاركة له في ذلك ، حسب الأوضاع الإلاهية حيث خلق كل نوع وخصه بأعمال ، وجعل نوع الإنسان هو النوع الرئيس المدبر لبقية الأنواع فكثرت أعماله ، واقتضى الحال تقسيمه طوائف موزعة عليها أنواع الأعمال مربوطا بذلك حفظ حياتهم ، وحسن معيشتهم ، ولهذا المعنى الإشارة بقوله جل ذكره . (نَحْنُ قَسَمْنَا بينهُم مَّعِيشَتَهُم) . [سورة الزخرف : ٣٢]

وأدب الجَمل تعوّده البروك حيث يراد منه ، ونهوضه بالأثقال المحمولة عليه ، وانقياده بتلك السلامة وهكذا .

وأدب حِمار الركوب التصاقه بسلمه ، وامتثاله لتحريكات اللجام وهَلُمّ .

إلاّ أن للأدب أصولاً هي بمنزلة الأغذية ، وفروعا هي بمنزلة الفواكه ، ولك التشبيه بصورة الإنسان مثلا فوجوده حيًا بعظامه وعروقه وجميع ما لابدّ منه في الحياة ، وجماله بأمور لا تزول الحياة بزوالها ، كالشعر الأسود الأثيث المسترسل واللون الوسط ، وتناسب الأعضاء إلى غير ذلك من الأمور المشروحة في الغزل .

فأصول الأدب لطائفة النجار مثلا ، معرفة إمساك : القدوم والمنشار والفأرة والمخراز والمنقرة ، واستعمال تلك الآلات لتحصيل مابه الوقاية من الحر والبرد والأمن من اللص ، وخروج الحيوان إلى غير ذلك ، وفروعه : النقوش والتحلية والعمل على الحساب ورعاية التناسب بين أنواع مصنوعاته ، فالشباك العالي يناسبه مالا يناسب الشباك السافل ، وباب الدار لا يكون كباب أحد بيوتها ، وباب القاعة الكبيرة غير باب المبيت .

وعليك الفكر فعلى ذلك تعرف أن أصول أدب طائفة العلماء أن يعرفوا الكتابة والقراءة وصحة الكلام مادة وصورة ، ويتعقلوا كيفية تحصيل المعاني الأصلية التي تفيدها أنفس التراكيب ، وذلك بمعرفة ما قبل علوم البلاغة ومقاصدها من علوم العربية وهو ما سبق تلخيصه ، وكان العمل في تعليم تلك الفنون وتعلمها في صدر الإسلام أن ينتخب الشيخ بعض الأشعار والخطب والمحاورات ، ويلقيها لتلامذته يتحفظونها

ويتصوّرون هيآتها الإفرادية والتركيبية عملاً مستمرًا حتى يحصل للتلميذ صورة خيالية تكون له معيارًا وقانوناً بما تقتضيه ، يتكلم حكاية ، وإنشاء وإنشادا ولم يكن ذلك كافيًا للضبط المطلوب ، لما فيه من الاعتماد على الحافظة التي هي عرضة لتغييرات حوادث الأيام ، فجهدوا في وضع القواعد .

وابتداء ذلك كما سلف لأمير المؤمنين علىّ – كرم الله وجهه – واستعمل أبا الأسود الدؤلى في البناء على ما أسس له فعمل ما يسر الله له .

ثم أخذ الناس في تتميم ذلك مثل أبي عمرو ، وعبد الملك الأصمعي ، حتى وضع عمرو ابن بشر المشهور بسيبويه كتابه الذى صار الإمام في ذلك الفن ، وصار الكتاب له علما بالغلبة فأقبل الناس على قراءته وشرحه وبيان معانيه ، ومع ذلك لم يتركوا الحال الأولى ، بل جمعوا بين معرفة القواعد وحفظها واستعمالها ، وقراءة دواوين العرب ومحاوراتهم متفاوتين في ذلك حسب الاقتضاء ، فمن يسعى ليكون معلما لا يكون كأولاد الملوك . ومن يسعى ليكون في إحدى الخدم السلطانية لا يكون كمن يريد التفقه في الدين ؛ ليجتهد في تحصيل مذهب يستخرجه من أصول الدين المجملة ، التي يحتاج من يريد استخراج أحكام الحوادث منها إلى إعمال فكر ودقة نظر ، وتحصيل علوم شتى ؛ أو ليتولى إفتاء أو قضاء وهلّم .

ونعم ما كانوا يصنعون ، وعلى ذلك جرى عمل الناس حتى بلغ العلم غاية قوته . ثم أخذ الناس في الاقتصار على معرفة بعض القواعد دون استعمال ، ونظروا إلى الآلات نظر المقاصد واقفين عند ذلك الحد ، فصارت علومهم بمنزلة حبوب تخزين في أماكن صالحة لذلك أو غير صالحة ، حتى تصير ترابًا وينقلب بعضها حشرات وهوام بشعة المناظر رديئة الأعمال ، مؤذية بلدغها ونتن رائحتها ؛ فما يستحقه ذلك من اللّوم والتعنيف والمقت من الله والناس ، يستحقه أولئك الناس الذين يتظاهرون بدعاوى غير مدللة .

والدّعاوى مالَم يُقيموا عليها بينات أبناؤها أدْعياء

فالطريقة المثلى كما سبق تنبيهك عليه ، وإرشادك له ، أن يبتدىء الطالب بتحصيل

الفنون الأصلية ، صافية نقية من الشبهات والاعتراضات ، وإيراد العبارات المنقوضة تحفظاً لها وعملا بها فيما يرد عليه أثناء ذلك من الكتب التي يتعلم بها ، والأشعار المضمنة فيها فإذا أتقن ذلك واعتاد لسانه أن ينطق بالكلم العربية ، كما كانت العرب تنطق بها انتقل إلى معرفة الفنون البلاغية ، التي يستفيد بها دقائق المعاني الإشارية الملحوظة وراء المعاني الأصلية ، ليبلغ بذلك درجة إتقان الإنشاء حسب اقتضاء الأحوال ، فارقا بين كل مقام وغيره ؛ فخطبة المنبر غير خطبة عقد الصلح ، وهما غير خطبة رفع المهادنة ونبذ العهد ، وهي غير خطبة الأملاك .

والعبارات عن صيغ العقود والشهادات والمشارطات ، غير عبارات التعزيات والتهنآت والبشارات وهكذا .

وطريق الوصول إلى ذلك معرفة الفنون البلاغية ، وكثرة القراءة في منشآت المتقدمين ، على اختلاف أنواعها بتعقل لسياقاتها ومسالكها ومبادئها وأوساطها وغاياتها مع الصبر على ذلك والتأني في تعقله كما قيل :

لا تَحْسَبِ المجْد تَمْرًا أَنْتَ آكِلُــه ... لَنْ تَبْلُغَ المجد حتى تلعقَ الصَّبِــرا

وقيــل :

ومن يصْطَبِر للعلم يظفرْ بنيلِه ... ومن يخطب الحسناء يصْبِرْ على البذْلِ

ومن لم يُذلّ النفس في طَلَب العُلى ... يسيرا يَعِشْ دهْــرًا طويلاً أخا ذُلّ

وكما قيل :

اطْلُبْ ولا تَضْجرْ من مطْلبِ ... فآفة الطــالِب أنْ يضْجــرا

أماتَــرى الحبْــلَ بتِــكْراره ... في الصَّخْرِةِ الصَّمّاءِ قدْ أثّرا

وقيــل :

ما وهب الله لامرىءٍ هبـــــة ... أفضلَ من عقلهِ ومن أدبه

هُمــا حيــاةُ الفتى فإن فُقدا ... فَفَقْــده لِلحيــاةِ أَلْيَــق به

وزمن التحصيل هو زمن أنفس العمر ، حيث تكون الشبيبة مشبوبة والقوى

مستكملة والروح فرحًا بامتثال أمره ونهيه ، وذلك يوجب الإعراض عن الشهوات ، والاغماض عن كثير من اللذات ، كما كان يقول أحد شيخي الحديث (مسلم بن الحجاج النيسابوري) بعد كتبه ما يتحصل له من نتائج أعماله وفرائد مكابداته : لا ينال العلم براحة الجسم؛ فيحصل الطالب المجتهد على ذلك الحدّ على أمرٍ قلَّما يكون في حسابه وتحت نظره ، وهو أنه إذا مسه بعض الضعف اللازم لخلقة الحيوان ، واحتاج إلى سكون راحة ، وتحفظ من آلام أمور لم تكن تؤثر فيه أيام التهاب شبيبته تأثيرها فيه أيام تخامدها ، واستيلاء ضدّها عليه من يابس البرد وبلة الرطوبة ، وجد مأوى كافيًا وملبساً واقياً وخدمة مريحة ، وما يعينه على عبادة ربه وسداد رأيه ، الذي يكون إذ ذاك وظيفته المرادة منه بها ، ينتفع وينفع أمته ، ويكون في تلك الحالة مستقرًا في الرتبة النبوية التي ليس وراءها رتبة شرف ، وبالله التوفيق لأقوم طريق .

* * *

(تم بحمد الله الجزء الأوّل)

كلمة لابد منها

فى ختام هذا الجزء من الوسيلة الأدبية أرى من الوفاء أن أنوه بفضل الصديقين العزيزين المرحومين فوزى العنتيل وصلاح عبد الصبور . فقد كان لأولهما الفضل الأكبر فى حثى على تحقيق هذا الكتاب ونشره بين الناس . وتبنى صلاح الكتاب واهتم به حتى خرج للناس .

كما أتقدم بموفور الشكر للأخ الأستاذ متولى خليل عوض الله الذى قام بتصحيح هذا الكتاب .

القاهرة فى أغسطس سنة ١٩٨٢

د . عبد العزيز الدسوقى

فهرس

الجزء الأول

(*) هذا العنوان فى غير موضعه ويأتى فى ص ٢١١ .

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	الصفحة

طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٢/٤٠٩٧

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٠٧٤ ـ ٩